بسم الله الرحمن الرحيم

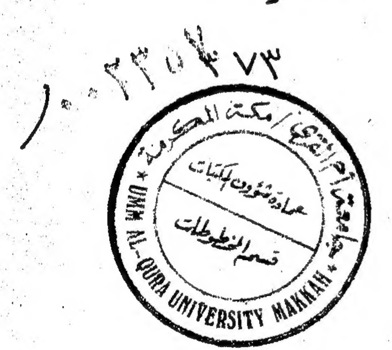
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية



الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين

في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي



إعداد الطالب

سلامة محمد سلمان الهرفي

إشراف

الأستاذ الدكتور أحمد السيد دراج

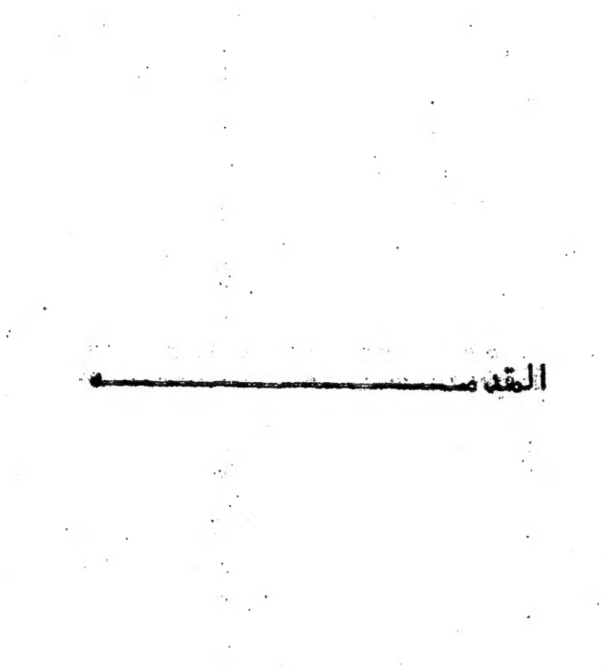
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الرمــــــــــوز

============

مــج	=	مجلــــد
ع	=	عــــدد
ق	=	قســـم
د . ت	=	دون تاريخ طباعة



المقدمـــــــــــــــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

==========

الحمد لله الذى علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على اشـــرف خلق الله محمد بن عبد الله بعثه بالحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور وبعد :ـ

ان علم التاريخ من أجل العلوم قدرا ، وكفاه شرفا ان الله جل جلالـــه ضمن كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأخبار الأمـم الماضيه والقرون الخاليه فقال جل وعلا :ـ (كذلك نقص عليك من انبـــاء ما قد سبق ...) "١" وقال : (ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائـم وحصيد ...) "٢" .

لقد حبب الله الى هذا الحقل من الدراسات منذ فترة مبكرة من حياتـــي العلميه ، وما أن بدأت دراستى الجامعيه حتى بدأت عظمة حضارتنا الاسلاميـه تتجلى أمام ناظرى فأخذتني روعتها وازداد شوقي لابراز معالمها حتى اذا ما انتهيت من تلك المرحلة وانتقلت الى مرحلة الدراسات العليا التاريخيه ، أخذت ابحـث عن موضوع لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي . وفي بحثي هذا كنت فـي حيرة من أمرى فكل جزء في عالمنا الاسلامي يشدني الى التعمق في دراسته . وخلال ذلك سمعت صوتا متهدجا حزينا ينطلق من فردوسنا المفقود فانجذبت اليـه واستهوتني روائعه الحضاريه ، وأبكتني مآسيه الداميه فعكفت على المصادر الأندلسيه اقرأها لعلي اعثر على جزئية ادرسها .

وسرعان ما تبين لي أن فهم تاريخ هذه البقعة مرتبط ارتباطا عضويا بفهم تاريـخ المغرب الاسلامي ، فمن المغرب انطلق الفاتحون الاوائل نحو الأندلس ، كمـــا

---

١ ـ طـــه ، آية ٩٨ .
٢ ـ هـــود ، آية ١٠٠ .

أن الأندلس ارتبطت بتاريخ المغرب ردحا من الزمن في عهود مختلفة ، ومن ثم أخذت ابحث عن موضوع اجمع فيه بين هذين القطرين الغاليين على قلوبنا ، ولما استقر هذا الأمر في ذهني نظرت حولي فاذا بأوضاع المسلمين تتصدع لها الجبال وتبكي لها المزن دما لما هم فيه من تفرق وضعف فرأيت من الواجب ان يكون موضوع اطروحتي يتناول صفحة مشرقة من تاريخنا تعيد الثقة لابناء ديني في تاريخهم المجيد .

وأخذت اتصل بسعادة الاستاذ الدكتور أحمد السيد دراج الذى كان منذ فترة قد بدأ يوجه بعضا من طلاب الدراسات العليا التاريخيه نحو الدراسات الاندلسيه والمغربيه واشرف على العديد من الرسائل الجامعية في هذا الحقل ، فأخذ يلفت انتباهي نحو دولة لعبت دورا رائعا في تاريخ المغرب والأندلس وهى دولة المرابطين .

وبعد تأمل تاريخ هذه الدولة استقر الأمر في النهاية على أن تكون ((الأحوال السياسية واهم مظاهر التطور الحضارى لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف ابن تاشفين)) موضوعا لأطروحتي . وهذا الاختيار جاء بعد أن اجريت مسحا للدراسات التي قدمت في تاريخ هذه الدولة والتي انصب جلها على فترة التأسيس وعهد يوسف بن تاشفين ومكتفية بالاشارة العابرة لعهد علي بن يوسف ودون ان تكشف عن الدور الخطير الذى قام به علي بن يوسف في هذه الحقبة في مجال الجهاد والحضارة الاسلامية . ولعل المؤرخون لم يدركوا أهمية هذا العهد في تاريخ المغرب والأندلس وفي تاريخ الحضارة الاسلامية ، وما خلفه من تراث مجيد بقيت أوروبا تستضيء بنوره في مجال الطب والصيدله والجغرافيا والأدب حتى عهد قريب . فهو عهد ابن زهر ، وابن باجه ، والادريسي ، وابن رشد ، وابن العربي ، وابن خفاجه ، وابن خاقان ، عهد الموشحات والازجال ، وعهد الجهاد ومقارعة اعداء الله والذى آخر سقوط الاندلس عدة قرون ، وعهد التقدم الصناعي ، والتجارى ، والزراعي ، والعمراني . وهو العهد

الذى نشأت وترعرعت فيه دعوة من أخطر الدعوات التي ظهرت في المغرب وهي دعوة محمد بن تومرت التي قضت في نهاية الأمر على دولة المرابطين • وموجز القول فان هذا العهد يمثل قمة الازدهار الحضارى لدولة المرابطين ، وفي نفس الوقت يمثل بداية الانهيار والسقوط لهذه الدولة •

وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع الا أني لم أجد أحدا من الباحثين فيما اعلم قد بحثه بشكل متكامل يبرز جوانبه الحضاريه والسياسيه ويلقي ضوءا ساطعا على ما خلفه من آثار تستحق العناية • فقد عرج عليه الباحثون على عجل في الوقت الذى أسهبوا فيه في عهد يوسف بن تاشفين ، ومن هؤلاء حسن محمود في اطروحته لنيل درجة الدكتوراه التي كان موضوعها قيام دولة المرابطين ، والسعيد محمد مجيد في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في الشعر في عهد المرابطين ، وخليل ابراهيم صالح البشير في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه عن علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس والدول الاسلاميه ، وعصمت هانم عبد اللطيف في اطروحتها لنيل درجة الماجستير عن دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا ، وعبد رب النبي محمد في اطروحته لنيل درجة الماجستير عن مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا والأندلس • كما كتب رضا عبد الجليل الطيار عن الدراسات اللغوية في الأندلس منذ مطلع القرن السادس الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، وكتب ميرانده مقالة في • مجلة تطوان عن علي بن يوسف واعماله في الأندلس • هذا بالاضافة الى دراسات أخرى عن المرابطين رسمت صورا جزئية لا تروى ظمأ الباحث الذى يهدف الى رسم صورة متكاملة عن عهد هم ودولتهم • ولكننا نلتمس للمؤرخين بعض العذر في احجامهم عن الافاضة في بحث هذه الفترة ، والتوسع في الدور الذى لعبه علي بن يوسف في مجال الحرب والسياسه والحضارة لقلة المادة العلمية ، فقد ضاعت مصادر كثيرة عن هذا العصر على درجة كبيرة من الأهمية ، مثل كتاب الانباء في سياسة الرؤساء ، وكتاب الأنوار الجليه في اخبار الدولة المرابطيه لابن الصيرفي • ويجب في هذا الصدد

أن لا ننسى ما قام به الموحدون أعداء الدولة المرابطيه من اعمال تخريب وطمس لكل ما يشرف هذه الدولة ، فلم يصلنا من المصادر المرابطيه المعاصره الا النزر اليسير . كما لا يخفى على الباحثين صعوبة جمع المصادر والمراجع لمثل هذا البحث لانتشار أصولها في عدة مكتبات عالمية .

على الرغم من كل ذلك أقدمت على دراسة هذا الموضوع ودقات قلبي تتسارع خشية أن تصرفني ضحالة المادة العلمية عن اماطة اللثام عن تاريخ هذه الحقبة . ولكني بعون الله وتوفيقه عثرت على المصادر والمراجع التي غطت معظم جزئيات الموضوع وأبرزت بقدر المستطاع أهم معالمه السياسية والحضارية .

وقد قسمت بحثي الى اربعة ابواب تحوى أحد عشر فصلا مسبوقة . بمقدمة وبحث في أهم المصادر والمراجع وتمهيد ، ثم ختمت البحث بخاتمة ابرزت فيها نتائج دراستي لعهد علي بن يوسف بن تاشفين . وفي تحليل المصادر تحدثت عن بعض المصادر الفقهية ، وكتب التراجم ، والمذكرات الخاصة ، وعن مجموعات الوثائق ، ودواوين الشعر ، وكتب التاريخ الاندلسي العام ، ثم عن المصادر المشرقية ذات القيمة ، وعن الموسوعات الجغرافية ، وعن بعض المصادر المفقوده والتي اعتمد عليها بعض المتأخرين أمثال ابن عذارى ، وابن الخطيب مبرزا خلال العرض أهمية هذه المصادر بالنسبة لموضوع بحثي . هذا ولم تفتني الاشارة الى أهم المراجع الحديثه التي تناولت تاريخ المرابطين لا سيما ما كان منها خاصا بموضوع البحث .

أما التمهيد فقد عرضت فيه لأحوال العالم الاسلامي في المشرق والمغرب موضحا ما كان يعانيه من تفكك وضعف في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، ثم تحدثت عن دولة المرابطين من النشأة حتى وفاة يوسف بن تاشفين مبينا أهم منجزاته في مختلف المجالات .

وخصصت الباب الأول للأحوال الداخلية في دولة المرابطين في عهد علي ابن يوسف بن تاشفين ، ويقع هذا الباب في ثلاثة فصول : الأول منها تحدثت فيه عن ولاية علي بن يوسف بن تاشفين للحكم ، وابرزت كيف تمت بيعته في حياة والده ، والشروط التي اشترطها عليه والأسباب التي حدت بيوسف الى اختيار ابنه علي على الرغم من أنه لم يكن أكبر اخوته ، كما تكلمت عن أهم سمات شخصيته ، اما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن الثورات والفتن في المغرب والاندلس من عام ٥٠٠ حتى ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ ـ ١١٤٢م وعرضت فيه لعدة ثورات منها ثورة فاس ، وثورة أبي بكر بن علي في غرناطه ، وثورة ابن الحاج في قرطبه ، وثورة الرعية فيها ضد واليها ابن رواد ، وثورة العامة في قرطبه على اليهود ، وثورة العامه فيها ايضا ضد القاضي ابن رشد ، وثورة العامه في اشبيليه ضد القاضي ابن العربي . والفصل الثالث افردته لثورة المهدى ابن تومرت التي كانت معولا من معاول الهدم في جسم الدولة المرابطية ، ومثالا للدعوات المنحرفة التي تقوم على تعاليم فاسده . فتحدثت عن فكرة المهدى وكيف استغلت في حقب التاريخ لتحقيق طموحات بعض الشخصيات على حساب الدين ، وكيف أن هذه الثورة كانت نتيجة للصراعات بين قبائل البربر . كما تحدثت عن نسب ابن تومرت ، ـ ورجحت عدم نسبته العلوية ثم نوهت بأثر العوامل الجسمية والاقتصادية والسياسية والثقافية في دعوته ، ورجحت عدم لقاء ابن تومرت بالغزالي ، كما تتبعت مراحل دعوته ، وما تعرض له من طرد وسجن في المشرق والمغرب ، واعلان مهديته وطرده من مراكش مشيرا الى جرائمه الدموية واعتماده على المكر والخداع لتثبيت عقيدته في نفوس اتباعه ، وتتبعت ايضا مراحل الصراع المسلح بين الموحدين والمرابطين الذى بدأ في عهد علي بن يوسف واستمر الى أن سقطت دولة المرابطين على يد الموحدين . واذا كانت دعوة محمد بن تومرت قد نجحت في اسقاط دولة المرابطين الا أن أتباعه مالبثوا بعد فترة من الزمن أن تخلوا عن مهديته واعلنوا زيفها واسقطوا اسمه من السكة والخطبه .

وعقدت الباب الثاني للعلاقات السياسية للمرابطين مع العالم الاسلامي ، ويقع في فصلين : الأول منها افردته لعلاقة دولة المرابطين ببني هود في سرقسطه

وروطه ، وتحدثت فيه عن أهمية سرقسطه الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية ، وتطور علاقتها مع المرابطين منذ عهد يوسف بن تاشفين وحتى سقوطها بيد النصارى عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، وعوامل هذا السقوط ونتائجه على المرابطين والنصارى . ثم تتبعت علاقاتهم ببني هود في روطه حتى وفاة آخر حاكم من حكام بني هود عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م مشيرا في أكثر من موضع لعلاقات بني هود بالممالك النصرانية .

وشمل الحديث في الفصل الثاني علاقات المرابطين مع امارة بني زيرى ، فقد تضافرت جهود بني زيرى والمرابطين في لصد عادية النورمان ، كما كانت العلاقات المرابطية العباسية على أفضل ما يكون كما تدل على ذلك وثيقة جديدة اشرت اليها في البحث ، هذا ولم تكن العلاقات بين الدولة المرابطية والدولة الفاطمية منقطعة كما يظن ، فقد عثرت ايضا على وثيقة تدل على وجود مراسلات بينهما .

وجعلت الباب الثالث لجهاد علي بن يوسف للممالك النصرانيه ، وذلك في فصلين : الأول خاص بجهاده ضد مملكة قشتاله وقلمريه ، والثاني لجهاده ضد مملكتي ارغونه وبرشلونه ودخول الجزائر الشرقيه . وفي هذه الدراسة تحدثت عن أشهر المعارك الحاسمة التي خاضها المرابطون ضد تلك الممالك مخضعا اياها للتحليل والنقد لمعرفة اسباب النصر والهزيمة فيها ، ونتائج ذلك على الطرفين ، ومشيرا في نفس الوقت الى صليبية هذا الصراع .

وأفردت الباب الرابع لأهم مظاهر التطور الحضاري في دولة المرابطين ، ويقع في اربعة فصول : تحدثت في الأول منها عن نظم الحكم والاداره مبينا صلاحيات أمير المسلمين ، ونظام ولاية العهد ، وعن الجيش والأسطول ، وعن نظام القضاء والخطط المتفرعة عنه .

وخصصت الفصل الثاني للحياة الاقتصادية والاجتماعية وتحدثت فيه عن الزراعة واهم المحاصيل المنتجه ، وجهود الدولة في دفع عجلة الحياة الاقتصادية الى الامام ، وعن حركة التجارة الداخلية والخارجية ، والصناعة ، كما تحدثت

عن العملة المرابطية . وفي هذا الفصل أيضا عرضت بالدراسة للحياة الاجتماعية .

أما الفصل الثالث فقد خصصته للحركة الفكرية ، وحاولت فيه الرد بالدليل الدافع على كل من رمى هذه الدولة بالتخلف والهمجية ، وأبرزت دور حكامها في دفع عجلة التقدم العلمي عن طريق مشاركتهم في طلب العلوم المختلفة . فقد اشتغل علي بن يوسف بن تاشفين وبعض ولاته واقاربه في تحصيل العلم والرحيل من أجله ، وحضوا ابناءهم على طلبه ، بل تعدى الأمر الى مشاركة بعض النساء المرابطيات فيه ونبوغهن في مجالات متعددة منه . كما أشرت الى أهم مراكز الاشعاع الحضاري في الدولة وعوامل ازدهار الحركة الفكرية في هذا العهد ، ثم أخذت اعرض لكل فرع من فروع العلم التي ازدهرت في هذه الحقبة مبرزا أهم من نبغ فيه وما أضافوه من جديد في كل ميدان . فتحدثت عن العلوم الشرعية من حديث وقراءات وتفسير ، ثم علوم اللغة العربية من أدب وشعر ونثر ونحو ، وعن الجغرافيا والتاريخ والانساب ، والفلسفة ، والصيدلة والطب .

وفي الفصل الرابع تناولت بالدراسة العمارة والفنون الاسلامية في عهد علي بن يوسف ، وفي هذه الدراسة اشرت الى العوامل التي تحكمت فيها . وقد قسمت حديثي عن هذا الموضوع الى ثلاثة أقسام : الأول يشمل الحديث عن العمارة المدنيه المتمثله في عمارة المدن والمرافق العامه والقصور ، والثاني عن العمارة الدينيه وتشمل المساجد وما يتعلق بها ، والثالث عن العمارة العسكرية من قلاع وأسوار ، ثم ختمت دراستي لهذا الجانب بالحديث عن الفنون الزخرفية .

وفي الخاتمة تحدثت عن أهم النتائج التى توصلت اليها من خلال دراستي لهذا العهد .

وفي نهاية هذا العرض لا يفوتني أن اسجل خالص شكري وتقديري لسعادة الاستاذ الدكتور أحمد السيد دراج المشرف على هذه الرسالة لما حباني به من رعاية وتوجيه كان لهما اثر كبير في اخراج هذه الرسالة على هذا الشكل فجزاه الله عني كل خير

كذلك اسجل شكري لكل من استرشدت بجهودهم في هذا البحث والذين سبقوني في بحث تاريخ دولة المرابطين ، فقد أخذت من مؤلفاتهم ولمست معاناتهم وجهدهم في البحث والتنسيق والتبويب وحاولت أن أضيف لما صنعوه بعض ما فاتهم سواء من حيث الموضوع أو من حيث الشكل ، وربما خالفتهم في بعض ما ذهبوا اليه فذلك من سمات حرية الفكر في البحث العلمي . كما اتوجه بالشكر والتقدير لكل من قدم لي مساعدة من اخوة زملاء واساتذة فضلاء ومسؤولين في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية وأخص بالذكر منهم سعادة عميد كلية الشريعة السابق محمد بن سعد الرشيد ، وكذلك سعادة عميدها السابق الدكتور عليان الحازمي ، وسعادة عميدها الحالي الدكتور علي الحكمي لما قدموه لي من عون ومساعدة يعجز عنهما الثناء والتقدير فجزاهم الله عني خير الجزاء ، والله اسأل ان يهدينا سواء السبيل وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

====

الطالب

سلامه محمد سلمان الهرفي

ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ

بحث في أهم المصادر والمراجع

يمتاز تاريخ دولة المرابطين بقلة المصادر التي وصلت لنا عنه ، لأن اعداء هذه الدوله وعلى رأسهم الموحدين قد قضوا على كل ما يشرف هذه الدولة المجاهده فطمسوا معالم حضارتها ونهضتها . الا أنه من حسن الحظ ان بعض المصادر والوثائق التي تعود الى هذه الفترة قد وصلت الينا ، واذا اضفنا اليها المصادر الثانويه وكتب التراجم فاننا نستطيع أن نمضي قدما في دراسة هذه الدوله .

ويتصدر هذه المصادر الكتب الفقهيه ، والكتب التي خصصت لأجوبة الفقهاء التي ردوا فيها على الاسئلة التي وردت اليهم من مختلف فئات الرعيه وفي مختلف الموضوعات ، لذا فهي ذات قيمة كبيرة لأنها لسان حال الرعيه وتحدثنا عما كان يشغلها في تلك الفتره ، وفي كثير من الحالات ترد في هذه الأجوبة ملاحظات تاريخيه ذات قيمة تنفرد بها عن غيرها من المصادر التاريخيه . ومن هذه الكتب " مسائل ابن رشد " المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م ، والموجود في الخزانة الملكية في الرباط تحت رقم ٦٥٧٧ . وقد قام محمد بن الحبيب التجكاني بتحقيق هذه المخطوطه كجزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفقه الاسلامي من دار الحديث الحسنيه التابعه لجامعة القرويين ، وقد انتهى من ذلك في عام ١٩٧٧م .

والكتاب كتاب فقه بالدرجة الأولى ، الا أنه يعرض صورا من المجتمع المرابطي ، وملوك الطوائف ، فمن الناحية الفقهية تعرض الكتاب للعلاقات بين المذاهب الفقهية ، كما تعرض للزندقة ، والشعوبية مثل سب العرب واللغة العربية . ومن الناحية الاجتماعية تقدم المسائل صوره من المرأة الاندلسيه (مكانتها ، المهر) ، ومن الناحية السياسية تظهر امارة ابن عباد بمظهر المتسلطة على الرعية بارهاقها بالجبايات . كما أوضحت هذه المسائل من الناحية الاقتصادية المواد المتبادلة بين الأندلس والمغرب .

أما اهميتها من الناحية التاريخية فتعود الى انها عرضت الى ثلاثة احداث تاريخية ذات اهمية وهي : صك شهادة تثبت قيام سعيد بن أحمد بن زيغل بثورة ضد الدولة المرابطية في حصن شقوره عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م ، ومعركة كتنده ، وهجوم ابن ردمير الواسع على الأندلس . "١"

ومن الكتب الفقهية المهمة أيضا " الديباج المذهب " لمؤلفه برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن فرحون ، الذى نهج في مختلف العلوم من فقه ، وأصول ، وقضاء ، وطب ، ونحو ، وتاريخ الرجال وطبقاتهم ، وبشكل خاص الفقهاء ، فهو يحوى تراجم المالكيه حتى عصر المؤلف . وقد ترجم بشكل خاص لمشاهير الرواة واعيان الناقلين عن الامام مالك ، وصدر مؤلفه هذا بترجيح مذهب مالك . والمؤلف ناقل ومختصر لمن سبقوه ، وتارة يصرح بالمصدر الذى ينقل عنه وأخرى يهمل ذلك . كما لم يحقق الاحاديث النبوية الشريفه ، ومن الناحية التاريخيه لم يهتم بالتحقيق ، الا أنه مصدر يفيد مع بعض الجهد لمن يريد التعرف على علماء المذهب المالكي حتى انتهاء المؤلف من تأليفه عام ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م "٢"

ومن كتب التراجم المهمة عن هذه الفترة كتاب ((قلائد العقيان في محاسن الأعيان)) لمؤلفه ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي ، والذى كان يعرف بين الناس بابن خاقان ، والمتوفي في مدينة مراكش عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م . "٣"

---

١ — ابن رشد : مسائل أبي الوليد بن رشد ، ج ١ ، ص ٥٣ — ٥٦ ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

٢ — ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ل — ث .

٣ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٢٣ — ٢٤ . ويذكر ابن الآبار (المعجم ، ص ٣٠١) . أنه توفى عام ٥٢٨ هـ .

وأصله من قلعة يحصب من اعمال غرناطه ، وقد تلقى علومه على أيدي مشاهير عصره أمثال أبي بكر سليمان ، وأبي الحسن بن سراج ، وأبي الطيب بن زرقون ، وأبي محمد بن عبدون وغيرهم ، فقد كان كثير الأسفار "١" . وقد ألف عدة مؤلفات منها ((قلائد العقيان)) جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيره وتكلم على ترجمة كل واحد منهم بأحسن عبارة ولطيف اشاره . وأسلوبه في هذا الكتاب أقرب الى اسلوب المقامات في حسن السبك واختيار الكلمات مع جزالة في الأسلوب .

وقد استمد معلوماته عن التراجم التي ترجم لها بالاتصال المباشر مع اصحابها فعندما عزم على تأليفه ارسل الى امراء الاندلس . ورجالات الأدب يسألهم ايفاد شيء من شعرهم ونثرهم ليذكره في كتابه ، وكان الجميع يعرف قذاعة هجائه ، فكانوا يخشونه ، ولذلك انفذوا اليه ما طلب مع بعض الهدايا ، فمن عظمت هديته أحسن في وصفه ، ومن تغافل عنه هجاه . ومن أمثلة ذلك قصته مع الفيلسوف المعروف ابن باجه الذى لم يلتفت اليه الا أنه عندما أحسن صلته توسع في ترجمته في كتابه الآخر " مطمح الأنفس " .

ومن المآخذ على ابن خاقان أنه بعيد عن الموضوعيه لأن ترجمته للاشخاص تعتمد على اهوائه ونزواته ، لذا يجب على الباحث أن يكون على حذر في التعامل مع مؤلفاته . ومن المآخذ عليه ايضا أنه لا يتناول جميع نواحي المترجم له ، ولا يذكر الآثار التي ألفها ، وكان همه ايراد ما للمترجم من النثر الرصين والشعر الجيد ، فهو صورة ممتازه لدارس الأدب عن أحوال الأدب في تلك الحقبة .

---

١ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣ — ٢٤ .

واهمية الكتاب بالنسبة لنا تعود الى كونه يمثل نموذجا من نماذج اعلام الأدب في هذه الفترة من جانب ، على أن اهميته الكبرى من الجانب الآخر تعود لاحتوائه بين دفتيه مجموعة من الوثائق المرابطية ، ومجموعة من القصائد التي مدح بها قادة المرابطين . فقد وردت في هذا الكتاب سبع رسائل على قيمة كبيرة بالنسبة لهذه الفتره ، وهي ثلاث رسائل من انشاء أبي بكر بن القصيره عن علي بن يوسف بن تاشفين ، واربع رسائل من انشاء أبي القاسم بن الجد عن علي بن يوسف أيضا "١" . كما نقل ابن خاقان تعزيه القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطيه للامير مزدلي لمصابه بأخيه محمد المستشهد في نهره . "٢"

وقد قسم ابن خاقان كتابه الى اربعة اقسام ، فخصص القسم الأول لمحاسن الرؤوساء وابنائهم ، والثاني للوزراء والكتاب والبلغاء ، والقسم الثالث لاعيان القضاة واعلام العلماء ، اما الرابع فخصصه لنبهاء الادباء ، وروائع فحول الشعراء . وقد طبع الكتاب عدة طبعات منها طبعة باعتناء شيد الدداح بباريس عام ١٨٦٠م ، وطبع ثانيا ببولاق عام ١٢٨٣ هـ ، وطبع في القاهرة ١٣٢٠ هـ ، وفي تونس ١٩٦٦م طبعة مصوره عن طبعة باريس .

ومن الكتب المهمة فى باب التراجم كتاب ((الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة)) لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفي عام ٥٥٢ هـ / ١١٤٧م . وقد خصص ابن بسام هذا المؤلف لتراجم علماء الأندلس حتى عصره وقسمه الى اربعة أقسام .

---

١ - ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١١٨ - ١٢٠ ، ١٢٤ - ١٢٨ .

٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .

الأول خاص بعلماء قرطبه وما جاورها ، وهو مطبوع . والثاني خاص بعلماء اشبيليه وما يتبع اليها وهو ما يزال مخطوطا . والثالث لعلماء بلنسيه وهو مخطوط أيضا . والرابع في الوافدين على الأندلس من شمال أفريقيه وبلاد المشرق وقد نشر جزء منه ، الا أنه في السنوات الأخيره قامت جهود طيبه من أجل تحقيق هذا الكتاب ، فقام الدكتور احسان عباس بتحقيق بعض اجزائه من عام ١٩٧٥ حتى عام ١٩٧٩م ، فحقق الأقسام التاليه . (ق ١ ، ج ٢ ، ق ٢ ، ج ١ ، ج ٢ ، ق ٣ ، ج ١ ، ق ٤ ، ج ١) .

ومن كتب التراجم ((بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس)) لابن عميره ، أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي الأندلسي المتوفي عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣م . وقد صدره بلمحة عن فتح الأندلس وحكامها الى عصر المؤلف ، وبعد ذلك أخذ يترجم لمن اسمه محمد ثم سار في بقية التراجم على ترتيب احرف المعجم حتى استوعب ١٥٩٥ ترجمه ، وهو مطبوع في مجلد واحد في مدريد ١٨٨٤م ، وفي دار الكاتب العربي عام ١٩٦٧م .

ونترك كتب التراجم لنتناول بالحديث مصادر ذات قيمة تاريخيه كبيرة لأنها كتبت من قبل اناس معاصرين للأحداث التي كتبوها ، وهي كتب المذكرات الخاصه ، وعلى رأسها كتاب ((التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطه)) ، للأمير عبد الله بن بلقين الذي كان سيدا لغرناطه لمدة ١٤ عاما من سنة ٤٦٩ هـ حتى عام ٤٨٣ هـ / ١٠٧٧ ـ ١٠٩٠ م حيث استسلم لجيوش المرابطين التي اعطيت الأوامر لها من قبل القائد الأعلى يوسف بن تاشفين للقضاء على معاقل ملوك الطوائف ، ثم ارسل الى منفاه في أغمات حيث انتهت حياته هناك . "(١)

---

١ ـ عبد الله بن بلقين : التبيان ، ص ٨ .

وقد انصب المؤلف في حديثه على دولة بني زيرى في غرناطه الا أنه كان يتشعب في الحديث ليشمل جميع ما يدور في شبه الجزيرة الأيبيرية ، وهو يصرح بذلك فيقول ((ولأن كتابنا لم يكن مبنيا الا على وصف مملكتنا خاصة ، والحديث ذو شجون فلا بد من ذكر جمل من غيرها عند الحاجة الى وصفه أو ضرب مثل به تزيينا للكلام ، واقامة البرهان ودورانا على الحقيقة)) ." ١ "

وتحدث المؤلف في بداية كتابه عن القواعد التي يتعين للمؤلف اتباعها ، وعن حقيقة الاسلام ، والرد على من لا يؤمن به ، وضرورة التعليم ، والتكوين السياسي للأمير عبد الله ، وصعوبة الانصاف التاريخي ، وبداية دول الطوائف بعد انقضاء دولة المنصور بن عامر ، ونشأة دولة بني زيرى واحوالها . والكتاب لا يسير حسب التسلسل التاريخي ، كما لا يؤرخ في معظم الاحيان للحوادث ، وفي حديثه التاريخي يقف المؤلف عند الاشاره الى استيلاء النصارى على بلنسيه ، ولكنه لم يتحدث عن تفاصيل هذا الاستيلاء . ويختم المؤلف كتابه بمعلومات قيمه عن بعض المواضيع غير التاريخيه كما يورد بعض نصائحه من خلال تجربته .

على أن أهم فائدة حصلت عليها بالنسبة لموضوعي من هذا الكتاب هى الحديث عن ممالك الطوائف وخضوعها للمرابطين ، فقد تحدث المؤلف عن هذه النقطه من واقع المشاهده ، ولذلك اورد لنا معلومات قيمه . والكتاب حققه ليفي بروفنسال وطبع في القاهره عام ١٩٥٥م .

ومن المصادر المهمه في عهد علي بن يوسف بن تاشفين مجموعات الوثائق المرابطيه التي زودتنا بمعلومات قيمه عن هذه الدولة التى طمست مصادرها من قبل خصومها ومن هذه المجموعات :-

---

١ — المصدر السابق نفسه ، ص ٨٣ .

أولا : نصوص سياسيه عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ، وعددها تسع قطع ، وقام بتحقيقها الدكتور حسين مؤنس ونشرها في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلاميه بمدريد في العدد الثالث ، المجلد الأول عام ١٩٥٥م . فالوثيقه الأولى منها تتعلق باحراق كتاب احياء علوم الدين ، والثانيه تتعلق باقصاء ابن أبي الخصال عن الكتابه بسبب الرسالة المشهورة التي نال فيها من كرامة المرابطين ، والثالثة تتعلق باسترجاع المرابطين لمدينة بلنسيه ، والرابعه تتعلق بفتح كواليه ، والخامسه والسادسه والسابعه والثامنه تلقي الضوء على تاريخ شرق الأندلس في أواخر أيام الدولة المرابطيه ، والتاسعه خاصة بأمر تعيين قاض .

ثانيا : وثائق تاريخيه جديده عن عصر المرابطين وعددها ٢٢ رساله قام بتحقيقها ونشرها الدكتور محمود مكي في صحيفة معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد في المجلد السابع والثامن عام ١٩٥٩ — ١٩٦٠م ، ص ١٠٩ — ١٩٨ .

ثالثا : اربع قطع تتعلق بتاريخ الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين . وقد قام الدكتور حسين مؤنس بتحقيق هذه الرسائل . ونشرها بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة بالمجلد الحادى عشر ، الجزء الثاني ديسمبر ١٩٤٩م ، ص ٩١ — ١٤٣ .

والوثيقة الأولى عن وقعة اقليش وهى عبارة عن رسالة كتب بها الوزير ابن شرف عن بعض رؤساء المغرب الاندلسي الى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في فتح اقليش ، والثانية رسالة كتب بها قاضي سرقسطه الى الأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين حين حاصرها ابن رذمير ، والثالثه رسالة كتب بها علي بن يوسف الى الأمير أبي محمد بن أبي بكر بهزيمة القلاعه ، والرابعه رسالة من علي بن يوسف ردا على رسالة بعثت له عن وصف هزيمة القلاعه .

رابعا : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس ، وقد قام حسين مؤنس أيضا بتحقيقها ونشرها في صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلاميه في مدريد ، في المجلد الثاني ، العدد ١ — ٢ عام ١٩٥٤م . فالوثيقة الأولى عبارة عن رسالة من الخليفة العباسي المستظهر الى أمير المسلمين علي بن يوسف ، والثانيه رسالة من يوسف بن تاشفين الى ولده أبي بكر ، والثالثه رسالة من تاشفين بن علي الى الزبير بن عمر ، والرابعة صك من أحد الرؤساء ، والخامسة والسادسه والسابعه تتعلق بالنزاع بين أبي بكر بن الصائغ ، وأبي محمد البطليوس .

ومن المصادر المعاصره ذات الأهمية الشعر ، فالشاعر كما هو معلوم لسان حال الرعيه التي يعيش بينها ومرآة لأحوالها السياسيه والاجتماعيه ، والاقتصادية .

والباحث يجب أن لا يهمل قصائد المدح والهجاء ، والرثاء ، والاشادة ببعض الانتصارات ، الا أنه يجب عليه الحيطة والحذر من شطحات الشعراء ومبالغاتهم ومن الشعراء الذين عاشوا خلال الفترة التي تناولتها بالبحث الشاعر الأعمى التطيلي ، أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن هريره المتوفي عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م ، ويحوى ديوانه مجموعة من القصائد ذات القمية منها ثلاث قصائد في مدح أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين "١" ، وقصيدتان في مدح الأمير أبي يحيى "٢" ، وقصيده في مدح أبي العلاء بن زهر "٣" . وقد قام

---

١ — قصيدة رقم ٣٨ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ص ١٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ .
٢ — قصيدة رقم ٤٠ ، ٧٠ في الديوان .
٣ — قصيده رقم ٣٩ في الديوان .

الدكتور احسان عباس بتحقيق هذا الديوان ، وصدر في بيروت عام ١٩٦٣م .

كما وردت في ديوان ابن خفاجه ، المتوفى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨م مجموعة قصائد في مدح امراء الدولة المرابطيه . فقد مدح الأمير ابراهيم بن يوسف ابن تاشفين ، والأمير تميم بن يوسف ، وله قصيدة أيضا كتب بها الى الأميرة مريم بنت ابراهيم يستشفع بها الى الأمير أبي طاهر تميم ، وقصيدة أخرى بمناسبة استرداد مدينة بلنسية من قبضة النصارى .

وننتقل الآن الى قطاع التاريخ الأندلسي العام ، ونشير الى كتاب ((ريحان ديوان الألباب وريحان الشباب في مراتب الآداب)) تأليف أبي القاسم محمد بن ابراهيم بن خيره المواعيني المتوفى نحو سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م "١" ، والذى فرغ من تأليفه عام ٥٥٧هـ / ١١٦١م "٢" . والكتاب ما زال مخطوطا في الخزانة الملكية المغربية تحت رقم ١٤٠٦ ، وهناك نسخة أخرى تحمل رقم ٢٦٤٧ ، فالنسخة الأولى التي اعتمدت عليها تقع في ١٤٤ ورقة ، أما الثانيه فتقع في ٢٠٣ ورقه .

وهو كتاب جامع في اللغة والآداب ، والتاريخ والأنساب . وتعود أهمية هذا المخطوط بالنسبة للرسالة لاحتوائه على رسالتين في غاية الاهمية ، الأولى : عبارة عن رسالة موجهة من أمير المسلمين علي بن يوسف الى الخليفة العباسي المستظهر يعلن فيها أنه ما زال محافظا على ولائه له ، والتزامه بالدفاع عن المسلمين في المناطق التي تخضع له ، وهي من انشاء أبي القاسم بن أبي الجد الا انها خالية من التاريخ .

والثانية رسالة من أمير المسلمين علي بن يوسف الى الأفضل بن بدر الجمالي وزير الخليفة الفاطمي المستعلي يوصيه فيها بحجاج من اعيان لمتونه ، وهي أيضا خالية من التاريخ ، والرسالتان وردتا في ورقة ٣٥ أ ، ب .

وللمواعيني قصائد في مدح الأمير المرابطي الزبير بن عمر ، وأخرى في مدح

---

١ ـ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

٢ ـ ريحان الألباب وريحان الشباب في مراتب الآداب ، ورقة ١٤٤ .

الأميره زينب بنت علي بن يوسف بن تاشفين . وله أيضا مؤلف آخر اسمه ((الوشاح المفصل)) ، كما كانت له عناية خاصة بالأداب . "١"

ثم كتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " ، تأليف الفقيه المؤرخ ـ محيى الدين ابو عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي . الذى تنقل في طلب العلم الى فاس والأندلس ، ثم اتجه في ظروف غامضة الى المشرق عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م ، وزار مصر وبغداد . ويشتمل الكتاب على اثنين وثلاثين فصلا تناول فيها المراكشي بالحديث من فتح المسلمين للأندلس حتى عصره أى الى عام ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ، فتحدث عن نشأة دولة المرابطين ، وعن حركة المهدى بن تومرت ، وكيف تم القضاء على دولة المرابطين ثم يتسلسل في الحديث حتى عصره .

وأسلوب المراكشي خلاب ، وهو يميل في عرضه الى الايجاز . وخلال حديثه يورد تراجم لادباء معظمهم من الأندلس ، الا أنه لم يتقيد بالترتيب الزمني عند عرضه للأحداث . ومن مميزاته أنه يصرح بمصادره التي اعتمد عليها ، الا أن ـ اعتماده على الذاكرة في كتابه قد أوقعه في عدة اخطاء تاريخيه منها أنه جعل عبد المؤمن بن علي قائدا للموحدين في موقعة البحيره ، والمتفق عليه أن القائد هو ابو محمد البشير الونشريشى الذى قتل في المعركه . "٢"

والمراكشي كغيره من مؤلفي الدولة الموحديه قد رسم صورة سيئه لدولة المرابطين ، فصورها وكأنها دولة المجون والنساء فقال : ((واستولى النساء على الأموال واسندت اليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفه مشتملة

---

١ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

٢ ـ عبد الله علام : الدولة الموحديه بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص ٢٢ .

على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور ....)) "١" ، فكان بهذا من شيعة الموحدين المبغضين للمرابطين "٢" . وقد طبع الكتاب عدة طبعات آخرها بتحقيق محمد سعيد العريان ، القاهره ١٩٦٣م.

وعلى رأس المصادر التاريخيه الهامة يأتي كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " لأبي عبد الله بن عذارى المتوفي عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥م ، ويهمنا من هذا الكتاب الجزء الرابع ، وهو عبارة عن قطعة من تاريخ المرابطين ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦٧م. وهذه القطعة لا تشمل تاريخ المرابطين كله فقد سقط منه الأحداث من عام ٤٦٩ هـ حتى ٤٩٥ هـ / ١٠٧٦م حتى ١١٠١م ، وقد حاول احسان عباس استكمال هذا النقص عن طريق الملاحق التي وضعها في نهاية الجزء . هذا وللكتاب اهمية خاصة لما حواه من معلومات قيمه تتعلق بأحوال دولة المرابطين السياسية والحضارية منذ النشأة حتى السقوط .

والكتاب يسير على نظام الحوليات ، وفي كثير من الحالات لا يصرح ابن عذارى بالمصادر التي اعتمد عليها ، أما الروايات التى لا يثق بها فيقول في بدايتها (وقيل كذا) . وهو بشكل عام يميل الى الايجاز في معلوماته ، وفي بعض الاحيان لا يذكر بعض الأخبار متعللا بعدم الاطالة ، فهو يقول على سبيل المثال عن سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م (حدثت احداث اعرضنا عنها لئلا يطول الكتاب بها) "٣"

---

١ ــ المعجب ، ص ٢٤١ .

٢ ــ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، حاشية رقم ١ .

٣ ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٩٥ .

ومن المصادر المهمة ايضا ((المطرب من اشعار أهل المغرب)) لابن دحيه ، عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن جميل بن دحيه الكلبي الأندلسي المتوفي عام ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥م.

والكتاب ألف بناء على رغبة سلطان مصر الكامل الأيوبي بعد ما ارتحل ابن دحيه الى القاهره ، وقيمته ترجع الى أنه وثيقة ادبيه لدارس الأدب في تلك الفتره. وهو غير منظم في عرضه للاحداث ، ويميل الى الاطناب ، ويمرح في حديثه في بعض الاحيان على بعض الأخبار التي تتعلق بالمغرب. وقد حقق هذا الكتاب ونشره ابراهيم الأبياري وآخرون وطبع في المطبعة الأميرية بالقاهره عام ١٩٥٥م.

ويأتي كتاب " المغرب في حلي المغرب " لعلي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد المتوفي عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م "١" ، الذي عرف بسعة الأفق وكثرة الترحال "٢" على رأس المصادر الأدبية المهمة في هذه الفترة التي اعالجها ، اذ يصور احوال الشعر الأندلسي في مختلف عصوره. فقد ترجم المؤلف لأعداد كبيرة من الشعراء ، ولم يقتصر حديثه على الشعر بل كان يأخذه الحديث فيتحدث عن بيئاتهم ، ومن معاصريهم من رجال فكر وحكام. كما ضمن كتابه عيون الموشحات ، والازجال ، والأشعار ، وأورد بالاضافة الى كل ذلك معلومات جغرافية وتاريخيه قيمه. واهم مصادر معلوماته : المشاهدة بالنسبة لمعلوماته الجغرافيه ، والرواية الشفويه ، والمصنفات لمعلوماته التاريخيه والأدبيه ومن ميزاته أنه يصرح بمصادره التى ينقل عنها ، وأهمها كتاب ((المسهب في غرائب المغرب)) للحجاري ، وكتاب ((فرحة الأنفس)) لابن غالب (عاش في القرن السادس الهجرى) وكتابات ابن حيان "٣" ،

---

١ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ — ١٧٣ .
٢ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ — ١٧٣ .
٣ — المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٤ ، ١٨ .

" وتاريخ افريقيه والمغرب " للرقيق القيرواني وغيرها من الكتب ، وقد قام بتحقيق هذا السفر الضخم شوقي ضيف ، ونشره في القاهره عام ١٩٦٤م في جزئين . "١"

ومن المصادر المتأخره التى لا يستغني عنها الباحث لتاريخ المغرب والأندلس حتى القرن الثامن الهجرى كتاب " الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشيه " الذى على الرغم من صغر حجمه (اذ يقع فى جزء واحد ولا تزيد صفحاته مع فهارس التحقيق عن ٢٠٧ صفحه) يعتبر من امهات تاريخ دولتي المرابطين والموحدين . والكتاب لا يقف عند تاريخ هاتين الدولتين بل يتعداهما الى دولة بني مرين في المغرب . والكتاب يظن لأول وهله بأنه كتاب خاص في تاريخ المدن فقط ، الا أن فصوله ومادة ابحاثه لم تتقيد بفن تاريخ المدن ، وانما تحدث عن تاريخ المغرب والأندلس ، وهو بذلك يعتبر كتاب تاريخ عام أرخ لعدة دول ولم يؤرخ لمدينة مراكش . "٢"

وقد قدم لنا كتاب الحلل الموشيه مجموعة وثائق تتعلق بعهد علي بن يوسف ابن تاشفين ، كما فصل في حديثه عن دولة المرابطين ، والتي استمد معلوماته عنها من مؤلف ذى قيمة كبيره هو " الأنوار الجليه في أخبار الدولة المرابطيه " لابن الصيرفي ، كما نقل عن البكرى المتوفى عام ٤٨٧ هـ / ١٠٠٤ م ، وعن البيذق وغيرهم . "٣"

وقد انجز مؤلف الكتاب مؤلفه هذا يوم الخميس الثاني عشر لشهر ربيع أول من عام ٧٨٣ هـ ، وألفه مكلفا من أحد ملوك بني الأحمر المسمى محمد الغني بالله ،

---

١ — عن ابن سعيد : انظر محسن حامد العبادى : ابن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكرى والأدبي .

٢ — مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٣ — ٤ .

٣ — أحمد مختار العبادى : دراسة حول كتاب الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشيه واهميته في تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان ، ع ٥ ، ١٩٦٠م ، ص ١٣٩ — ١٤١ .

ولذلك كانت خزائن وذخائر غرناطه من المؤلفات تحت تصرف مؤلف الحلل الموشيه الذى أخفي اسمه حفاظا على نفسه ٠ "١"

وقد نسب بعض المؤرخين المحدثين تأليف هذا الكتاب الى اديب مالقي اسمه أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن السماك العامرى الذى كان حيا في أواخر القرن الثامن الهجرى ، غير أنهم لم يقدموا لنا الدليل الذى اعتمدوا عليه في اثبات صحة هذه النسبة ٠ "٢"

وطبع الكتاب أول ما طبع في تونس عام ١٩١٠م ونسبه الناشر خطأ الى لسان الدين بن الخطيب ، ثم أعاد طبع هذا الكتاب الأستاذ علوش ضمن مطبوعات معهد الدراسات المغربية بالرباط عام ١٩٣٦م ٠ وطبع مرة أخرى بتحقيق سهيل زكار ، وعبد القادر زمامه ، ونشر في الدار البيضاء عام ١٩٧٩م ، وقد ترجمه المستشرق الاسباني هويسى ميرانده الى اللغة الاسبانيه ٠ "٣"

ومن الكتب المشرقية المهمه الموسوعة التاريخيه المسماه " الكامل في التاريخ " لابن الأثير المتوفى عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م ٠ وهى موسوعة علمية تحوى تاريخ المشرق والمغرب الى أواخر ايام حياة المؤلف ، ويقع الكتاب في ١٢ جزءا تكرر نشرها من بينها الطبعة التي اعتمدت عليها (بيروت ١٩٦٦م) ٠

والاجزاء التي تهمنى بشكل مباشر من الكامل لابن الأثير هى الجزء العاشر والحادى عشر ٠ فقد أورد ابن الأثير معلومات جيده عن موقعة افراغه ، وأن ابن

---

١ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٥ ، ٨ ٠

٢ ـ أحمد مختار العبادى : المقال السابق ، ص ١٣٩ ٠

٣ ـ المقال السابق نفسه ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ ٠

تومرت لم يلتق مع الغزالي ، كما امدنا بمعلومات جيده عن ثورة المهدى بن تومرت ، وعن اخضاع ملوك الطوائف ، وعن بيعة يوسف بن تاشفين لابنه علي ، وعن ثورة قرطبه ضد واليها ، وعن غيرها من الموضوعات التي تتصل بموضوع بحثي ، واهميته تعود الى أنه مصدر مشرقي محايد كتب بعد سقوط دولة المرابطين .

ومن المصادر الجغرافيه العامه الموسوعة الجغرافيه الضخمه " معجم البلدان " لياقوت الحموى المتوفي عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م ، وفي معجمه تحدث ياقوت عن جغرافية العالم الاسلامي كله ، فتحدث عن المدن ، والقرى ، والجبال والآثار مع ضبط اسمائها ، وتحديد المسافات بين المواقع ، كما كان يتحدث خلال حديثه عن هذه الآثار والمدن عن السكان ، وما قيل فيها من اشعار ، ولذلك فهو موسوعة لا يستغني عنها باحث في العلوم الاجتماعية . وكان فراغه من تأليف هذا المؤلف الضخم عام ٦٢١ هـ : ١٢٢٤م ، وقد سار في حديثه عن هذه البلدان على حروف المعجم ، وقد طبع عدة طبعات منها طبعة احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٥٦ — ١٩٥٧ م .

ويجب أن لا ننسى كتاب " الروض المعطار في خبر الأقطار " للحميرى ، محمد بن عبد المنعم المتوفى عام ٩٠٠ هـ / ١٣٠٠ م . وقد اعتمدت عليه كثيرا في التعريف بالمدن الأندلسية والمغربية ، وقام بتحقيق هذا السفر احسان عباس ، ونشر في بيروت عام ١٩٧٥ م .

وفي نهاية هذا التحليل للمصادر لابد أن أشير الى مصدر على جانب كبير من الأهمية قد فقد ، وهو كتاب " الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطيه " لابن الصيرفي ، يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى المتوفي عام ٥٥٧ هـ / ١١٧٤م ، وهو أمين سر الأمير تاشفين بن علي الذى كتب له كتاب ((الانباء في سياسة الرؤساء)) الذى ضاع ايضا "١" الا أنه من حسن الحظ ان مقتطفات من

---

١ — ميرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، مجلة تطوان ، ع ٣ — ٤ ، ١٩٥٨ — ١٩٥٩ م ، ص ١٥٤ .

كتاب ((الاوار الجليه)) يوجد بعض منها في كتاب البيان المغرب ، والاحاطه في اخبار غرناطه ، والحلل الموشيه .

ومن أهم المراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث كتاب " عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس " لمحمد عبد الله عنان ، والذى يهمني منه القسم الأول الخاص بعصر المرابطين وبداية الدولة الموحديه ، المطبوع في القاهره عام ١٩٦٤م.

وقد قدم هذا الكتاب معلومات جيده عن اوضاع الأندلس في عصر المرابطين منذ وقعة الزلاقه وحتى سقوط دولة المرابطين بشكل اجمالي اذ لم يخضع كثيرا من الجوانب للنقد والتحليل . ولعل الفائدة الكبرى للكتاب تأتي من ايراده للروايات النصرانيه حول بعض الموضوعات التي تهمني . ولكن مؤلف الكتاب اهمل النظم الاقتصادية والاجتماعية ، والادارية ، والعمارة والفنون الزخرفية ، واذا كان قد مسها بشيء فانما مسها مسا خفيفا لا يروى ظمأ الباحث لهذه الحقبة .
ومن سلبيات الكتاب انسياقه وراء المقولة التي تصف الدولة المرابطية بالهمجية والتخلف ، واعتبار انقياد امرائها للفقهاء دليلا على تخلفها وسببا من الاسباب الرئيسه في سقوط دولة المرابطين .

وقد ختم المؤلف كتابه بالحديث عن الممالك الاسبانيه النصرانيه خلال العصر المرابطي واوائل عصر الموحدين ، كما ذيل الكتاب بمجموعة من الوثائق الخاصة بالعصر المرابطي والموحدى .

أما كتاب " دول الطوائف " لنفس المؤلف ، والمطبوع في القاهره عام ١٩٦٠م و ١٩٦٩م فقد استفدت منه في التمهيد حيث قدم لي صورة جيدة عن احوال الأندلس قبيل وبعد سقوط دول الطوائف ، فتحدث عن دول الطوائف في غرب الأندلس ، والوسط ، والجنوب ، وشرقي الأندلس .. الخ ، وتحدث عن موقعة الزلاقة ، ونشأة الدولة المرابطية ، وفتح المرابطين للأندلس ،

وكذلك تكلم عن احوال الممالك الاسبانية الكبرى في عهد سانشو الكبير وولده .

ويعتبر كتاب المؤرخ الألماني يوسف أشباخ ((تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين الذى ترجمه محمد عبد الله عنان ، والمطبوع في القاهره عام ١٩٥٨ م من المراجع التي لا يستغني عنها الباحث لهذا العصر لأنه يعتمد في معلوماته على مصادر نصرانيه الى جانب المصادر الاسلاميه .. و

وأهم الموضوعات التي تناولها الكتاب هى : تاريخ الممالك الاسبانيه من سنة (٤٢٨ ــ ٤٦٩ هـ / ١٠٣٧ ــ ١٠٧٦ م) ، وتاريخ ملوك الطوائف حتى سقوط مدينة طليطله عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م ، ونشأة المرابطين واسباب عبورهم الى الاندلس ، وعهد يوسف بن تاشفين وولده علي ، وتاريخ الدول الاسبانيه الداخلي في عهدى الفونسو السادس والفونسو المحارب ، وأهم الوقائع التي خاضها المسلمون ، ثم تطرق لاضمحلال سيادة المرابطين من خلال حديثه عن حروب الفونسو السابع ضد المسلمين ، ومن خلال حديثه عن ثورة المهدى بن تومرت ، وثورات أهل الأندلس على المرابطين . وقد ختم كتابه بالحديث عن دولة الموحدين واضمحلالها ، وعن نظم الدولة وفنون الحرب واحوال الحضارة في دولتي المرابطين والموحدين .

ومن المآخذ على الكتاب أنه بعيد عن الموضوعيه اذ نجده يتناول الموضوعات المشرقه بالنسبة للمسلمين باقتضاب خاصة فيما يتعلق بالمواقع الحربية فموقعة اقليش الحاسمه التي حقق فيها المرابطون اروع انتصاراتهم يتعرض لها المؤلف في اختصار شديد ، هذا في الوقت الذى يلمس فيه الباحث حقد هذا المستشرق على هذه الدولة الاسلامية المجاهده وذلك من خلال عدة شواهد منها : أنه عندما تحدث عن نشأة دولة المرابطين عزا قيامها الى جهود رجل متعصب يسمي عبد الله بن ياسين ، كما وصف حكام الدولة المرابطيه بالهمجية والجهل وذلك في أكثر من مناسبة ، فقد ذكر عند حديثه عن حضارة دولة المرابطين بأن سلاطين هذه الدوله لم يبدو كبير عناية ((بأمر العلوم والفنون والشعر ، وتقدم

المعارف ، وقد اضطهدوا كل ما عنيت الدولة العربية بتشجيعه من قبل ، ص ٤٨٣)) .. ووصل به الأمر الى وصفه للمرابطين بأنهم اعداء لكل حضارة فقال : ((ظهر المرابطون من بين سكان الصحراء البدو الناشجين ، فكانوا اعداء لكل حضارة عربيه ، ومن ثم كانت حكومتهم كريح الصحراء اللافح حين يهب على الفيافي النضرة تعمل لتحطيم جميع العلوم والفنون ، والصنائع التي وصلت في ظل السيادة العربية في الأندلس الى ذروة التقدم والازدهار ، وكان اولئك الحكام القساه يمقتون القبائل العربية وثقافتها ، ويعملون على سحق هذه الثقافة بكل ما وسعوا .... ويعملون على تحطيم الروح الشعرية الأندلسيه ... ص ٤٩٣)) . ومن الأمثلة الدالة على تحيز المؤلف وبعده عن الموضوعية أنه ركز خلال حديثه عن الحركة العلمية على اعلام اليهود ولم يخص اعلام المسلمين في العهد المرابطي بأية عناية .

على أي حال يعتبر هذا الكتاب نموذجا للدراسات الاستشراقية التي لم تخف حقدها على الحضارة الاسلاميه والتي لم تدخر وسعا في تشويه معالم حضارتنا الاسلاميه .

ويأتي كتاب عميد المستشرقين الاسبان اميليو غرسيه غومس ((الشعر الأندلسي)) ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٩م على رأس المراجع المهمة في بحث الحياة الادبيه وبشكل خاص الشعر في عهد دولة المرابطين .

فقد تحدث المؤلف عن عدد كبير من الذين نبغوا في عهد علي بن يوسف في مجال الشعر وفنون الأدب الأخرى ، ولم يقصر المؤلف حديثه على دولة المرابطين بل تحدث عن عصر الخلافه ، وملوك الطوائف ، والموحدين وختم كتابه بمختارات شعريه .

ومن مؤلفاته ايضا ((مع شعراء الاندلس والمتنبي)) ترجمة الطاهر احمد مكي ، القاهرة ١٩٧٤م . وقد تحدث فيه عن المتنبي ، ثم تحدث عن عدة شعراء في القرنين الرابع الهجري والخامس الهجري . والذي يهمني من هذا

الكتاب حديثه عن ابن الزقاق ، وابن قزمان من شعراء عهد أمير المسلمين علي بن يوسف .

وصدر في العام الماضي (١٩٨٠م) عن وزارة الثقافة والاعلام بالجمهورية العراقية دراسات جادة عن الحركة الفكرية في عهدى المرابطين والموحدين كان أهمها :—

١ — الدراسات اللغوية في الأندلس من مطلع القرن السادس الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، تأليف رضا عبد الجليل الطيار . وقد تحدث المؤلف عن عدة موضوعات أفدت منها ، اهمها ظاهرة كتب الردود ، والرحلة الى المشرق وبالعكس ، ومجالس التدريس ، والتأليف في اللغة ، كما تحدث عن نشأة اللغة وتطورها وعلاقتها باللغات الأخرى في الأصوات اللغوية الى غيرها من الموضوعات اللغوية .

٢ — الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس تأليف محمد مجيد السعيد . والكتاب مقسم الى ثلاثة ابواب . الأول منها تحدث فيه المؤلف عن عصر المرابطين والموحدين من الناحية التاريخية مركزا على تأسيس الدولتين وسقوطهما او ملامح الحياة الاجتماعية والفكرية في كل عصر . وأما الباب الثاني فقد خصصه للشعر في الدولتين ، وأفرد الباب الثالث للموشحات .

ومن المؤلفات القيمة التي صدرت عن دار المعارف المصريه في عام ١٩٨٠م — كتاب ((دراسات اندلسيه في الأدب والتاريخ والفلسفة)) لمؤلفه الطاهر أحمد مكي . والكتاب عبارة عن مجموعة ابحاث تناولت عدة موضوعات في جوانب متعددة من تاريخ الأندلس وحضارته في فترات مختلفه ولذلك استفدت من هذا المرجع في أكثر من موضع فقد تحدث عن عدة موضوعات اهمها بالنسبة لموضوع بحثي : سقوط الخلافة وقيام دول الطوائف ، والشعر الأندلسي وتأثيره في الشعر الأوروبي الى غير ذلك من الموضوعات التي لا يستغني عنها أى دارس — لتاريخ المغرب والأندلس لا سيما أنه يعرض لموضوعات اندلسيه طرقها مستشرقون

اسبان مثل : الأصول العربية لفلسفة رايموند و لوليو للمستشرق خوليان ريبيرا ، والشعر الاندلسي وتأثيره في الشعر الأوروبي تأليف انخل جونثالث بالنثيا .. الخ .

وأختم هذا التحليل بالحديث عن بعض المراجع المهمة في حقل الفن المرابطي والتي يأتي في مقدمتها كتاب ((الفن المرابطي والموحدى)) لمؤلفه ليوبولد وتوريس بالباس ترجمة سيد غازى ، دار المعارف بمصر ١٩٧١م . والكتاب على صغر حجمه اذ لم تتعد صفحاته المئة واربع صفحات ، الا انه بحث قيم لدارسي العمارة والفنون الاسلاميه في عهدى المرابطين والموحدين . فقد تحدث عن عمارة المساجد ، والصوامع ، والقصور ، والبيوت ، واسوار المدن والحصون ، وعن المجصصات الاندلسيه ، والفنون الصناعيه ، كما أن الكتاب مزود بلوحات فنيه ورسوم تخطيطيه تساعد على فهم كثير من المواضيع التي طرقها المؤلف .

ومن المراجع المهمة في مجال الفن الاسلامي والتي تناولت العهد المرابطي بالحديث كتاب ((الفن الاسلامي في اسبانيا)) تأليف مانويل جوميث مورينو ترجمة لطفي عبد البديع والسيد محمود عبد العزيز سالم . وقد تناول الكتاب الفن الاسلامي في اسبانيا منذ الفتح الى عصر الموحدين ثم المستعربين فدخل ضمن موضوعاته العمارة في عصر المرابطين . والكتاب مزود بصور توضيحية جيده ، كذلك ذيل الكتاب بجداول بالاصطلاحات الفنيه الوارده فيه . وقد صدر هذا الكتاب القيم عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٧م .

هذه هي أهم المصادر والمراجع التي استفدت منها في هذا البحث وسيجد القارئ في نهاية البحث قائمة مطوله بالمصادر والمراجع التي رجعت اليها .

======

تمهيـــــــــــــــد

نبذة عن احوال العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجـــــرى / الحادى عشــــــــــــر الميـــلادى

أحوال العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى

==================================

لقد شهد العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى تفككا خطيرا ، فقد كانت الدول الاسلامية القائمة في ذلك الوقت (الدولة العباسية ، والدولة الفاطمية ، ودول المغرب ، ودول الطوائف في الأندلس) مثالا للتمزق والضعف . ويعود سبب هذا التمزق بشكل خاص الى ازدياد الخلاف ما بين السنة والشيعه ، وهو خلاف مذهبي جذوره الى القرن الأول الهجرى ، ثم تطور وازداد حده وادى في نهاية الامر الى التمزق والفرقة السياسية بين المسلمين ، التى تمثلت في جبهتين متعاديتين ، الدولة الفاطمية في مصر ، والدولة العباسية في بغداد .

وطوال القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى اضطربت الأحوال في بغداد ، واشتدت الفتن ، وأصبح الخليفة العباسي العوبة بأيدى السلاجقة لا يملك من الأمر شيئا ، كما أن السلاجقة أنفسهم كانوا في صراع مرير فيما بينهم على السلطه . "١"

ولم تكن الدولة الفاطمية أحسن حالا من الدولة العباسية ، فكانت قد دخلت في دورها الثاني دور الضعف ابتداء من فترة الشدة العظمى التى قاست منها مصر سبع سنوات . وتحت ضغط الظروف التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية ومنذاك وخاصة اضطراب الأمن اضطر الخليفة المستنصر الى استدعاء بدر الجمالي والي عكا ، الذى بادر بالاستجابة الى دعوة الخليفة الفاطمي وجاء الى مصر في عام ٤٦٦ هـ/١٠٧٣م ، واستطاع اعادة الهدوء وسيطر على البلاد ، واستحوذ على السلطة دون الخليفة الفاطمي . ولما توفي بدر الجمالي عام ٤٨٧ هـ/١٠٩٣م استأثر ابنه الأفضل بالسلطة أيضا ، واستطاع أن يقرر موضوع ولاية العهد . فبعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر

---

١ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٤٧ - القلقشندى =

بايع الأفضل الأمير أبا القاسم أحمد الذى لقب بالمستعلي ، وكان شابا يافعا لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره . بدلا من نزار الأبن الأكبر للمستنصر صاحب الحق الشرعي في الحكم . "١"

وخطوة الأفضل بن بدر الجمالي هذه ترجع الى رغبته في الاستئثار بالسلطة دون الخليفة ، لأن نزار كان كبير السن ، وأكثر تجربة من المستعلي ، هذا علاوة على صلات القرابة بين الأفضل والمستعلي . "٢"

اما بالنسبة لبلاد الشام فكانت بحكم موقعها الجغرافي تعتبر حلقة وصل بين مصر والعراق، لذا كان الصراع عليها مريرا بين الخلافتين العباسية والفاطمية . ونتيجة لضعف الخلافة العباسية فقد انحسر نفوذها عن كثير من املاكها ومن بينها بلاد الشام ، وامتد بدلا منه ابتداء من عام ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م نفوذ الدولة الفاطمية . وصحب هذه الهيمنة الفاطمية انتشار المذهب الشيعي في جنبات الشام، وهيأ ذلك بيئة مناسبة لنزاعات جديدة بين الشيعة والسنة في بلاد الشام ، فضلا عن الصدام السياسي والعسكرى بين السلاجقة بعد أن آلت اليهم السلطة في الدولة العباسية - والفاطميين وهو الصدام الذى ادى الى انحسار النفوذ الفاطمي عن

= مآثر الأنافة في معالم الخلافه ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ - سعيد عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٦٥ .

١ - ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٤٨ - محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطميه في مصر ، ص ١١٣ - ١١٤ - محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص ٣٧ .

٢ - يكون المستعلي ابن أخت الأفضل بن بدر الجمالي انظر : محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية تاريخها . نظمها . عقائدتها ، ص ٤١ .

بلاد الشام واقتصاره على فلسطين . "١"

وأصبحت بلاد الشام أيضا مسرحا لصراع الأمراء المحليين ، ومسرحا لصراع أمراء السلاجقه على السلطه ، ولم تلبث القبائل البدويه في بلاد الشام أن أصبحت ذات ثقل ، واستطاعت أن تتسنم السلطه ، وأقامت لها عدة امارات منها : امارة بني مرداس في حلب (٤١٥ ـ ٤٧٢ هـ / ١٠٢٤ ـ ١٠٧٩ م) ، وامارة بني عمار في طرابلس (٤٦٣ ـ ٥٠٣ هـ / ١٠٧٠ ـ ١١٠٩م) ، وامارة بني منقذ في شيزر (٤٧٤ ـ ٥٥٢ هـ / ١٠٨١ ـ ١١٥٧م) "٢" وتركت هذه الأوضاع بصماتها في حياة بلاد الشام اذ تناقص عدد السكان في أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى تناقصا خطيرا . "٣"

وفي هذه الظروف التي كانت فيها بلاد الشام تعاني الوهن ، والضعف ، والفرقه ، كنتيجة للصراعات المذهبية ، والسياسية ، والعشائرية ، وصلت الحملة الصليبية الأولى الى بلاد الشام في أواخر سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧م ، ونجح الصليبيون في اقامة مملكتهم الصليبية فيها .

ومما يبعث على الأسى أنه ما أن وصل الصليبيون الى انطاكية في يناير ١٠٩٨م حتى وصلتهم سفارة من الأفضل بن بدر الجمالي تحمل عروضا خلاصتها أن يتعاون الطرفان من أجل القضاء على السلاجقة ، على أن يكون القسم الشمالي للصليبيين ، والجنوبي للفاطميين . "٤"

---

١ ـ سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ١٦٦ ـ محمد حمدى المناوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

٢ ـ سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

٣ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٣٥ .

٤ ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧٩ ـ سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

ولم يستجب الصليبيون لعروض الفاطميين ، وتابعوا زحفهم نحو بيت المقدس وفي ضحى يوم الجمعه ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢ هـ / ١٥ يوليه ١٠٩٨م ، وبعد حصار دام شهرا ونصف الشهر نجحوا في دخول بيت المقدس ، حيث ارتكبوا مذبحة مروعة ضد السكان العزل فلم يفرقوا بين كهل وطفل وامرأة ، وقتلوا ما يزيد على ستين ألفا . "١"

وفي وسط هذه المحنة التي حلت بالمسلمين في بلاد الشام اتجهت الأنظار الى بغداد ، حيث اتجه وفد من الشام على رأسه قاضي دمشق ليخبر الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٧٠ – ٥١٢ هـ / ١٠٧٧ – ١١١٨م) بهول الفاجعة التي حلت بالمسلمين . لكن الخليفة العباسي لم يكن له حول ولا قوة ، فقد كان يستظل بحماية سلطان السلاجقة بركياروق "٢" الذى اكتفى عند وصول الصليبيين أمام انطاكيه بأن عهد الى أتابك الموصل بالخروج على رأس جيشه لانقاذ انطاكية من حصار الصليبيين الا أنه هزم امامهم فعاد من حيث أتى . "٣"

وهكذا استطاع الصليبيون التغلغل في اعماق الدولة الاسلاميه ، ونجحوا في اقامة مملكة لهم في بيت المقدس فضلا عن امارات أخرى في انطاكية والرها ، وطرابلس ، وأخذوا يمكنون لأنفسهم عن طريق بناء عشرات القلاع والحصون ، ويستولون على المدن والموانئ ، ويكيلون الضربات تلو الضربات للجزيرة الفراتيه .

---

١ – ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ – السيوطي : المصدر السابق ، ص ٦٧٩ – القلقشندى : مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ٢ ، ص ٩٥ – ١٦ – ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبيه ، ج ١ ، ص ٤٠٣ – ٤٠٤ – لمزيد من التفاصيل عن أحوال العالم الاسلامي في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى انظر : زكي النقاش : العلاقات الاجتماعية والثقافية والأقتصادية بين العرب والأفرنج خلال الحروب الصليبية ، ص ١٠ – ٢٤ .

٢ – هو ابو المظفر ركن الدين ، تولي الحكم بشكل رسمي في محرم ٤٨٧ هـ / فبراير ١٠٩٤م ، وتوفي في ربيع ثانى ٤٩٨هـ/ديسمبر ١١٠٤م انظر : دائرة المعارف الاسلامية مادة بركياروق ، ج ٣ ، ص ٥٦٩ – ٥٧١ .

٣ – سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

لقد استبيحت حرمات المسلمين في المشرق من قبل الصليبيين لا لشجاعتهم وقوة بأسهم بل لتمزق العالم الاسلامي الذى شغله عن رسالته الخالدة التنازع والتناحر . فقد وقفت الخلافة العباسية موقف العاجز عما يحدث بالشام ، وبادرت الخلافة الفاطمية تخطب ود الغزاة من أجل التخلص من خلافة بغداد ، متغافلة عن حقيقة عظيمة وهى أن هؤلاء الغزاة ما جاءوا الا لتمزيق راية القرآن الكريم .

ولم يكن المغرب الاسلامي أسعد حظا من المشرق الاسلامي ، فكان يعيش في هذه الفترة محنة سياسية ودينية واقتصادية لضعف السلطة المركزية ، وانعدامها في بعض الفترات ، لذا كان المغرب نهبا لطوائف منتزية ، متصارعة ، فيما بينها .

ومن هذه الطوائف غماره "١" في الشمال ، وقبائل برغواطه "٢" في الغرب ، وقبائل زناته "٣" التى كانت تكون حزاما حول الطوائف السابقة

---

١ - قبيلة بربرية تعود الى فرع البرانس وهى قسم من قبيلة مصموده انظر : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٧٧ .

٢ - هم اخلاط من قبائل شتى من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف القائم بتامسنا حين ادعى النبوة في ايام هشام بن عبد الملك وكان أصله من برباط (حصن من عمل شذونه من بلاد الأندلس) ، وكان يقال لمن تبعه برباطي فعربه العرب وقالوا برغاطي فسموا برغواطه ، وكان صالح هذا يهوديا ، وكانت تعاليمه مزيجا من أفكار الخوارج ، والمعتزلة ، والشيعة ، واليهودية ، انظر : ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٣٠ - محمود اسماعيل : دراسات مغربية جديدة ، ص ١٥ - ٥٣ - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

٣ - من أهم قبائل البربر البتر ، وانتشرت زناته في جميع انحاء المغرب ، وكان لهم فن حربي خاص بهم فكانوا يستخدمون الدروع الجلديه ، ويعتمدون الخفة في القتال ، وقد أخذ عنهم الاسبان هذا النظام وسموه (Zenetes) انظر : أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧ .

وطوائف الشيعه ، والوثنيين في الجنوب "١" . ووصف عبد الله بن ياسين صاحب دعوة المرابطين الاضطراب والفوضي في المغرب خلال مروره ببلاد المصامده "٢" عائدا من الأندلس بأنهم كانوا يغيرون على بعض ويغنمون الأموال ، ويقتلون الرجال ، ويسبون النساء ، ولا يرجعون الى طاعة امام . "٣"

وانتشرت الشعوذات والبدع ، وكثر المتنبئون خاصة في غماره ، وترتب على ذلك التحلل من القيم الانسانيه النبيله ، فانتشرت الاباحية بين النساء ، اضافة الى مفاسد اخلاقية أخرى . "٤"

وكان الملثمون "٥" لا يعرفون من الاسلام الا اسمه ، فلم يقلعوا عما

---

١ — المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

٢ — هم من بربر البرانس ، كانوا يؤلفون معظم سكان المغرب ايام الفتح الاسلامي حيث كانوا يشغلون معظم المناطق الجبلية وسهول الأطلسي ، ويعتبر الأطلسان الصغير والكبير موطنا للمصامده . انظر : ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٤ — ٣٥ ، ٢٦٠ .

٣ — ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٠ .

٤ — أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

٥ — هم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم لذلك سموا بالملثمين ، وهم قبيلة من البربر يقال لها لمتونه وهى فخذ من صنهاجه ، وكانوا على المجوسيه قبل الاسلام ، واسلموا بعد الفتح ، وموطنهم يمتد من غدامس جنوب طرابلس الى المحيط الأطلسي ومن جبال درن في الشمال حتي مصب نهر السنغال بل الى منحنى النيجر ، وعدد قبائل الملثمين يزيد على السبعين ، واصلهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا عيشهم على اللحم واللبن . وقد تعددت الآراء حول سبب استخدامهم للثام فمحمد عبد الله عنان (دول الطوائف ، ص ٢٨٩) يجعل السبب الى انهم كانوا يتخذونه في اعراسهم فأصبح لديهم عرفا . اما أحمد مختار العبادى (في تاريخ المغرب والأندلس ، ص) فيرى أنه تقليد أخذ عن الزنوج المجاورين لهم الذين استخدموا اللثام =

اعتادوه في جاهليتهم من مساوئ قضى عليها الاسلام في كل مكان حل فيه . "١"

وترتب على سوء الاحوال السياسية سوء الأحوال الاقتصادية ، فكثرت المكوس على التجارة اثناء تنقلها بين طوائف المغرب ، ونتيجة لذلك ارتفعت الأسعار ، ونضبت المواد الضرورية من الأسواق ، واشتد الخوف ، وخيم شبح الجوع والغلاء حتى قيل : ان أوقية البر كانت تباع بدرهم . "٢"

وشجعت أحوال المغرب السيئة اعداء الاسلام على الاغارة على السواحل الافريقية ، فأغار النورمان "٣" على مدينة زويله "٤" ، وفي عام ٤٨٠ هـ/١٠٨٧م

= لظرد العين الشريره ، ويذكر ابن عذارى (البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٢٨ — ١٢٩) أنه تقليد موروث عن حمير الذين كانوا يتلثمون لشدة الحر والبرد ، ويرى البزيوى (تاريخ دول الاسلام في المغرب الأقصى ، ورقة ٣٢) أن سبب ذلك أن قوما من اعداء الملثمين كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم ، فأشار عليهم أحد مشايخهم أن يبعثوا النساء في زى الرجال الى ناحية ويقصدون هم البيوت فيلبسون ثياب النساء فاذا جاء العدو ثاروا عليه ، فنجحت الخطة ، فلتزموا اللثام تبركا بما حصل لهم من الظفر بالعدو ، ويرى عبد الحليم عويس (رحلة الى بلاد الملثمين ، مجلة الفيصل ، عدد ٣٦ ، جمادى الآخر ١٤٠٠ هـ/ مايو ١٩٨٠م) ان السبب هو أن الفم عوره ومن سوء الأدب كشفه ، ومن المرجح أن الحر والرمال هما السببان الرئيسيان للثام وسلطان العادة اصبح استعماله عرفا ثم أضيف اليه اعتبارات أخرى نسجتها عقولهم ومشاعرهم .

١ — حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ١٠٧ .

٢ — المرجع السابق نفسه ، ص ٨٩ .

٣ — ذكروا في المصادر والمراجع بعدة اسماء منها : الأردمانيين ، والمجوس ، والفيكنج ، وهناك من يؤكد بأن اللفظ محرف عن (   ) أى سكان الشمال انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٨٩ — البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ١١٢ — فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١١٥ ، ٢١٨ — محمد عبد الله عنان : دول الأسلام ق ١ ، ص ٢٥٠ — سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

٤ — مدينة كانت متصلة بالمهدية انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ .

اغارت اساطيل بيزه وجنوة على المهدية ، وسقطت صقلية بيد النورمان في عـــام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م .

لقد انهارت السيادة الاسلامية في البحر الأبيض المتوسط ، وامتهن المسلمون واستذلوا ، وأغار النصارى عليهم في عقر دارهم ، يأسرون وينهبون ، وقـــد صور الشاعر الحصري القيرواني حال الناس أصدق تصوير حيال هذه الكارثة الـــتي حلت بالبحرية الاسلامية التي فقدت سيطرتها على السواحل الاسلامية حيث قال :

لا تعجبن لرأسي كيف شاب أســـى
واعجب لأسود عين كيف لم يشـــب
البحر للروم لا يجرى السفين بـــه
الا على خطر والبر للعـــرب "١"

أجل لقد كان المغرب بظروفه السياسية والاقتصادية ، والدينية المضطربـــة بحاجة ماسة لحركة اصلاحية تلم شعثه وتوحد قواه نحو هدف مقدس يسمو به عـــن كل نزاع من شأنه أن يفرق شمله ، ويحميه من كل تيار فكرى منحرف .

واذا انتقلنا الى الأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى وجدناه قد فقد وحدته السياسية التى طالما تمتع بها خلال خلافة بني أمية ، فما أن سقطت الخلافة الأموية عام ٤٢٢ هـ / ١٠٦٤م ، حتى انتزى المنتزون من كبار القـــادة والزعماء المحليين الطامعين كل في منطقته ، واذا بنا أمام عشرين دويلة مستقلة فـــي عشرين مدينة أو مقاطعة ، ومن أشهرها : مملكة بني عباد في اشبيليه ، وبـــني حمود بمالقة والجزيرة ، وبني زيرى بغرناطة ، وبني هود بسرقسطة ، وبني ذى النون

---

١ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

في طليطلة . "١"

وما زاد الأمر سوءا تناحر وتخاصم هذه الامارات مما أضاف الى ضعفها ضعفا وجعلها غنيمة سهلة لممالك النصارى في الشمال ، وشجع ذلك الوضع أيضا النورمان على غزوها ، فاستولوا على بربشتر "٢" في عام ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣م ، حيث ارتكبوا بحق أهلها مذبحة مروعه ، في الوقت الذى كان فيه ملوك الطوائف مشغولين بملاذهم ولهوهم ، والكل منهم يسعى من أجل كسب رضى ملك قشتالة الفونسو السادس (الأذفونش) "٣" الذى أرهقهم بالأتاوات حتى أصبح له عمال يجبون له الأموال من ملوك الطوائف . "٤"

وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الطوائف يؤدى اليه الضريبة في كل سنه "٥" وعلى الرغم من هذا الذل لملوك الطوائف على يد الفونسو السادس فقد تلقبوا بألقاب ملوكية فخمه مثل المقتدر ، والمتوكل ، والمؤتمن ، والمعتضد ، فرحم الله

---

١ ـ عبد الحميد العبادى : المجمل في تاريخ الأندلس ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

٢ ـ مدينة تقع على فرع صغير من أفرع نهر ابره بين لارده ووشقة في الشمال الشرقي لسرقسطه ، دخلوها بعد حصار دام أربعين يوما ، فقتلوا من أهلها اربعين ألفا ، انظر : محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦ .

٣ ـ هو اذفونش بن فرذلند بن غرسيه بن شانجه ، كان من أشجع اخوته ، يرد في المصادر والمراجع بلفظ الفونس ، والقش ، توفى فى مدينة طليطلة في شهر ذى الحجة من عام ٥٠٢ هـ انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٠ ـ ٥١ ـ السلاوى : الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

٤ ـ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٧٧ ـ ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ـ عبد الكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس ، ص ٣٠٩ .

٥ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٢ ـ ١١٤ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

ابن رشيق حين قال :ـ

مما يزهدني في أرض أندلس — سماع مقتدر فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها — كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد "١"

ولم يجد ملوك الطوائف حيفا في الاستنجاد بأعدائهم النصارى لقتل بعضهم بعضا "٢" ، أو من أجل أن يحافظ أحدهم على عرشه المهزوز ، وكانوا في المقابل يقدمون الأموال الطائلة مقابل هذه المساعدات فأثقلوا كاهل رعاياهم بالضرائب من أجل تقديمها لاعداء أمتهم . "٣"

واستخدم النصارى هذه الأموال في تجهيز الجيوش للانقضاض على الأراضي الاسلامية في الأندلس والتهامها تحت شعار حركة الاسترداد الصليبية التي شجعتها وباركتها الكنيسة . "٤"

لقد كان عصر ملوك الطوائف عصرا زاخرا بالمجون ، ومثالا للتمزق السياسي ، وضعف التمسك بمبادئ الاسلام الحنيف . ولكن على الرغم من هذه الصورة القاتمة كان هناك بصيص من نور يخرج بين الفينة والفينة ينير للناس الدرب ، ويحضهم على رفض واقعهم المرير . فكثيرا ما رفض الأندلسيون الانصياع لحكامهم الذين ارتضوا لأنفسهم الذلة بارتمائهم في احضان ملوك النصارى . فقد رفض أهل سرقسطه دفع الأموال الى المقتدر عميل النصارى ، وأفهموه أن الأمر مخالف لتعاليم الشرع الحنيف .

---

١ ـ ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .
٢ ـ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٧٧ .
٣ ـ عباس الجراري : الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
٤ ـ علي الجارم : قصة العرب في اسبانيا ، ص ١٦١ ـ ١٦٣ .

وكذلك حدا حدوهم أهل طليطله ورفضوا جميع الأموال الى القادرين ذى النون ليقدمها الى حليفه الفونسو السادس عام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٨م. "١"

وتزعمت فئة من الفقهاء ورجال الفكر دعوة ملوك الطوائف الى التكاتف والوحدة من أجل الوقوف أمام زحف النصارى المستمر نحوهم ، وكانت تلقى أمثال هذه الدعوات أذنا صاغية بعد الأزمات ، والنكبات المفجعة التي كان يتعرض لها الأندلس من غارات مخزية أو سقوط موقع حساس مثل بربشتر وقلمرية "٢" في عام ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م ، وقد توجت هذه النكبات بسقوط طليطلة عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م.

ومن الذين تزعموا حركة الدعوة للوحده ولم الشعث لمواجهة الأخطار المحدقة سليمان بن خلف الباجي "٣" ، كما شاركه علماء آخرون في هذه الدعوة في فترات مختلفة . "٤"

لقد كان الأندلسيون يرزحون تحت نير الذل والفقر ، وكابوس الضرائب الباهظة التي لا تخضع لنظام معين في زياداتها ، لذا كانت الرعية الأندلسية لا بل العالم الاسلامي كله بحاجة لمن يخلصه من واقعه المرير الذى كان يعانيه .

---

١ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٧١ ـ ٧٢ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ ـ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٨٢ ـ ٨٣ .

٢ ـ قلمريه أو قلموريه ، وهى تعني حينئذ مملكة البرتغال انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ، حاشية رقم ١ .

٣ ـ محدث وفقيه وعالم متكلم مشهور توفى سنة ٤٧٤ هـ/ ١٠٨١ م بمدينة المريه ، انظر : الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ .

٤ ـ الضبي : نفس المصدر السابق والصفحات .

دولة المرابطين حتى نهاية عهد يوسف بن تاشـــفين :

في هذه الظروف اجتمعت قبائل صنهاجة في المغرب بعد تفرق دام مئة وعشرين عاما على يد أحد زعمائهم المسمى ابو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوني (٤٠٠ ـ ٤٠٣ هـ / ١٠٠٩ ـ ١٠١٢م) "١" ، وبعد وفاته حمل الراية بعده صهره يحيى بن ابراهيم الكدالي (٤٠٣ ـ ٤٣٤هـ / ١٠١٢ ـ ١٠٣٤م) الذى كان غير راض عما كان فيه قومه من جهل وتخلف ، فصمم على تبديل احوالهم ، وكان يتحين الفرص من أجل اخراج قومه من الظلمات الى النور . "٢"

وواتته الفرصة في عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م عندما رحل لاداء فريضة الحج وفي طريق عودته استطاع أن يصطحب معه أحد تلاميذ واجاج بن زلو اللمطي "٣" المسمى عبد الله بن ياسين الذى استجاب لنداء الواجب ، ورأى في خروجه مع يحيى بن ابراهيم للدعوة الى الله لونا من ألوان الجهاد في سبيل اعلاء كلمة لا اله الا الله ، فعاد يحيى به الى قومه ظافرا مسرورا ، وشاركه قومه

---

١ ـ البزيوى : تاريخ دول الاسلام بالمغرب ، ص ٣٣ .

٢ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٢٦ ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٥ ـ عبد الحق حموش : ابن تاشفين ، ص ١٩ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

٣ ـ هو أحد تلاميذ أبي عمران الفاسي ، الذى عاد الى السوس بعد اكمال تعليمه وبني هناك دارا للعلم ، ودراسة القرآن سماها دار المرابطين ، ويعتبر البعض أن رباط وجاج أقدم رباط مغربي ، انظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٧٤ ـ حسن محمود : المرجع السابق : ص ١٢٨ ـ ١٣٦ ـ محمد ادريس العلمي : الحركة الدينية =

هذه الفرحـــــة . "١"

وأخذ عبد الله بن ياسين يوضح للملثمين الذين سيطرت عليهم البدع والخرافات مبادئ الاسلام الصحيحه ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . وعلى الرغم من كل الصعوبات التي اعترضه استطاع خلال فترة وجيزه أن يربي ألف رجل من اشراف صنهاجة على تعاليم الاسلام الصافيه ، وللزومهم رباطه واخلاصهم له سماهم المرابطين . "٢"

وبهذا العدد القليل استطاع عبد الله بن ياسين أن يخضع كل المعارضين لدعوته في جميع بلاد الصحراء ، وما أن قضى نحبه في يوم الأحد الموافق ٢٤ جمادى الأولى سنة ٤٥١ هـ حتى كانت جيوشه قد أخضعت بلاد نفيس

= في عهد المرابطين ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثالث رجب ١٣٨٢ هـ ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

١ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ،ص ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

٢ ـ الرباط : معناه اللغوى ، هو : الثبوت واللزوم ، وربط النفس على الأمر أى تثبيتها عليه والزامها اياه ، ومعناه الشرعي هو : ملازمة الثغور والثبوت بها على السار والمحذور ، وفوائضه النيه ، والزاد الحلال ، ـ والعدة ، والمعقل ، انظر : محمد مفتاح : مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ ، ابريل ـ مايو ـ يونيو ١٩٨١م ، ص ١٨٣ ، اما عن سبب تسميتهم بالمرابطين فانظر : ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٦ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ المراكشي : المعجب ، ص ٢٢٧ ـ أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلاميه ومعجم الاسرات الحاكمه ، ج ١ ، ص ٢٩ .

وسائر بلاد كدميوه ، وجبل درن "١" ، ودرعه "٢" ، وسجلماسه "٣" ، وتسلم الراية بعده ابو بكر بن عمر ، الذى أدى الرسالة على أكمل وجه ، فتابع جهاده لبرغواطة حتى هزمهم . "٤" الا أن خبرا طار اليه من جنوب المغرب نغص عليه انتصاراته ، وهو وقوع الفتنة ما بين مسوفة ولمتونة فقرر الرحيل اليهم ليلم شملهم ويوحد كلمتهم ، فوكل شؤون المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين لما امتاز به من فضل وشجاعة ، وترك عنده ثلث الجيش ورحل بالثلثين في شهر ذى القعده سنة ٤٥٣ هـ / ديسمبر ١٠٦١ م . "٥"

---

١ ـ جبل مشهور بالمغرب معترض بالصحراء ، وفي اعلاه مجموعة قلاع وحصون تزيد على السبعين حصنا ويتفجر منه نهر نفيس ، ووادى أغمات انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

٢ ـ مدينة عامرة في جهة سجلماسة تبعد عنها ثلاثة مراحل ، انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

٣ ـ مدينة في جنوب المغرب في مقطع جبل درن ، وسكانها من أغنى الناس لوقوعها على طريق غانة بلد الذهب ، ويعود تأسيسها الى عام ١٤٠ هـ على يد مدرار بن عبد الله ، انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ـ القزويني : اثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤٢ ـ ماك كوك : الرواية التاريخية عن تأسيس سجلماسه وغانه ، ص ١٢ ـ ويعتبر المستشرق بازل داقسن (افريقيا تحت أضواء جديده ، ص ١٤٢) أن مجيء المرابطين الى هذه المناطق كان بمثابة الوبال والنكبة ، وهذا مغاير للحقيقة اذ ازدهرت المدينة في ظلهم ازدهارا فائقا ، وما هذا الا جزء من الحملة الظالمة التي يشنها المستشرقون على هذا الدولة المجاهدة التي وقفت في وجه الزحف الصليبي في اسبانيا .

٤ ـ ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢١٧ .

٥ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١١ ـ ١١٢ ـ الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٣ ، ورقة ٩٠ ـ مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٢٣ ـ ٢٥ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

وأخذ يوسف بن تاشفين يتابع جهاده للمخالفين لدعوة عبد الله بن ياسين ، فوجه اربعة جيوش لقتالهم وسار هو خلفهم كرديف للنجدة في اللحظة الحاسمه ، فغزا قبائل المغرب قبيلة قبيلة حتى أخضعها . وفي جمادى الثاني سنة ٤٦٢ هـ / ١٨ مارس ١٠٧٠ م توج انتصاراته بفتح مدينة فاس الفتح النهائي ، وبذلك يكون قد فتح جميع بلاد المغرب الأقصي ما عدا سبته وطنجه ."١"

وبعد هذه الانتصارات الرائعة التي حققها يوسف بن تاشفين أخذ يفكر بالانفراد بالسلطة أو على الاقل التمسك بما وصل اليه ، وهذا ما اتضح من خلال اتصالاته مع بعض اخوانه حيث طلب منهم القدوم اليه واعدا اياهم بالمال والسلطه ، فهرع اليه جمع منهم ، وكل ذلك يحدث خفية عن القائد الأعلى أبي بكر بن عمر ، الا أن يوسف على الرغم من عظم سلطانه كان على اتصال مع أميره أبي بكر في الصحراء يخبره عن انتصاراته ، فكان يتقبل ذلك بالسرور والشكر . "٢"

ولما قضى ابو بكر بن عمر على الفتنة التي نشبت في الجنوب عاد الى مراكش ليجد الأمور قد تغيرت عما كانت عليه ، وأن يوسف قد أصبح يتمتع بمكانة عظيمة بين جنده ورعيته ، وأنه أحاط نفسه بحاشية تشبه حاشية الملوك العظام ، عندها أدرك أن الأمور خرجت من يده فخاطب يوسف بن تاشفين من أجل التنازل له رسميا عن السلطه وقال له : ((يا يوسف اتق الله في المسلمين ولا تضيع شيئا من أمورهم فانك مسئول عنهم والله خليفتي عليك وعليهم)) ، وخلع نفسه في

---

١ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق٣ ، ص ١٣٨ .. ٢٣٤ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٨ — ١٣٩ ، ١٤٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٨ — رزق الله الصدفي : تاريخ دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٩ — ٥١ .

٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢ — ٢٣ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

جمع من اشياخ لمتونه ، واشهد بذلك العدول ، وأعيان القبائل ، وبالمقابل قطع يوسف على نفسه الا يقطع أمرا دونه ، واعلم يوسف القبائل بذلك فبايعوه وقدموه ، "١"

ثم رحل ابو بكر بن عمر عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م محملا بالهدايا ، وبقي هناك حتى استشهد في شعبان عام ٤٨٠ هـ . وقد ظلت السلطة الاسمية لأبي بكر حتى تاريخ استشهاده ، وخير شاهد على ذلك أن النقود بقيت تضرب باسمه حتى التاريخ المذكور بصفته حاكما للمرابطين . "٢"

وبعد أن أصبح يوسف بن تاشفين سيد المغرب بصورة شرعية بعد تنازل أبي بكر ، أخذ يتابع جهاده من أجل استكمال توحيد ارض المغرب تحت سيادته ، فبعث في عام ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧م جيشا ضخما على رأسه صالح بن عمران الى طنجه ، حيث دخلها عنوة بعد أن قتل سكوت البرغواطي "٣" في ساحة المعركه ، وفي عام ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م تمكن مزدلي بن تلكان اللمتوني ، أحد قادة يوسف بن تاشفين المشهورين من دخول تلمسان ، وبذلك يكون قد سقط

---

١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣ ـ ٢٦ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٥ ـ ٢٧ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٢ ـ غوتيه : ماضي شمال افريقيا ، ص ٢٨٢ ـ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٠٠ .

٢ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٧ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٢ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

٣ ـ أصله من برغواطه الزناتيه ، وكان يعمل تحت امرة علي بن حمود ، وكان نائبه على طنجه وسبته وبعد زوال أمر الحموديين استقل سكوت بما تحت يده انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٥١ ، حاشية رقم ١ .

المغرب الأوسط تحت سيادة يوسف بن تاشفين "١" .

أما سبتة فقد تحصن بها ضياء الدولة يحيى بن سكوت البرغواطي ، الا أن يوسف استطاع دخولها في عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤م ، وقتل يحيى بن سكوت . "٢"

وبهذا يكون يوسف بن تاشفين قد حول حلم عبد الله بن ياسين الى حقيقة ، فتحررت قبائل صنهاجة ، وبلاد المغرب من البدع والخرافات ، وأخذوا ينهلون من منهل الاسلام الصافي تحت راية دولة تمتد حدودها من تونس شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا ، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا حتى حدود السودان جنوبا ، تنتشر في ربوعها الطمأنينة والسكينة بفضل السياسة الحكيمة التي انتهجها يوسف ابن تاشفين . "٣"

واستطاع يوسف بن تاشفين أن يقضي على كل محاولة تمرد ضد سلطته فقضى على تمرد أهل الجنوب عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢م ، وأحبط محاولة تمرد ابراهيم ابن أبي بكر في عام ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م ، الذى جاء مطالبا بملك أبيه ، وأحبط أيضا مؤامرة قامت ضده في مدينة فاس "٤" . ولجأ الى اسلوب الدسيسة ضد من لم يستطع القضاء عليه مباشرة كما فعل مع سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها

---

١ — ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ — ٣٨١ — رزق الله الصدفي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥١ .

٢ — ابن بسام : الذخيره في محاسن أهل الجزيرة ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٦٦٣ — ٦٦٤ (يحدد سقوطها في صفر ٤٧٦ هـ) — ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

٣ — محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٩٨ — ٣٠٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢ — ٣٠ — ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٣٠ — ٣٤ .

محمد بن ابراهيم ، حيث حاول قتله عن طريق الحجام ، وعن طريق دس السم له ، ولكنه نجا من كل هذه المحاولات . "١"

ومن أجل أن يحافظ يوسف على قوة دولته ، حظى الجيش منه برعاية خاصه ، لأن دولة بسعة دولته لابد لها من جيش قوى يحمى ذمارها ، ويقارع اعداءها لذا فقد عمل يوسف على زيادة أفراد جيشه من الأغزاز "٢" ، والروم ، والرماة "٣" ، فقام بشراء نحو من الألفين من العبيد السودان ومائتين وأربعين فارسا من الأعلاج ابتيعت له من الأندلس ، وأركب الجميع في الجيش . "٤"

وحتى يحافظ على فتوحاته اضطر الى بناء معسكرات خاصة لحمايتها ، فأنشأ عدة مدن لهذا الغرض . فعندما فتح المرابطون سجلماسة اسسوا مدينة تبلبلا ، وأنشئت مدينة مراكش في قلب بلاد المصامدة لتكون معسكرا يحشد فيه الجند للتصدى لهم اذا حدثتهم أنفسهم بالثوره ، كما بنيت في تلمسان قلعة حصينة تحرس الزناتين ، وتقف لهم بالمرصاد ، وكانت كل قلعة تشحن بالأقوات ، والسلاح ، والمقاتله حتى تكون مستعدة لمواجهة أى طارئ يهدد أمن الدولة . "٥"

---

١ — ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٧٨ — ١٧٩ .

٢ — هم جنس من الترك عملوا في جيوش المرابطين والموحدين ، والمرينيين ، انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٩ ، حاشية رقم ٨٠

٣ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٥ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

٥ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

ولم يغفل يوسف بن تاشفين عن الأسطول فأنشأ اسطولا فخما أثبت جدارته في حصار سبتة "١" ، وازدهر هذا الأسطول في عهد علي بن يوسف حتى أصبح هو المسيطر في مياه البحر الأبيض المتوسط .

وعلى الرغم من هذا الجهد المضني الذى بذله يوسف في مجال الحرب ، والأهتمام بالجيش ، الا أنه لم يغفل عن العمارة فشجعها ، وأقام عدة منشآت أهمها : حصن قصر الحجر برحبة مراكش "٢" ، واهتم بشكل خاص ببناء المساجد ، ولعل ذلك يعود لادراكه لاهميتها في اعداد الأفراد اعدادا سليما ينزع بهم عن كل ما هو مخل بالأخلاق ، وهذا ليس غريبا على رجل تخرج من مدرسة عبد الله بن ياسين ، الذى غرس في نفسه حب الاسلام والعمل له . فعندما دخل مدينة فاس عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠م أمر ببناء المساجد في أحوازها وأزقتها ، وشوارعها ، وأى زقاق لم يجد فيه مسجد عاقب أهله ، وأمرهم ببناء مسجد فيه ، وكذلك اسس المساجد في جزائر مزغنه "٣" وندرومه "٤" وتاكرارت "٥" ، وقام بتشييد جامع مراكش "٦" ، وأمر بعمل منبر للمسجد الجامع

---

١ ـ ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٦٦٣ ـ ٦٦٤ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .

٢ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

٣ ـ مدينة جليلة البنيان تقصدها السفن من أفريقية ، والأندلس وهى على ضفة البحر بين أفريقية والمغرب ، انظر : ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

٤ ـ في الأصل اسم قبيلة من قبائل جذم كوميه تقع شمال غرب تلمسان انظر : البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٦٥ ، حاشية رقم ١١٧ .

٥ ـ قلعة حضية بينها وبين تلمسان مسيرة يوم انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

٦ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ .

بالجزائر كانت آية في الزخرفة والجمال "١" ، وزاد في عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م في مسجد سبتة ، وأمر ببناء سور الميناء السفلي فيها ، "٢"

وشجع أيضا بناء الفنادق ، والأرحاء ، والأسواق في جميع ارجاء بلاده على أن أهم عمل معماري قام به هو اختطاطه لعاصمة ملكه مراكش ، "٣"

اما سياسته الاقتصادية فقد التزم فيها أحكام الشرع ، فلم يفرض أي ضريبة غير شرعية طوال حياته "٤" ، واقتصر على الزكاة ، والأعشار ، وجزية أهل الذمة ، وأخماس غنائم المشركين "٥" ، وقام بتشجيع التجارة لفائدة رعاياه "٦" .

وبدل يوسف بن تاشفين في عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠م السكة في جميع اعماله ، وكتب عليها اسمه "٧" ، وأنشأ دارا للسكة في مدينة مراكش "٨".

---

١ ـ مانويل جوميث مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص ٣٣٧ .
٢ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٤ .
٣ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٩٧ ، قالوا مراكش معناها مر مسرعا ـ سنتحدث عن هذه المدينة بشيء من التفصيل في الفصل الخاص بالعماره انظر : ياقوت : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٤ ـ الحميري : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .
٤ ـ ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .
٥ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٧ ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .
٦ ـ عبد الحق حموش : ابن تاشفين ، ص ٤٦ .
٧ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، ١٤٣ (نقش في الدينار على الوجه لا اله الا الله محمد رسول الله ، وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وكتب في الدائرة " ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " ، وكتب في الصفحة الأخرى الأمير عبد الله العباسي ، وفي الدائرة تاريخ الضرب وموضع السكه) .
٨ ـ أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٢٨ .

أما علاقته مع رعيته فقد اتخذ مختلف الوسائل من أجل كسب رضاهـا ، فكان يوزع خمس الغنائم على الفقهاء والعلماء في كافة جهات المغرب ، ورد أحكام البلاد الى القضاة ، واسقط ما دون الأحكام الشرعيه ، وكان يقوم بتفقد أحوال رعيته في كل سنه ، ويجرى الأرزاق على الفقهاء من بيت المال طوال أيام حياته "١" ، لهذا كان المرابطون يستقبلون في كل بلد يحلون فيه استقبال المنقذين . "٢"

وحتى يضمن لنفسه طبقة موالية مخلصه ، عمد الى توزيع الاراضي الخصبه على قبائل الملثمين القادمه من الجنوب ، وولى رجالاتها الأعمال ، واتخذ من اقربائه ولاة على الأمصار المفتوحه . "٣"

ولكي يضفي على دولته وبلاطه الشكل الذى يليق بعظمتها ، انشـأ الدواوين ، واتخذ الأعلام المدبجة بالآيات القرآنية ، وأحاط نفسه بطبقة من الحشم "٤" ، والأتباع ، ونظم مقابلاته ، واستقبالاته عن طريق الحجاب "٥" ، ولم يلبث أن اتخذ لنفسه ألقابا سلطانيه فخمة مثل أمير المسلمين ، وناصر الدين ، وذلك من خلال مرسوم صدر عنه عام ٤٦٦ هـ/١٠٧٣م

---

١ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٧ - ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

٢ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

٣ - المرجع السابق نفسـه ، ص ٢٢٩ .

٤ - ضم يوسف من جزولة ولمطه ، ومصموده ، وقبائل زناته جموعا كثيره ، وأطلق عليهم اسم الحشم ، وضم طائفة أخرى من اعلاجه واهله وحاشيته وسماهم الداخلين انظر : مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٣ .

٥ - أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

وزع في جميع انحاء البلاد للخطبة له بهذا الأسم . "١"

وحتى يحيط حكمه بسياج شرعي دعا للخليفة العباسي ، الذى ارسل بدوره تقليد أليوسف بحكم البلاد التي تحت يده ، ومدافعة الاعداء . "٢"

وبذلك يكون يوسف بن تاشفين قد نجح في اقامة صرح دولة قوية ، ذات بلاط فخم ، ومؤسسات عديده ، ضمن وحدة سياسية قويه ، في الوقت الذى كان فيه الأندلس يعاني من آلام التفكك السياسي ، والأجتماعي ، والظلم الأقتصادى في ظل ملوك الطوائف ، ففرضوا الضرائب غير الشرعية على رعاياهم ليشبعوا نهم ملوك النهايى الـذي لا ينتهي . "٣"

عندها رأى أهل الأندلس ، وملوكهم بأنه لابد من التخلص من هذا الوضع المزرى الذى هم فيه ، فتوالت الوفود على يوسف بن تاشفين ، وتتابعت الرسائل من ملوك الطوائف ، طالبين تخليص البلاد من خطر النصارى خاصة بعد سقوط مدينة طليطله عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م "٤" وبعد أن استقر الفونسو السادس في طليطلة ، استشرى خطره وأخذ يتوق لامتلاك الأندلس كلها ، ويذكر أنه أعد لنا قوسا ضخما من أجل وضعه مكان الهلال المنصوب على مسجد

---

١ - اجتمع اشياخ القبائل في هذه السنه على يوسف وقالوا : أنت خليفة الله في المغرب وحقك أكبر من أن تدعى بالأمير ، الا انه رفض ، لأن ذلك الأسم خاص بالخليفة العباسي ، وهو تابع له يخطب في المغرب باسمه ، وعندما أصروا عليه باتخاذ اسم قال لهم أمير المسلمين ، وهو أول من تسمى بهذا الأسم انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧ - ٢٨ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

٢ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

٣ - ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

٤ - بعث المعتمد بن عباد عام ٤٦٧ هـ الى يوسف يطلب منه الجواز ، وفي عام ٤٧٤ هـ قدم وفد من الأندلس يشكون سوء أحوالهم ، وكتب اليه ابن الأفطس =

قرطبـــــــــه .

لقد كانت هيبة المسلمين في طليطله مروعه ، فحركت المشاعر الاسلاميـــه الصادقه لأنهم شعروا بأن ذلك مؤشر لنهاية مروعه للمسلمين في الأندلس ، وعبـــر الشاعر الأندلسي ابن أبي العسال "١" عن خطورة سقوط طليطله وما سيترتـــب على ذلك أصدق تعبير حين قال :ـ

حثوا رواحلكم يا أهل أندلـــــــــس

فما المقام بها الا من الغلـــــــــط

السلك ينثر من أطرافـــــــــه وأرى

سلك الجزيرة منثورا من الوســــــــط

من جاور الشر لا يأمن عواقبـــــــــه

كيف الحياة مع الحيات في ســـــــــفط

لقد كان أهل الأندلس يرون في دولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفيـــن أملهم الوحيد في تخليصهم من ذلك الواقع المزرى ، ولم يخيب يوسف رجاءهـــــم فأرسل الى المعتمد بن عباد يشترط عليه أن يسلم اليه الجزيرة الخضـــــراء "٢"

= يستنصره ، وفي عام ٤٧٥ هـ جاء كتاب استصراخ آخر من ابن عباد انظـــر : ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٢ ـ ١٤٤ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ج ٦ ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٢ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق : ص ٣٣ ـ ٣٥ ، ٤٥ ، ٥١ ـ اليزيوى : المصدر السابق ، ص ٣٩ ، وعن الخلاف حول تاريخ سقوط طليطله انظر : ياقوت : المصـــدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٠ ـ القزويني : اثار البلاد وأخبار العبـــاد ، ص ٥٤٧ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

١ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

٢ ـ مدينة مشهوره مقابلة لسبته وهي شرقي شذونه انظر : ياقوت : المصـــدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

قبل الجواز اليهم فوافقه المعتمد ، فجاز يوسف الى الأندلس ، والتقى مع الفونسو السادس ، وانتصر عليه في موقعة الزلاقه عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م . "١"

وما لبث أن جاز يوسف جوازا آخر بعد الزلاقه ، الا أنه اكتشف أن ملـــوك الطوائف غير مخلصين لدينهم وبلادهم ، فقسم منهم يتعامل مع الاعداء ضـــــد اخوانه المجاورين له ، أو ضد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، لذا اتخـــذ قرارا استئصال شأفتهم فتم له ذلك "٢" باستثناء بني هود في سرقسطه لاسباب سنعرض لها في الباب الثاني .

وهكذا استطاع يوسف بن تاشفين أن يوحد تحت لوائه ما بقي من الأندلـــس الاسلامي ، وتمكن بعد جهد باهظ التكاليف أن يوقف تقدم النصارى بانتصـــاره الكبير في موقعة الزلاقه ، وأن يحول بين السيد القمبيطور "٣" وتوسيع مـــدى نشاطه المخرب الى ما يلي بلنسية جنوبا . "٤"

---

١ ــ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، ٥٠ ــ ٥١ ــ ابـــن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٨ ــ ٢٩ .

٢ ــ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤١٣ .

٣ ــ فارس قشتالي قام بدور كبير في شرقي الأندلس توفي ١٠ يوليه ١٠٩٩م ، انظر : حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، المجلة التاريخيـــة المصرية ، مج ٣ ، العدد الأول ، مايو ١٩٥١م ــ ابن الآبـار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، حاشية رقم ١ . ــ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ ــ ٣١١ .

٤ ــ حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الـــى الموحدين ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فـــي مدريد ، العدد الثالث مج ١ ، ١٩٥٥ م ، ص ١٠٠ .

وبذلك استطاع يوسف بن تاشفين أن يحقق الوحده ، التي عزت منذ سقوط الخلافة الأمويه في الأندلس ، فامتد سلطانه من السودان جنوبا الى البرانس شمالا ، ومن المحيط الأطلسي غربا الى حدود تونس شرقا "١" .

وعلى الرغم من هذا السلطان العريض الذى حازه يوسف بن تاشفين الا أنه كان انسانا متواضعا عادلا لا يرهق رعيته بالمغارم المحرمه "٢" ، وكان يعيش حياة بسيطه ز لباسه الصوف ، وأكله خبز الشعير ، ولحوم الأبل وألبانها ، وكان شديد الحياء ، جامعا لخلال الفضل "٣" يخاف ربه ، كتوما لسره كثير الدعاء والأستخاره " ٤" ، حازما سائسا للأمور ضابطا لمصالح دولته . "٥"

وبعد حياة مليئة بالكفاح والجهاد مدة نصف قرن امضاها في اقامة دولة المرابطين في المغرب والأندلس على النحو الذى شرحناه ، توفي يوسف بن تاشفين في ٢٧ محرم ٥٠٠ هـ "٦" . وكان جهاد يوسف بن تاشفين وجهوده فى بناء دولته موضع للثناء والتقدير من قبل كافة المسلمين في المشرق والمغرب

---

١ ــ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
٢ ــ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٠٢ .
٣ ــ ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .
٤ ــ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦ .
٥ ــ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ ــ ١٢٥ ــ
سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
٦ ــ القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٥٤ ــ الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٤١٢ ــ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩٥ ــ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٥ ــ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

ففي المشرق كانت أخبار انتصاراته على النصارى تثير الحمية الدينية في صـــفوف الرعية والعلماء ، مما دفع ابو حامد الغزالي الى شد الرحال اليه ليقابـــل هذا الزعيم الفذ ، ولكن ما أن وصل الى الأسكندرية حتى وافاه نعي يوســف فعاد من حيث أتى "١" . هذا ويعتبر يوسف بن تاشفين من أعظم حكــام المسلمين في عصره "٢" ، وبوفاته تبدأ مرحلة جديدة من مراحل دولـــة المرابطين وهى فترة حكم ابنه علي الذى سيتابع خطأ أبيـــه في الجهاد والحكم .

=====

---

١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٤ ، حاشـــية رقم ١ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .

٢ ـ الحنبلي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤١٣ .

البـــــاب الاول

الأحوال الداخليه في دولة المرابطين في عهد على بن يوسف •

الفصل الأول : ولاية أمير المسلمين علي بـــــن يوسف بن تاشفين •

الفصل الثاني : الثورات والفتن في المغرب والأندلس (٥٠٠ـ٥٣٧هـ/١١٠٦ـ١١٤٢م)•

الفصل الثالث : ثورة محمد بن تومرت (٥١٤ـ ٥٣٧هـ/ ١١٢٠ ـ ١١٤٢م) •

الفصل الاول

ولاية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين

لقد كانت امور الدولة ، ومصالح الرعية تورق أمير المسلمين يوسف بن تاشفين . ويبدو أنه كان مشغولا بشكل خاص في اختيار الرجل المناسب ليتولي الحكم بعده ، ويتحمل مسئولية الجهاد ، والحفاظ على المنجزات التي حققها هو وأسلافه لا سيما ان رقعة الدولة المرابطية قد اتسعت ، وخطر النصارى قد استشرى .

ويظهر أنه وصل الى قناعة بأن القبائل لا تجتمع الا على رجل يعينه هو وبذلك يطمئن على استمرار مسيرة الدولة الفتية . ولذلك فكر يوسف بن تاشفين في تعيين احد ابنائه وليا للعهد . وعندما اختمرت الفكرة في رأسه عام ٤٩٥ هـ / ١١٠١م وقع اختياره على ابنه علي "١" لما امتاز به من ورع ونباهة

---

١ ـ كنيته أبو الحسن ، ولد بمدينة سبته يوم الخميس ٤ ربيع اول عام ٤٧٦ هـ ، وفي رواية أخرى عام ٤٧٧ هـ . وقد اختلف في اسم امه فمنهم من يقول ان اسمها (قمر) ، وآخرون يقولون (منوا) ، وتكنى بأم الحسن ، ولكن هناك اجماعا على انها جارية اسبانية مسيحية . وكان علي يتمتع بصفات جسمية رائعة ، فوصفه ابن أبي زرع (روض القرطاس ، ص ١٥٧) بأنه ((ابيض اللون مشرب بحمره تام القد ، أسيل الوجه ، أفلج ، أقنى خفيف العارضين ، أكحل العينين ، طويل القامه)) ، وأضيف لهذه الصفات الجسمية الرائعة ذكاء وفهم وقادان . وقد تزوج من عدة نساء منهن : رياض الحسن والتى انجبت له ولدا اسمه عمر الصغير ، وأخرى أمة سوداء اسمها تاغيشيت ، وثالثة اسمها قمر أم ولي عهده سير ، وكان لعلي من الابناء : تاشفين الذى تولى الحكم بعده (٥٣٧ ـ ٥٣٩ هـ) ، وأبو بكر الذى كان يدعى بيكور ، وأبو حفص عمر الكبير ، وابراهيم ، واسحاق ، وتميم ، انظر : ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ ـ ٦٠ ـ مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٨٤ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٥٨ ـ عبد الحق حموش : ابن تاشفين ، ص ٣١ ـ محمود مكي : وثائق تاريخيه جديده عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلاميه في مدريد ، المجلد =

وحزم . عندها اصدر مرسوما بهذا الشأن في نفس العام ، وقام بكتابة المرسوم الوزير الفقيه ابو محمد بن عبد الغفور . وفي العام التالي جاز يوسف بن تاشفين جوازه الرابع الى الأندلس من أجل تنظيم البيعة لولده علي . "١"

ولكن قبل أن نخوض في تفاصيل ذلك نتساءل عن سبب اختيار علي دون أخويه الأكبر منه سنا ، ابو طاهر تميم ، والمعز بالله ؟ "٢" . يبدو أن يوسف كانت له فراسة جيدة في ابنائه ، ومن خلال مراقبتهم اكتشف أن عليا هو أفضلهم ، وأجدرهم بهذا المنصب لما كان يتمتع به من ذكاء وقاد . لذا أخذ يعده بعناية لتولي هذا المنصب فأوكل اليه وهو ما يزال يافعا لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره النظر في المظالم والشكايات فأبدت جدارة ومقدرة فائقتين فاجبه الناس وأعجبوا به . "٣"

ولعل يوسف بن تاشفين كان يرمي من وراء اختياره علي بالذات الى اهداف بعيدة . فالأندلس التي تمثل جزءا مهما من مملكته فضلا عن كونها تمثل خط المواجهة الأول مع النصارى لابد أن يكون حاكمها الجديد على معرفة ودراية بأحوالها ، ولم يكن هناك شخص مؤهل لذلك أفضل من علي لاتصاله بالأندلسيين عن طريق امه من جانب ، وعن طريق نشأته بسبتة من جانب آخر . فقد عاش علي في الأندلس أكثر مما عاش في المغرب ، ولا عجب أن تكون الحضارة الأندلسية قد أثرت فيه من حيث ملامحه الجسمية وطريقة تربيته أكثر من المؤثرات المغربية . "٤"

= السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ص ١٥٦ - ١٨٢ -
E.I.article , Ali B.Yusuf.B. Tashufin. Vol.1 P.389-390.

١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٤٥ - ٤٦ .
٢ - مرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، مجلة تطوان العدد الثالث والرابع ١٩٥٨ ، ص ١٥٥ .
٣ - مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٨٤ .
٤ - محمد ولد داداه : مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول الى انتصاف القرن السابع ، ص ١٠٩ .

وقد نشأ علي كما ينشأ أبناء الأشراف والأمراء "١" ، فحصل قسطا وافرا من الثقافة ، وكان له اطلاع في علوم الفقه والآداب • كل هذه المعطيات جعلته أقرب الى المجتمع الأندلسي ومعرفة مشاكله ، وجعلته يبذ أخواته في نظر والده •

ويبدو أيضا أن يوسف كان حريضا على أن لا يكون خليفته من احدى زوجاته الصنهاجيات لأن ذلك سيدفع بهن الى تقريب أقاربهن ومواليهن لصالح أبنائهن مما يسارع في فساد الدولة ، أما علي فكانت أمه نصرانية لا عصبية لها • "٢"

على أى حال جاز يوسف بن تاشفين جوازه الرابع الى الأندلس عام ٤٩٦ هـ / ١١٠٢م من أجل تنظيم البيعة لولده علي • فما أن استقر في حاضرة الأندلس قرطبه ، وقاعدة حكم المرابطين في الأندلس حتى جمع ممثلي الرعيه من امراء لمتونه ، ورجال علم ، وفقهاء ، وأشياخ ، وقادة رأى "٣" ، وتلا عليهم عقد البيعه لابنه علي ، وبين لهم الأسباب التي حدت به لهذا الاختيار ، فأقسموا له يمين الطاعة والولاء ووقعوا على عقد البيعه • ثم قام ولي العهد بالقاء قسم الالتزام بما في العقد من شروط اشترطها عليه والده ، ووقع على عقد البيعه وكان ذلك فى ذى الحجه عام ٤٩٦ هـ • "٤"

---

١ —

٢ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ١٢٧ •

٣ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٤٦ — ٤٧ •

٤ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٤٦ — ٤٧ — السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة في الأندلس ، ص ١٤٢ — ١٤٣ •

ومن حضر مراسيم توقيع هذه الوثيقه عبد الملك بن المستعين بن هود ممثلا عن مملكة بني هود المستقله في سرقسطه "١" . وقد بارك أهل الأندلس هذا الاختيار عن طريق احد شعرائهم حيث أنشد :ـ

وان كان في الأسنان يحسب ثانيا
علي ففي العلياء يحسب اولا
كذلكم الأيدى سواء بنانها
وتختص فيهن الخناصر بالحلا "٢"

ثم خاطب يوسف سائر أهل مملكته للمبايعة لولده علي "٣" ، ودخل في السنة التاليه الى غرناطه فأخذ البيعة من أهلها لولده ثم رجع الى مقر ملكه في مراكش . "٤"

ولنتأمل الآن وثيقة تولية العهد التي صدرت عندما قرر يوسف جعل ولده علي وليا لعهده "٥" ومما جاء في هذه الوثيقة : ((الحمد لله الذى رحم عباده بالاستخلاف ، وجعل الامامه سبب الائتلاف ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم الذى ألف القلوب المتنافره وأذل لتواضعه عز الملوك الجبابره ، أما بعد فان أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين لما استرعاه الله على كثير من عباده المؤمنين خاف أن يسأله الله غدا عما استرعاه كيف تركه هملا لم يستتب فيه سواه ، وقد أمر الله بالوصية فيما دون هذه العظيمه وجعلها

---

١ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٣ .
٢ ـ مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .
٣ ـ ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطه ، ج ٢ ، ص ٥٢٠ .
٤ ـ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١١٣ .
٥ ـ والنص الذى كتبه ابو محمد بن عبد الغفور لا يختلف في الجوهر عن النص الذى كتبه ابن أبي القصيره ، انظر : ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ٢ ، ص ٥١٩ ـ ٥٢٠ .

من أوكد الاشياء الكريمه كيف وفي عظائم الأمور ، ومصلحة الخواص والجمهور ، وأن أمير المسلمين بما لزمه من هذه الوظيفه وخصه الله به من النظر في هذه الأمـور الدينية الشريفة مازعو الى رماحه وأحد سلاحه فوجد ابنه الأمير الأجل أبا الحسن أكثر ارتياحا الى المعالي ، واهتزازا ، وأكرمها سجيه ، وأنفسها اعتـــــزازا فاستنابه فيما استرعى ودعاه لما كان اليه ادعى بعد استشارة أهل الرأى علـــى القرب والنأى فرضوه لما رضيه ، واصطفوه لما اصطفاه ، ورأوه أهـــــلا أن يسترعى فيما استرعاه فأحضر مشترطا عليه الشروط الجامعه بينها وبين المشروط فقبل ورضي وأجاب حين دعى بعد استخارة الله الذى بيده الخيره والاستعانة بحول الله الذى من آمن به شكر)) ، "١"

والمتأمل لهذه الوثيقة يخلص الى القول أن الأختيار لم يكن عشوائيا بل جـاء بعد مشاورات مع أهل الرأى ((بعد استشارة أهل الرأى على القرب والنأى)) .
كما قرر هذه الوثيقة حقيقة مهمه فيما يختص بصلاحيات الحاكم المرابطي التي تعطيـه الحق في تعيين خلفله ، وتؤكد بأن هذا الحق من الحقوق الأساسيه التى يتمتع بها ، وأن هذا الحق قد منحه الله له ((... لما استرعاه الله على كثيـر من عباده المؤمنين خاف أن يسأله الله غدا عما استرعاه كيف تركه هملا لم يستـــتنب فيه سواه ...)) .

أما الشروط التي استرطها يوسف على ولده علي من أجل تقديمه لولاية العهد فهي :ـ ترتيب قوة عسكرية مكونة من سبعة عشر ألف فارس في الأندلس "٢" ، موزعة على نواحي مختاره لأهداف استراتيجية بحته . فقد خصص لاشبيليه سبعة آلاف فارس ولعل يوسف ادرك أن هذه الحاضره كانت مقرا لابن عباد اعظم ملوك الطوائف فلابـــد أن تكون قد تكونت حوله طبقة انتهازية ذات مصالح معه ، وأنه بزوال ملك ابن عبـاد

---

١ ــ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٨ ــ ٧٩ .
٢ ــ المصدر السابق نفسه ، ص ٨٠ ــ عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ص ٤٢٤ .

زالت تلك النعمة التى كانوا يتمتعون بها في ظل الدولة الزائله . ولذلك وجدنا مجموعة من الشعراء يرثون ابن عباد ويبكون على المجد الضائع ، وقد تبنى بعض المؤرخين هذه الأشعار لينالوا من الدولة المرابطية فصوروها على انها دولة همجية أنهت عصور العلم والأدب المشرقه . ومن ثم كان يوسف يدرك خطورة هذه الحاضرة ، ويبدو أنه توقع أن تكون في اشبيليه طبقة أو جماعة تتحين الفرص للوثوب في اللحظة المناسبة على الوافدين الجدد ، فلهذه الاعتبارات خصص هذا العدد الضخم من الجند من المجموع العام الذى خصصه للأندلس ككل .

وخصص لقرطبه ألف فارس ، ولغرناطه كذلك . اما منطقة شرق الأندلس فقد خصص لها اربعة الاف فارس لتعرض تلك المنطقة المستمر لغارات النصارى وشكل خاص من قبل القمبيطور . "١"

وخصص اربعة الاف فارس للثغور لمدافعة النصارى ، والمرابطة في الحصون القابله للعدو ، ويظهر أنه كان يحبذ أن يقوم الأندلسيون بحراسة حدودهم مع النصارى لعلمهم ودرايتهم بأحوال أعدائهم لمعاملتهم اياهم عن قرب . "٢"

ومن الوصايا التي قدمها يوسف لولي عهده ايضا والتى تدل على خبرة ودرايه وبعد نظر ، أنه أوصاه بأن لا يحاول اثارة أهل جبل درن ومن ولاهم من المصامده ، وأهل الجنوب ، وأن يترك بني هود على ما هم عليه من الاستقلال حتى يكونوا حائلا بينه وبين الممالك النصرانيه ، وأن يكون لأهل قرطبه وضع خاص فيقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم "٣" ، ولعله كان على علم بتاريخ هذه الحاضره وموقعها المعارض من الحكومات السابقة التى أدارت الأندلس فقد

---

١ ـ حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٣ ، ع ١ ، ١٩٥٠م .

٢ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٤٦ .

٣ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٢ ـ ٨٣ .

كانوا دوما يقفون موقف المعارض الثائر ٠ "١"

وفي أواخر عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤م غادر يوسف بن تاشفين الأندلس عائدا الى المغرب بعد أن اطمأن على الأمر بعده "٢" ٠ وفي هذا العام أصيب بمرض عضال ـ حال دون ممارسته لمهامه فكان علي يقوم مكانه في ممارسة سلطاته ، فنـــراه في عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥م يصدر أمر بعزل قاضي اشبيليه ابن منظور "٣" ٠ وبقـــى المرض ينخر في جسد يوسف بن تاشفين حتى قضى عليه يوم الأحد مستهل شـــــهر محرم عام ٥٠٠ هـ / ٢ سبتمبر ١١٠٦م ٠ "٤"

وتولى ابنه علي زمام السلطة بعده مباشرة "٥" ٠ فبعد مواراته في التراب خرج علي ويده في يد أخيه أبي الطاهر تميم فنعياه الى المرابطين ، وجـــدد ـ ابو طاهر بيعته لأخيه ثم قال لهم : قوموا فبايعوا أمير المسلمين ، فبايع جميع من حضر من لمتونه وسائر قبائل صنهاجه ، والفقهاء ، واشياخ القبائل ، فتمت له البيعه في مراكش ٠ "٦"

وكتب علي في نفس الوقت الى سائر قواعد المغرب والأندلس ، والصحراء يعلمهم بوفاة أبيه واستخلافه اياه بعده ، ويطلب منهم بأن يأخذوا البيعة له ، وكان عمره عند تولية السلطه لا يتجاوز الثالثة والعشرين من العمر ٠ "٧"

---

١ ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الأسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ١٢٦

٢ ـ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣٢١ ٠

٣ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٥ ٠

٤ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٦ (يذكر انه توفى يـــوم الأثنين من نفس الشهر والسنه) ٠

٥ ـ ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٠٩ ـ المقري : نفح الطيـــب ، ج ٦ ، ص ١١٠ ـ ابن القاضي : جـــذوة الأقتباس ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠ ٠

٦ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٨ ٠

٧ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٧ ـ ابن القاضي : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٤٦٠ ـ السلاوي ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٣ ٠

وورث علي بن يوسف دولة مترامية الأطراف تتمتع بالهدوء والرخاء الاقتصادي ، والدليل على ذلك ما وجد في بيت مال المسلمين بعد وفاة والده من اموال طائله . "١" كل هذه العوامل شجعته على متابعة خطأ أبيه فسار على هديه في جميع اموره وهذا ما أكده ابن عذاري بقوله : ((فاقتفى أثر أبيه وسلك سبيله في عضد الحق وانصاف المظلوم ، وأمن الخائف ، وقمع المظالم ، وسد الثغور ، ونكاية العدو فلم يعدم التوفيق في اعماله والتسديد في حسن افعاله)) "٢" . كما تلقب بلقب أمير المسلمين كأبيه . "٣"

وبهذه السياسة الحكيمه امتلك ما لم يمتلكه والده "٤" . فقد ملك جميع بلاد المغرب من بجايه "٥" الى بلاد السوس الأقصى ، وملك جميع بلاد الجنوب من سجلماسه الى جبل الذهب من بلاد السودان . وملك بلاد الأندلس شرقا وغربا ، وملك الجزائر الشرقيه "٦" ، وخطب له على ألفي منبر ونيف

---

١ — وجد ثلاثة عشر ألف ربع من الورق ، وخمس الاف واربعون ربعا مطبوع الذهب انظر : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٥٨ .

٣ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٣٥ — المقري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١١١ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

٤ — ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٣ — المراكشي : المصدر المصدر السابق ، ص ٢٣٥ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

٥ — بجايه : قاعدة المغرب الأوسط وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر ، وهي مدينة تجارية ، وكانت توجد فيها دار لصناعة السفن لتوفر الخشب فيها وهي مدينة محدثه بناها ملوك صنهاجه أصحاب قلعة أبي طويل المعروفه بقلعة حماد ، انظر : الحميري : الروض المعطار ، ص ٨٠ — ٨١ .

٦ — وهي ميورقه ، ومنورقه ، ويابسه ، وهي اكبر جزائر الاندلس في البحر =

وثلاثمائة منبر . "١"

وصرف أمير المسلمين علي جل جهوده في متابعة شئون الأندلس ومراقبة احواله بنفسه لكونه الخط الدفاعي الأول ومسرح الصراع مع نصارى الشمال الاسباني . ولذلك نجده يجوز اليه اربع مرات من أجل الاطمئنان على احواله عن قرب وسد خلله . "٢"

وكمحصله لهذه الجهود في حراسة الديار والذمار ، فقد كانت ايامه أيام خير ودعه ، فلم يدخر وسعا في جعل كلمة الله هي العليا ، وقارع النصارى حتى قهرهم في كثير من المواقع "٣" ، ولم تشغله الثورات الداخليه عن واجبه المقدس تجاه اخوته في الأندلس على الرغم من أن ابن تومرت كان يقرع ابواب عاصمته مراكش في الوقت الذي كانت فيه جيوشه تتصدى للممالك النصرانيه ، فأمضى حياته يد تبني وأخرى تحمل السلاح ، فكانت فترة حكمه بحق كما قال ليوبولد وتورس بالباس من اعظم وأزهى فترات تاريخ المرابطين . "٤"

لقد امتاز علي بن يوسف بن تاشفين بصفات اخلاقيه حميده تضعه في مصاف رجال القرن الأول الهجري من صلحاء المسلمين ، فقد كان حليما وقورا حريصا على اقامة العدل منقادا الى الحق والعلماء "٥" . فقوة سلطانه واتساع دولته لم يجعلا منه انسانا فظا غليظا ، بل كان يمثل الخلق الاسلامي خير تمثيل ، فقد كان مثالا للمسلم المتواضع "٦" ، شاكرا لله بكثرة عبادته ، قواما لليل صواما للنهار "٧" .

= المتوسط على ساحلها الشرقي مقابلة لقطلونيا وبلنسيه ، ويسميها الجغرافيون المحدثون جزائر البليار انظر : المراكشي : المصدر السابق ص ٢١٢ ، ٣٤٣ ، حاشية رقم ٢ .

١ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٢ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

٢ — ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٨ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٥ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٦ .

٤ — الفن المرابطي والموحدى ، ص ١٠ .

٥ — ميرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، ص ١٥٦ .

٦ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٤٩ .

٧ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٥٣ — عبد الله علام : الدولة الموحديه =

وكان حسن الطويه ، صافي النفس ، ابعد ما يكون عن الظلم ، فقد أصاب عين الحقيقة من عده في الزهاد المتبتلين "١" . ووصفه صاحب الحلل الموشيه بقوله: ((.... كان كثير الصدقة عظيم البر جزيل الصله ، وألبسه الله المهابة ، وقذف له في القلوب المحبه فاجتمعت عليه الأمه)) . "٢"

لقد كان أبا رفيما رحيما برعيته حريصا على معرفة احوالها ، فكان يداوم على ارسال الرسائل الى عماله حاضا اياهم على الرفق بالرعية ، واقامة العدل ورفع الحجاب عن المظلومين والشاكين "٣" . وهناك وصايا كثيره وجهها علي بن يوسف الى رعاياه وولاته على الأمصار ركز فيها بشكل خاص على تقوى الله ، والاتحاد ونبذ الفرقه ، أي أن الروح الدينيه هي الغالبة على كل هذه الرسائل ، وهو أمر تميزت به الدولة المرابطية "٤" . كيف لا وهي الدولة التي قامت أول ما قامت على اساس ديني ، فجميع امرائها تلاميذ للداعية عبد الله بن ياسين ، ومنهجه الذي غرسه في نفوس اتباعه بقي متأصلا فيهم .

فلا غرابة أن علي بن يوسف حدا حذو عبد الله بن ياسين في تحكيم كتاب الله بين رعاياه ، اذ كانت لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان لا يبالي في انزال أشد العقوبات بالوالي الذي يثبت لديه بأنه ظلم رعيته . "٥"

= بالمغرب ، ص ٥٩ .

١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٤ - ٨٥

٣ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٥٦ ، ١٨٣ .

٤ - المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

٥ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٧ .

الفصـــــل الثانـــــــي

الثورات والفتن في المغرب والأندلس (٥٠٠ – ٥٣٦ هـ / ١١٠٦–١١٤٢م)

ثورة فاس ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م

لم تكن هذه الثوره ذات خطوره كبيره على كيان دولة المرابطين ، وانما اعرض لها فقط باعتبارها بداية لتاريخ المعارضه لحكم المرابطين ، وعلامة في نفس الوقت أن الهدوء والاستقرار الذى طالما تمتعت به الدولة في العهد السابق قد بدأ يتلاشى منذ بداية حكم علي بن يوسف بن تاشفين .

وتجدر الاشارة الى أن المعارضة للحكم المرابطي في الداخل بدعوى احقية المعارضين في السلطه لم تكن امرا جديدا ، فقد رأينا في التمهيد كيف خرج ابراهيم ابن أبي بكر بن عمر معارضا ليوسف بن تاشفين ، ومطالبا بالسلطة لنفسه عام ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٧م ولكنه لم يظفر بمطلوبه واستقر الأمر ليوسف بن تاشفين .

وكانت ولادة ثورة فاس عندما توفي يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦م ، وتولى ابنه علي بعده . فبعد أن أخذ علي بن يوسف البيعة من اعيان وفقهاء وشيوخ مراكش بعث بالرسل والرسائل الى سائر انحاء مملكته يعلمهم بوفاة والده وتوليه بعده ويطلب منهم البيعه ، فجاءت البيعات ، وجاءت الوفود المعزيه المهنئة من كل صوب الا من مدينة فاس "١" التى كان يحكمها الأمير يحيى بن أبي بكر من قبل جده يوسف بن تاشفين ، فقد رفض الأمير يحيى بن أبي بكر البيعة لعمه علي لاعتقاده بأنه هو الأولى والأجدر بخلافة جده يوسف لا سيما وأن والده ابا بكر شقيق علي بن يوسف الأكبر كان نائبا عن والده يوسف في المغرب اثناء جوازه الى الأندلس الذى حارب فيه الفونسو السادس في موقعة الزلاقه ، ولذلك كان يعتبر نفسه أحق من عمه علي بهذا المنصب ويعتبر نفسه أكثر أهلية منه لأنه كان واليا على أهم ولايات المغرب والتي اعتنى بها المرابطون عناية خاصة بعد فتحها وهي مدينة

---

١ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

فاس . "١"

ولكن المعارضه لم تقف عند الأمير يحيى بن أبي بكر بل تعدى الأمر ذلك فقد انضم اليه بعض أشياخ وأعيان مدينة فاس ، وساندته ايضا بعض الشخصيات البارزه في الدولة المرابطيه . ولعل ذلك يعود لاقتناعهم بعدالة قضيته أو لاهداف خاصة بهم وجدوا لها متنفسا عن طريق هذه الثوره ، ومن هؤلاء ابو عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني "٢" الذي بادر الى تأييد الأمير يحيى بن أبي بكر منذ اللحظة الأولى . "٣"

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم تظهر معارضة هذه الفئة ممثلة بيحيى اثناء تنقل يوسف بن تاشفين لاستطلاع وجهات النظر حول ولي عهده علي بن يوسف ؟

يبدو أن قوة شخصية يوسف بن تاشفين كانت لا تدع مجالا لأي صوت معارض أن يرتفع ليقضي على وحدة دولته الناشئة ، لذا اختزنوا معارضتهم الى أن توفي ليجسوا نبض الحاكم الجديد ، فاذا كان لهم مدخل دخلوا منه ووصلوا الى مآربهم ، ولكنهم اساءوا التقدير وواجهوا صورة طبق الأصل عن يوسف . فما أن سمع علي بمعارضة فاس حتى بادر الى تكوين جيش قاده بنفسه وتوجه نحوها لاخماد نار الفتنة قبل أن يستشري خطرها لأنه يعي خطورة التهاون في مثل هذه الأمور ، فالثائر لا يطلب ذهبا ولا فضه وانما يسعى للسلطه ، فجد في السير نحو مدينة فاس .

---

١ — المصدر السابق نفسه ، ص ١٤١ — ١٤٢ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ١٢٧ .

٢ — وهو من أكابر وزعماء لمتونه وقوادها يشترك مع يوسف بن تاشفين في الجد ترقوت ، وعرف بابن الحاج لان أباه قام باداء فريضة الحج وقد برزت شخصيته عندما دخل يوسف بن تاشفين الى الأندلس وشارك في فتح مدينة قرطبه ، ثم أخذ في مجاهدة القشتاليين فلمع نجمه وعين واليا على عدة مناطق في المغرب والأندلس ، انظر : النباهي : المرقبه العليا ، ص ١٠٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٧٥ — ٧٦ .

٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٤٩ .

وما أن وصل الى مدينة مغيله " ١ " حتى بادر باستخدام أول اسلحتــه من أجل القضاء على هذه الثوره ، حيث شن عليهم حربا نفسيه يهدف من ورائهـــا الى تفتيت الجبهة الداخلية للثائرين . فبعث برسالة الى ابن أخيه يعاتبه ويؤنبه على فعلته ويحذره من خطورة مفارقة الصف ، ويطلب منه الطاعة والمبايعه ، وفي نفس الوقت بعث رسالة شديدة اللهجة الى اشياخ وأعيان مدينة فاس يهددهم ويتوعدهـــم ويدعوهم الى بيعته .

وأدت الرسائل غرضها المرجو منها وتزعزعت ثقة الثائرين بأنفسهم . فما أن قرأ عليهم يحيى محتوى رسائل أمير المسلمين علي حتى تخلوا عنه ، ولما يئس من نصرتهم خرج من المدينة متوجها الى تلمسان للاحتماء بواليها مزدلي بن تيلكان "٢" ، فلاقاه بوادي ملويه "٣" مقبلا من أجل المبايعه لعلي بن يوسف ، فأعلمه يحيى بما كان من شأنه فضمن له عفو عمه ورجع معه ، وفي هذه الظروف وفي يوم الأربعاء ٨ ربيع الثاني عام ٥٠٠ هـ دخل علي بن يوسف مدينة فاس . "٤"

---

١ — مدينة مغربيه سماها باسم القبيلة التى تسكنها ، تقع بين فاس ومكناسه انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٨ ، حاشية رقم ٨٩ .

٢ — من اعظم اعماله استرجاعه لمدينة بلنسيه من يد القمبيطور عام ٤٩٥هـ/١١٠٢م ، وكان قد ولي بلنسيه ثم قرطبه وغرناطه ايام يوسف بن تاشفين ثم ولي قرطبه قبل وفاته ببضعة اعوام من قبل علي بن يوسف انظر : محمد عبد الله عنــــان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٢ — ٧٣ .

٣ — نهر كبير ينبع من ملتقى جبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير وتجرى مياهـــه باتجاه شمالي شرقي حتى تصب في البحر المتوسط بعد ما يقطع في جريانـــه مسافة ٤٨٠ كم من المنبع الى المصب انظر : ابن ابي زرع : المصدر السابــق ص ١٥٩ حاشية رقم ٩٠ .

٤ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ١٥٨ — ١٥٩ .

ووفد مزدلي على أمير المسلمين علي بن يوسف في فاس تاركا يحيى مستخفيا بحومة وادي شرذع • واجتمع مزدلي بأمير المسلمين الذى احسن استقباله وأكرمه ، ولما رأى منه ذلك اعلمه بخبر يحيى وما ضمن له من العفو ، فأجابه الى ذلك وعفا عنه • فبادر يحيى وبايع عمه ، ولكن علي بن يوسف رفض أن يكون يحيى مقيما على مقربة من المنطقة التي ثار فيها ، ولعله كان يخشى أن يعاود الكره لوجود بعض الفئات التي تؤيده ، فخيره ما بين السكنى بجزيرة ميورقه "١" وبلاد الصحراء فاختار الثانيه وانصرف اليها ، ومكث فيها مدة ثم شد بعد ذلك الرحال نحو الحجاز لاداء فريضة الحج •

وعاد يحيى بعد اداء فريضة الحج الى مراكش واستسمح عمه علي بالسكن في حاضرته فسمح له بذلك ، الا أن عليا كان حذرا مراقبا لتحركات ابن أخيه • ويظهر أنه أكتشف بعض نواياه المناوئه لحكمه فاتهمه بالتشغيب وعاقبه بالنفي الى الجزيرة الخضراء التي مكث فيها الى أن توفى • "٢"

وهكذا انتهت ثورة فاس بنفي صاحبها الى الجزيرة الخضراء ، والتي كانت مؤشرا لبداية ثورات أخرى ضد علي بن يوسف في المغرب والأندلس والتى كانت بمثابة معاول هدم تعمل بشكل نشط داخل جسم دولة المرابطين •

---

١ — كبرى الجزر الشرقيه وعاصمتها بالما (   ) وهى خصبة طولها اربعون ميلا ، وفيها بحيرة وحصون انظر ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٥ ، حاشية رقم ٢ — ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ •

٢ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٥٣ — الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٦٧ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ — ١٢٤ — رزق الله الصدفي : تاريخ دول الأسلام ، ج ٢ ، ص ٥٥ •

ثورات الأندلس (٥٠٠ ـ ٥١٤هـ/ ١١٠٦ ـ ١١٢٠م)

يبدو أن تيار المعارضة للحكم المرابطي الجديد لم يكن مقتصرا على المغرب بل شاركته فيه الأندلس منذ فترة مبكرة ، ولعل أقدم اشارة لثورة قامت ضد الحكم المرابطي في الأندلس تعود الى الأيام الأخيره من حكم يوسف بن تاشفين وبالتحديد الى عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م عندما ثار سعيد بن أحمد بن زيغل في حصن شقوره "١" واستقل به عن السلطه المركزيه ، ثم أخذ يوسع قاعدة حكمه ، فاستولى على جميع الجهات والنواحي التي تحيط بذلك الحصن ، ومكث على ذلك عدة اعوام ، واستقر له الأمر ، وجبيت له الضرائب من المناطق التابعة له ، وحصل من ذلك ثروة طائله لم يكن يمتلكها من قبل استقلاله بذلك الحصن . وقد ورد خبر هذه الثوره في عقد لاثباتها في كتاب خاص بمسائل ابن رشد "٢" ، بينما لم تشر المصادر التي بين ايدينا اليها .

على أي حال تشير هذه الثورة الى أن التحرك ضد الحكم المرابطي في الأندلس لم يكن جديدا في عهد علي بن يوسف بل تمتد جذوره الى عهد أبيه ، وأن ما حدث في عهد علي ما هو الا امتدادا واستمرارا لانتقاضات سابقه .

١ ـ ثورة أبي بكر بن علي بن يوسف ٥٠٠هـ/١١٠٦م في غرناطه :

لقد حدثت أول مواجهة ضد حكم علي بن يوسف في الأندلس عندما ثار ولده ابو بكر في غرناطه لأمر لم تفصل فيه المصادر . واكتفى ابن الخطيب "٣" بقوله :

---

١ ـ يقع شمال مدينة مرسيه انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ .

٢ ـ ابن رشد : مسائل ابن رشد ، ج ٢ ، ص ٩٩ (انظر نص العقد في الملاحق) .

٣ ـ ابن الخطيب : الأحاطه ، ج ١ ، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

أنه ((ثار لأمر رابه)) ولكنه لم يجد له مؤيدين من قومه بل كانوا له بالمرصاد واحبطوا محاولته ، وألقوا القبض عليه وارسلوه الى والده علي في مراكش ليرى رأيه فيه ، فصفح عنه ، ثم مالبث أن عينه واليا على سرقسطه . وقد جاء تاريخ هذه الثوره في نفس تاريخ ثورة فاس .

لقد كان ابو بكر بن علي أكبر اخوته وكان يتمتع بقسط وافر من الذكاء "١" ، ولعله قام بهذه الحركة من أجل لفت الانتباه اليه واثبات وجوده وتنبيه والده الى أنه الأجدر بولاية أفضل الولايات ، ويظهر أن والده فهم ايماءته فعينه واليـا على سرقسطه .

والمتتبع لحياة أبي بكر بن علي يجده دوما صلبا في مواقفه ، فقد عارض والده في اختيار أخيه سير وليا لعهده بدلا منه ، وهو الأكبر سنا والأكثر خبرة ودراية في امور السياسه بحكم تولية أكثر من ولاية في حياة والده ، عندها لم يجد والده بدا من نفيه الى الجزيرة الخضراء . "٢"

ب - ثورة ابن الحاج عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م في قرطبه :-

===================================

أما قرطبه فيبدو أن العمل فيها بدأ ضد الحكم المرابطي منذ عـــــام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م عندما قام ابو عبد الله بن الحاج أحد قادة المرابطين والنائب

---

١ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠١ - مؤلف مجهـول : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

عن امير المسلمين في حكم قرطبه ، "١" بالاتصال مع بعض الأعيان والشخصيات البارزة في قرطبه بشأن الخروج على الحكم المرابطي . وممن استشارهم في هذا الصدد القاضي بن حمدين "٢" الذى لم يشجعه على ما هو عازم عليه "٣" ، ولكنه على الرغم من ذلك صمم على اعداد العده للثوره على علي بن يوسف بن تاشفين .

لقد كان ابن الحاج شخصية ذات قيمة ووزن في الدولة المرابطيه ، فكان من النخبة الممتازه في عهد يوسف بن تاشفين ، وله تجربة وشهره في الجهاد في الأندلس ، ولعله اعتمد على كل هذه المقومات في شخصيته ليقوم بمثل هذا الدور .

ويظهر أنه فكر في أفضل وقت للقيام بهذه المعارضه فلم يجد أفضل من وقت وفاة يوسف بن تاشفين لأن خليفته علي بن يوسف كان ما يزال في مقتبل العمر وخبرته في امور الحرب والسياسه لا تقاس بخبرة هذا القائد المجرب ابن الحاج .

وفعلا عندما بعث اليه الأمير الجديد علي بن يوسف الرسائل من أجل أخذ البيعة له من رعيته في قرطبه نقض المبايعه ، معلناً بذلك الخروج عليه ، وانضم اليه جمع من أهل قرطبه ، وبعض فقهاء وأعيان المدينه ، وذلك في عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م ، ولكن هذه الثورة لم تكن بأسعد حظا من سابقاتها اذ سرعان ما نطفأت دون أن تمدنا المصادر بتفاصيل عن كيفية القضاء عليها .

---

١ ـ عبد الله كنون : رسالة الكاتب ابن أبي الخصال التي نال فيها من كرامة المرابطين ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣٥ ، ج ٤ ، ربيع الثاني سنة ١٣٨٠ هـ ، ص ٥٦٩ .

٢ ـ هو ابو القاسم أحمد بن محمد بن علي بن حمدين قاضي الجماعة في قرطبه توفى عام ٥٢١ هـ انظر ابن سعيد : المصدر السابق ج ١ ، ص ١٦٢ .

٣ ـ ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٢٠ .

وما ورد من معلومات عن هذه الثورة لا يتناسب مع حجمها وشخصية صاحبها. ويذكر أنه بعد فشلها هرب ابن الحاج الى خارج قرطبة ولحق به أعوانه ، ثم تذكر المصادر أن أمير المسلمين علي بن يوسف قد رضي عنه وعن أخيه وقومه وولاه مدينة فاس وما يليها من أعمال "١" ، ثم نقله الى ولاية سرقسطه وبلنسيه في شرقي الأندلس حيث استشهد عام ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م في معركة البورت (الباب) "٢".

ومن الشخصيات البارزه التي تأثرت بهذه الثورة الأديب والكاتب ابن أبي الخصال "٣" ، الذي كان من أعز اصدقاء ابن الحاج وصحبه في الشدة والرخاء وتنقل معه في جميع الولايات التي تولاها وبقي معه حتى استشهاده . "٤"

وتأثر بهذه الثورة ايضا ابو بكر بن المرضي "٥" ، الذي كان من أخص اصدقاء ابن الحاج . فبعد أن فشلت ثورة صديقه فرّ الى شرق الأندلس حتى اذا رضي أمير المسلمين على ابن الحاج عاد الى صحبته في فاس وغيرها من أعمال الأندلس وظل في صحبته حتى استشهاد صديقه . "٦"

---

١ - ابن الآبار : المعجم ، ص ١٣٢ - ١٣٤ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩ ، حاشية رقم ١ .

٢ - والبرت لفظ لاتيني أي الباب أو الممر في الجبال انظر : حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٢ ، حاشية رقم ١ - شكيب ارسلان : الحلل السندسيه ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

٣ - وهو من أهل المعارف الجمه ، وكان من ابرز اعلام النثر ، ولد في أول ربيع الثاني عام ٤٦٥ هـ ، وقتل أمام داره في ١٢ ذي الحجه من عام ٥٤٠ هـ ، ومن مؤلفاته : ظل الغمامه ، وطوق الحمامه انظر ابن الخطيب : الاحاطه ج ٢ ، ص ٣٨٩ - ٣٩٠ - ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١١٩ - ٢٠٠ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٣٨ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ - ٦٨ - ابن دحيه : المطرب من اشعار أهل المغرب ، ص ١٨٧ - ١٨٩ - العماد الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ - ٦٤٤ .

٤ - ابن الآبار : المعجم ، ص ١٤٦ - ١٤٧ - عبد الله كنون : المقال السابق ، ص ٥٦٩ .

٥ - كان مقربا للمرابطين ، وكان محدثا ضابطا حسن الخط ، استكتبه علي بن يوسف بن تاشفين مع ابي عبد الله بن ابي الخصال ، توفي عام ٥٣٦ هـ . انظر : ابن بسام : الذخيره ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ ، حاشية رقم ١ .

٦ - المصدر السابق نفسه ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

جـ - شغب أهالي غرناطه وأشبيليه :

يبدو أن غرناطه لم تكف عن الشغب والخروج على أمير المسلمين علي بن يوسف ، فعلى الرغم من أن المصادر تبخل علينا في تفاصيل المشاغبات التي حدثت فيها خاصة في السنوات الأولى من حكم علي بن يوسف ، الا أن بعض رسائل أمير المسلمين لأهالي هذه الناحيه توضح لنا أنه كانت هناك حركات مستمره في التمرد على والي أمير المسلمين عليها .

ففي يوم الجمعه ١٩ رمضان عام ٥٠٧ هـ كتب ابو القاسم بن أبي الجد "١" عن أمير المسلمين علي بن يوسف الى أهالي غرناطه يعاتبهم ويؤنبهم ، ويحذرهم من مغبة كثرة التمرد على واليه عليها القائد المشهور مزدلي الذى خلف عبد الله بن فاطمه في حكمها عام ٥٠٤ هـ / ١١١٠ - ١١١١م وأضيف اليه حكم قرطبه والمريه ، وعلى الرغم من جهود مزدلي المتواصله من اجل الابقاء على ولايته هادئة آمنه من خطر الاسبان النصارى الا أن أهل غرناطه لم يدخروا وسعا في انتهاز الفرص للشغب والخروج عليه . "٢" وقد جاءت رسالة ابن أبي الجد عن أمير المسلمين علي ابن يوسف تستنكر عليهم تصرفاتهم تلك ومما جاء في هذه الرسالة قوله لهم - ((قد اتصل بنا أنكم من مطالبة " فلان " على أولكم وفي عنفوان عملكم وأنه لا يعدم تشغيباً وتأليبا من قبلكم ، فالى متى تلجون في الطلب ... وقد آن لحركتكم في امره أن تهدأ وللثائرة بينكم أن تصلح)) ، ويتابع كلامه معاتبا اياهم بطريقة فيها

---

١ - اثنى عليه ابن بسام ، وقال عنه قريع وقتنا ووحيد عصرنا ، وقال أنه تولى خطة الشورى ، وكان عالما بالفقه والحديث انظر ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

٢ - محمود على مكي : وثائق تاريخيه جديده عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلاميه في مدريد ، مج ٧ - ٨ ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠م ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

شيء من الشدة قائلا : ((٠٠٠٠ واذا وصل اليكم خطابنا هذا فاتركوا متابعة الهوى ٠٠٠ ودعوا التنافس على حكام الدنيا ٠٠٠ وفقكم الله لما فيه صون أياديكم ، وأعراضكم وتسديد انحائكم وأغراضكم بمنّه)) ٠ "١"

وفي جمادى الأولى من عام ٥١٢ هـ كتب ابو القاسم بن أبي الجد ايضا رسالة مشابهة للرسالة السابقة الى اهل اشبيليه يهددهم ويتوعدهم ، ويحذرهم من مغبة شغبهم ، ومما جاء فيها : ((واحذروا دواعي الفتن وعواقب الأحن)) ثم ينبههم الى نتائج هذه الأعمال وانعكاساتها على بلادهم واهاليهم فيقول : ((واشفعوا على دياركم واعراضكم وثوبوا الى الصلاح في جميع أغراضكم ، وأخلصوا السمع والطاعه لوالي أموركم وخليفتنا في تدبيركم وسياسة جمهوركم أخينا أبي اسحاق ابراهيم ابقاه الله وأدام عزه بتقواه ٠٠)) "٢"

---

١ ـ العماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ ٠

٢ ـ ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ العماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ٠

د ـ ثورة أهالي قرطبه عــام ٥١٣ هـ أو ٥١٤ هـ / ١١١٩ أو ١١٢٠م
==

ونختم الحديث عن هذه الثورات بالحديث عن ثورة أخرى ضد الحكم المرابطي في مدينة قرطبه ، والتي زلزلت اركان الدولة بأسرها • فقد تحركت قرطبه بقضها وقضيضها ، وشيوخها ، وفقهائها ، وأعيانها ، وعامتها في عام ٥١٣ هـ أو عام ٥١٤ هـ ضد المرابطيـن اثر تعرض أحد عبيد الوالي لاحدى النساء المسلمات فـي المدينه •

وبداية الأمر أنه أثناء تجمع الناس في يوم عيد الأضحى مدّ أحد عبيد والـي المدينه يحيى بن رواد يده الى امرأه وأمسكها فطلبت الغوث والنجده مـن المسلمين ، فهرع الناس لنصرتها واشتبكوا مع العبيد في معركة عنيفه استمرت طـوال النهار حتى ادركهم الليل فتفرقوا ، وعلم الأمير ابو بكر يحيى بن روّاد بالأمر عندها شكل أهل المدينة وفدا من الفقهاء واعيان البلد واجتمعوا مع والي المدينه ونصحوه بقتل العبيد الذين سببوا الفتنة ليهدأ الناس ، ، وتحتوى الفتنة في مهدهـا ، الا أن الوالي أخذته عزة النفس ورفض تنفيذ مطلبهم هذا •

وفي الصباح عزم الوالي على قتال معارضيه فأظهر السلاح والرجال عندها ، استشاط الناس غضبا ونظموا أنفسهم وتقدم الفقهاء والأعيان والشبان الصفوف واشتبكوا مع قوات الوالي في معركة عنيفة حتى هزموها • وتحصن الوالي في قصره فحاصروه فيه ، ثم اقتحموه عليه فولى هاربا ، فنهب المهاجمون القصر ، وامتد النهب والحرق الى جميع بيوت المرابطين الذين خرجوا على أقبح صورة بعد أن سلبت بيوتهم •

وطارت أخبار هذه الثورة الى اسماع أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكـش فأفزعه الأمر ، ورأى أن الموقف يحتاج الى حسم سريع فأعد جيشا ضخما مكونا مـن صنهاجه وزناته وغيرهم وتوجه بهم نحو قرطبه في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١م وفـرض

الحصار على المدينه فاستمات اهلها في الدفاع عنها .

ولما فشل أمير المسلمين في اقتحامها ادرك أن الأمر لا يصلح بالحرب فمشت السفارات بينه وبينهم ، وتم الاتفاق في النهايه بين الطرفين على شروط خلاصتها أن يغرم أهل قرطبه ما نهبوه من اموال المرابطين ، وبالتالي انتهى الحصار وانتهت الثوره . "١"

لقد اتخذت هذه الثوره صورة تختلف عن صور الثورات السابقه ، فالتعدى جاء من جانب احد جند الوالي الذى حاول التعرض لامرأة مسلمه مما أثار حمية الرعية فثاروا على الوالي وعلى المرابطين .

ومن نتائج هذه الثورة انها زادت من ثقة الرعية الأندلسية بزعمائها من فقهاء واعيان ، الذين قادوهم نحو النصر على الفئة التي حاولت النيل من شرفهم ، وأثبتت ايضا عجز والي قرطبه ، ثم أمير المسلمين علي بن يوسف عن القضاء على ثورتهم واقتحام مدينتهم على الرغم مما كان معه من قوه .

على أى حال لقد اتبع أمير المسلمين علي بن يوسف سياسة حكيمه مع الذين ثاروا ضد حكمه فلم يحاول القضاء على معارضيه بطريقة قمعية تعسفيه بل كان يتبع معهم اسلوب الصفح لاحتوائهم ، وكان يميل الى تحقيق رغباتهم بتوليتهم على ولايات مهمه ثم يقذف بهم الى الجبهات الساخنه مع النصارى مثل سرقسطه وبلنسيه ليستغل طاقاتهم لصالح الاسلام والمسلمين . وقد فشلت جميع هذه الثورات لأنها جاءت في فترة كانت الدولة ما تزال في أوج قوتها .

---

١ — ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٥٨ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .

ﻫ ـ ثورة العامة في قرطبة على اليهود ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م :ـ

وفي رجب من عام ٥٢٩ هـ ثارت العامة في قرطبة على اليهود بسبب وجود جثة أحد المسلمين في حى من أحيائهم ، فاقتحموا منازلهم ، وانتهبوا أموالهم ، وقتلوا عددا منهم . "١"

ويظهر أن هذه الثورة العارمة ضد اليهود هى محصلة كره دفين لليهود الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا فى كل بيئة يعيشون فيها مركز فساد وافساد ، فقد كانوا كعادتهم متقوقعين على أنفسهم في احياء خاصة ، وكانوا يحتكرون التجارة ، وفي بعض الأحيان السلطه واذا وجدوا من ينافسهم في ذلك عملوا على التخلص منه بطريقة خسيسه ، فمثلا عندما قوى نفوذ موسى بن مفروج "٢" في غرناطه عمد أحد اطباء اليهود الى دس السم له فأرداه صريعا في عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨م "٣" فمثل هذه الحوادث وغيرها تجعل النفوس تنفر منهم وتحقد عليهم وتتحين الفرص للتخلص منهم .

ولم تكن هذه الغضبة الشعبية ضد اليهود الأولى في الأندلس ، فعندما كثرت اعدادهم في مدينة غرناطه حتى أطلق عليها مدينة اليهود "٤" ، وتغلغلوا في الوظائف الحساسة في عهد ملوك الطوائف ، فتذمرت الرعية المسلمة من ذلك وقف شاعرهم ابو اسحاق الالبيرى "٥" في عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م ليعبر عما يعتمل في صدورها ضد اليهود منتقدا حاكم غرناطة على تقريبه لليهود وداعيا الى الثورة على

---

١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٣ .

٢ ـ نشأ في مدينة طنجه وتأدب باشبيليه ، له حظ بارع ونفوذ في الحساب القى اليه الأمير أبو حفص عمر بن علي بن يوسف جميع الاعمال انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

٣ ـ نفس المصدر السابق والصفحات .

٤ ـ دوزى : ملوك الطوائف ، ص ٤١ .

٥ ـ هو ابو اسحاق ابراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي الالبيرى ، كان فقيها محدثا ، واديبا ، وشاعرا سعى به الوزير يوسف بن نغزله اليهودى لأمور نقمها منه لدى سلطانه باديس فأبعده عن غرناطة فسكن البيره وانقطع للعبادة والزهد انظر : دوزى : المرجع السابق ، ص ١٣٢ ، حاشية رقم ٢ .

هذا الوضع باسلوب شعرى رائع شخص فيه الوضع أفضل تشخيص وما قال : ـ

الا قل لضهاجة أجمعيـــن بدور الزمان وأسد العريـــن

لقد ذل سيدكم ذلـــة تقربها أعين الشامتيـــن

تخير كاتبه كافـــرا ولو شاء كان من المؤمنيـــن

فعز اليهود به وانتخـــوا وتاهوا وكانوا من الأذليـــن

فكم مسلم راغب راهـــب لأذل قرد من المشركيـــن

وما أن انتهى من القاء قصيدته حتى ثارت العامه ونهبت بيوت اليهود وقتلـوا منهم ما يقرب من اربعة الاف فخلصوا المدينة من شرهم . "١"

ولعل المرابطين ادركوا دناءة اليهود وكره الرعية لهم ، فاتخذوا ضدهـم اجراءات تقيد من تحركاتهم وتجعلهم تحت مراقبة الدولة باستمرار "٢" ، كما فـرض عليهم يوسف بن تاشفين حسب بعض الروايات عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م ضرائـب اجتمع له منها مائة وثلاثة عشر ألف دينار . "٣"

على أى حال لم يتمتع اليهود فى القرنين الخامس والسادس الهجريين بذلـك النفوذ والشرف اللذين تمتعوا بهما في عهد ملوك الطوائف ، اذ أخذهم المرابطـون بالشدة وحذا حذوهم الموحدون لما جاءوا بعدهم . "٤"

أجل ان نفسا تنطوى على الحقد على البشرية ، وتعمل على استغلال كـل فرصة للتمكين لنفسها ، وتعتبر انها سيدة العالم التى يجب أن تطاع ، وتمتلـك خيرات الدنيا ، حري بالمجتمع الذى تعيش فيه هذه الشرذمه المنطوية علـى

---

١ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٤ ـ ١٦٩ .

٢ ـ انظر الفصل الخاص بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية من هذه الرسالة .

٣ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣ .

٤ ـ لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .

نفسها أن ينظر اليها نظرة احتقار وسخط ، وأن يحبطوا كل محاولاتهم كلمـــا نجحوا في التغلغل في دولتهم •

====

٣ ـ ثورة العامة في قرطبة ضد القاضي ابن رشد ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م

وفي أحرج فترة من فترات حياة الدولة المرابطية التي توالت فيها الهزائم عليها على أيدى الموحدين ، في هذه الظروف ثارت العامة في قرطبة عام ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م ضد قاضيها ابن رشد لاسباب لم تفصح عنها المصادر وقد بادر ابن حمدين "١" بالتدخل فأسكت ثائرتها ، وبعد برهة من الوقت استعفى ابن رشد من منصبه ، فأخضعت المدينة الى ما يعرف في الوقت الحاضر بالحكم العسكرى ، فعطلت فيها الأحكام ما يزيد على عام كامل تأديبا لأهلها بأمر واليها ابو عمر اللمتوني ، ثم اذن لهم باختيار قاض لهم فأجمعوا على اختيار ابن حمدين في عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م "٢" .

ولعل أبا عمر اللمتوني والي قرطبة لم يكن راضيا عن هذا الاختيار لأن شخصية ابن حمدين كان لها ثقل أجتماعي كبير ، ومن المحتمل أن يقوم بمناوءة الدولة فقبل ذلك على مضض لاقتناعه بأن ذلك هو الحل الأجدى في مثل هذه الظروف لأن أهل قرطبة لن يقبلوا بديلا لابن حمدين .

---

١ ـ هو أبو جعفر حمدين بن علي بن حمدين ، تلقى العلم في مدينة قرطبة ، واشتغل بالقضاء حتى وصل الى منصب قاضي الجماعة في قرطبة في شعبان ٥٢٩ هـ بعد مقتل قاضيها ابن الحاج الا أنه أختلف مع حكام المرابطين فعزل من منصبه عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م ، وانتخبته الرعية قاضيا عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ هـ وبقي في هذا المنصب حتى قام بالثورة عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م ، وتوفي في مدينة لبله بعد أن فر من وجه الموحدين الداخلين على الأندلس عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م انظر : ابن الآبار : المعجم ص ٦٣ ـ ٦٤ ـ عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

٢ ـ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج ١ ، ص ١٤٥ ـ عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

ـ ثورة العامة في اشبيليه ضد القاضي ابن العربي ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م :ـ

واذا انتقلنا الى اشبيليه وجدنا أنها لا تقل حماسا للثورة عن اختها قرطبة وكأن المدن الاندلسية كانت على موعد من أجل الوثوب على حماتها من المرابطين ، ومن المناسب أن اعرض لأحوال هذه الحاضرة في عهد المرابطين قبل الشروع في الحديث عن ثورتها ، وبما أن الشعر هو المرآة الصادقة لاحوال المجتمع المعبر عن آلامه وهمومه ومآسيه ، فلعله المصدر الوحيد الذى يعطينا صورة عن بعض ما كان يعانيه شعب اشبيليه بشكل خاص من اهمال وتضييع ، ويأتي الشاعر الأعمى التطيلي على رأس الشعراء الذين لم يصمتوا عندما ارادت منهم الرعية أن يعبروا عن آلامهم ، وما يكابدونه من ظلم وجور ، ولكن يجب على الباحث أن يكون حذرا في تعامله مع النصوص الشعريه لما تحمل في طياتها من مبالغات وتهويل للموقف ، وفي الوقت نفسه يجب ان لا يغفل عن حقيقة هامه وهى أن الشاعر فرد من افراد المجتمع يمتاز عنهم بنفسه الشفافه وحساسيته المرهفة لما يحيط به ، فصرخته لا تنطلق من فراغ .

على أى حال ما نملكه عن أحوال اشبيليه لا يتعدى ما قاله الأعمى التطيلي من شعر ومن نماذج ذلك ما قاله في تحريض أهل اشبيليه على الثوره من خلال قصيدة طويلة نقتطف منها :ـ

فشا الظلم واغترّ اشياعه	ولا مستغاث ولا مشتكي
ايا أهل حمص وقدما دعوت	وهل تسمعون الى من دعا ؟
يقلّ لاقداركم كل شيء	فكيف رضيتم بدون الرضى
وساد الطغاة بتمويههم	وهل يقدم الرزء الا كذا
وطالت خطاهم الى الترهات	الا قصر الله تلك الخطى "١"

---

١ ـ الأعمى التطيلي : ديوان الأعمى التطيلي ، ص ز ، ١٦ ـ ٢ .

وعلى ما لهذه القصيدة من أهمية لما تحمل في ثناياها من صرخات مريـــرة تعبر عن واقع مؤلم يعيشه أبناء هذه المدينة، نحن لا نعرف الظروف التي قيلت فيهـــا ، الا أنه يمكن أن نستخلص منها ما كان يعانيه أهالي اشبيليه في فترة من فتـــرات حكم المرابطين من عسف وظلم ، فكل ثورة تقوم بها الرعية يكون لها ما يبررهـــا لأنها لا تنطلق من فراغ .

ووصلت الأوضاع في مدينة اشبيليه عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م الى قمة الغليان عندما ثارت على قاضيها ابي بكر بن العربي "١" لحزمه وصرامته مع الجنـــاة والمفسدين في المدينة وهذا ما أكده القضاعي "٢" حين قال : " وكانت لـــه

---

١ — هو محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد المعروف بابن العربي (٤٦٨ — ٥٤٣ هـ / ١٠٧٦ — ١١٤٨) ، من أهل اشبيليه اخذ عن عدد كبيـــر من العلماء في الاندلس والمشرق امثال ابي عبد الله بن منظور ، وابـــي مروان بن سراج ، خرج الى الحج عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، فأخـــذ عن علماء مصر امثال مهدي الوراق وابي الحسن بن داود الفاسي ، وفـــي الشام لقي ابا نصر المقدسي ، وابا حامد الغزالي ، وفي بغداد عن ابـــي الحسن المبارك ثم عاد الى اشبيليه عام ٤٩٥ هـ ، وقد خلف لنا عدداً كبيـــراً من المصنفات منها : احكام القرآن ، المسالك في شرح موطأ مالك ، المحصول في اصول الفقه ، سراج المريدين ، الناسخ والمنسوخ وغيرها انظـــر : ابن العربي : احكام القرآن ، ج ١ ، ص ٤ — ٧ — المقري : المصـدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ — ٢٤٢ — ابن فرحون : الديباج المذهب ج ٢ ، ص ٢٥٢ — ٢٥٦ — النباهي : المرقبة العليا ، ص ١٠٥ — ١٠٦ — الضبي : بغية الملتمس ، ص ٩٢ — ٩٣ — ابن القاضـــي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٠ — ٢٦١ — ابو بكر بن العربـــي : العواصم من القواصم ، ص ١٠ — ٣٤ ، ١٣٧ — ١٣٩ — كراتشكوفسكـــي : تاريخ الادب الجغرافي ج ١ ، ص ٢٩٨ .

٢ — جذوة الاقتباس ، ج ١ ، ص ٢٦١ — النباهـــي : المصـــدر السابق ، ص ١٠٦ — المقري : المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

بالظالمين سورة مرهوبه " ، وهذا ما لم يرق من تعود على حياة الترف والبذخ ، والتلذذ بكل محرم .

ويبدو أن المتذمرين من صرامة ابن العربي ، اخذوا يستغلون محافظته على تنفيذ الحدود على المخالفين لتشويه سمعته ، خاصة أنه كان يتفنن في معاقبة المفسدين ، فكان يأمر بثقب اشداق من يتخذ المزمار وسيلة للهو والفساد "١" ، وكان يطارد معاقري الخمور وبائعيها ، فكان يضرب ويصلب ويشهر بكل فاسق يظفر به فظل على هذا الحال حتى ثقل على الفساق والاشرار فهاجوا عليه "٢" ، وهذا ما اكده ابن العربي "٣" نفسه حين قال : ((ولقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك يرى في الارض منكر ، واشتد الخطب على اهل الغصب ، وعظم على الفسقه الكرب فتألبوا والبوا وثاروا الي فاستسلمت لامر الله وامرت كل من حولي الا يدافعوا عن داري وخرجت على السطوح بنفسي فعاثوا علي ، وامسيت سليب الدار ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار)) .

ويظهر أن الثورة لم تكن من جانب السفلة فقط بل شاركهم آخرون من اهل البلد لتذمرهم ايضا من بعض تصرفاته ، فيذكر انه لما اراد بناء احدى جهات سور اشبيليه ولم يكن بها مال متوفر فرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك في عيد الاضحي ، فأحضروها كارهين مما سبب الثورة عليه فنهبت العامة داره ففر الى قرطبه . "٤"

---

١ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٣ — المقري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

٢ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٣ — ٩٤ .

٣ — العواصم من القواصم ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

٤ — المقري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

ومن المرجح ان يكون السبب الرئيسي لهذه الثوره هو ما كانت تعانيه اشبيليه وقتذاك من ضائقة اقتصادية ، وأن أمير المسلمين علي بن يوسف لم يهب لمساعدتهم في ضائقتهم الاقتصادية تلك ، وربما يعود ذلك الى انشغاله بمصائبه التي كانت تتوالى عليه لتوالي انتصارات الموحدين على جيوشه ، وانه كان في حاجة لمن يساعده في احباط ثورة ابن تومرت .

ويبدو ان ابن العربي لم يكن على وفاق مع بعض زعماء اشبيليه فيذكر ابن الآبار " ١ " انه كان على خلاف مع ابي القاسم المعروف بالزنجاني الذى كان على رأس الشورى مما حدا به ان يستعدى عليه امير المسلمين الا انه توفى لتسع بقيين من محرم ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م .

وقبيل قيام العامه بالثورة على ابن العربي قامت بعض الايدى الخفية المناوئه له بتشويه سمعته ، ولعلهم طعنوا في عقيدته ، وهذا ما يفهم من كلام المقرى " ٢ " والنباهي " ٣ " حين ذكرا ما نصه : ((ولكثرة حديثه واخباره وغريب حكاياته ورواياته أكثر الناس فيه الكلام وطعنوا في حديثه)) .

ويظهر انهم بعد ما نجحوا في ذلك قاموا بثورتهم تلك ، ولكن المصادر لم تمدنا بتفاصيل هذه الانتفاضه ، والادوار التى مرت بها ، وكيفية انتهائها وتكتفي بذكر صرفه عن قضاء اشبيليه الذى تولاه عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م ، وان امواله وكتبه قد نهبت . " ٤ "

---

١ ـ المعجم ، ص ١١٣ .
٢ ـ نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .
٣ ـ المرقبة العليا ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .
٤ ـ المقرى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

وهكذا اصبحت الاندلس مرجلا يغلي بالحقد والكراهية للمرابطين الذين قدموا اليهم من اجل حماية الاوطان وصون الاعراض من اعداء امتهم نصارى الشمال الاسباني ، فلماذا انقلبت فرحتهم بجيوش المرابطين المتوجهة الى جبهات القتال الشماليه الى صرخات تذمر وثوره ؟ .

يبدو ان هناك عوامل اقتصادية ، وسياسية ، وحضارية وراء هذه الثورات في هذه البقعة ، فلو نظرنا الى احوال المجتمع الاندلسي بعد موقعة الزلاقة الشهيره ، وبعد ان قضي المرابطون على مهزلة دول الطوائف ، نجد ان المجتمع الاندلسي قد تحرر من كل الضرائب غير الشرعيه وترتب على ذلك ازدهار التجارة ، والصناعه ، والزراعه ، لتوفر الامن والطمأنينه ، وكما هو معروف عندما تزداد اموال الرعيه تحاول ان تمارس ضغوطا على الحكام ، وتكون اقل انصياعا للاوامر ، واذا اضيف الى ما تقدم الاهتمام بالثقافة والتفوق العلمي زاد ذلك ايضا من اعتدادهم بأنفسهم ومطالبتهم بحكم انفسهم بأنفسهم ، فمن طبيعة الشعوب رفض الوافدين من الخارج الذين يتصرفون بمقدراتهم ، واذا راجعنا تاريخ الاندلسيين وعلاقاتهم بالمغاربه ، وجدنا انهم كانوا ينظرون لانفسهم نظرة استعلاء على القادمين من البربر ، فهم اكثر تقدما وحضارة ، واذا ارتبط الوافد بالعنف والقسوة ازداد البغض والكره له فلعل تجربة الاندلسيين مع البربر تعود الى بدايات الفتح الاسلامي للاندلس ، واكثر فترة برز فيها البربر على الساحة وابغضهم الاندلسيون هي فترة المنصور بن ابى عامر الذى استقدم اعدادا كبيرة منهم ليدعم بهم سلطانه . "١"

ويرجع الدكتور ابراهيم حركات "٢" ان سبب هذه الثورات هو استئثار المرابطين بالوظائف مما اسخط الاندلسيين وادى الى اتهامهم اياهم بالخشونة والجهل .

---

١ ـ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، حاشية رقم ١ .

٢ ـ المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

ويعزوها محمد عبد الله عنان "١" الى أساليب القادة والولاة الخشنة مع الاندلسيين ، والتي تتنافي مع ما جبلت عليه الامة المترفه ، ثم يقول بأن هذه الثورات ما هي الا محاولات للتنفيس عن حكم المرابطين المرهق .

======

---

١ ـ عصر المرابطين والموحدين ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

الفصل الثالث

ثورة محمد بن تومرت

(٥١٤ ـ ٥٤٢ هـ / ١١٢٠ ـ ١١٤٧ م)

واجه علي بن يوسف بن تاشفين — كما رأينا في الفصل السابق — ، منذ اللحظة الاولى لولايته معارضة لحكمه في انحاء مختلفة من بلاده التي كانت تضم بين جناحيها المغرب والاندلس • ولكن هذه المعارضة لم تؤثر كثيرا في صرح الدولة الشامخ لافتقارها للشخصية القيادية الموهوبة التى تجمع القلوب ترفرف حولها ، اضافة لعدم توفر سند شرعي يبرر قيامها على ولي الامر ، ولحدوثها في فترة كانت ما تزال فيها الدولة المرابطية في اوج ازدهارها •

ولم يطل الوقت بعد فشل هذه الحركات المعارضة حتى برزت شخصية محمد ابن تومرت الذى تقنع بقناع المهدية "١" ، ذلك القناع المزيف الذى استغل على طول حقب التاريخ الاسلامى واتخذ مبررا للخروج على السلطة الشرعية القائمه •

وقد استغل الفاطميون هذه القضيه الى ابعد الحدود ، واستطاعوا في النهاية ان يشيدوا صرح دولة يحكمها عبيد الله المهدى في المغرب ، بعد ما اشاع الدعاة الفاطميون في بلاد البربر فكرة المهدوية ، واستطاعوا بقيادة ابي عبد الله الشيعي التغلب على عمال الاغالبه ، ونصبوا عبيد الله الذى تلقب بالمهدى مدعيا انه من ابناء فاطمه ، ومن نسله كان الخلفاء الفاطميون الذين تعاقبوا على حكم المغرب ومصر ، والذين كانوا يزعمون لأنفسهم من القداسة مالا يجوز الا لله وحده ، وعن طريق دعاة الاسماعيلية عرف المغاربة دعوة المهدوية ، وعرفوا قوة تأثيرها على المستوى الشعبى • "٢"

---

١ — اول من اطلق عليه لقب المهدى محمد بن الحنفيه ، اطلقها عليه المختار بن عبيد الثقفي حيث زعم انه المهدى المنتظر ، وأنه لم يمت ولن يموت حتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا انظر : وتموت الفتنة ص ٢٧٢ (مجموعة مقالات اصدرتها جريدة الندوة السعودية على شكل كتاب عام ١٩٧٩م) •

٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٥٧ — وتموت الفتنة : ص ٢٧٢ — ٢٧٣ •

هذا ويذكر عبد العليم عبد العظيم في اطروحته لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز شطر مكه أن بعض الباحثين المحدثين أمثال : محمد رشيد رضا ، ومحمد فريد وجدى ، واحمد امين ، ومحمد عبد الله عنان فكرة المهدية "١" . ويذكر ابراهيم بن سليمان الجبهاني ان الفكرة من اختراعات حاخامات اليهود ليمللوا انفسهم بظهور مخلص ينقذهم مما يتعرضون له من اضطهاد في جميع ادوار التاريخ . "٢"

ولكن هناك جمع من الائمة والعلماء نصوا على ثبوتها ومنهم : ابن القيم الجوزيه في كتاب المنار المنيف ، وابن حجر في فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، والسخاوى وغيرهم "٣" وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : ((ان الأحاديث التى يحتج بها على خروج المهدى احاديث صحيحه رواها ابو داود ، والترمذى ، واحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود)) "٤" .

وحول هذه القضية وما ورد فيها من احاديث يذكر عبد العليم عبد العظيم في اطروحته المشار اليها سابقا ان هناك تسعة احاديث صحيحة في هذه المسألة ، وعلى ضوئها خلص الى ان صفات المهدى هى : انه محمد أو احمد أو عبد الله وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود (لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمى واسم ابيه اسم ابي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) ، ومدة حكمه سبع أو تسع سنوات وحددوا له صفات جسمية خاصة "٥" ، الا أن هناك

---

١ - عبد العليم عبد العظيم : الاحاديث الوارده في المهدى في ميزان الجرح والتعديل ، ص ٢٣ - ٢٧ (رسالة ماجستير لم تطبع) .

٢ - وتموت الفتنة ، ص ٢٧٢ .

٣ - عبد العليم عبد العظيم : المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣٣ .

٤ - وتموت الفتنة ، ص ٢٨٥ .

٥ - ومن هذه الصفات : أنه اصلع مقدمة الرأس ، واسع الجبهة ، انفه محدود ، وسط مرتفع ، طرفه سابغ ، انظر : عبد العليم عبد العظيم : المرجع السابق ، ص ٥٨٧ - ٥٩٠ - اسماعيل الشطبي : حقيقة قضية المهدى ، مجلة المجتمع عدد ٤٦٢ ٢٢ محرم ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٠ - ٣٢ .

من يقول أنه يشبه النبى صلى الله عليه وسلم في أفعاله واخلاقه لا فى صورتـــه وشكله . "١"

وعلى ضوء هذه الاحاديث سيتبين لنا زيف دعوة المهدى بن تومرت التى كانـت تقوم على المكر والخديعة كما سنرى في الصفحات التاليه .

ولعل نجاح قبيلة لمتونه في تبني دعوة عبد الله بن ياسين الاصلاحيه وتركـز السلطه بيدها أوجد ردة فعل قبليه عند القبائل الأخرى . فكما هو معلـــوم أن الصراع والتطاحن على السلطة من ابرز السمات التى تتصف بها القبائل البربريـة البدوية ، وكان يوسف بن تاشفين يدرك حقيقة هذه المنافسات والتطلعات القبليه ، فنجده يوصي ولي عهده علي بن يوسف بأن لا يثير أهل جبل درن عليه . "٢"

وأخذت القبائل المنافسة للمتونه تتلمس العوامل التي أدت الى قيام دولـة المرابطين والى تسنم قبيلة لمتونة للسلطة في هذه الدوله . ولعلهم وصلوا فـي تصورهم الى تشخيص العامل الرئيسي لنجاح قبيلة لمتونة في هذا الصدد وهـو التفافها حول دعوة عبد الله بن ياسين الاصلاحية وهذا ما أدركه أحد أفراد قبيلـة هرغه وهو محمد بن تومرت الذى اتشح فيما بعد بوشاح المهديه . "٣"

فكيف استطاع محمد بن تومرت أن يبلور دعوته الى فكرة عملية نشطه ضد دولـة المرابطين وأن ينجح في هدم اركانها وتأسيس الدولة الموحديه على انقاضها ؟ كيف استطاع ذلك على الرغم من زيف عقيدته وخداعه وكذبه .. هذا ما سنعرض اليـه فيما يلي .

---

١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٥٧ - وتموت الفتنـة ، ص ٢٨٩ .

٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٢ - ٨٣ .

٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٦٤ - ابن الاثيـر : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٩ - ابن أبي زرع : المصدر السـابق ، ص ١٧٢ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

نسب ابن تومرت :-

أما فيما يختص بنسب ابن تومرت فيختلف فيه النسابون والمؤرخون . فمنهم من ينسبه الى آل البيت والى الأدارسة العلويين خاصة ، ومنهم من ينكر عليه ذلك ويؤكد على أصله البربرى .

ويأتي البيذق تلميذ المهدى بن تومرت على رأس انصار النسبة العلوية لعدم وجود خيار أمامه لأنه من شروط المهدية النسبة لآل البيت ، وانكار ذلك هو مطعن في دعوته .

فيذكر عن نسبه أنه : محمد بن عبد الله بن وكليد بن ياصل بن حمزه بن عيسى بن عبيد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . "١"

ويرجح ابن خلدون "٢" نسبته العلويه فيقول : ((وعلى الأمرين فان نسبه الطالبي وقع في هرغه من قبائل المصامده ، ووشجت عروقه فيهم ، والتحم بعصبيتهم فلبس جلدتهم وانتسب بنسبتهم وصار في اعدادهم)) ، ويكتفي ابن الأثير "٣" بذكر أنه ابو عبد الله محمد بن تومرت العلوى . أما المراكشي "٤" فيؤكد على أن نسبه متصل بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ويذكر عبد الحميد العبادى "٥" أنه في الأصل من أحفاد العلويين الادارسة الذين اندمجوا في البربر بعد سقوط دولتهم ، فهو على رأيه علوي الأصل بربرى الطباع والأخلاق .

---

١ - البيذق : المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، ص ١٢ .

٢ - تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٦٥

٣ - الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٩ .

٤ - المعجب ، ص ٢٤٥ .

٥ - المجمل في تاريخ الأندلس ، ص ٦٦ .

يلاحظ مما تقدم أن انصار النسبة الطالبيه لم يغفلوا عن ادخال ادريس ضمن سلسلة نسبه وهى ايماءة ذكية ، فالنسب الطالبي يكسبه احتراما كبيرا في نظر الرعيه ٠ "١"

ويأتي ابن أبي زرع ، وابن الخطيب ، وابن أبي دينار على رأس المنكرين لنسبته الطالبيه "٢" ٠ويرى السيد عبد العزيز سالم "٣" أنه لم يكن اسمه الأصلي هذا ، وانما كان له اسم مختلف استبدله باسم محمد بعد عودته من المشرق تيمنا باسم الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم رأى أن يكون اسم أبيه عبد الله ، ولم يكن اسمه الحقيقي ، اذ كان يسمى تومرت بن وجليد ،

ويذكر البعض الآخر أن اسم تومرت هو اسم احدى جدات المهدى غلب على نسبه ، وكان جده لابيه يسمى وجليد ، وجده لأمه يسمى واركن وهى اسماء بربرية بحته ٠ "٤"

والذى يرجح هو أن تومرت ليس اسما لوالد المهدى او اسما لاحدى جداته ، وانما هو لقب أطلقته أم المهدى عليه لسرورها به عند مولده ، فيذكر أنه عندما ولد قالت أمه باللسان البربرى ((آتومرت آينو آيسك آييوى)) ومعناها يافرحتي بك يابنى ، وكانت اذا سئلت عنه وهو صغير تقول : ((ياك ياك تومرت)) أى صار فرحا وسرورا فغلب عليه اسم تومرت "٥" ٠

وكما أختلف في حقيقة نسبه أختلف أيضا في سنة ميلاده ٠ الا أن هناك اجماعا على أن مولده كان في الثلث الأخير من القرن الخامس الهجرى / الحادى [illegible] قرية [illegible] ببلاد [illegible]

---

١ ــ محمد ولد داداه : مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول الى انتصاف القرن السابع دراسة في التاريخ السياسي ،ص ١٣٤ ٠

٢ ــ روض القرطاس ،ص ١٧٢ ــ اعمال الأعلام ،ص ٣ ، ص ٢٦٦ ــ المؤنس ص ١١١ ٠

٣ ــ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٩ ، حاشية رقم ١ ٠

٤ ــ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ،ص ٧٦٩ ــ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ،ص ٢٦٠ ــ محمد عبد الله عنان : تراجم أندلسيه ، ص ٢٣٧ ٠

٥ ــ البيذق : المقتبس من كتاب الأنساب ، ص ٢٦ ــ ٢٧ ٠

عشر الميلادى "١" في قرية جبلية تسمى ايجلى "٢" ، بجبال الأطلس ببلاد السوس بالمغرب الأقصى . "٣"

وينتمي ابن تومرت الى قبيلة تسمى هرغة "٤" من قوم يعرفون بايسرغنيين (وهم الشرفاء بلسان المصامدة) "٥" وهرغه هى احدى بطون قبيلة مصموده صاحبة المال والسطوه ، والمنتشره بالمغرب الأقصى . "٦"

ولم تمدنا المصادر التى بين أيدينا بمعلومات مفصلة عن أسرته وبيئته الأولى التي نشأ فيها والتي لو وجدت لساعدتنا على حصر العوامل المؤثرة في شخصيته ، وتفسير بعض تصرفاته ، وتشير بعض المصادر الى أن والده كان زعيما لقبيلته الا أن ابن تومرت نشأ فقيرا "٧" ، ولم يمنعه ذلك من الجد والمثابرة في طلب العلم حتى أنه لقب بعدة ألقاب تشهد له بالجد منها : أمغار "٨" ـ (التي تعني باللسان البربرى الشيخ) ، وآسافو (التي تعني الضياء لكثرة

---

١ ـ يحدده الزركشي (تاريخ الدولتين ، ص ٤) بعام ٤٩١ هـ ، ويحدده السلاوى (الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٣٦) وابن خلكان (وفيات الأعيان ج ٥ ، ص ٥٣) وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٥٥) بعام ٤٨٥ هـ .

٢ ـ ايجلي أو ايكلي : وهى قاعدة بلاد السوس الأقصى ، وهى خصبة في سهل من الأرض على نهر كبير ، ويعمل بها النحاس الذى كان يصدر الى بلاد السودان ، انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٣ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٤ ـ تحتل المنطقة الممتده جنوب مدينة مراكش ، ويقال أن اسم القبيلة البربرى هوارغن ثم حرف الى هرغه انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٦ ، حاشية رقم ١ .

٥ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٦ ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الأسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٢٩٢ ـ عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٤٤ ـ ٤٦ .

٧ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٢ ـ عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

٨ ـ ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٤٧٣ ، حاشية رقم ١ ـ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٧٠ .

ما كان يسرج من القناديل في المساجد) "١" ، وكان قارئا للقرآن متظاهـرا بالزهد والتقشف والتشبه بالصالحين "٢" . كما يذكر عنه أنه كان منقبضا عن الناس "٣" مما أتاح له فرصة للتأمل والتفكير في أوضاع عشيرته التي تخفي بين ضلوعها نارا تتأجج ضد لمتونة وحلفائها "٤" ، وأتاح له ذلك أيضا فرصة طيبة للدرس والمطالعه .

لقد كان ابن تومرت يشعر بشعور قبيلته الأم مصموده التي كانت تعاني من ضنك حكم المرابطين ، ولعله فكر في أقصر طريق يمكن أن يخلص بواسطته قومه من سلطان المرابطين ، ومن المرجح أنه أخذ يتفحص أحوال دولة المرابطين ليجد له منفذا ينفذ من خلاله ليعمل على الاطاحة بها فوجدها ما زالت في أوج مجدها السياسي ، والعسكرى ، والحضارى ، وتقوم بتحكيم الشرع ، عندها ادرك أن أى ثورة ستقوم ضدها سيكون مصيرها الفشل اذا لم يكن لديها مبررات أقوى من الأسس التي قامت عليها دولة المرابطين .

وأخذ ابن تومرت يبحث عن السبيل الذى يوصله الى تحقيق طموحاته وبالتالي طموحات قومه فوجد ضالته عن طريق ادعاء المهديه ، ولكن المهمة لم تكن سهله ، ولا بد له من أن يعد نفسه لهذه الدعوه .

فبعد أن درس القرآن الكريم في قريته الجبلية وحصل بعض العلوم البسيطه جاز الى الأندلس في عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م أو عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م ، وأخذ

---

١ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٥ .
٢ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٦١ — ابن خلكان / المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٦ — الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٠٧
٣ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٦ .
٤ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٣ — ١١٤ .

عن مشاهير علمائها "١" ، واطلع على عيون المؤلفات هناك ، ولا بد أنه قرأ مؤلفات ابن حزم "٢" خاصة كتاب "الفصل في الملل والاهواء والنحل" الذى ركز فيه على قضية اهتم بها ابن تومرت فيما بعد وهى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . "٣"

ولم تسد العلوم الأندلسية نهم وتعطش ابن تومرت للمعرفه ، خاصة أنه كان يعد نفسه ليكون داعيا فيما بعد ، فلا بد له من علم الكلام ، والجدل الذى كان محذورا في المغرب والأندلس ، ويعد من يشتغل بها في نظر المرابطين كافرا ، ومن ثم رحل الى الحجاز والشام والعراق ومصر "٤" ، وهناك أقبل على دراسة الحديث النبوى الشريف وعلم الأصول متتلمذا على مشاهير العلماء في تلك الأمصار أمثال أبي بكر الشاشي بالعراق "٥" وغيره "٦" .

والمسألة التي تثير النقاش هى لقاء ابن تومرت مع الغزالي ، فقسم يؤكد على أن اللقاء تم فعلا ، ولكنهم يختلفون في مكانه . فذهب فريق بأنه في الشام ، وذهب آخر بأنه في العراق ونقلوا أحاديث دارت بين الرجلين "٧" ، والمتفحص

---

١ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٩ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ — الزركشي : المصدر السابق ، ص ٤ .
٢ — عبد الحميد العبادى : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
٣ — ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٢ ، ق ٤ ، ص ١٧٣ — ١٧٦ .
٤ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٣ — ١٠٤ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٦ .
٥ — أحد أئمة الشافعيه (٤٢٧ — ٥٠٧ هـ) درس بالنظاميه ببغداد . انظر : ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٢ .
٦ — أمثال أبي عبد الله الحضرمي في الشام ، وأبي الوليد الطرطوشي وغيرهم ، انظر : مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٣ — ١٠٤ — القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩١ — الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٣ ، ورقة ١٩٣ — ١٩٤ — ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٨٦ .
٧ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٩ — ٦٠ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

للروايات التي جاءت حول هذه القضيه يلاحظ أن قسط منها جاء بصيغة الشك ،
فمنها مثلا (وقيل أنه لقي "١" ، ولقي فيما زعموا "٢" ، وقيل أنه جرى له
حديث مع الغزالي "٣" . وأخرى يغلب عليها طابع الأسطوره فمثلا يذكر ابن
زرع "٤" أن الغزالي قال عن ابن تومرت : ((... لابد لهذا البربري من دولة
اما أنه يثور بالمغرب الأقصى ويظهر أمره ويعلو سلطانه ... فان ذلك ظاهر
عليه في صفاته وبائن عليه في شمائله ، وردت بذلك الأخبار ودلت عليه العلامات
والآثار)) ، وأن هذه العلامات والآثار موجودة في كتاب يمتلكه الغزالي يسمى
السر المكتون وكشف ما في الدارين . "٥"

والمتأمل للروايات التي تؤكد اللقاء يجد أنها غير مشجعة على الأخذ بها
لأنه يحتمل أن يكون وصوله الى المشرق اثناء وجود الغزالي خارج الشام والعراق ،
فقد عاد الغزالي الى وطنه طوس عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م "٦" .

ولعل جميع الروايات التي نسجت حول هذه القضية من قبل اتباع ابن تومرت
ما هى الا من أجل ربط اسم ابن تومرت باسم أبي حامد الغزالي ليكسب شهرة
ما بعدها شهره .

وتذكر بعض المصادر الموحديه "٧" أن الغزالي دعا على المرابطين سلطان

١ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .
٢ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦ .
٣ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٦٩ .
٤ ـ روض القرطاس : ص ١٧٢
٥ ـ محمد بن تومرت : كتاب محمد بن تومرت ، ص ٣٨ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٦٢ .
٦ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٧ ـ ٢١٩ ـ ابو حامد الغزالي : احياء علوم الدين ، ج ١ ص ج ـ و ـ حيد ربامات : مجالي الأسلام ، ص ٢٤٩ .
٧ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

بقوله : ((ليف هبن عن قليل ملكه وليقتلن ولده ، وما أحسب المتولي لذلك الأمر الا حاضر مجلسنا)) ، وذلك بعد أن أخبره ابن تومرت باحراق كتاب احياء علوم الدين . "١"

والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل تأثر ابن تومرت بمؤلفات الغزالي ؟ لقد حاول الاجابة على هذا السؤال المستشرق جولد سيهر [(فأكد أن التأثير لم يكن كبيرا بحجة أن الغزالي كان ميالا الى الاتجاه التصوفي وابن تومرت لم يكن ميالا لذلك الاتجاه)] "٢" .

ولكن المتفحص لكتاب احياء علوم الدين ، والمتتبع لسلوك ابن تومرت في دعوته لا يجد مناصا من الترجيح بأن ابن تومرت قد تأثر بشكل غير قليل بالغزالي خاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذى أفرد له الغزالي في كتابه الاحياء قسما لا بأس به ، رسم فيه الأسس التي يقوم عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذى اعتبره اهم ركيزة يقوم عليها الاسلام حيث قال : ((فان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم من الدين ...)) كما بين أن من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يقوم باحياء السنة من جديد معززا ذلك بعشرات الآيات والأحاديث والآثار التي توضح أن من مميزات الفئة المؤمنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . "٣"

وتمكن ابن تومرت خلال اقامته في المشرق من اشباع نهمه من العلوم فحفظ كثيرا من الأحاديث النبويه ، ونبغ في العلوم الشرعية ، والعربيه ، والكلاميه ، وخط الرمل "٤" ، وشهد له بذلك كل من ابن الأثير "٥" وابن أبى زرع "٦"

---

١ - سنعرض لقضية احراق كتاب احياء علوم الدين في الفصل الخاص بالحياة الفكريه .

٢ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٦٣ .

٣ - ابو حامد الغزالي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ - ٣١٠ وما بعدها .

٤ - الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٩ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٢ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٦ .

٥ - الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٩

٦ - روض القرطاس ، ص ١٧٣ ، ١٨١ .

والسلاوي "١" وابن خلدون "٢" والمراكشي "٣" .

وتفاعلت هذه الدراسات في نفس ابن تومرت لتجعل منه رجلا مؤهلا للقيام بدعوته في بلاده ، ولكن الطريق صعب وشاق ، لأنه كان يريد هدم اركان دولة المرابطين التي لم تزل في ريعان شبابها . وعلى الرغم من ذلك صمم على المضي من أجل تحقيق هدفه ، وعندها عزم على العودة الى بلاده وبدأ رحلة الاياب في يوم الجمعه أول ربيع الأول من عام ٥١٠ هـ / ١٤ يوليو من عام ١١١٦م "٤" حاملا في ذهنه برنامجا لدعوة ثورية على المرابطين من ضمن نقاطه :ـ

اماتة المنكر ، واحياء العلوم ، واخماد البدع عن طريق الوعظ والارشاد والمناظرة تارة ، وأخرى عن طريق تغييرها باليد "٥" . واتخذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة لتحقيق برنامجه ، وطريقا لجمع الأتباع واظهار مفاسد المرابطين .

وخلال مروره بمكة المكرمة لأداء فريضة الحج وقف بالحجيج خطيبا معلنا ثورته على سوء الأوضاع في الدولة الفاطمية التي كان حكامها غارقين في الملذات وحياة الترف في الوقت الذي كان فيه الصليبيون ينتهكون حرمات المسلمين في بلاد الشام . وبعد الانتهاء من خطبته بادر شريف مكه ابو فليته القاسم محمد ابن جعفر الموالي للفاطميين . "٦"

---

١ ـ الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

٢ ـ تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٦

٣ ـ المعجب ، ص ٢٤٧ .

٤ ـ محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٣٨ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٣ ـ ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص١١١ـ السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ ـ ١٣٥ ـ عبد العزيز الملزوزي : نظم السلوك في تاريخ الأنبياء والخلفاء والملوك ، ورقة ٥٠ أ .

٥ ـ سعد عبد الحميد : محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس ، ص ١٥ ـ ١٦ .

٦ ـ انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمه في التاريخ الاسلامي ، ص ٣١ ـ احمد السباعي : تاريخ مكه ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

باعتقاله ، ولما تيقن من عدم وجود اتباع له أفرج عنه فرحل الى مصر عام ٥١١ هـ / ١١١٦ م "١" . وما أن حل بالعاصمة الفاطميه (القاهره) حتى أخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فطاردته السلطات ففر منها الى الأسكندرية "٢" ، واستمرت ملاحقته هناك حتى قبض عليه وصدر أمر بنفيه الى بلاده في نفس العام . "٣"

وفور وصوله الى مدينة المهديه أخذ بتغيير المنكر فيها ، فكسر جرار الخمر ، وأدوات اللهو ، وأنكر على الناس ما هم عليه من أحوال غريبة عن الأسلام . عندها طلبه صاحب المهديه العزيز بن الناصر علي بن يحيى بن تميم (٥٠٩ — ٥١٥ هـ / ١١١٥ — ١١٢١ م) ، فلما رأى صلاحه أكبره وطلب منه الدعاء "٤" . وما لبث أن غادر المهدية الى بجانة "٥" واستقر في مسجد الريحانه ، فاجتمع عليه الناس واعجبوا به لسعة ثقافته الدينية ، ومعرفته باصول الجدل والفصاحة . وأخذ كعادته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مما

---

١ — سعد عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ١٥ .

٢ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ — سعد عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ١٥ .

٣ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

٤ — البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ١١ ، حاشية رقم ١ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧ — ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٥٠ — الزركشي : المصدر السابق ، ص ٤ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

٥ — مدينة كبيرة ، وهى ميناء تجارى ومركز لصناعة السفن وقد نالت في ذلك الوقت من رقة الحياة قدرا كبيرا مما جعل ابن تومرت ينكر على الناس هذا الترف ، واختلاط النساء بالرجال في الأعياد فأخذ يضربهم بعصاه انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ٨٠ — ٨١ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٧٢ — ٧٧٥ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

أغضب حاكم بجانه يومئذ المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد فاضطر ابن تومرت الى الفرار مذعورا الى ملاله على فرسخ من بجايه ودخل في بني ورياكل من قبائل صنهاجه الذين كانوا يتمتعون بقسط وافر من القوة والمنعه ،فحموه من السلطان الذى يطارده ، واستمر بينهم يلقي دروسه على الطلبة الوافدين عليه . "١"

وفي مدينة ملاله التقى ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي "٢" الذى كان متجها الى الشرق لطلب العلم برفقة عمه يعلو فاستطاع أن يصرفه عن وجهته ويقنعه بملازمته بعد أن أخبره بحقيقة ما ينوى القيام به "٣" فبايعه على مؤازرته في الشدة والرخاء والأمن والخوف . "٤"

---

١ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ـ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧ ـ الزركشي : المصدر السابق ، ص ٤ ـ ٥ .

٢ ـ ينتمي الى قبيلة كوميه ، ولد في قرية تاجرا من اعمال مدينة تلمسان في الثلث الاخير من القرن الخامس الهجرى ، كان مقبلا على العلم اقبالا شديدا ، وقد حظي عند ابن تومرت بمكانة مرموقة وسماه صاحب الوقت واختصه بفرس أخضر وتوفى في ٢٧ جمادى الثاني عام ٥٥٨ هـ بعد أن تولى خلافة الموحدين ٣٣ سنه انظر : البيذق : المقتبس من كتاب الأنساب ، ص ١٣ ، ١٧ ، ٣٠ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ـ ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧١ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

٣ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ـ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٧٤ ـ ٧٧٥ .

٤ ـ محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٣٩ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٣ ـ ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١١ ـ ١١٢ .

ونسجت حول لقاء الرجلين رواية يغلب عليها طابع الخيال والدعاية من أجل ترسيخ مكانتهما في نفوس الأتباع ، فالرواية تقول أن الدلائل والاشارات كانت تبشر بقرب ظهور عبد المؤمن الذى على يديه يتحقق النصر ، وأن صفاته موجودة في كتاب يمتلكه ابن تومرت يسمى الجفر "١" ، وأنه رأى فيه أنه لا يتم هذا الأمر الا على يد رجل هجاء اسمه (ع بد م و م ن) ويجاوز وقته المائة الخامسة وتستمر الرواية في سرد قصة اللقاء الأسطوريه بينهما وكيف استطاع ابن تومرت أن يتعرف على عبد المؤمن ويبشر به قبل قدومه . "٢"

ومن المرجح أن الأمر لم يكن يتعدى أن طلبة تلمسان لما توفى شيخهم عبد السلام التوانسي ندبوا زميلهم عبد المؤمن للذهاب الى المشرق بقصد استقدام شيخ جديد لهم ، فالتقى عبد المؤمن بابن تومرت وتعرف عليه ، وبدلا من أن يعود به الى

---

١ — أصله أن هارون بن سعيد العجلي رأس الزيديه كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، يذكر أن فيه علم ما سيقع لأهل البيت عموما وبعض الأشخاص منهم على الخصوص ، وكان مكتوبا عند جعفر الصادق على جلد ثور صغير فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد فصار الاسم علما لهذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير باطني للقرآن . على أى حال فالقرآن يبطل زعمهم بأن الجفر فيه علم الغيب فقد قال سبحانه وتعالى : (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون) النحل آيه ، ٦٥ ، انظر : ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ — ١٤١ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٨ — ١٣٩ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٩١ ، حاشية رقم ١ .

٢ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧ — ٤٨ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ومن الجدير بالذكر أن ابن تومرت لم يكن اول من قام بعملية الاستدلال بالحروف ، فيظهر أنه أخذها عن بعض الفرق الباطنية خلال اقامته في المشرق ، فقد كانت الباطنية تهتم اهتماما كبيرا في هذه الأمور مما دعا الغزالى الى مناقشة هذه القضية باسهاب في كتابه الذى خصصه لفضائح الباطنيه حيث اثبت زيف الادعاءات التي تقوم على اساس الاستدلال بالحروف والأرقام . انظر : أبو حامد الغزالى : فضائح الباطنية ص ٦٦ — ٧٠ .

تلمسان ليأخذ عنه هو ورفاقه العلم رافقه الى جبال المصامده بأقصى المغرب ليبث معه الدعوة ويتولى بعده الملك . "١"

ويستفاد من الروايات التي تتحدث عن احلام عبد المؤمن ، والتي تدور حول العظمه والسلطه "٢" ، بأن الرجل كان يحدث نفسه بالخروج على السلطان ولكن هذه الفكره كانت في طور التكوين وباجتماعه مع ابن تومرت نضجت هذه الفكرة ، ومن ثم أخذا يعملان سويا من أجل تقويض اركان دولة المرابطين .

ومن الذين انضموا الى ابن تومرت ولعبوا دورا هاما في دعوته عبد الله الونشريشي "٣" الذي كان على درجة كبيرة من الثقافه . وقد اتفق معه ابن تومرت على أن يتستر على ما هو عليه من العلم والفصاحة عن الناس ، ويظهر العجز والغباء والتعرى من الفضائل ما يشتهر به عند الناس على أن يداوم على أخذ العلم في السر ثم يفصح عن ذلك دفعة واحدة عندما يطلب منه المهدى ذلك فيكون بمثابة المعجزه فيصدقه الناس ويزداد ايمانهم بدعوته . فقام الونشريشي بذلك أحسن قيام . "٤"

ورحل ابن تومرت مع مجموعة من طلبته من بجانه الى فاس ، واستمر في القاء دروسه فيها حتى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠م "٥" . وكان خلال هذه المدة

---

١ — البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٥ ، حاشية رقم ١ .
٢ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٩
٣ — : نسبة الى نشريش ، وهو ابو محمد عبد الله بن محسن بن يكنيمان بن الحسن بن الحسين ، من أهل العشره كان قائدا للموحدين في البحيره في ٢ جمادى الأولى ٥٢٤ هـ / السبت ١٢ ابريل ١١٣٠م انظر : البيذق : المقتبس من كتاب الأنساب ، ص ٢٣ — ٢٤ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
٤ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٨ .
٥ — محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٣٩ — ٤٠ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

ملتزما ببرنامجه الذى وضعه لنفسه والذى كان من ضمن نقاطه العمل على تقريب اشخاص من ذوى القوة الجسمانية قليلي التجربة ، اضافة لاستمراره فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما أفضى الى طرده من فاس ، فتوجه الى مراكش "١" مقر حكم المرابطين • وخلال رحلته اليها كان ينبه عبد المؤمن بن علي للمواقع ذات الأهمية الأستراتيجية "٢" ويدل ذلك على أنه كان يخطط لحروب طويلة الأمد ضد المرابطين •

ودخل ابن تومرت مدينة مراكش فى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠م "٣" في زى الزهاد وعلى عادته خرج مع تلاميذه الى اسواق مراكش يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر دون اذن أمير المسلمين أو اذن أحد قضاته أو وزرائه ، لأنه شاهد في مراكش من المفاسد ما لم يره في مدينة ثانيه "٤" وصدف أن رأى أخت أمير المسلمين علي المسماة (الصوره) حاسرة قناعها على عادة قومها فوبخها فشكته الى أخيها ثم توجه ابن تومرت الى مسجد علي بن يوسف في صلاة الجمعه "٥" فوجد أمير

---

١ - محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ - البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٢١ - ٢٦ - المراكشي : المصدر السابق ص ٢٥١

٢ - البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٢١ - ٢٢ •

٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ - البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٢٤ - ٢٥ - محمد عبد الله عنان : تراجم اندلسيه ، ص ٢٤٤ •

٤ - الكتبي : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ورقة ١٩٣ - ١٩٤ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٢ ، ص ١٤٨ •

٥ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ - ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ ويذكر فليب حتي (تاريخ العرب مطول ، ج ٢ ، ص ٦٤٩) أن التعرض للصورة كان في مدينة فاس •

المسلمين جالسا وحوله الوزراء وقوفا فاستنكر عليهم ذلك وعاب عليهم لبس النقاب "١" وخاطب عليا قائلا : ((الخلافة لله وليس لك ياعلي بن يوسف)) "٢" .

ولما كثر نشاط ابن تومرت في مدينة مراكش خاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والطعن في أمير المسلمين علي بن يوسف "٣" استدعاه علي للاطلاع على حقيقة أمره . فلما حضر بين يديه استطاع ابن تومرت أن يقنعه بأنه زاهد وليس له أي مطمع دنيوي ، وانما يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتفشي المفاسد والبدع في ملك أمير المسلمين الذي هو مكلف بازالتها ، والعمل على احياء السنة ، وكان يتحدث باسلوب مؤثر وقع في نفس أمير المسلمين فذرفت دموعه على وجنتيه . "٤"

ولم تمنع فصاحة واسلوب ابن تومرت المؤثر أمير المسلمين علي بن يوسف عن خطورة دعوته فدعا العلماء من كل صوب لمناظرته لمعرفة حقيقة هذا الرجل ، فان كان على حق اتبع وان كان على جهل أدب . "٥"

وكانت المناظرة فرصة لا تعوض لابن تومرت ، لأنها ستتيح له ابراز ما لديه من علم ، واظهار علماء مراكش بمظهر العاجزين امام سطوع حجته وفصاحته . وهي أيضا وسيلة دعائية ممتازة لدعوته لأن ما ستسفر عنه ستتناقله الألسن ، وستطير أخبار هذه المناظرة ونتيجتها في الآفاق ، فهي بحق بطاقة تعريف جيده لداعية مغمور . وسيدفع الفضول كثيرين من الحضور وأفراد الرعية الى مقابلة الداعية الجديد للاستفسار عن حقيقة دعوته ، وعن بعض القضايا التي أثيرت في المناقشة مما يتيح له فرصة ممتازه لتوضيح فكره ، وهذا ما يسعى اليه لضم اعداد جديده

---

١ — البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٧ — الزركشي : المصدر السابق ص ٤ — ٥ .

٢ — سعيد عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ١٨

٣ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٧ .

٤ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٤ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٢ .

٥ — البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٧ — محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٣٩ — ٤١ .

الى صفوفه .

وقبل بدء المناظرة في مجلس أمير المسلمين علي الغاص بالعلماء والأعيان ، قدم علماء الدولة المرابطيه — الذين كانوا يجهلون علم الأصول والجدال — عنهم قاضي المريه محمد بن أسود ليمثلهم في هذه المناظره .

وأخذ ابن تومرت يسخر كل كلمة في المناظرة لتصوير فساد الأوضاع في الدولة المرابطيه ، فأوضح أن الخمور تباع جهارا نهارا ، وأن الخنازير تمشي في الشوارع ، وأن أموال اليتامى تؤكل ، وبين أن الذى يتحمل المسؤوليه هم حاشية أمير المسلمين لاخفائهم تلك الأوضاع عنه . "١"

وبعد أن كشف عن سوء الأوضاع أراد أن يثبت عجز علماء مراكش عن مجاراته في العلم ، فطرح عليهم بعض الاسئلة التى لم يستطيعوا الاجابة عليها . فلما رأى عجزهم عن الاجابة بدأ يوضح لهم ما عجزوا عنه باسلوب أخاذ ، سخر له كل ثقافته وفصاحته ، وهكذا انتهت المناظرة لصالح ابن تومرت . "٢"

وادركت حاشية أمير المسلمين علي خطورة هذه الشخصية التي فاقتهم علما ، ووصمتهم وصمة عار لا تمحى عندما أظهرهم بمظهر العاجزين ، فتدارسوا أمرهم ، وأجمعوا على وصفه بالحمق ، وأنه انسان خارجي ، صاحب جدل ، واذا بقي في المدينة أفسد عقائد أهلها "٣" . ولكن الذى ادرك هدف ابن تومرت البعيد ، وعرف أنه ليس طالب آخره ، وانما هو طالب سلطان . الفقيه

---

١ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٨ — ٥٠ .

٢ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٤ — ١٧٥ .

٣ — ابن الخطيب : إعمال الاعلام : ق ٣ ، ص ٢٦٦ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

مالك بن وهيب الأندلسي "١" الذى أشار بقتله ليكتفى شره ، لأنه اذا وقع في بلاد المصامده ألبهم على المرابطين "٢" ، ولكن وزير علي بن يوسف ينتان بن عمر ، وسير بن وريبل ، أقنعا أمير المسلمين علي بن يوسف بعدم الأخذ برأى مالك بن وهيب ، وكانت حجتهما أنه كيف يقتل أو يسجن رجل هو أعرف أهل الارض بالله . "٣"

وألح مالك بن وهيب على أمير المسلمين بتخليده بالسجن اذا لم يقتله ، وقال له : ((أجعل عليه كبلا كي لا تسمع له طبلا)) فوافقه على ذلك "٤" . وحال ينتان مرة ثانية دون الأخذ برأى مالك بن وهيب والذى خاطب أمير المسلمين قائلا : ((يا أمير المسلمين هذا وهن في حق الملك أن تلتفت لهذا الرجل الضعيف فخلي سبيله أنه رجل لا يملك سد جوعه "٥")) . وحركت كلمات ينتان عزة نفس أمير المسلمين فاستصغر شأنه وأمر باطلاق سراحه على شرط أن يخرج من بلاد أمير المسلمين ليقضي الله أمرا كان مفعولا . "٦"

ولجأ ابن تومرت الى مقبرة ابن حيدوس ، بالقرب من مراكش وبنى فيها

[illegible]

---

١ ـ كان فقيها فيلسوفا مشاركا في جميع العلوم له كتاب سماه ((قراظة الذهب في ذكر لئام العرب)) وله تحقيق من اجزاء في الفلسفة ، انظر : المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥١ ـ البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٢٧ ، حاشية رقم ٣٢ .

٢ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٤ .

٣ ـ البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٢٨ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

٤ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٤ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٧ ـ البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٢٧ ـ ٢٨ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

٥ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

٦ ـ البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٢٨ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ج ٥ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

خيمته "١" . وكان اختيارا موفقا يدل على ذكاء خارق ، فهو ايماءة لأمير المسلمين بأنه رجل يريد الآخرة فيقطع بذلك دابر كل وشاية عليه من قبل المناوئين له . كما أن أختيار هذا المكان سيدفع الكثير من الفضوليين الى القدوم اليه للاستفسار عن أحوال هذا العابد الذى نبذ الحياة وزخرفها وارتضى الحياة بين الأموات فيبث أفكاره بينهم فمن أقتنع ضمه اليه .

والمقبرة من ناحية أخرى مكان مناسب وهادئ ، وبعيد عن الأعين ، فيتحدث هناك بما يشاء الى تلاميذه ، وفعلا توافد عليه الطلاب حتى كثر جمعه . "٢"

وفى هذه المقبرة بدأت المرحلة الثانية من مراحل دعوة ابن تومرت . فالمرحلة الأولى كانت دعائية اعلاميه بالدرجة الأولى ، أما هذه المرحلة الثانية فهى مرحلة التنظيم من أجل الخروج على المرابطين ، فقد التفت حوله الجموع التى امتلأت قلوبها بمحبته ، وأعلم الخواص منهم بمقصده . "٣"

وأراد ابن تومرت أن يبدأ معركته بالطعن في عقيدة المرابطين فرماهم بالتجسيم "٤" وأوضح لأتباعه بأن غزوهم أوجب من غزو النصارى والمجوس ، وسمى اتباعه بالموحدين ، وهم المؤمنون حقا لأنهم يوحدون الله وينزهونه عن كل تشبيه له بالخلق على خلاف أصحاب التشبيه والتجسيم . "٥"

---

١ — البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٢٨ .

٢ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

٣ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٢ .

٤ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧١ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١١ — ١١٢ .

٥ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٥ — التجسيم : تشبيه الله بخلقه وهذا مخالف لمذهب السلف فقد قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : ((لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث)) .

انظر : محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطيه لشيخ الاسلام ابن تيميه ، ص ٢١ .

ولما سمع أمير المسلمين بتحركات ابن تومرت أرسل اليه من يذكره بشرطه عليه عندما أخرجه من السجن وهو أن يخرج من بلاده • فرد ابن تومرت على الرسول بأنه مع الموتى وليس في بلد أمير المسلمين • وبعد أن تأكد أمير المسلمين من نوايا ابن تومرت قرر قتله ، ولكنه نجا بواسطة احد تلاميذه الذي أخبره بالأمر قبل تنفيذه • "١"

وتشير بعض الروايات أن وزير علي بن يوسف ينتان كان يتردد على ابن تومرت في المقبره لما شعر أن أمير المسلمين مصر على طرده ، فكان يرجوه بأن يرحل ، ومما قال له : ((يافقيه سر حيث شئت وأمرك لله ولا تجعلنا نهلك بين يديك)) "٢" •

لقد جاء موقف أمير المسلمين الحازم من ابن تومرت متأخرا ، بعد أن اشتد عوده ولم يعد بتلك اللقمة السائغة التي يمكن ابتلاعها بسهولة • فقد التف حوله ما يزيد على ألف وخمسمائة من المؤمنين بدعوته ، وأصبح اقصاؤه عن البلاد لقتل حركته اجراء لا يجدي • "٣"

وعندما ايقن ابن تومرت أن أمير المسلمين جاد في طلبه لقتله ، غادر مراكش الى أغمات "٤" • ولكن مقامه فيها لم يطل لأن أهلها اتصلوا بأمير المسلمين مخبرين بوجوده بين ظهرانيهم "٥" ، عندما هرب الى جبل ايجليز "٦" من بلاد هرغة

---

١ ـ عبد الحميد العبادي : المرجع السابق ، ص ١٦٧ •

٢ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٦ ـ السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ •

٣ ـ البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٨ ـ ٢٩ ـ ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٢ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٥ •

٤ ـ تقع بالقرب من مراكش ، وتشتهر بوفرة مياهها وبساتينها ، وبها قبر المعتمد ابن عباد انظر : ابن الخطيب : معيار الأختيار في ذكر المعاهد والديار ، ص ١٦٤ حاشية رقم ١٠٦ •

٥ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠١ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ •

٦ ـ جبل عند مدخل مراكش ارتفاعه ٥٢٧ م ، وقد سمي في الكتابات الموحديه =

بين أهله وعشيرته . "١"

وكان اختياره لهذا الموقع اختيارا موفقا ، لوقوعه على مدخل مدينة مراكش فمن طريقة يتمكن من أن يلتقي بالداخلين والخارجين منها ، ليستطلع أخبارها ليعرف ما يعده أمير المسلمين من تجهيزات للايقاع به ، هذا علاوة على وجوده في منعة وقوة بين قومه .

ويظهر أيضا أن هذا الجبل كان مزارا للجهلاء من البربر لوجود بعض الخلوات لعدد من الزهاد أمثال أبي العباس السبتي "٢" . ومن المرجح أنه كان يستغل زيارة تلك الجموع لهؤلاء الزهاد لبث دعوته بينهم ، فكانوا لا يجدون بدا أمام رجل مثل ابن تومرت من تصديق دعوته فالتفوا حوله بأعداد كبيرة ، مبالغين في تعظيمه الى حد أنه لو أمر أحدهم بقتل أخيه أو ابنه لما تردد . "٣"

ولما رأى ابن تومرت اقبال البربر على دعوته بدأ بتنظيم الجبل ، وقام ببناء رباط للعبادة لبث أفكاره بين الوافدين عليه ، وليكون منطلقا لارسال البعثات الى القبائل . "٤"

= باسم الجبلين أو جبل الجبلين وهو وعر صعب المسالك ، انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٨ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام : ق ٣ ، ص ٢٧٠ ، حاشية .

١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٧

٢ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧٠ ، حاشية رقم ١ .

٣ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

٤ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠١ - ١٠٢ - السلاوى : المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٣٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٩ .

ولعل انشغال أمير المسلمين في هذا الوقت بثورة قرطبه التي خرج لاخمادها عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م قد اتاح لابن تومرت فترة من الأمن والطمأنينه ، فذاع صيته وتسامعت به القبائل في الجبل وخارجه . "١"

وبعد عودة أمير المسلمين من الأندلس انزعج من أخبار ابن تومرت ، فاتصل بعامله على السوس أبي بكر بن محمد اللمتونى ليعمل على قتل ابن تومرت ، الا أنه فشل في تحقيق هذا الهدف . "٢"

ولم تبهر ابن تومرت كثرة الواردين عليه والمؤيدين له ، بل استمر في استكمال جميع نقاط برنامج دعوته التي ترمي في نهاية الأمر الى اعلان مهديته ، والشروع في محاربة دولة المرابطين حتى اسقاطها . ولكن هذه الجموع المتدفقه عليه اعطته ضوءا أخضرا ليسير في الخطوة التاليه وهى اعلان مهديته ، فأخذ يهيىء الناس لاستقبال هذا الحدث ، ويشوق من حوله بقرب ظهور المهدى المنتظر مستشهدا بالأحاديث المتعلقة بهذه المسأله ، ويقوم بشرحها وتحليلها للناس لترسخ في عقولهم وتكون محور اهتمامهم . "٣" —

وأخذ ابن تومرت يبث دعاته المخلصين بين القبائل بعد أن أوصاهم باتباع اسلوب اللين والمداراة مع من سيدعونه "٤" ، لأن اسلوب العنف الذى كان مجديا في الحواضر الكبرى أمثال : فاس ، ومراكش ، والمهديه ، لا يجدى عند القبائل ذات الأنفة وعزة النفس ، والتى لا تبالي بمقابلة العنف بالعنف ، فهم بحاجة لمداراة ورفق لكسبهم .

---

١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠١ — ١٠٢ .
٢ — الزركشي : المصدر السابق ، ص ٥-٦ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٩ .
٣ — حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ١٧٧ — ١٧٨ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٦٥ .
٤ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٦٤ — ٦٥ .

وهذه الخطوة ان دلت على شيء انما تدل على دهاء وقدرة ابن تومرت الذى كان خبيرا بطبائع الجماعات التي يبث بينها دعوته ، فكان يتخذ لكل فئة اسلوبا مناسبا لها ، لعلمه أن الأمزجه والعادات تختلف باختلاف البيئات ، وهذا لا يفطن اليه الا من أوتى حظا وافرا من الفطنة والدهاء .

ونجح دعاة ابن تومرت في تشويق الكثير من افراد القبائل للرحيل الى ابن تومرت عن طريق وصفهم لاخلاقه وسجاياه فكان يتلقفهم ابن تومرت ويضمهم الى صفوفه . "١"

ورسخ دعاة ابن تومرت في أذهان القبائل بأن الفساد والظلم والجور ، لا تزال الا بالمهدى لذا فالايمان به واجب ، ومن يشك فيه فهو كافر ، وأن هذا الوقت وقته وأنه سيفتح المشرق والمغرب ، ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا . "٢"

ولما اقتنع ابن تومرت بأن جهوده قد أثمرت ، وأن نفوس اتباعه قد تشربت بفكرة المهديه ، قرر أن يعلن بأنه هو المهدى المنتظر . فبعد أن جمع أصحابه قام فيهم خطيبا موضحا لهم ان جميع صفات المهدى متوفره فيه "٣" ، فبادر اليه العشره الملازمين له "٤" فبايعوه على الوقوف بجانبه في العسر واليسر ، وتتابع بعد ذلك عليه البربر مبايعين على نصرته وبذل مهجهم دونه ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدى القائم بأمر الله ، وكان قبل ذلك يلقب ...ب

---

١ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٦ — ١٧٧ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

٢ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ — حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ١٧٧ — ١٧٨ .

٣ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٦٥ — ٦٦ .

٤ — وهم الونشويشى ، وعبد الله بن ملويات ، وابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي ، وابو حفص عمر بن علي أصناك ، وسليمان بن مخلوف ، وابراهيم بن اسماعيل الخزرجي ، وابو محمد عبد الواحد الحضرمي ، وابو عمران تماري ، وأبو يحيى بن يكيت ، والبيذق ، انظر : محمد عبد الله عنان : عهد المرابطين =

بالامـــام ، "١"

واختلفت المصادر في تحديد تاريخ ومكان هذه البيعه (٢) ، ولعـل ذلك عائد الى أن ابن تومرت كان مطاردا من قبل السلطات المرابطية مما جعلـه يختفي في بعض الظروف في أماكن متعدده .

ويرجح أن البيعة تمت في جبل ايجليز "٣" في عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤م ، وهو العام الذى انتقل فيه الى تينمل ، لأنه لا يعقل ان يعلن مهديته فور وصولـه الى ايجليز بل الأمر كان يحتاج الى وقت ، وهذا ما حدث فعلا اذا استمر يـروج هو ودعاته لهذه الفكرة فلما تقبلها القوم أعلن مهديته .

وبنجاح ابن تومرت في لباس قناع المهديه يكون قد حقق خطوة عظيمة فـي سبيل نجاح دعوته . فمنذ ان فكر في الخروج على دولة المرابطين كان يصـارح بعض المقربين بحقيقة نواياه ، وتسعفنا بعض المصادر ببعض الاشارات الـتي تؤكد أنه منذ اللحظات الأولى كان يخطط ليتقنع بقناع المهديه . فتعبر لنـا أصدق تعبير بعض أبيات كان قد قالها قبل خروجه بالمغرب عما كان يجول فـي

= والموحدين ، ص ١٧٤ وذكر المراكشي (المصدر السابق) ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢ ، والزركشي (المصدر السابق ، ص ٦) وابن خلدون : (تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠) وابن الخطيب : (أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩) اسماء أخرى .

١ ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٠ ـ تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧٠ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧١ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٩١ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٧ ـ ١٠٩ .

٢ ـ البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٣٤ ـ ابن الخطيب : اعمال ـ الأعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٩ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٦ ـ الزركشي : المصدر السابق ، ص ٦ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ١٩١ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٩ ـ ٤٧١ .

٣ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٨ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧١ .

نفسه ، وما كان يسعى ويخطط للوصول اليه حيث قال :—

انی وفي النفس اشياء مخبـــأة — لألبسن لها درعا وجلبابـــا

كيما أطهر دين الله من دنـــس — وأوجب الفضل للسادات ايجابا

تالله لوظفرت كفي بمطلبهـــا — ما كنت عن ضرب اعناق الورى آبي "١"

وأخذ ابن تومرت بعد مبايعته بالمهدية ينظم جبهته الداخلية بعنايـــة فائقه ، فقسم اتباعه الى طبقات حسب أسبقيتهم الى بيعته ، وسمى الأتباع بشكل عام بالموحدين تعريضا بالمرابطين الذين عدلوا عن التأويل ومالوا للتجسيم . "٢"

وبعد أن فرغ من تثبيت الركائز اللازمة لدولته المستقبليه رأى أنه من غيـــر المناسب بقاءه في جبل ايجليز لقربه من العاصمة المرابطيه فانتقل الى تينمل "٣" في قلب جبال الأطلس الكبير عام ٥١٨ / ١١٢٤م واتخذها قاعدة لدولته الناشئه ، وقد بقي فيها حتى وفاته عام ٥٢٤ هـ / ١١٢٩م . "٤"

---

١ — العماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

٢ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٩ — ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧١ — ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧١ — وعن طبقات الموحدين انظر : البيذق : المقتبس من كتاب الأنساب ، ص ٣٢ — ٣٥ — المراكشي : المصدر السـابق ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ، ٤٢٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٧ — ١٠٩ — ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧٦ .

٣ — جبل يمتاز بحصانته ، فالطريق اليه صعب وطويل ، وله قدرة على مقاومـــة الحصار الطويل لتوفر الثمار والزروع ، انظر : ابن الأثير : المصـــدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧٢ — ٥٧٣ — ابن أبي زرع : المصـــدر السابق ، ص ١٧٨ — ١٧٩ — مؤلف مجهول : المصدر السـابق ، ص ١١٢ — ١١٣ .

٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٨ — ابـــن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧٠ .

ومن مقره الجديد شدد من حملته الاعلاميه على المرابطين واصفا اياهـم بأقذع الأوصاف . ولم يجد أمير المسلمين افضل من الحسام لاخماد نار تلك الحمله ، فوجه اليه وزيره ينتان بن عمر على رأس جيش كبير للقضاء عليه . "١"

وتعيين ينتان قائدا لأول حملة توجه ضد ابن تومرت تحمل أكثر من معنى . فقد رأينا في الصفحات السابقة كيف وقف ينتان بجانب ابن تومرت وحال دون قتلـه أو تخليده في السجن ، فلعلهما عندما يلتقيان تعمل خيوط المودة عملهـا فتضع الحرب أوزارها ، وتحقن دماء المسلمين ويعود ابن تومرت الى حضيرة دولـة المرابطين . ويمكن الافتراض أن امير المسلمين علي بن يوسف اراد من ذلـك التأكد من ولاء ينتان اليه ، فالركون الى وزير يكن العطف والود الى عدو الدولة اللدود أمر خطير جدا له تأثير على سير الأحداث .

على أي حال التقى ينتان بجيشه مع ابن تومرت في منطقة يقال لها تاودرت "٢" ولما انتظمت الجيوش فزع اتباع ابن تومرت لمرأى جيش ينتان فهدأ ابن تومرت روعهم ، وبشرهم بالنصر ، وما هي الا برهة من الوقت حتى انسحب ينتان بجيشه الى مراكش . "٣"

---

١ ـ ابن الخطيب : الأحاطه ، ج ١ ، حاشية رقم ٢ ـ محمد بن تومرت: المصدر السابق ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٦ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١١ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٨٢ ـ عبد اللـه علام : المرجع السابق ، ص ٧٢ ـ ٧٤ ـ سعد عبد الحميـد : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

٢ ـ مدينة بناها المرابطون بالجنوب وهي تنسب الى قبيلة كانت تسكنها تسمى تاودا ، انظر : عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٧٦ ، حاشيه .

٣ ـ البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٣٥ .

ويظهر أن ينتان عندما رأى اصرار صديقه ابن تومرت على القتال ، وتنكره لأياديه البيضاء عليه آثر الانسحاب — ولعله اراد من هذه الخطوة اطلاع علي بن يوسف على الموقف ، أو أنه لم تكن لديه أوامر بالقتال ، ولعله أقدم على هذا العمل اعتمادا على اجتهاد شخصي ، وهذا ليس غريبا عليه ، فقد كان صاحب اراء في بعض الأحيان لأمير المسلمين نفسه ، ولحاشيته . واستغل ابن تومرت هذه الفرصة ، وأخذ يروج بين اتباعه بأن عمل ينتان لم يكن انسحابا وانما كان هروبا وهذه منة منها الله عليهم . "١"

وعندما رأى أمير المسلمين علي بن يوسف تعاظم خطر ابن تومرت أخذ يرسل الحملات تلو الحملات لاستئصال شأفته ولكن جميعها كان مصيره الفشل والهزيمة ، ومن هذه الحملات حملة أبي اسحاق ابراهيم الذى وجهه اليه على رأس جيش كبير ولكنه انهزم امام ابن تومرت دون قتال وتعقبتهم القوات الموحديه وقتلت اعدادا كبيره منهم وغنموا حملتهم . وقد اغتم أمير المسلمين لهزيمة جيشه ، وبادر بارسال حملة اخرى بقيادة الامير سير بن فزدلي اللمتوني الذى أضاف هو أيضا هزيمة الى سجل الهزائم المرابطيه على يد الموحدين . "٢"

والذى يستوقف الباحث هو كثرة هزائم المرابطين على يد الموحدين على الرغم من أن قادة جيوش المرابطين كانوا من أفضل قادة الدوله ، وفي الوقت الذى كانت فيه الجيوش المرابطيه تصد أعتى وأقوى الجيوش النصرانيه في الأندلس ، وتعيث بين الفينة والفينة في أحواز طليطلة وتتجاوزها في بعض الأحيان نحو الشمال والشرق والغرب .

---

١ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٧٦ — ٧٧ .

٢ — مؤلف مجهول : المصدر ، ص ١١٠ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٧٩ .

يبدو أن هناك عدة عوامل اسهمت في صنع هذه الهزائم ، منها الاستراتيجية العسكرية التي اتبعها ابن تومرت في قتاله مع المرابطين ، وقد ساعدته وعورة ارضه على عدم مواجهة اعداد كبيرة من جيوش المرابطين دفعة واحدة . كما أن الجيوش المهاجمة عادة تحتاج الى وقت للتأقلم مع ساحة المعركة الجديدة ، بينما كان ابن تومرت واتباعه يقاتلون على ارض خبروها وعرفوا مسالكها ، وهذا عامل مهم من عوامل نصر الجيوش . والأهم من ذلك أن أتباع ابن تومرت كانوا يقاتلون بمعنويات عاليه بعد أن بايعوا ابن تومرت على أنه المهدى في الوقت الذى كانت فيه معنويات الجند المرابطي منهاره ، فكانوا ينهزمون دون قتال لغلبة التردد عليهم وعدم وضوح الهدف . فالجندى المرابطي كان في حيرة فهو يقاتل مسلمين من ابناء جلدته ، وهو يسمع كل يوم بأن القبائل تتوافد على ابن تومرت وتبايعه ، بعد ما شاعت الأخبار عما يتمتع به من علم وزهد وتقشف وانه هو المهدى . كل هذه الأمور كانت تجعل الجندى المرابطي مضطرب النفس متردداً في اقدامه على قتال ابن تومرت ولذلك كان يفضل الفرار على الصدام .

وزدادت ثقة ابن تومرت بنفسه بعد تحقيقه تلك الانتصارات ، فبادر بارسال رسالة الى المرابطين يعرض عليهم الدخول في طاعته والا القتال مهددا ومتوعدا من عدم الانقياد له ، ومما جاء فيها : ((الى القوم الذين استزلهم الشيطان ، وغضب عليهم الرحمن ، الفئة الباغية ، والشرذمة الطاغية اللمتونية أما بعد : فقد أمرناكم بما نأمر به انفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته ، وأن الدنيا مخلوقه للفناء ، والجنة لمن اتقى ، والعذاب لمن عصى ، وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة فان اديتموها كنتم في عافية والا فنستعين بالله على قتالكم حتى نمحو أثاركم ونهدم دياركم ، وحتى يرجع العامر خاليا والجديد باليا ، وكتابنا هذا اليكم اعذار وانذار ، وقد أعذر من أنذر والسلام عليكم سلام السنة لا سلام الرضى)) "١" .

---

١ ــ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١١ .

وتعتبر هذه الرسالة مؤشرا على انتقال ابن تومرت من دور الدفاع الى دور الهجوم ، وقد ارتكزت استراتيجيته في هذه المرحله على استنزاف قوى الدولة المرابطيه باستخدام اسلوب حرب العصابات وتجنب الدخول معها في معارك فاصله . فأخذت جيوش ابن تومرت تروح وتغدو على محلات المرابطين القريبة من مقره مكبده اياها خسائر فادحه ، وبلغت الجرأة بها أنها أخذت تراوح مراكش مقر حكم المرابطين . "١"

---

١ - يذكر البيذق تسع غزوات لابن تومرت : الأولى المسماه تاودارات والتي انسحب فيها ينتان . والثانيه كانت جيوش المرابطين بقيادة سليمان ابن يكلد وابن أبي فراس وعبد الرحمن قاضي السوس ويانسو وفيها دارت الدائرة على المرابطين . والثالثه دارة في موقع يقال له تالات آن ميزك وفيها هزم المرابطون أيضا ، والرابعه كان المرابطون بقيادة يانو وآكدى بن موسى ، وكان الموحدون بقيادة عبد المؤمن وانتصر فيها الموحدون . والخامسة كان قائد الموحدين فيها المهدى نفسه ، وكان المرابطون بقيادة عمر بن ديان ، وجرح المهدى فيها ، ولكن الدائرة في النهايه دارت على المرابطين وكان ذلك في موقع يقال له آنسا آن يطاديدن . وحدثت السادسه في مكان يقال له تيفنوت ، وكان المرابطون بقيادة أبي بكر بن علي وكان النصر فيها حليف المرابطين . ثم حدثت موقعة نفسكوره ، وأخرى في تزاكورت وانتصر فيها الموحدون ، واستطاعوا في عام ٥١٧ هـ الاستيلاء على قلعة تاسفيموت والتى حملت ابوابها الى تينمل ، عن هذه الغزوات انظر : البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٣٥ - ٣٩ ، ٩١ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧٠ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٩ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٣ - عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

وقبل أن يعطي ابن تومرت الأمر لجيوشه بالانقضاض على المرابطين للاستيلاء على عاصمتهم مراكش أراد ان يظهر صفوفه من بعض الاشخاص الذين يشك في ولائهم له . فأوعز في عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م لصديقه الحميم الونشريشي — الذى كان يظهر البلاهة بينما هو عالم من مشاهير العلماء ، أن يظهر ما لديه من علم دفعة واحدة ليكون ذلك بمثابة المعجزة لابن تومرت .

وكان الونشريشي باتفاق مع ابن تومرت قد حفظ اسماء من شعر أنهم يشكون في مهدية ابن تومرت ، وكان ايضا ابن تومرت قد طلب من القبائل تزويده — باسماء المشاغبين عندهم فدفعها الى الونشريشي فحفظها .

وبعد صلاة الفجر تقدم الونشريشي (البشير) وأعلن أنه جاءه البارحة ملكان وشقا قلبه وغسلاه وحشواه علما وحكمه ، فاختبره القوم فعجبوا من شدة حفظه ثم شهد لابن تومرت بالمهديه . ثم قال اعرض علي أصحابك حتى أميز أهل الجنة من أهل النار ، وقد انزل الله تعالى ملائكته الى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي . وكان المهدى قد وضع فيها رجالا لهذا الغرض فسار المهدى وأتباعه الى ذلك البئر ، وبعد ان صلى على رأسها قال : ((يا ملائكة الله ان عبد الله الونشريشى قد زعم كيت وكيت)) فقال من فيها : صدق ، فصدقه الناس ، ثم امر بطمر البئر بحجة انها مقدسة . وواضح أن طمره للبئر كان بسبب خوفه من أن يفضحوا أمره مما سيكون له اسوأ الأثر على دعوته وكشف زيفها .

ونادى ابن تومرت في أهل الجبل للحضور للتمييز ، وأخذ الونشريشي يعمد الى الرجال الذين يخاف من ناحيتهم ويضعهم على يساره فيقول هؤلاء من أهل النار ويضع الى يمينه الغمر "١" ، فيقول هذا من أهل الجنه . ثم أمر القبائل بقتل الأفراد الذين قيل أنهم من أهل النار وكان عددهم حسب بعض

---

١ — الغمر : هو غير المجرب ، انظر : الزمخشري : اساس البلاغه ، ص ٦٨٦ مادة (غمر) — الأزهري : تهذيب اللغه ، ج ٨ ، ص ١٢٩ .

الروايات سبعين ألفا ، فلما فرغ من ذلك أمن ابن تومرت على نفسه واصحابه واستقام أمره . "١"

وعلم ابن تومرت ان الباقين من أهل وأقارب المقتولين لا تطيب قلوبهم بذلك ، فجمعهم وبشرهم بانتقال مراكش اليهم واغتنام أموال المرابطين ، فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم "٢" ، ثم ندبهم لقتال المرابطين قائلا : ((أقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا المرابطين فادعوهم الى اماتة المنكر واحياء المعروف وازالة البدع ، والاقرار بالامام المهدى المعصوم فان أجابوكم فهم اخوانكم لهم مالكم وعليهم ما عليكم وان لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت السنة قتالهم)) "٣".

وبدأ ابن تومرت يرسل جيوشه وطلائعه لمهاجمة معاقل المرابطين فوصلت عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م الى اسوار مراكش "٤" ، ويظهر أنه منذ هذا التاريخ تحول موقف المرابطين من الهجوم الى الدفاع . فيذكر ابن عذارى "٥" أنه في هذه السنه أمر أمير المسلمين علي بن يوسف ببناء المراصد بقرب مراكش ، وأن تسد الطرق التي ينزل منها أتباع المهدى الى الأوطيه .

وذكر لنا البيذق "٦" اسماء عدد كبير من الحصون ، وكأن لسان حاله يقول أنه على الرغم من هذه التحصينات فقد انتصرنا عليهم .

---

١ — عن التمييز انظر : ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٩ — ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧٤ — ٥٧٦ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٤ — ابن خلكان : المصدر السابق ج ٥ ، ص ٥٢ — ٥٣ — البيذق : اخبار المهدى بن تومرت ، ص ٣٩ — محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٨٣ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

٢ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٣ .

٣ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ — ٢٦١ .

٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٥ .

٥ — البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٧٥ .

٦ — أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٩١ — ٩٣ .

وبعد سلسلة من الحملات الناجحة التي قام بها ابن تومرت على معاقل المرابطين اراد أن يحسم الأمر باسقاط عاصمة المرابطين مراكش • وتضطرب الروايات حول تحديد تاريخ هذا الزحف ، وسبب ذلك يعود الى أن المعركة الفاصلة بين الطرفين جاءت بعد سلسلة معارك داميه • فالوصول الى اسوار مراكش لم يتم بسهولة بل كلف الموحدين اختراق كل الخطوط الدفاعيه التي أقامها المرابطون وحصنوها بالقلاع • على أى حال صمم ابن تومرت على القضاء على المرابطين باسقاط عاصمتهم مراكش ، فأخذ يستدعي القبائل الى تينملل ليحشدهم ويوجههم الى ذلك الهدف المنشود •

وأخذت القبائل تتوافد على ابن تومرت وهى في غاية الاستعداد ، وتجمع منهم نحو اربعين ألفا منهم الفرسان والغالب منهم رجّاله ، وقدم عليهم الونشريشي ووجههم نحو مراكش "١" ، فبدأوا بالزحف نحوها عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧م "٢" • وقبل وصولهم الى اسوار مراكش خاضوا معارك عديدة مع المرابطين كانت جميعها لصالحهم • "٣"

وضرب الموحدون الحصار حول مدينة مراكش مدة اربعين يوما على أرجح الروايات "٤" • وطوال فترة الحصار كانت تدور رحى معارك ضارية بين المرابطين

---

١ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٤

٢ ـ ابن عذارى : نفس المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٥ • يذكر المراكشي (المعجب ، ص ٢٥٩) ان بداية الزحف كان عام ٥١٧ هـ ولكن هذا مجانب للصواب لأنه بدأ بعد عام التمييز ٥١٩ هـ •

٣ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٤ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٣ ـ ٨٤ ـ البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٤٤ ـ الزركشي : المصدر السابق ، ص ٦ ـ ٧ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ •

٤ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٦ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٤ •

المدافعين عن عاصمتهم والموحدين الذين كانوا يتمتعون بروح معنوية عالية لكثرة انتصاراتهم على المرابطين . "١"

ومن المعارك الحاسمة التي دارت خلال فترة الحصار الموقعة التي خرج فيها أمير المسلمين علي بن يوسف لفك الحصار عن عاصمته ولكنه لم يوفق وتشتت شمل جيشه ، وفرت مجموعة من جنده عندما لم تسعها ابواب مراكش لشدة مطاردة الموحدين لها حتى وصلوا وادى ام الربيع ، ولما عادوا عاقبهم أمير المسلمين بحلق لحاهم ومثل بهم حتى يكونوا عبرة لبقية جنده . "٢"

أنه لمن الخزى والعار أن يبقى أمير المسلمين مع جنده محصورين داخل اسوار مراكش ، وهذا ما كان يحز في نفس القائد عبد الله بن همشك الذى كان مع اصحابه الأندلسيين المئه محصورا داخل المدينه ، فخاطب أمير المسلمين علي قائلا ((ما نصير الا بالمقام تحت الحصار)) . فأوضح اليه أمير المسلمين أن قتال المصامده ليس مثل قتال النصارى ، فأكد اليه ابن همشك بأنه يعرفهم لوجود نخبة منهم في الأندلس ، وبين لأمير المسلمين أنه ما زال يملك العدد الكافي من الجند وخاصة الرماة ، وأن البقاء على هذا الحال لا يكون الا مع قلة العدد ، ثم عرض رغبته عليه بأن يعطيه ثلاثمائه فارس ليخرج بهم فسمح له . وقبل خوضه للمعركه اراد أن يعدل اسلحة جنده لتتلاءم مع طبيعة المعركة القبله ، فرأى أن يقصروا رماحهم ، ثم برز للموحدين فما انتصف النهار حتى دخل بثلاثمائة رأس من رؤوس المصامده فارتفعت معنويات الجند وصمموا على تخليص مدينتهم من الحصار . "٣"

---

١ - مؤلف مجهول : ص ١١٤ - ١١٥ .
٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٥ - ٧٦ .
٣ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٤ - ١١٥ .

وطير أمير المسلمين علي بن يوسف رسائله الى سائر ولاته وقواده طالبا المدد والعون ، فجاءت اليه النجدات من كل صوب ، وكان اعظمها القادم من سجلماسه بقيادة واليها وانودين بن سير . وخرج علي بن يوسف من المدينة وانضمت اليه النجدات ، وقدم ابو محمد بن سير قائدا عاما للقوات المرابطية ، وقيل قدم الزبير بن علي بن يوسف . "١"

وقبل بدء القتال دارت أحاديث بين الطرفين الغرض الأساسي منها تحطيم نفسية الخصم قبل مقارعته بالسنان . فبادر الموحدون بارسال رسالة الى المرابطين يطلبون منهم الاعتراف بمهدية ابن تومرت والانصياع اليه ، فرد أمير المسلمين عليهم محذرا اياهم من عاقبة مفارقة الجماعة ، وهكذا لم يستجب أي طرف للآخر .

وأخذ الونشريشي القائد العام للقوات الموحديه وعبد المؤمن امام الصلاة لهم ينظمان القوات الموحديه لخوض المعركة الفاصلة . وما هى الا مدة وجيزة حتى اشتبك الطرفان في معركة مروعة استمرت من الصباح حتى الغروب قتل فيها في بداية النهار الونشريشي ، فخلفه عبد المؤمن في قيادة الجيش . ولما رأى المصامده كثرة المرابطين وقوتهم اسندوا ظهورهم الى بستان هناك ، والبستان عندهم يسمى البحيره "٢" ، وما أن جن الليل حتى قتل معظم المصامدة ففر عبد المؤمن

---

١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٨٨ .

٢ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٣ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧٦ - ٥٧٧ - ويذكر ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٨٧ ، أن قائد الموحدين عبد الله التومرتي .

بنفر يسير لا يتجاوز الاربعمائة ما بين فارس وراجل . وبعد انتهاء المعركه بحث الموحدون عن جثة الونشريشي بين جثث القتلى فلم يعثروا عليها لأن عبد المؤمن كان قد واراها فورا فأشاعوا فيما بينهم أنه رفع الى السماء . "١"

وتابع عبد المؤمن مع من نجا من القتل سيره نحو تينملل . وعندما وصل الى هيلانه "٢" استعاد انفاسه وحشد حشوده واعاد الكرة على مراكش فهزم — أيضا وقتل من اتباعه نحوا من اثني عشر الفا فعاد أدراجه مع خمسين رجلا من اتباعه الى تينملل "٣" . وكان البيذق قد سبق عبد المؤمن الى ابن تومرت وأخبره بخبر الفاجعة التي حلت بهم في البحيره ، فسأله ابن تومرت عن عبد المؤمن فقال هو حي ، فرد معزيا الأمرباق ، وأوصاهم بعدم الجزع . "٤"

---

١ — عن وقعة البحيره ، انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٥ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام : ق ٣ ، ص ٢٦٨ حاشية رقم ٥ — البيذق : اخبار المهدى بن تومرت ، ص ٣٠ — الذهبي : تاريخ دول الأسلام ، ورقة ١٤٤ ا — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٦ — الزركشي : المصدر السابق ، ص ٦ — ٧ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧١ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٣ — ابن الاثير : المصدر السابق : ج ١٠ ، ص ٥٧٦ — ٥٧٧ — وقد اختلف في تاريخ هذه الموقعة فيذكر ابن أبي زرع :(المصدر السابق ، ص ١٧٩) انها حدثت في رجب عام ٥٢٤ هـ / يونيو — يوليو ١١٣٠م . وهناك من يحددها بيوم السبت ٢ جمادى الأولى عام ٥٢٤ هـ / ١١ ابريل ١١٣٠م . انظر : الزركشي : المصدر السابق ، ص ٦ — ٧ — البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ص ٣٩ — ٤٠ — ولم يصرح ابن أبي زرع وابن أبي دينار بنتيجة هذه الموقعة واكتفوا بالقول : ((ورجعوا الى تينملل فخرج المهدي الى لقائهم)) .

٢ — اسم قبيلة بربريه كانت تسكن بالقرب من مراكش وقد بنيت مراكش على الحدود بينهما وبين قبيلة هزميره انظر : البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٧٠ ، حاشية رقم ١٥٤ .

٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٦ .

٤ — البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٣٩ — ٤١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٦ .

واستثمر المرابطون فوزهم في البحيره وأسرعوا بارسال أربعة جيوش بقيادة أربعة من مشاهير قوادهم وهم : سير بن وازيل ، ومسعود بن ورتيغ ، ويحيى ابن سيز ، ويحيى بن كانجان الى تينملل للقضاء على الموحدين في معقلهم الحصين. وتقابل الطرفان بموقع يقال له ايكرمتاع بني كوربيت ، الا أنه لم يحدث قتال بينهما . ويعلل البيذق "١" ذلك بأن المرابطين قد حلت في قلوبهم الرهبة من جموع الموحدين التي تدفقت عليهم النجدات من هنتانة وكنفيسة ومزاله فرجعوا الى مراكش .

وعلى الرغم من ذلك فقد ترددت أصداء هزيمة البحيرة بين قبائل الموحدين فزلزلت ثقتهم بابن تومرت ، فالمهدى مؤيد من السماء فكيف يهزم من كان خليفة الله .. وترتب على هذا التساؤل اعادة النظر في عقيدة المهدى وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها ابن تومرت لاقناعهم بأن قتلاهم في الجنه . "٢" فقد بقيت رواسب الشك في مهديته تساور نفوسهم . عندها لجأ ابن تومرت الى اسلوب المكر والخداع حتى يعيد الثقه بدعوته وقيادته ومهديته . فاتفق مع مجموعة من اتباعه على أن يدفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وأوصاهم بأن يقولوا اذا سئلوا " قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من مضاعفات الثواب على جهاد لمتونه وعلو الدرجات التي نلنا بالشهادة فجدوا في قتال عدوكم فان ما دعاكم اليه الامام المهدى صاحبكم حق " ، ووعدهم اذا نفذوا ذلك بأن يخرجهم ويجعل لهم منزلة رفيعه . ولما ذهب اكثر الليل اجتمع بأشياخ الموحدين وأوضح لهم بأنهم حزب الله وانصار دينه وطالبهم بالجد في قتال اعدائهم ، وطلب منهم

---

١ ــ أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٣٩ ــ ٤١ .

٢ ــ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ ــ ٢٦١ .

ان كانوا في شك مما يقول أن يذهبوا سويا الى قبور قتلاهم في معاركهم مع المرابطين ليحدثوهم بما لقوا من خير ونعيم ، وذهب معهم الى مكان احدى المعارك التي نشبت مع المرابطين وسقط فيها عدد كبير من الموحدين ، والتي يوجد فيها ذلك النفر الذين دفنهم احياء ولقنهم ما يقولون . ولما وصل رفع صوته في المقبرة قائلا : يامعشر الشهداء خبرونا ما لقيتم من الله عز وجل . فقالوا : وجدنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر ، اضافة لما لقنهم اياه ابن تومرت ، عندها ذهل الناس وعادت ثقتهم بالمهدى ، وبدلا من أن يخرج المدفونين قام باغلاق المنافس التي كان قد تركها لهم فماتوا من فورهم ، لأنه خشي أن يخرجوا فيذيعون سره فيفتضح أمره فتكون كارثة عليه . "١"

ورأى ابن تومرت في قرارة نفسه ان الهزائم التي منيت بها قواته ما هي الا نذير شؤم للاطاحة بكل مخططاته التي سخر حياته من أجلها ليقيم دولته المنشوده ، فتفاعلت هذه الأحداث في نفسه لتورثه المرض الذى أودى بحياته بعد فترة وجيزه . .

وتكاد تجمع معظم المصادر على أن وفاته كانت عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م "٢" . وتذكر المصادر الموحدية أنه لما شعر بدنو أجله استدعى أصحابه المسمين بالجماعة ، وأهل الخمسين ، فلما حضروا أخذ يعظهم واعدا اياهم بالنصر على المرابطين ، ومحذرا اياهم من الفرقة والتناحر ، وأمر عليهم عبد المؤمن ، وطلب منهم السمع والطاعه له ما دام مطيعا لربه . "٣"

---

١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٨٢ — محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٥١ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٨٨ — الذهبي : تاريخ دول الأسلام ، ورقة ج٤ ١٤٤ أ .

٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٤ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٧ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٨ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٨ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٣ .

٣ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٦٢ — ٢٦٣ .

بهذه المواعظ ودع ابن تومرت أصحابه معلما اياهم بأنه راحل الى ربه في هذه السنه . ولما اشتد عليه مرضه قدم عبد المؤمن بن علي للصلاة "١" - وأمره باخفاء وفاته حتى تجتمع كلمة الموحدين على أمير ، وان يتكفل بغسله ودفنه بجامع تينملل . "٢"

وعند ما توفي ابن تومرت كفنه عبد المؤمن بن علي وصلي عليه ، ودفنه سرا بمسجده كما أوصاه ، وقد كتم اصحابه وفاته مدة ثلاثة اعوام ولم يعلنوها الا في عام ٥٢٧هـ/١١٣٢م بعد ان اتفقت كلمتهم على عبد المؤمن بن علي . "٣"

وهكذا انتهت حياة ابن تومرت ومصير دعوته مجهول بسبب ما حاق بأتباعه من هزيمة نكراء في موقعة البحيرة ، ولكنه قد نجح في ترسيخ دعوته في قلوب اتباعه حتى صدقوه وآمنوا بمهديته ، واطاعوه ولو في قتل ابنائهم ، وهذا ما حصل فعلا في عملية التمييز التي تقشعر لهولها الأبدان حيث قتلت كل قبيلة بعض فلذات أكبادها دون تردد أو حيره .

لقد كان ابن تومرت شخصية فريده في التاريخ لما امتاز به من صفات المكر والدهاء واستغلاله كل الفرص ، واستخدامه كل الاساليب من اجل تحقيق حلمه باقامة دولة يكون هو زعيما ومرشدا روحيا لها ، وليدفع بقبيلته مصمودة الى مركز الصدارة بعد ان سلبتها لمتونه ذلك الشرف .

واجتمعت في شخصية ابن تومرت سفات قلما تجتمع في شخصية قيادية في ذلك الوقت . فقد كان على قسط وافر من العلم ، وقد ساعده ذلك على

---

١ - ابن ابي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٣ - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٩ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

٢ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧٠ - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

٣ - البيذق : اخبار المهدى بن تومرت ، ص ٤٣ - الزركشي : المصدر السابق ، ص ٧ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٧ - عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٠٠ - ١٠٥ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٨١ .

الأستفاده من كل الأفكار المطروحه في العالم الاسلامي لينتقي منها ما يلائم دعوته الجديده ويساعد على تقوية مركزه بين اتباعه . كما مكنه تكوينه العلمي من أن يرد على أي انتقاد او اتهام يوجه ضده من قبل الخصوم ، يساعده في ذلك فصاحة لسان وسطوع حجة وسحر بيان يأخذ الألباب . وبذلك جمع القلوب حوله وأملى عليها ما يريد من فكر فانقادت له مبهورة بأسلوبه وسعة علمه .

ومن حسن الموافقات التى حظي بها ابن تومرت أنه الفى مجتمعا ساذجا جاهلا عشعشت في ذهنه الأساطير والخرافات حتى عاد غريبا عن منهل الاسلام الصافي ، فعلى الرغم من الجهود الكبيره للمرابطين لافهام هؤلاء أمور دينهم فقد بقي قطاع كبير منهم متمسكا بعلائق الجاهلية مما أوقعه فريسة سهلة لمخططات ابن تومرت فأملا عليهم تعاليمه البعيدة كل البعد عن عقيدة السلف الصالح فتقبلوها دون نقد أو تمحيص ، وقدموا ارواحهم دفاعا عنها بعد أن أوهمهم أنه المهدى المنتظر الذى يملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا .

ومن افتراءات ابن تومرت أنه ادعي أنه مأمور بنوع من الوحي والالهام "١" ، وأن من لا يؤمن بمهديته فهو كافر ، وألف لهم عقيدة أوجب حفظها على اتباعه "٢" ، وأحدث في آذان الصبح " أصبح ولله الحمد " ، وتطاول وادعى أنه يعلم الغيب ."٣"

---

١ ـ السلاوى : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٨ .

٢ ـ من أشهر المؤلفات التي وضعها لاتباعه : المرشده ، والموطأ ، والقواعد ، وأعز ما يطلب ، وغيرها ، انظر : محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٤٦٦ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .

٣ ـ الزركشي : المصدر السابق ، ص ٧ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٢١٦ ، وعن عقيدته انظر: ابو شامه : مجموعة الرسائل ، ص ٤٥ ـ ٦٢ .

ان دعوة تقوم على الخداع والزيف وتذكيها العصبية القبلية لا يمكن ان تستمر فترة طويلة دون اكتشاف حقيقتها • لقد وصفه بحق لفيف من المؤرخين بأنه منتحل ومبتدع ، وانبرى له شيخ الاسلام ابن تيمية يهدم عقيدته ودعوته الفاسده فألف كتابا خاصا في الرد على كتابه المرشده • "١"

واكبر دليل على فساد عقيدته وزيف مهديته أنه ما كاد يمضي على وفاته قرن من الزمان حتى خرج احد خلفائه الملقب بالمأمون "٢" على الملأ معلنا في مدينة مراكش من فوق منبر مسجدها بطلان عقيدة المهدى بن تومرت لارتكازها على الزيف والخداع ، كما اسقط اسمه من السكة ومن الخطبه ، وقال لا ندعوه بالمهدى ، وكتب بذلك الى الآفاق "٣" • وبناء على هذا الاعلان حذف اسم "المهدى" من السكة الموحدية واستعيض عنه بـ (القرآن حجة الله) في المركز ، وفي الهامش نقش اسم خليفة الموحدين المأمون • "٤"

لقد أوحى ابن تومرت للعامة السذج بأن حركته حركة اصلاحية جاءت في وقت بدأت فيه الدولة المرابطية تنحرف عن قواعد الشريعة الاسلامية ، فتزعم حركة

---

١ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٧ ، ٤٧١ـ٤٧٢ـ
محمد المنتصر الكتاني : الغزالي والمغرب ، ص ٧١٤ —
ابن تيميه : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ، ج ١١ ، ص ٤٩٢ •

٢ — هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (ت٦٣٠ هـ) انظر : ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، حاشية رقم ١ ، ص ١٢٧ •

٣ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ٢١٦ — ٢١٧ •

٤ — عبد النبي : مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال افريقيا والاندلس ، ص ١٩١ (دينار رقم ٦٩٠ (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الحضارة في جامعة الملك عبد العزيز — مكة المكرمة — لم تطبع) •

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم تدرج في دعوته حتى وصل في نهاية الأمر الى ادعاء المهديه والى رمي المرابطين بالكفر ، وان قتالهم أولى من قتال اليهود والنصارى والمجوس .

وبدأ ابن تومرت يعمل على هدم اركان دولة المرابطين ، تلك الدولة التي قامت على تعاليم الاسلام النقيه ، واتخذت من جهاد النصارى في الاندلس هدفا اسمى لوجودها ، فما أفزعهم من مقر حكمهم في مراكش الى الأندلس سوى الغيرة على الاسلام عندما أخذت معاقل المسلمين تتهاوى تحت مطارق الفونسو السادس وبذلك أخروا سقوط الأندلس بيد النصارى عدة قرون .

ولكن ما أن بدأت ثورة المهدى بن تومرت حتى أخذت تشغلهم بعض الشيء عن واجبهم المقدس في الأندلس ، فأخذ أمير المسلمين يستصرخ قواده العظام من الأندلس أمثال تاشفين بن علي لمقارعة الموحدين ، وأدى ذلك الى ازدياد ضغط النصارى على المسلمين في الأندلس ، وبدأوا يلتهمون المدن الأندلسيه الواحد تلو الأخرى في هذا الوقت استطاع ابن تومرت بواسطة المؤمنين بمهديته أن يطيحوا بدولة المرابطين ، فأثلج ذلك قلوب النصارى الذين ادركوا أن الخلاص من الوجود الاسلامي في الأندلس أضحى وشيكا .

الحرب بين المرابطين والموحدين (٥٢٤ ـ ٥٣٧ هـ / ١١٢٩ ـ ١١٤٢م)

كما رأينا في الصفحات السابقة توفي ابن تومرت وشبح الانحلال والاندثار يهدد كل مبادئه التي افنى حياته من أجل بلورتها ضمن جماعته . فهزيمة البحيرة كانت بمثابة الاختبار العسير لتلك الدعوه ، فكل بيت كان فيه بكاء وعويل ، ومن نجا منها راعه هول المصيبة ، وأخذت تساوره شكوك وشكوك في عقيدة المهدى .

في هذه الظروف الحالكه المنذرة بالفتنة تولى عبد المؤمن بن علي قيادة الموحدين فلم يخيب فراسة استاذه ابن تومرت فيه . فقد استطاع عبد المؤمن

ابن علي على امتصاص نقمة القبائل وتخليصها من تلك الشكوك التي تسربت اليها حول صحة عقيدة المهدى مسخرا كل مواهبه ولباقته وقوة شخصيته ، وحسن تصرفه ، في اعادة الصفاء العقدى ، والوحدة التى طالما تمتعوا بها في حياة ابن تومرت . كما استطاع خلال فترة وجيزة أن يعيد تنظيم جيشه استعدادا لمواصلة محاربة المرابطين . ولكنه رأى أن المواجهة المفتوحة مع المرابطين لا تجدى لعدم تكافؤ الطرفين من ناحية العدة والعدد ، اذ أن الموحدين ما زالوا يضمدون جراحات البحيرة ، ومن ثم رأى أن يقتصر في تلك المرحلة على الغارات السريعة الخاطفه على معاقل المرابطين بهدف استنزاف طاقاتهم قبل خوضه معركة حاسمه معهم .

وبدأ عبد المؤمن بن علي حربه الاستنزافيه ضد المرابطين بغزو احدى المحلات الحصينه الواقعة في شرق وادى درعة والمسماه (تادلا) ففتحها وغنم وسبى ما فيها في ربيع أول من عام ٥٢٦ هـ / يناير ١١٣٢م على الرغم من دفاع قائدها يدّر بن ولجوط . "١"

وهناك من يذكر أنه قصد أول ما قصد مدينة مراكش فلما عجز عن دخولها توجه الى تادلا "٢" ، وبعدها توجه الى درعه فاستولى عليها وعلى أحوازها "٣" ، ثم غزا عدة مناطق من بينها بلاد فازاز وبلاد غياثه "٤" ، وفى هذا العام (٥٢٦هـ) نجح أيضا في فتح حصن تاستفيموت وقتل قائده أبا بكر بن وارصول ومن معه

---

١ ـ ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٤ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٨٦ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ص ٢٢٥ .

٢ ـ عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ويذكر الذهبي (تاريخ دول الاسلام ، ج ٤ ، ورقة ١٤٦) أن فتح تادلا كان عام ٥٢٨ هـ .

٣ ـ مدينة تقع في جهة سجلماسه انظر : الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

٤ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١١٤ ، ١٨٦ .

من المرابطين ، كما فتح حصن جلاده ، وحصن همزرجه ، وحصونا متعددة أخرى . "١"

وفي نفس العام أيضا حدث حادث خطير يحمل في طياته مغزى عظيما ومبشرا بقرب أفول نجم المرابطين ، فقد انضم القائد المرابطي المشهور الفلاكي "٢" ومعه طائفة من جنده الى الموحدين ، وكان الفلاكي يقوم بحراسة مخارج جبل درن التي كان يهبط منها الموحدون الى السهل ليعوق سبيلهم ، كما وجه الى السوس لمكافحة الموحدين فجد في قتالهم ، ولما فسد ما بينه وبين أمير المسلمين علي ابن يوسف انضم الى الموحدين ، وأخذ يغير على معاقل المرابطين واستمر على ذلك عدة اعوام ثم تخلى عن طاعة الموحدين . "٣"

وحقق الموحدون في عام ٥٢٨هـ / ١١٣٣م عدة انتصارات على المرابطين ، وفي احداها استطاع (عمر أصناك) قائد الموحدين أن يقتل القائد المرابطي المشهور ابن عائشه "٤" في موضع يقال له تيزي ن الانيات . "٥"

---

١ ــ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٢٢٦ .

٢ ــ وهو من أهل اشبيليه ، كان في بداية أمره قاطع طريق ثم تاب فعفا عنه والي اشبيليه وقدمه على الرماه والرجاله وطار خبره الى علي بن يوسف فاستقدمه الى مراكش وقدمه على فرقة من الجند المرابطي ، انظر : محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

٣ ــ المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .

٤ ــ هو ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ، عرف باسم أمه ، وكان من كبار قادة المرابطين ولي لأخيه علي عدة ولايات في الاندلس والمغرب ، انظر : البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٤٤ ، حاشية رقم ٧٤ .

٥ ــ الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٤٦ ــ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٢٠ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤ .

ويبدوا أنه في هذه السنة ازداد ضغط الموحدين على المرابطين مما حــــدا بأمير المسلمين علي بن يوسف الى استدعاء ولده تاشفين من الأندلس ليقدمه علـــى جيوشه ليتولى مقارعة عبد المؤمن بن علي . "١"

وحدثت بين الطرفين عدة معارك غير حاسمه فيما بين عامي ٥٢٨ و ٥٣١ هـ / ١١٣٣ و ١١٣٦م . وفي عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م توجه عبد المؤمن بـــن علي نحو اراضي (كدميوميه) جنوب غرب تينمل فاعترضه قائد الجيش المرابطـــي الربرتير ( ) "٢" ولم يسفر اللقاء عن نتيجة لصالح أى طرف "٣".

ووقعت عدة صدامات دامية بين الطرفين عندما توجه عبد المؤمن بن علي الـــى حصن تنيلين عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م الذى دافع عنه حاكمه المرابطي يوجيـــن ابن ويدرن حتى هب الربرتير لنجدته فهرب الموحدون نحو الجنوب واستولوا علـــى ايرمناد ميمون وتاسلوات ، ودخلوا تارودانت قاعدة السوس الأدنى ثم استولوا علـــى ايجلي قاعدة بلاد السوس الأقصى ، وأما الربرتير فقد انقض على قرية تيغيغا بيـــن الموحديه وسبى كثيرا من نسائها ومن بينهن زوجة القائد الموحدى يحزى بن مخلـــوف

---

١ ـ عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١١٢ ـ ١١٤ .

٢ ـ قائد قطلوني مشهور ، وأصله من فرسان النبلاء في برشلونه أسرة أمير البحـــر المرابطي علي بن ميمون ز وسيق الى مدينة مراكش ، فدخل في خدمة أميـــر المسلمين علي بن يوسف فجعله قائدا لفرقة الروم (النصارى) المرتزقة الـــتي كانت تعمل في صفوف المرابطين ، وتوفي الربرتير عند تلمسان عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ ـ ١١٤٥م انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ، حاشية رقم ٢ .

٣ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٢٢٩ ـ عبد الله علام : المرجع السابق ص ١٦٤ .

وحملهن الى مراكش ، واستطاع عبد المؤمن بن علي ان يأسر تاموجونت ابنة الوزير ينتان بن عمر مع اربعمائة امرأة أخرى ، وعندما ذكرته ابنة ينتان بضع والدها مع ابن تومرت وكيف شفع له عندما ارادت حاشية أمير المسلمين علي بن يوسف قتله أو سجنه من عليها وعلى زميلاتها بالعتق من الأسر ، فقابل المرابطون الاحسان بالاحسان واطلقوا سراح النساء الموحديات اللواتي وقعن في الأسر . "١"

وفي عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨م جدّ تاشفين بن علي في مطاردة الموحدين ، فضيق عليهم وحاصرهم في جبال غرب تينملل مدة شهرين فخيم شبح الجوع عليهم ، عندها لم يجد عبد المؤمن بن علي مناصا من اصدار اوامره لجنده بالقيام بعملية تعرف في العرف العسكري اليوم بعملية تخليص الأرواح فاندفعوا نحو المرابطين فتناولتهم السيوف المرابطيه من كل مكان ولكن كفتهم رجحت في آخر الأمر بسبب استماتتهم في القتال . "٢"

وازاء ضغط تاشفين بن علي كان لابد لعبد المؤمن بن علي من تغيير خططه و فقرر مغادرة عاصمته تينملل التي أصبحت مهددة من جيوش المرابطين تاركا عليها صهره أبا عمران موسى بن سليمان ، وأخذ يتحرك في المناطق الجبلية ليفوت على تاشفين فرصة القضاء على قواته في معركة مفتوحه في ارض سهليه .

وفي شهر صفر ٥٣٤ هـ / أكتوبر ١١٣٩م خرج في غزوته الطويله التي امتدت الى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦م "٣" وتوغل جهة الشرق من تينملل ، ثم

---

١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .
٢ — المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٠ — ٢٣٢ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١١٤ — ١١٥ .
٣ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

اعتدال وسار في وسط المغرب ، ثم اتجه شمالا ، ثم شرقا متخذا من الجبال بيوتا وحصونا وكان اذا ما انتهى الزاد ارسل الى القبائل بعض السرايا داعية الى التوحيد فان استجابت استعان بمالها ورجالها ، وان أبت اغتصب الموحدون أموالها ومواشيها ووزعوها على أنفسهم . وقد تنبه المرابطون الى خطة الموحدين الجديده فساروا بإزائهم في السهول ، الا أن الموحدين لم يكلوا من مواصلة الكفاح حتى انتصروا . "١"

وعن هذه الغزوه قدم البيذق تفصيلا شافيا بصفته شاهد عيان ومشاركا في الأحداث ، فذكر كل موقع وكل قرية وصل اليها الجيشان المتحاربان ، ووصف المناوشات والمعارك التي حدثت بين الطرفين "٢" . وكانت أغلب تلك المناوشات والمعارك لصالح الموحدين .

في هذه الظروف توفي أمير المسلمين علي بن يوسف في رجب ٥٣٧ هـ / كمدا وغيظا لكثرة هزائم جيوشه "٣" ، وتولى الحكم بعده تاشفين الذى كان متفرغا في حياة والده لقتال الموحدين ، لذلك خف الضغط على الموحدين لانشغال تاشفين عنهم بعض الوقت بشئون الحكم الداخليه وبالمحافظة على هيبة المرابطين في الأندلس .

ومما زاد الأمر سوءا أن النورمان أدركوا حرج الدولة المرابطيه في ذلك الوقت ، ودهموا سبته باسطول يتألف من نحو مائة وخمسين سفينة حربية في عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م ، فتصدى لهم الأسطول المرابطي بقيادة علي بن ميمون وأنزل بهم هزيمة نكراء . "٤"

وفي هذا الوقت أيضا حدث خلاف بين لمتونة ومسوفه من قبائل المرابطين فانضمت مسوفه الى الموحدين . وفي عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م تمكن عبد المؤمن ابن علي من قتل القائد المرابطي الشهير الربرتير ودخل تلمسان . وفي ٢٧ رمضان من نفس العام قتل تاشفين ودخل الموحدون وهران ، وفي ١٤ ذى القعده ٥٤٠ هـ / دخل الموحدون فاس ، وفي ١٨ شوال تمكنوا من دخول مراكش . "٥"

---

١ ــ المرجع السابق نفسه ، ص ١١٦ ــ ١١٧ .
٢ ــ البيذق : اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٥٢ ــ ٦٩ .
٣ ــ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
٤ ــ عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٢٢ ــ ١٢٦ .
٥ ــ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٨٣ ــ ٧٨٦ .

وهكذا نجح الموحدون في اسقاط دولة المرابطين بعد سلسلة طويلة من الصراع المرير استخدم فيه الطرفان مختلف الخطط ضد بعضهما البعض ٠ ولكن خطط الموحدين كانت أحكم من خطط المرابطين ، فقد اعتمد الموحدون اسلوب الحرب الطويله مستخدمين اسلوب حرب العصابات فقضوا على اقتصاديات دولة المرابطين ٠ كما شجع هذا الوضع الأسبان النصارى على تشديد الضغط على المرابطين لتحويل المعركة لصالحهم ٠ وقد صور صاحب الحلل الموشيه ٠ "١" ذلك بقوله :

((وتأججت نار الفتنة بالمغرب ، وبسبب هذه الفتنه اتصلت الحرب ، وغلت الأسعار وتوالت الفتن ، وعم الجدب وقلت المجابي وكثر على أهل الأسلام المحن بالعدوتين ووجه كثير من حماة الأندلس الى العدوه ونقل اليها كثير من أسلحتها وعددها فكان ذلك أعظم فساد حل بالأندلس واختل عليهم وألح النصارى بالضرب على جهات بلاد الأندلس حين علموا عجز الامارة بالمغرب عن الدفاع لما فيه من الفتن حتى تغلبوا على كثير من بلادها ، وكان الاسلام بها عزيزا والكفر مقهورا والجزية مرتفعه منذ ملكها يوسف بن تاشفين الى زمان خروج المهدى فساءت الأحوال وكثرت الشدائد والأهوال ٠)) ٠

---

١ - مؤلف مجهول ، ص ١٢٠ ٠

الباب الثاني

العلاقات السياسية للمرابطين مع العالم الاسلامي

الفصل الأول

العلاقات السياسية للمرابطين مع بني هود في سرقسطه وروطه

الفصل الثاني

العلاقات السياسية للمرابطين مع الدول الاسلاميه في المغرب والمشرق .

ا ـ مع بني زيرى في افريقيه

ب ـ مع الدولة العباسيه

ج ـ مع الدولة الفاطميه

ان دولة باتساع وسلطان دولة المرابطين لابد أن تكون عنصرا فعالا في الاسرة الدوليه التي كانت تعيش بينها فقد ربطتها بكل من دولة بني هود في سرقسطه وروطه ، ودولة آل زيرى في أفريقيه ، والدولة العباسية ، والدولة الفاطمية ، علاقات سياسيه و كانت السفارات والرسائل تتبادل ما بين الدولة المرابطية وهذه الدول .

واتصفت علاقات بني هود بالمرابطين بالود والصفاء طوال عهد يوسف بن تاشفين ، والسنوات الثلاث الأولى من حكم علي بن يوسف حتى اذا بدأوا في التعامل مع ملوك الاسبان النصارى تقدمت الجحافل المرابطيه وأجلوهم عن سرقسطه الى روطة حيث أقاموا فيها دولة محمية بحراب الاسبان النصارى وما هى الا برهة من الوقت حتى تنازل ملك بني هود في روطه سيف الدوله عن هذا المعقل الحصين الى اعداء امته وارتضى لنفسه الخزى والعار ولعنة التاريخ الى الأبد .

ووحدت الاخطار الخارجيه جهود بني زيرى حكام أفريقيه والمرابطين ضد غارات النورمان المتكرره على سواحل افريقيه ، فهب الاسطول المرابطي لنجدة بني زيرى لرد النورمان على أعقابهم بل تعدى الأمر ذلك الى قيام الاسطول المرابطي بغزو النورمان في عقر دارهم .

ولم تسعفنا المصادر بتفاصيل شافيه عن العلاقات المرابطية مع امارة بني حماد في الجزائر ويبدوا أنه كان يغلب عليها طابع عدم الود حتى وفاة علي بن يوسف عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٢م ، ولكن خطر الموحدين وحد جهود الطرفين في عهد تاشفين بن علي بن يوسف . "١"

---

١ — لمزيد من التفاصيل عن نشأة امارة بني حماد ، وتحالفها مع قبائل بني هلال في عهد يوسف بن تاشفين وتآمرهم على هذه الدوله ، وعن تعاونهم مع تاشفين لصد عادية الموحدين انظر : خليل ابراهيم صالح البشير : علاقة المرابطين بالممالك النصرانيه بالأندلس والدول الاسلاميه ، ص ٣٥٤ — ٣٧٠ (رسالة دكتوراه لم تطبع) .

واصطبغت العلاقات المرابطية العباسية بالود والوفاق ، ذلك أن الدولة المرابطيه تبعت من الناحيه الاسميه للخلافة العباسيه ، وأقام المرابطون الخطبة باسم الخليفة العباسي من فوق منابرهم ، كما نقشوا اسمه على عملتهم ..

أما العلاقات المرابطية الفاطمية فقد كان يغلب عليها طابع العداء حتى وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦م وذلك بسبب الخلاف المذهبي ، الا أن الأوضاع السياسية في عهد علي بن يوسف فرضت على هذه العلاقات بين الطرفين بعض التغيير ، اذ نجد احدى الوثائق الجديدة تشير الى ميلها نحو التحسن .

======

الفصل الأول

العلاقات السياسية للمرابطين مع بني هود في سرقسطة وروطه

تعتبر مملكة سرقسطه من أعظم ممالك الطوائف في الأندلس من حيث المساحة التي تشغلها ، وأهمية موقعها وغناها الاقتصادى ودورها الثقافي . ويطلق على هذه الرقعة اسم ولاية الثغر الأعلى التى كانت عاصمتها مدينة سرقسطه التي استمرت عاصمة للمملكة أيضا . "١"

وما زاد في أهمية هذه المملكة انتشار القلاع والحصون في طول البلاد وعرضها "٢" والتي ساعدتها على الصمود فترة طويلة أمام الاسبان النصارى الطامعين في انتهاب اراضيها .

وتمثل مملكة سرقسطه الضوء الاسلامي الساطع في قلب الاراضي النصرانية التي تحدق بها من كل جانب ، فتحدها من الشمال اربع ممالك نصرانيه هي : مملكة قطلونيه ، ومملكة ارغونه ، ومملكة بالبارس (Pallars) ، ومملكة شرطانيه ، أما في الشرق فكانت تتصل حدود مملكة سرقسطة بحدود مملكة نبّره (Navarra) ، وبحدود مملكة ليون كبرى الممالك النصرانيه وأشدها خطرا على مسلمي الاندلس اذ لعب ملكها فرتاندو الأول (٤٢٦ ـ ٤٧٠ هـ / ١٠٣٥ ـ ١٠٦٥ م) وابناؤه من بعده دورا خطيرا في تاريخ الأندلس . "٣"

---

١ ـ عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ، عن أهم المناطق التي تحويها هذه المنطقة أنظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ـ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٥٥ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهره ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ٩٩ .

٢ ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان : ، ج ٣ ، ص ٢١٣ .

٣ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

وقد فرض على مملكة سرقسطة موقعها الخطير بين الممالك النصرانيه المتحفزة للانقضاض عليها اتباع سياسة خاصة تحفظ لها سيادتها واستقلالها ، وتفوت على الذئاب المحيطة بها فرصة الانقضاض عليها ، وأخذها على حين غره ، فقد اتبعت ازاء الممالك الاسبانيه النصرانيه المجاورة لها سياسة تجنح الى السلم في أغلب الأحيان ، والملق والخضوع احيانا في صورة أداء الجزية لتأمن شر جيرانها ، وفتحت ابوابها للمرتزقة الأوربيين ليعملوا في جيوشها ، فقد رحبت بكل قائد طموح فار من بلاده ، ومن أشهر هؤلاء الذين لجأوا اليها السيد القمبيطور . كما لجأت أحيانا الى التحالف مع ملوك النصارى اذا داهمها داهم من أرض المسلمين . "١"

وساعد ابتعاد سرقسطه عن العاصمه التقليدية للاندلس قرطبه ان جعلها فريسة مغريه للطامحين الى السلطه فكثر المنتزون بها غير آبهين بالسلطة المركزية التي كانت تحسب ألف حساب قبل أن توجه جيشا لاخضاع هذا الثائر أو ذاك الذى كان يتخذ من الممالك النصرانيه عضدا له عند الضروره .

في هذه المملكه التي تعتبر بمثابة الخط الدفاعي الأول للممالك الاسلامية في الأندلس ، والتي تمثل أيضا الحاجز الطبيعي ما بين الاراضي الاسلاميه والاراضي النصرانيه "٢" استقل المنذر بن يحيى بن مطرف بن عبد الرحمن بن هاشم التجيبي (٤٠٨ ـ ٤١٤ هـ / ١٠١٧ ـ ١٠٢٣ م) ، واتخذ من سرقسطه عاصمة لامارته ، وتلقب بالمنصور وبقي هو وابناؤه من بعده يحكمونها حتى عام ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م "٣" حيث تمكن أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود المستقل بتطيلة ولارده من أول الفتنه (٤٧٠ هـ / ١٠١٩م) من قتل المنذر بن يحيى معز الدولة (٤٢٠ ـ ٤٣٠ هـ / ١٠٢٩ ـ ١٠٣٩ م) معلنا بذلك انتهاء حكم

---

١ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨٧ .

٢ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

٣ ـ القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

التجيبيين في الثغر الأعلى وقيام مملكة بني هود مكانها عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩م) "١" التي استمرت قائمة حتى سقط آخر معقل من معاقلها ٠ فبسبب سقوطه في عام ٥٢٤ هـ أو ٥٢٥ هـ / ١١٢٩ أو ١١٣٠م ٠ "٢"

وبقيام مملكة بني هود في سرقسطه تبدأ مرحلة جديده من حياة هذه الرقعة من العالم الاسلامي ٠ وقد استطاع بنو هود أن يطلعوا بهذا الدور الخطير في حماية الزاوية الشماليه الشرقيه من الأندلس من الخطر النصراني فترة من الوقت وحالوا دون انسياح النصارى الى الاراضي الاسلاميه ٥ وبفضل ما أنجب بنو هود من امراء اقوياء استطاعوا أن يحافظوا على استقلال مملكتهم امام القوى الطامعه فترة طويله ٠

ـ دولة بني هود في سرقسطه في عام (٤٣٠ ـ ٤٧٨هـ/١٠٣٩ ـ ١٠٨٥م)
==

بعد أن ارتقى أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود (٤٣٠ ـ ٤٣٨ هـ / ١٠٣٩ ـ ١٠٤٦م) عرش سرقسطه "٣" بدأت علاقاته تسوء مع المأمون بن ذى النون صاحب طليطله فاستعان كل واحد منهما على صاحبه بالنصارى الأسبان ٥ وقبل وفاته قسم مملكته بين ابنائه الأربعه "٤" فوقع بذلك في الخطأ التقليدي الذى وقع فيه كثير من ملوك العالم في مختلف فترات التاريخ ٥ اذ خلق بعمله هذا اربع امارات

---

١ ـ المصدر السابق نفسه ٥ ج ٥ ٥ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦ ـ حسين مؤنس : الثغر الاعلى ٥ مج ١١ ٥ ق ٢ ٥ ص ٩٨ ـ ٩٩ ٠

٢ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ٥ مج ١١ ٥ ق ٢ ٥ ص ١١٨ ـ ١١٩ ـ ابن الآبار : الحلة السيراء ٥ ج ٢ ٥ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ٠

٣ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ٥ ج ٤ ٥ ص ٥٤ ـ ٥٥ ـ رزق الله الصدفى ٥ ج ٢ ٥ ص ٧٧ ٠

٤ ـ انفرد ابو جعفر أحمد بسرقسطه وتلقب بعماد الدوله المقتدر بالله ٥ =

متناخره ودارت الحرب ما بين الأخوه واستطاع أحمد الملقب بالمقتدر من التغلب على بقية اخوته ، واستطاع أن يعيد للمملكة وحدتها ، وطارت شهرته حتى أنه عد من أقوى امراء بني هود ، ومن أوسعهم ذكرا ، فقد كان أقدر حكام سرقسطة على التكيف مع وضع امارته فحافظ على استقلاله بالدهاء والحسام ، واصبحت سرقسطه في عهده درة الأندلس ، وعلى الرغم من كل ذلك كان يؤدي الجزية لملوك النصارى في قشتاله . "١"

وبعد حياة مليئة بالجهاد والاعمار توفى أحمد المقتدر عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١م "٢" بعد أن حكم ستا وثلاثين سنة امضاها في مقارعة اخوانه ، والممالك النصرانيه ، الا أنه لم يتعلم درسا من والده فكرر نفس الخطأ فقبيل وفاته قسم مملكته بين ولديه يوسف والمنذر ، فتلقب الأول بالحاجب المؤتمن (٤٧٤ — ٤٧٨ هـ / ١٠٨١ — ١٠٨٥م) واستقل بمدينة سرقسطه وغربي الاماره كله وانفرد المنذر بطرطوشه ، ودانيه ، والجزء الساحلي من الاماره وتلقب بالحاجب عماد الدوله . "٣"

وتجددت الفتنة بين الأخوين واستنجد كل واحد منهما بالنصارى ، واعتمد المؤتمن على السيد القمبيطور "٤" الذي قدم لاجئا الى سرقسطه بعد أن نفاه الفونسو السادس ملك ليون من بلاطه فانضم الى جيوش يوسف المؤتمن ومضى يحارب اعداءه ، واستطاع أن ينزل بالكونت رامون بيرينجير الثاني صاحب قطلونيه هزيمة نكراء عند المناره ، التي وقع فيها الكونت في أسر ابن هود ، واستمرت اقامه السيد

= واستقل ابو عمر يوسف بلارده وتلقب بعماد الدولة المظفر ، وأخذ محمد قلعة أيوب وتلقب بعضد الدولة ، وكان نصيب المنذر تطيله وتلقب بالحاجب انظر : حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٦ — القلقشندي : مآثر الأنافه ، ج ٢ ، ص ١٠ — ١١ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم ٢ — عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ — ٥٥ .

٣ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

٤ — عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

في سرقسطه الى عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م "١" ، وفي عام ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م توفى يوسف المؤتمن "٢" فخلفه ابنه أحمد بن يوسف الملقب بالمستعين والذى نهض بأوزار الحرب الاهلية ومضى يحارب عمه المنذر فاستعان كل واحد منهما على صاحبه بالنصارى "٣" ، وفي هذه الظروف استطاع الفونسو السادس ان يحتل مدينة طليطلة عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م "٤" فازدادت ثقته بنفسه وزاد الحماس عند اتباعه وأخذ يخطط لالتهام سرقسطة خاصة بعد وفاة أبي عامر يوسف المظفر حسام الدولة في بلاطه . وكان المظفر حسام الدولة الذى اودعه ابو جعفر المقتدر بالله في سجن روطه قد فر من سجنه ايام ابني أخيه يوسف واحمد في اوائل ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤م واحتمى بالفونسو السادس وتوفى عنده بعد قليل . فزعم الفونسو ان المظفر قد تنازل له قبل وفاته عن نصيبه في الملك ، فهب هو ورجاله وفيهم ابن عمه راميرو نحو روطه ، الا أن يوسف المؤتمن وحليفه القمبيطور تمكنا من ايقاع هزيمة شنيعة بالفونسو السادس الذى لم ينج منها الا بصعوبة . "٥"

---

١ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

٢ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ـ
القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

٣ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ـ
حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

٤ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٤٣ ـ المقرى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٨٨ .

٥ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

واستعد ابو جعفر أحمد المستعين بالله لمواجهة مخططات الفونسو السادس التي أخذت ترمي الآن الى اسقاط مملكة بني هود في سرقسطه ، وحتى يقوى مركزه الدفاعي تحالف مع جاره مروان بن عبد العزيز صاحب بلنسيه "١" وفعلا قام الفونسو السادس بفرض الحصار على سرقسطه عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م من اجل اسقاطها فصدته ببساله "٢" ، في هذا الوقت كانت هناك تطورات خطيره تجرى في الأندلس فقد اجتمعت كلمة ملوك الطوائف على استقدام المرابطين الذين لبوا النداء مسرعين في الجواز الى الأندلس لايقاف الزحف النصراني نحو الجنوب ، وتخليص البلاد مما كانت تعانيه من ظلم وجور النصارى فجاز المرابطون في ربيع أول ٤٧٩ هـ ، وأخذت الجيوش الاسلاميه المشتركة تزحف نحو الشمال . "٣"

ويبدو أن أخبار هذا الزحف قد وصلت الى اسماع أهالي المدينة المحاصره فارتفعت معنوياتهم ، وظن الفونسو انهم لم يسمعوا بذلك فشدد الحصار عليها بقصد اسقاطها ليتفرغ لمواجهة الزحوف الاسلامية المتقدمة نحوه ، ولما استعصت عليه طلب من المستعين بن هود المال الذى رفضه في البداية عندما فاوضه المستعين عليه "٤" فاضطر الفونسو السادس الى فك الحصار لمواجهة الحلف الاسلامي بحلف نصراني فتوجه الى طليطله لهذا الغرض لصد الخطر القادم من بلاد العدوه . "٥"

---

١ ـ عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

٢ ـ محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمه ، ص ١٧٥ .

٣ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

٤ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٩٢ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

٥ ـ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٩٢ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٥ ـ ١٥٠ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١١ .

"١"

وعندما التحمت الجموع الاسلامية بالجموع النصرانية في الزلاقة عام ٤٧٩ هـ/١٠٨٦م لم تشارك مملكة بني هود في هذه الموقعة مع بقية ممالك الطوائف لحراجة موقعها بين الممالك النصرانية فحرصت على الحياد حتى لا تعقد علاقاتها مع تلك الممالك .

لقد كان دخول المرابطين الى الأندلس يعني دخول قوة جديدة الى شبه الجزيره الاليبيرية يحتم على دولة بني هود ان تحدد طبيعة علاقاتها مع هذه القوة النامية ، ولعل الظروف التي أعقبت الزلاقة هى التي رسمت خطوط هذه السياسة ، فبعد الزلاقة خاضت مملكة بني هود معارك عنيفه ومريره مع جيرانها النصارى الذين لم يدخروا وسعا في محاولة اسقاطها . "٢"

وفي هذه الفترة توثقت علاقة المستعين بالفونسو السادس ، ونجده يقف موقف المتفرج عما كان يحدث في مدينة بلنسيه التي كان يعيث فيها القمبيطور مفسدا مثقلا كاهل أهلها بالضرائب حتى تمكن من اسقاطها عام ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م على الرغم من مؤازرة المرابطين لاهلها . "٣"

---

١ - ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٠١ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٤٢ .

٢ - لمزيد من التفاصيل عن اوضاع سرقسطه بعد الزلاقة انظر : الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ٣٠٢ - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ١٧٢ - المقرى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٤١ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٦٣ - اشباخ : تاريخ الأندلس ، ص ١٠٥ - ١٠٨ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٠ .

٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣١ - ٣٩ - ياقوت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

وخلال هذه المده اعطى يوسف بن تاشفين اشارة البدء للقضاء على ممالـك الطوائف في الأندلس عندما ثبت لديه استحالة توحيد كلمتهم لاتساع الهوة بين ملوكها ، فالعداء مستحكم حتى بين الأخوه ،وقد صحب التنافس والتطاحن فيما بينهم ارتكاب خيانات عظمي بحق الأمة باتصالاتهم مع اعداء امتهم الاسلامية عن طريق عقد المعاهدات مع الممالك النصرانية ودفع الأتاوات الضخمة لملوكها ، وبعد أن بارك فقهاء المغرب والأندلس والمشرق وعلى رأسهم الغزالي ، والطرطوشي مشروع اسقاط ملوك الطوائف ، أمر يوسف قواته بالانقضاض على معاقل ملوك الطوائف فلم تمض ثلاثة عشر عاما حتى أخضعوها جميعا خلا مملكة سرقسطه . "١"

على ضوء هذه التطورات التي جدت على الساحة الأندلسية - أخذ المرابطون يستفزون حكام سرقسطه عندما حاول قائد المرابطين سير بن أبي بكر فتح احد معاقلهم في روطه ، ولكنه فشل في اقتحامه لمناعته وتوفر المؤن فيه ، "٢" ، كما أصبح ابن هود يشعر بخطورة الموقف عندما أصبح المرابطون مجاورين له في مرسيه ودانيه "٣" عندها رأى ابن هود أن يعزز علاقاته مع النصارى والمرابطين في آن واحد ، فاستغاث بالقمبيطور وعقد معه حلفا جديدا ، وعقد القمبيطور بدوره سلسلة

---

١ - لمزيد من التفاصيل حول احوال ملوك الطوائف بعد الزلاقة وبعد حصار حصن لييط وما برز خلال ذلك من خلافات فيما بينهما واتصالات بعضهم مع الفونسو السادس انظر : عبد الله بن بلقين : التبيان ، ص ١٠٩ - ١١٣ ، ١٢٥ - ١٢٧ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٠ - ٢٥٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٦٩ - ٧٠ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٥ .

٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢١ - ١٢٢ - المقرى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

٣ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٣٢ .

معاهدات مع ملك ارغون وملك نبره ، وكان الغرض من هذه الأحلاف هو التصدي للمرابطين وايقاف زحفهم ، وانقاذ شرقي الأندلس من الوقوع في قبضتهم ، فأخذ القمبيطور وابن هود ينظمان الوسائل الدفاعية لسرقسطه ، "١"

وفي الوقت ذاته أخذ يمد خيوط المودة بيله وبين يوسف بن تاشفين حتى تكاد تجمع المصادر الاسلامية على أن العلاقات الهودية المرابطية في عهد المستعين كانت على أفضل ما يكون ، وتذكر أن ابن هود كان يتحف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالهدايا الثمينة من نفيس الذخائر ، واليواقيت والجواهر ، ورفيع الدنانير "٢" ، ويؤكد ابن الأثير "٣" على أن هذه الصداقة تعود الى ما قبل جواز يوسف الى الأندلس فرعى يوسف للمستعين بن هود ذلك ولم يتعرض لبلاده ، وأوصى خليفته علي عندما اشرف على الموت بأن لا يتعرض لبني هود وأن يتركهم حاجزا بينه وبين العدو لأنهم يمتازون بالشجاعة ،

وهناك من يذكر أن المستعين قد اتصل بيوسف بن تاشفين مرتين الأولى غداة الزلاقة لتبرير تقاعسه عن نصرة المجاهدين ، والثانية عقب سقوط بلنسيه "٤"،

ومن مكاتبات المستعين ليوسف ما جاء في احدى رسائله : ((نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل اليكم منه ضرر ومناعين تطرف وقد قنعنا بمسالمتكم فاقنعوا منا بها الى ما نعينكم به من نفيس الذخائر)) ووجه اليه ابنه عماد الدولة أبا مروان عبد

---

١ ـ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٩٣ ،
٢ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٦ ،
٣ ـ الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٩٣ ـ ابو الفدا : تاريخ ابو الفدا ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ،
٤ ـ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ ،

الملك فأجابه يوسف الى ما أراد وما جاء في الرد : ((٠٠٠٠ الذى عندنا أيدك الله لجنابك الكريم وبحرك الطامي ومجدك الصميم وحلك المعلوم فود صريح وعقد في ذات الله تعالي صحيح ٠٠٠ وجملته الوفاق وجماعة الانتظام في سلك ما يرضي اللـه تعالـى ٠٠٠)) "١"

ولما سقطت بلنسيه بيد المرابطين عام ٤٩٥ هـ / ١١٠٢م "٢" ترتب على ذلك انهيار الجبهة النصرانية في شرق الاندلس فاستثمرت القوات المرابطية الفوز بعد دخول المدينة واستولت على مربيطر "٣" والمنارة والسهلة وغيرهما من القلاع والحصون المنتشرة في هذا الاقليم ٠ "٤"

ويظهر أن المستعين بعد سقوط بلنسية التي كان يأمل أن تبقى فيها امارة تحول بينه وبين المرابطين جعلته يميل أكثر الى المرابطين فنجده في عام ٤٩٦هـ / ١١٠٣م عندما جاز يوسف بن تاشفين جوازه الاخير لأخذ البيعة لولده علي يرسل ولده عبد الملك الى قرطبه بهدية سنية من بينها أربعة عشر ربعا من آنية الفضـة مطرزة باسم المقتدر بن هود الى أمير المسلمين يوسف فقبلها ووزعها بعد أن أمـر بضربها قراريط على رؤوساء المرابطين ليلة عيد الأضحي وحضر عبد الملك حفل البيعـه

---

١ ــ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٤ ــ ٧٥.

٢ ــ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢ ، حاشية رقم ٢ ــ ياقوت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩٠ ــ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٩٧ ــ ويذكر ابن الخطيب (الاحاطه ، ج ٣ ، ص ٢٧٤) ان استرجاع بلنسية كان عام ٥٠٥ هـ ٠

٣ ــ حصن على جبل بالقرب من طرطوشه انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ ٠

٤ ــ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣١٨ ــ ٣١٩ ٠

لعلي بن يوسف ثم عاد الى سرقسطه . "١"

ويبدو أن المستعين كان حريصا ان لا يترك مناسبة الا ويظهر ليوسف ولاءه — وصداقته لا سيما في هذه الفترة التى شعر فيها أن المرابطين أخذوا يخططـــون للاستيلاء على املاكه ، وهذا الذى اتضح من خلال شروط يوسف بن تاشفين على ولي عهده فيما يختص بالقوات المرابطيه في الأندلس حيث خصص اربعة الاف مقاتل لشرق الأندلس "٢" . ولعل تخصيص هذا العدد الضخم من المجموع العام الذى خصصه للأندلس ككل (١٧ ألف) يعنى أن المرابطين كانوا يعتنون بالشرق عناية خاصة ، ولعلهم كانوا عازمين على تنفيذ مشروع توسعي آخر ، كما أن هذه السفارات جاءت في وقت أخذ فيه المستعين يعاني من كثرت غارات جيرانه النصارى خاصة من قبل — الفونسو السادس الذى شدد من هجماته على سرقسطه فنجد المستعين في عـــام ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م يطلب العون من يوسف بن تاشفين الذى بادر بارسال قائده أبي محمد عبد الله بن فاطمه في ألف وخمسمائة فارس فهاجم اراضي قشتاله وغنم الكثير ورجع الى بلاده . "٣"

تحت ضغط كل هذه التطورات التي حدثت بعد موقعة الزلاقة كان المستعين ابن هود مضطرا الى تحسين علاقاته مع المرابطين والتقرب اليهم أكثر من النصارى ، كما أن المرابطين لم يكونوا متشجعين لاسقاط مملكة بني هود لادراكهم كبر المسؤوليـــة التي ستلقى على عاتقهم في الدفاع عنها وحمايتها من النصارى ، اضافة الى انشـــغال

---

١ — ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢ — ٤٣ .

٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

٣ — ابن الكرديوس : المصدر السابق ، ص ١١٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢ — ٤٤ .

المرابطين في المراحل الأولى من دخولهم للأندلس عن الثغر الأعلى في توطيد حكمهم في الأراضي التي املكوها من طوك الطوائف ففضلوا ان يتركوها حاجزا بينهم وبين النصارى . "١"

ويظهر أن ما كانت تتمتع به سرقسطه من حصانة وانقياد الرعية لحكم بني هود اضافة لما كان يتمتع به حكامها امثال المستعين من دهاء سياسي ، الذى كان يهدد النصارى بالمسلمين ويهدد المسلمين بالنصارى "٢" جعلنا لها بقيت هذه المملكة هذه المدة دون أن يخضعها المرابطون .

وفي عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م خرج المستعين بعد أن جدد البيعة لنفسه ولولده عماد الدوله عبد الملك وجمع الجموع واتجه لغزو النصارى المجاورين ، فدخل ارنبه (ارنيط) وغلب على اربانصها ، واعتصم أهلها منه بكنيسة مليمو ثم صالحهم على ما يؤدونه اليه وأخذ منهم رهائن ثم انصرف قافلا عنهم . وفي طريق عودته كان يشن الغارات على من بذلك الصقع من النصارى فهدم وسبى وحرق ، ولما اشرف على بلاده لحقت به خيل النصارى في أول يوم من رجب ونشبت بينهما معركة حامية الوطيس بالقرب من فالتييرا (Valtierra) "٣" ، استشهد فيها المستعين مع جمع كبير من المسلمين . "٤"

---

١ — ابن سعيد المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ .

٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٤ — ٧٦ .

٣ — تقع بالقرب من تطيله .

٤ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٣ — ٥٤ — القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٦ — ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ — الطرطوشي : المصدر السابق ، ص ٣٢٠ — المقري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٤١ — ميرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، ص ١٦٠ — ١٦١ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٦ .

وبوفاة المستعين (الصغير) فقدت مملكة بني هود آخر زعمائها الأقوياء الذين حافظوا على استقلالها وحماية ذمارها مدة ثلاث وسبعين سنه . وتعتبر وفاته بداية لمرحلة جديدة من مراحل حياة هذه المملكة التي أخذت تلفظ أنفاسها في سرقسطه . وقد انتخب عبد الملك الملقب بعماد الدولة خليفة لابيه ، على شرط ان لا يلجأ الى النصارى مستنجدا أو محالفا . " ١ "

واستغل المرابطون فرصة وفاة المستعين وحاولوا دخول سرقسطه . فقد ارسل محمد بن الحاج والي بلنسية قائده محمد بن فاطمه في جيش صغير نحوها ، فلما اقترب منها خشي اهلها أن يسرع أميرهم بالاستنجاد بالنصارى ، فأشاروا عليه بأن ينصرف عنهم حتى لا يجني عليهم باستغاثة أميرهم بالنصارى فانصرف عنهم . " ٢ "

وزادت حركة المرابطين تلك من مخاوف عماد الدولة فبادر بارسال رسالة الى أمير المسلمين علي بن يوسف يطلب منه أن تبقى علاقاته معه مثلما كانت في العهد السابق بين والديهما يسودها الود والألفه . ولكن أمير المسلمين كان قد اتخذ قراره باستئصال شأفة بني هود بعد أن اقنعه الفقهاء بذلك لمسالمتهم للنصارى " ٣ " ووجه الأمير أبا بكر بن تيفلويت على رأس جيش لفتحها . ولما سمع ابن هود بقدومه تحصن في بلاده " ٤ " ، وأخذ يتودد للنصارى لحمايته من المرابطين ومن رعيته التي استشعر ميلها لهم . " ٥ "

---

١ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ١٧٥ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

٢ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٣ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١١ ـ ١١٢ .

٣ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .

٤ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

٥ ـ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

وقد وصل كتاب ابن هود الى علي بن يوسف في الوقت الذى كان قد أصدر فيه أمره بالقضاء عليه ، فلما قرأ الكتاب عدل عن رأيه السابق ولكن بعد فوات الأوان .

ومما جاء في هذه الرسالة : ((وقد كان المستعين بالله خاطب أباك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رحمة الله عليه ، يسأله الدعة ويرغب في الهدوء والاستعانة على العدو فأقام وأقمنا معه مريحين ومن تعب النفاق فرحين فنعمنا بنور الهداية الساطع الاشراق واغتنمنا الدعة والأمن في هذه الآفاق ثم دهمنا من جهتكم داهم ....ولا يمكننا تسليم ما بأيدينا اليكم فيتحكم فينا الاذلال ... ولم تتقدم منا اليكم اساءة جهرت عليكم بالقول ولا أشارت ولا أخلت بجنابكم ولا عدت ولا ضرت ... وقد كان لكم فيما فعله أبوكم أمير المسلمين أسوة حسنة ....)) "١".

وفتح أهالي سرقسطه ابواب مدينتهم للمرابطين صبيحة يوم السبت العاشر من ذى القعدة سنة ٥٠٣ هـ "٢" ، وطرد عماد الدولة منها بعد خلافته لوالده بأربعة اشهر "٣" ، وكتب محمد بن الحاج والي بلنسية الى علي بن يوسف بذلك "٤". وأما عماد الدولة فقد اعتصم في روطه (Rueda) "٥" تحت حماية ملك أرغونسة الفونسو المحارب "٦" .

---

١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٨ — ٩٩ ، (انظر الرساله في الملاحق) .

٢ — ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ — يحدد ابن أبي زرع (روض القرطاس ، ص ١٦٠) تاريخ دخول سرقسطه عام ٥٠٢هـ/١١٠٨م.

٣ — ميرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، ص ١٦٠ — ١٦١ .

٤ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٠

٥ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، وروطه حصن منيع جدا على وادى شلون ( ) انظر : ياقوت : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٦ — ٩٧ — ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ ، حاشية رقم ٢ — عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

٦ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١١ — ١١٢ .

وسقوط سرقسطة بيد المرابطين تبدأ مرحلة جديده من العلاقات المرابطية الهوديه في روطه من جانب ومن جانب آخر مع الممالك النصرانيه التي حدثت فيهما تطورات خطيره قبيل وبعد موقعة (Valtierra) فقد توفي الفونسو السادس بعد فجيعته في ابنه الوحيد الذى سقط في موقعة أقليش بفترة يسيرة فـي عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩م ولم يترك الا ابنة واحدة اسمها آراكه (Urraca) ووريثة لعرشه واستطاع بعض النبلاء تزويج اراكه من الفونسو المحارب (الأول) ملـك ارغونه في عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩م ، وبذلك اتحدت قشتالة وأرغونة تحت سيادة الفونسو المحارب • وفي نفس الوقت أحدث هذا الزواج شرخا عنيفا في الجبهة النصرانية لاهماله حقوق الفونسو السابع (Alfonso Raimundez) ابن اراكه وولي عهدها الشرعي ووريث الفونسو السادس ولذلك قام انصاره يطالبون بحق ولي العهد الشرعي وحدثت سلسلة حروب بين حزب الفونسو المحارب (الأول) والفونسو السابع الذى كان يسانده اسقف طليطله برناردو الذى سعى عند البابا بسكال الثاني لفسخ زواج الفونسو المحارب من اراكه ، فتم ذلك عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م على أن يكون الفونسو المحارب ملكا على ارغونة وقشتالة وأن تكون اراكه ملكة على ليون وجليقية • وعندما توفيت اراكة خلفها ابنها الفونسو السابع الذى كان يسميه أهل الأندلس بالسليطين (أى الملك الصغير) لتولية العرش وهو صغير السن ، وبدأت بتولية العرش دولة جديدة "١" • كل هذه التطورات كانت لصالح سرقسطه فأخرت سقوطها في يد النصارى في فترة مبكره بعد موقعة (Valtierra) لانشغال الفونسو المحارب وغيره من ملوك النصارى في الحرب الاهليه التي دارت بينه وبين زوجه • "٢"

---

١ ـ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، حاشية رقم ١ •

٢ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٠ ـ ١١١ •

واستغل المرابطون حكام سرقسطه الجدد تفسخ الجبهة النصرانية عقب استقرارهم فيها ، فأخذ واليها الجديد محمد بن الحاج يشدد من غاراته على الاراضي النصرانية وخاصة برشلونة "١" . وقد استمر على ذلك حتى عام ٥٠٨هـ/ ١١١٤م حيث استشهد في هذه السنه "٢" بعد أن نجح في صد محاولات الفونسو المحارب لاقتطاع اجزاء أخرى من سرقسطه التي لم يكن قد بقي من اعمالها سوى تطيلة ولارده ، وافراغه ، وطرطوشه "٣" فبعد استقرار ابن الحاج مباشرة في سرقسطه عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩م تحالف عماد الدولة مع الفونسو المحارب وتقدما نحو سرقسطه حتى اصبحا على فرسخين "٤" منها واستعد ابن الحاج مع أهل سرقسطه لصد المهاجمين ولكن أهل سرقسطه تخلوا عنه وأخذوا يتسللون الى داخل المدينة فانتهز الفونسو المحارب الفرصة وانقض على محمد بن الحاج وابنه يحيى فتفرق شمل المسلمين ، واستشهد يحيى يوم الأحد ١٥ ذى الحجة ٥٠٣ هـ / ٥ يوليو ١١١٠م . "٥"

والذى يلفت الانتباه هو تخلى أهالي سرقسطه عن ابن الحاج في هذا الموقف العصيب وهم الذين رحبوا بالأمس به .

---

١ - مدينة حصينة خصبة تكثر فيها الحنطة واليهود وهى على البحر بينها وبين طركونه خمسون ميلا انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١٠

٢ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٥

٣ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨٨ .

٤ - الفرسخ ثلاثة أميال والميل ألف باع ، وكل باع اربعة اذرع شرعية وبذلك فطول الفرسخ حوالي ٦ كيلو متر انظر : فالترهنتس : المكاييل والأوزان الاسلاميه ، ص ٩٤ .

٥ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٥ - ميرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

يبدو أنه ما زالت هناك فئات موالية لعماد الدولة المطرود من سرقسطه الى روطه وأن هؤلاء قد استغلوا مداهمة قوات زعيمهم عماد الدولة وحليفه الفونسو لسرقسطه فانسحبوا ليحدثوا شرخا في جيش ابن الحاج ليسهلوا على المهاجمين دخول المدينة اضافة الى ذلك فمن المحتمل ان يكون الجيش المرابطي عندما دخل مدينة سرقسطه قد قام ببعض الاعمال مثل النهب ومحاكمة بعض العملاء مما أدى الى تغير الرعية السرقسطيه عليهم وتخليهم عنهم في ذلك الموقف الحرج .

ويظهر أن المرابطين حاولوا بعد فشل غزوة عماد الدولة وحليفه الفونسو لسرقسطه أن يقوموا بغزوة تأديبية لعماد الدولة في عقر داره ، فتوجه علي بن كنفاط اللمتوني في فصيلة من المرابطين الى قلعة أيوب ، وعسكر أمام قلعة لعماد الدولة فحاصرها حصارا شديدا . واستغاث أهل القلعة بسيدهم فأغاثهم بكتيبة نصرانية استطاعت أن تفك الحصار وتأسر علي بن كنفاط وتسوقه الى روطه ، وقد بقي في الأسر بعض الوقت ثم أطلق سراحه اثر ابرام صلح لوقت معلوم . "١" ومن جهة أخرى حاول عماد الدولة دخول سرقسطه عام ٥٠٥ هـ / ١١١٢م فرده محمد ابن الحاج على اعقابه خائبا . "٢"

وشدد النصارى في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٥م من ضغطهم على منطقة الثغر الأعلى ، فحاصر الكونت رودريجونوييز (Rodrigo Nunez)

---

١ ــ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٥ ، ١٦١ ــ ١٦٢ .

٢ ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٥ ــ ٥٦ .

صاحب مدينة سالم ، فسار اليه مزدلي "١" واضطره الى الفرار تاركا عسكره واثقاله ثم عاد مزدلي مسرعا ليلتقي مع الفونسو المحارب في معركة عنيفة بالقرب من حصن قسطانيه في يوم الثلاثاء ١٧ شوال ٥٠٨ هـ حيث خر شهيدا . "٢"

وفي هذا الوقت خلفه ابو بكر بن تافلويت "٣" محمد بن الحاج على سرقسطه ، وقد فرضت عليه هذه الظروف السابقة أن يخوض الحرب دفاعا عنها ففى أواخر سنة ٥٠٨ هـ/ ١١١٥م خاض معركة مستميتة مع صاحب برشلونه رامون بيرنجير هزم فيها المرابطون "٤" ، ورد ابن تافلويت على ذلك بغارات انتقامية ضد عماد الدولة في روطه ، فتحرك عام ٥١٠ هـ/ ١١١٦م ، وعاث في املاك عماد الدولة ثم تحرك الى برجة وفيها عماد الدولة وضيق عليها وبالغ في نكايتها حتى صالحه أهلها ثم رجع عنها الى سرقسطه "٥" . وقد توفى ابو بكر بن تافلويت في هذه السنه ،

---

١ - هو مزدلي بن تيولتكان بن حمنى محمد بن ترقوت اللمتوني ، بطل عظيم الصيت عظيم الجلد أصيل الرأى ، طال عمره ، وعظمت في العدو وقائعه ، ومن مناقبه استرجاع بلنسية من أيدى النصارى ، ولي غرناطه ، وقرطبة سنة ٥٠٥ هـ / ١١١٢م ، واستشهد عام ٥٠٨ هـ/ ١١١٥م انظر/ ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

٢ - المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ - حسين مؤنس : الثغر الأعلي ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ .

٣ - اقام خلال اقامته في سرقسطه بلاطا فخما وخاض حياة باذخة فخمة من حوله الأدباء والندماء وأسهمك في الملذات والشراب على الرغم مما كانت تمر به سرقسطه من ظروف حرجة ازاء غارات النصارى المتكررة عليها انظر : محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨٨ - ٨٩ - ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٨ .

٤ - حسين مؤنس : الثغر الأعلي ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ .

٥ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٢ .

ولما وصل نبأ ذلك الى الأمير أبي اسحاق ابراهيم بن يوسف والي مرسيه بادر بالسير الى سرقسطه وضبط شئونها ، وبعد أن اطمأن على أحوالها عاد الى مقر ولايته ولم يعين في تلك الآونة العصيبة وال يخلف أبابكر بن تافلويت على الفور علما أن أمير المسلمين علي بن يوسف كان موجودا في تلك الفترة (٥١١ هـ / ١١١٧م) في الأندلس ، وبعد مدة ندب عبد الله بن مزدلي لولاية بلنسية وسرقسطة وكان ذلك فيما يبدو في أواخر عام ٥١١ هـ / ١١١٧م. "١"

وفي هذه الفترة شدد الفونسو المحارب من ضرباته لسرقسطه طامعا في امتلاكها ، فكان يحاصرها ويضيق على أهلها . وأخذ ابن مزدلي يدافع الفونسو حتى اضطره الى رفع الحصار "٢" ولذلك رأى الفونسو المحارب الذى طارت سمعته في قتال المسلمين الى أوروبا أن يطبع حربه للمسلمين بطابع صليبي بحت ليتمكن من جلب فرسان أوروبا اليه لمساعدته في اسقاط سرقسطه ، لا سيما وأن الحرب الصليبية في المشرق قد كللت بالنجاح باسقاط بيت المقدس واجزاء كبيرة من الشام . وكانت هناك فئات كبيرة من الفرسان الذين اشتركوا في تلك الحرب واكتسبوا خبرات عسكرية جيدة خاصة في مجال الحصار قد عادوا الى مواطنهم في أوروبا . ويبدو أن كل هذه الاعتبارات كانت تدور في خلد الفونسو المحارب ، فبعث الى طوائف النصارى يستصرخهم على سرقسطة فجاءوا في أمم كثيرة "٣" ، ولقيت الدعوة لحرب صليبية جديدة آذانا صاغية في فرنسا واسبانيا .

---

١ ــ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨٨ ــ ٩٠ .

٢ ــ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٤ .

٣ ــ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ١٢٦ .

ففي عام ٥١١ هـ / ١١١٧م عبرت حملة قوية من الفرنج (أهل بيارن) بقيادة جاستون دى بيارن وأخيه سانتولو الى اسبانيا لمساعدة الاراغونيين في فتح سرقسطة ٠

وبارك رجال الدين المسيحيين في مؤتمرهم المنعقد في مدينة طولوشه (تولوز) عام ٥١٢ هـ / ١١١٨م الخامس الديني الذى لاقته دعوة الفونسو المحارب لحرب صليبية جديدة في أسبانيا وقرروا أن ترسل حملة صليبية جديدة اليها بقيادة الكونت دى تولوز ، كما حشدت قوات كبيرة من البشكنس ، وقطلونيه ، وأوقله تحت امرة سادة هذه المناطق ٠ وكان بين المقاتلين كثير من الأساقفه ورجال الدين الذين انضموا لقوات الفونسو المحارب وضربوا الحصار حولها في شهر صفر من عام ٥١٢ هـ / مايو ١١١٨م وأحكموا الطوق عليها "١" ، وقد جلبوا معهم ابراجا خشبية عالية تجرى على بكرات حتى يستطيع المهاجمون بها محاذاة الاسوار العالية لينصبوا فوقها الرعدات وجاءوا كذلك بعشرين منجنيقا ضخمة لسدك الأسوار وكان يشرف على استعمال هذه الادوات نخبة من أهل بيارن ممن اشتركوا في حصار بيت المقدس وتمرسوا في استخدامها ٠ "٢"

وطال الحصار اشهرا حتى فنيت الأقوات وهلك أكثر الناس جوعا "٣" داخل المدينة المحصورة في الوقت ذاته كان المحاضرون يعانون أيضا من نقص المؤن وطول المدة حتى فكروا في فك الحصار لولا مساعدات اسقف وشقه وزملائه الذين قدموا

---

١ ـ عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٩٠ ـ ٩١ ٠

٢ ـ السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٦ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٩٥ ٠

٣ ـ ابن الكرديوس : المصدر السابق ، ص ١١٧ ـ ١١٨ ـ السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٧ ـ ١١٨ ٠

ذخائر كنائسهم من أجل شراء الأقوات لهم مما شجعهم على مواصلة الحصار واحكامه على المدينة للحيلولة دون وصول أى امداد لأهلها "١" . ومما زاد الأمر سوءاً وفاة عبد الله بزدلي داخل المدينة المحصورة في اوائل جمادى الآخره ٥١٢ هـ / سبتمبر ١١١٨م اذ أصبح الأمر فوضي بعده . "٢"

وعقد الأمر أكثر وأكثر تقاعس الأمير تميم واحجامه عن الصدام مع العدو المحاصر للمدينة على الرغم من الرسالة المؤثرة التي بعث بها قاضي المدينة ثابت بن عبد الله وجماعة من أعيان المدينة المحصوره اليه يلومونه على تقاعسه في الوقت الذى كانوا يعانون فيه ويلات الحصار ويحذرونه من مغبة هذا الجبن الذى سيترتب عليه سقوط معقل من معاقل المسلمين المهمه وما يترتب على ذلك السقوط من نتائج . وقد جاءت هذه الرسالة في يوم الثلاثاء ٢٧ شعبان عام ٥١٢ هـ أى بعد ستة أشهر ونصف من الحصار . "٣"

ويظهر أن أهل سرقسطه في الوقت الذى بعثوا فيه هذه الرساله للأمير تميم بعثوا برسالة أخرى الى أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكش ، اذ نجد أنه بعد سقوط سرقسطه وصل جيش من ارض العدوة مكون من عشرة الاف فارس لاستنقاذ سرقسطه فوجدها قد سقطت في يد الأعداء . "٤"

---

١ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٩٥ .
٢ ـ ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .
٣ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .
٤ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٩٨ .

وعندما يئس المحاصرون في سرقسطه من نجدة اخوانهم المرابطين راسلوا الفونسو المحارب على أن يرفع عنهم القتال الى أجل فان لم يأتهم من ينصرهم أخلوا له البلد وأسلموه اليه ، واخذت المواثيق على ذلك ، ولما تم الاجل ولم يأتهم احد دفعوا اليه المدينة بشروط "١" منها : ان تترك للمسلمين الحرية في الاقامة مع دفع الجزية أو المغادرة الى أى جهة شاءوا ، وأن يسكن المسلمون ربض الدباغين ، والنصارى المدينه ، وأن من يفلت من الأسرى المسلمين ويحصل عند دار الاسلام فلا سبيل لمالكه اليه ولا اعتراض لمالكه عليه ، وسلمت المدينة على هذه الشروط ولكن ما أن دخلها العدو حتى غادرها ما يقرب من خمسين الفا من اهلها "٢" في يوم الاربعاء ١٢ رمضان من عام ٥١٢ هـ متجهين نحو مرسية وبلنسية "٣" .

وهكذا سقطت قاعدة من قواعد الأندلس الكبرى والتي كانت بمثابة قلب الاسلام النابض وسط الممالك الاسبانية النصرانية بعد أن استشهد على ارضها افذاذ قادة المرابطين .

ونلمح من كلام ابن سعيد "٤" أن سبب سقوط سرقسطه بيد النصارى هو رفض أمير المسلمين علي بن يوسف تعاونه مع عماد الدوله كما كان يتعامل ابوه مع أبيه وأن يتركه حاجزا بينه وبين النصارى ، فيقول : ((..... فرغب اليه عماد الدولة أن يجري معه على ما كان عليه سلفه مع سلفه ، ويتركه حاجزا بينه وبين النصارى فأبي ولجّ فكان ذلك سببا الى أن استعان عماد الدولة بالنصارى وخرج من سرقسطه وملكها المرابطون ثم حصرها النصارى فأخذوها منهم)) .

---

١ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

٢ — ابن الكرديوس : المصدر السابق ، ص ١١٧ — ١١٩ .

٣ — المقرى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١٦ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ — ياقوت : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٣ — ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ . — القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٦ .

٤ — المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .

ويميل محمد عبد الله عنان "١" الى تفسير تقاعس المرابطين عن نصرة سرقسطة تفسيرا عسكريا فيذكر أن تميم لم يكن من صنف القادة العسكريين الكبار وأنه عندما رأى كثرة حشود النصارى خشي أن يدخل معركة غير مأمونة العواقب لتفوق العدو الظاهر ، كما يمكن أن يقال ان موقع سرقسطة البعيد عن مراكز تموين الجيش المرابطي في بلنسية ومرسيه ، وقرطبه لم يكن مشجعا لخوض معركة حاسمة . ويذكر أيضا أن الحرب التي دارت منذ دخول المرابطين الأندلس في جهات الثغر الأعلى قد افنت زهرة قواد هم من أصحاب الخبرة والدراية امثال سيربن أبي بكر ، ومزدلي ، وعبد الله ابن فاطمه ، ومع ذلك فان محمد عبد الله عنان يرجع سببا رئيسيا آخر لهذا التقاعس ، وهو أن المرابطين أدركوا أنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بهذه المنطقة التي تحف بها الممالك النصرانية من كل جانب ، وأن الاحتفاظ بها سيكلفهم ثمنا باهظا .

ويبدو أن هناك اسبابا أخرى غير تلك دفعت المرابطين لأن يقفوا هذا الموقف المزرى من المدينة الشهيده منها : حدوث بعض المشاكل الداخليه في العاصمة المرابطية مراكش ، ويظهر أن هذه الاضطرابات كان محورها ابن تومرت الداعية الجديد الذى وصل في هذه الفترة الى مراكش وأخذ يبث أفكاره ومبادئه ، مما أحدث بلبلة في المدينة ودعا ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف الى جمع العلماء اليه ومناظرته كما بينا في الفصل الخامس ثورة ابن تومرت . وهذا أيضا ما أشار اليه حسين مؤنس "٢" عندما ذكر أن تميما اشتبك مع النصارى المحاصرين لسرقسطه الا أنه لم يستطع الاستمرار في القتال لأن أمور المرابطين اضطربت في مراكش فاضطر الى العودة اليها .

---

١ ـ عصر المرابطين والموحدين ، ص ٩٩ .

٢ ـ الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٥ ، ص ١١٥ .

على أي حال اتخذ الفونسو المحارب من مدينة سرقسطه عاصمة له وأخذ ينظم شؤونها ، وحول المسجد الجامع فيها الى كنيسة سميت لاسيو (Laseo) أو سان سالبادور (San Salvador) ، وجعل من سرقسطه مركز اسقفيه ومنح سكانها النصارى امتيازات الأشراف كما عين جاستون دى بيارن سيدا للمدينة المفتوحه في ظل الفونسو "١" واستطاع النصارى باجراءاتهم هذه التي قاموا بها في المدينة المفتوحه أن يمسخوا صورتها الاسلامية في فترة مبكرة وأن يطبعوها بالطابع النصراني "٢".

وعلى الرغم من هذه الاجراءات وما كان يعانيه المرابطون من مشاكل داخلية في الأندلس والمغرب فقد بقي السرقسطيون طامعين في نجدة اخوانهم ، فتوالت رسائلهم على أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكش مصورين فيها ما يعانونه من ظلم وعسف حاضين على المسارعة في نجدتهم ، ومن هذه الرسائل تلك الرسالة التي تفيض ألما ولوعة ممزوجة بجور الأسر وذلة التي كتبها ثابت بن عبد الله على لسان قاضي سرقسطة والجمهور الى الأمير أبي طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين عامل الأندلس لأمير المسلمين علي بن يوسف ومما جاء فيها ((.... وعظم الخطب ، وأظلنا الهلاك والعطب فيا غوثاه ثم ياغوثاه الى الله ... وياحسرتاه على حضرة قد اشفت على سفر الهلاك ، طالما عمرت بالايمان وازدهت باقامة الصلوات ، وتلاوة القرآن ترجع مراتع للصلبان ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان ، وياويلاه على مسجد جامعها المكرم ، وقد كان مأنوسا بتلاوة القرآن المعظم تطؤه الكفرة الفساق بذميم اقدامها ... ويعمروه بعبادة أصنامها ويتخذوه معاطن لخنازيرها ومواطن لخماراتها

---

١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠١ .

٢ — محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ص ١٠٤ .

ومواخيرها)) "١" ، ثم يختم رسالته بتأكيده على أن سرقسطة ثغر من ثغــور المسلمين الهامة التي يترتب على ضياعها ضياع بلاد المسلمين في الأندلس .

لقد جاءت هذه الرسالة بعد فوات الأوان ، فالنصارى استثمروا فوزهم فــي سرقسطة وتمكنوا عقب استيلائهم عليها بثلاث سنوات من احتلال طركونه ، وقلعــة أيوب ، ودرقه ، وتجردوا على بقية حصون الثغر الأعلى واستولى خلفاء الفونســو المحارب على أفراغه "٢" ، وبذلك احكم تحصين سرقسطه ولم يعد من اليســير على المرابطين استردادها . واذا اضيف الى ذلك ما كانت تعانيه دولة المرابطين من مشاكل داخلية خاصة من قبل محمد بن تومرت لأدركنا استحالة تلبية نداء اهالــي سرقسطه .

وسقوط سرقسطه وما ترتب عليه من سقوط الثغر الأعلى كله فقد المرابطــون خطا دفاعيا من أهم خطوطهم الدفاعية في الزاوية الشمالية الشرقية من جبهتهــم الأندلسية مع النصارى في الوقت الذى ارتفعت فيه معنويات النصارى ، فقد شجعهم سقوط معاقل الثغر الأعلى على الاندفاع نحو الاراضي الاسلامية لالتهام المزيد منها . لقد كان جنودهم يقاتلون بروح معنوية عالية وحماس ديني ملتهب تذكيــة وتوجهه مشاركة الاساقفة ورجال الدين في هذه المعارك الفاصلة مع المسلمين .

وانعكس سقوط سرقسطة في يد النصارى سلبا على المرابطين ، فخسروا الأرض وخسروا ثقة الرعية الأندلسية فيهم والتي أخذت تتمرد على سلطانهم محبذة اخراجهم من الأندلس . وقد تجسد ذلك من خلال الثورات المتوالية التي قاموا بها فــي هذه الآونة والتي تحدثنا عنها في الباب الأول .

---

١ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٢١ — ١٢٦ .
٢ — المقال السابق نفسه ، مج ١١ ، ق ٢ ، ٠ ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

وبحق يعتبر سقوط سرقسطة بيد الفونسو المحارب عام ٥١٢ هـ / ١١١٨م نقطة تحول في تاريخ المرابطين في الأندلس في الوقت الذى أصبح فيه نفس التاريخ (٥١٢ هـ / ١١١٨م) نقطة تحول خطيرفي تاريخهم في المغرب بظهور محمد بن تومرت ، فبعد هذا التاريخ أخذ نجم المرابطين في الأفول وأخذ نفوذهم في الانحسار تحت مطارق النصارى من جانب ومطارق الموحدين من جانب آخر . فلم تمض سوى ثلاثين عاما على سقوط سرقسطة في يد النصارى حتى سقطت مراكش في يد الموحدين وانطفأت بذلك شعلة المرابطين التي اتقدت أكثر من ثمانين عاما . لقد كانت مأساة سرقسطة بداية لسلسلة من الهزائم التي مني بها المرابطون على أيدى خصومهم في بلاد العدوة والأندلس .

بنو هود في روطه :-

============

ونعود الآن الى الحديث عن بني هود في روطه التي لجأ اليها عماد الدوله بعد سقوط سرقسطة في يد المرابطين عام ٥٠٣ هـ / ١١١١م "١" وان كان ابن الكردبوس يذكر أن عماد الدولة لجأ الى روطة بعد دخول النصارى لسرقسطة عام ٥١٢ هـ / ١١١٨م ، وهى رواية فريدة لم تؤيدها أى رواية أخرى لذا لا يمكن الأخذ بها .

على أى حال كان بنو هود أيام عز دولتهم قد بنوا حصن روطه على بعد خمسة وثلاثين كيلو مترا من سرقسطة ، وحصنوه وزودوه بالأقوات والسلاح والمياه الدائمة عن طريق حفر قناة تتصل به من الوادى . وكان المستعين (الصغير) يقصد من تحصينه أن يكون ملجأ لبني هود عند الضرورة . "٢"

---

١ ـ تاريخ الأندلس ، ص ١١٩ .

٢ ـ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢٧ .

وأقام عماد الدولة من عام ٥٠٣ حتى عام ٥٢٤ هـ / ١١١١م حتى ١١٣٠م في روطة بعد سقوط عاصمته سرقسطة يرقب التطاحن بين المرابطين والنصارى على امتلاك سرقسطة ، فلما سقطت في يد الفونسو المحارب عام ٥١٢ هـ / ١١١٨م وضع نفسه في خدمته واستمر على ذلك حتى وفاته . "١"

وكان عماد الدولة هذا ضعيفا شديدا الحرص على أن يبقى حاكما لمنطقته ، ولو كان ذلك على حساب كرامة المسلمين ، فحالف الفونسو المحارب ملك ارغونة "٢" دون أن يفكر في نتائج هذا التحالف واضراره على الجبهة الاسلامية ، ولم يفكر في أن الفونسو لن يقنع منه بالمال بل أن اهدافه ابعد من ذلك ترمي الى امتلاك جميع الأراضي الاسلامية في الأندلس لتعود الى نصرانيتها القديمة وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد .

وتضطرب الروايات حول تطور العلاقات بين حكام بني هود في روطة والممالك النصرانية ، وبالتالي تختلف في كيفية انتهاء ملكهم في هذه الامارة التي كانت تشغل مساحة لا بأس بها تمتد شمالا حتى برجه الواقعة على مقربة من تطيله .

لقد استمر عماد الدولة في حكم امارته نحوا من عشرين عاما حتى توفى في حصن روطه في شعبان عام ٥٢٤ هـ "٣" ، وخلفه في حكمها ابنه ابو جعفر أحمد الملقب بسيف الدولة ثم المستنصر بالله ثم المستعين بالله وهو آخر حكام بني هود فيها "٤" .

---

١ ـ محمد عبد الله عنان : دولة الطوائف ، ص ٢٨٢ .

٢ ـ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ حاشية رقم ٣ .

٣ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢٧ .

٤ ـ عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

ويذكر ابن سعيد "١" أن المستعين بالله لما شعر بعدم استطاعته حماية امارته سلمها الى النصارى وعلى الرغم من اجماع المصادر على هذا التسليم الا انها تختلف فيما بينها حول ظروف هذا التسليم وتاريخ هذا التنازل •

فبعض الروايات تذكر ان الحاكم الجديد لروطه قد ضاق ذرعا من حليف والده الفونسو المحارب صاحب ارغونة فتركه ودخل في تبعية خصمه الفونسو السابع ملك قشتاله وتنازل له عن روطة مقابل منحه بعض الأراضي المجاورة لطيطلة بصفة اقطاع فيما بين ٥٢٥ و ٥٢٦ هـ / ١١٣٠ ـ ١١٣١م "٢" ، ولكن ابن الأثير "٣" يذكر لنا ظروف التنازل بتفاصيل تختلف عما تقدم ويحدد تاريخ التنازل بعام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م ، كما يذكر أن الفونسو السابع داوم على غزو اراضي سيف الدولة في روطة حتى دوخها ، فأضعف سيف الدولة الذى عجز عن رد عاديته ، فاستقر رأيه على مصالحته ، فسعت الرسل بينهما واستقر الأمر على أن تضع الحرب أوزارها مدة عشر سنوات وأن يسلم سيف الدولة الى الفونسو السابع روطة ، فسلم الحصن له عام ٥٢٩ هـ : ١١٣٤م •

ويضع ابن الآبار "٤" ضمن شروط هذا الصلح تعويض سيف الدولة عن روطة من قبل الفونسو السابع بنصف مدينة طليطلة التى انتقل اليها بحشمه وامواله وأقام بها الى أن هلك • "٥"

---

١ ـ المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ •
٢ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٨ ـ ١١٩ •
٣ ـ الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣ •
٤ ـ الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ •
٥ ـ رزق الله المدني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٨ •

وينقل لنا محمد عبد الله عنان "١" عن بعض الروايات اللاتينية والتي تعرف سيف الدولة معرفة جيدة وتسمية اسفادولا ما نصه أن سيف الدولة عندما اشتد عليه ضغط المرابطين ارسل الرسل الى ملك قشتالة يعرض عليه فكرة التحالف والانضواء تحت لوائه ، وأنه قام بزيارة الملك النصراني في طليطلة الذى عامله معاملة الملوك فتنازل له عن روطة وغيرها من المواقع المنيعة واعطاه مقابل ذلك عدة اماكن في قشتالة وليون عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٢م.

اما ابن الكردبوس "٢" فيذكر أن الفونسو السابع اتصل بسيف الدولة في روطة وعرض عليه أن يرحل من روطة ويعوضه بدلا عنها اراضى في قشتالة فقال له : ((ارحل عن روطة واعوضك عنها بقشتالة ما هو أحسن وأفيد وتقرب من غرب الأندلس ، وأخرج معك بنفسي واجنادى ، وابطالي وأطوف معك على تلك البلاد وندعوهم الى طاعتك فمن أجابك ودخل في جماعتك تركت عنده ثقاتك واستعملت عليه ولاتك وأمنته أنا من غارات الروم ، وكنت لهم كالأب المشفق الرحيم فأرجو أن لا يتوقف عن اجابتك أحد اذ قد أذاقهم المرابطون العذاب الأشد فكرههم الجميع وود هم أن يضحى ملكهم وهو صريع ، ولو ظفرت بك ما أبقوا منهم بشرا في ناديهم اذ لم يبق لهم في ابناء الأملاك أحد سواك)) . فأجابه سيف الدولة لذلك وتنازل له عن روطة وأمر له بقشتالة من قرى ومزارع وأرضين ذات مراجع ثم خرج معه الى غرب الأندلس في جيوشه فما استجابت لدعوة سيف الدولة أية قرية لأنهم خافوا ان أطاعوه أن يغلبه العدو ويمتلكهم فرجع خاسر الصفقة .

---

١ - عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

٢ - تاريخ الأندلس ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

ويرى محمد عبد الله عنان "١" في ضوء الرواية السابقة أن الفونسو السابع كان يقصد من وراء تشجيع سيف الدولة في اقامة دولة له في غرب الأندلس متاخمة لقشتالة من ناحية الجنوب الغربي ان يجعل منها قاعدة امامية لعدوانه على الاراضي الاسلامية ، وأن تكون هذه الدولة رأس رمح موجه الى الجبهة الاسلامية .

ويضع ابن الآبار "٢" تاريخ تنازل سيف الدولة عن روطة لألفونسو السابع في شهر ذي القعدة عام ٥٣٤ هـ . ولكن يبدو أن التنازل عن روطة حدث في السنوات الأولى من حكم سيف الدولة لأننا نجد اسمه قائدا لأحد جيوش الفونسو السابع التي قامت بحملتها المخربة في الأندلس عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٣م والتي وصلت الى احواز اشبيليه . "٣"

ومن البدهي أن لا يركن الفونسو السابع لسيف الدولة وأن يوكل اليه قيادة احدى حملاته الا بعد إن اختبره خلال مدة لا بأس بها ، ومن ثم فمن المرجح أن يكون تاريخ التنازل ما بين ٥٢٤ و ٥٢٩ هـ / ١١٢٩ و ١١٤٤م.

وبقي سيف الدولة بعد أن فشل هو وسيده الفونسو السابع في اقامة امارة في غربي الأندلس يستغل الاراضي التي اقطعت له في نواحي طليطلة لمدة عشر سنوات انتهت في عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م "٤" وفي عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥م قتل سيف الدولة في موقعة اللج قرب جنجالة في شرقي الأندلس عند بلنسية في احدى معاركه مع الروم المغيرين على تلك النواحي . "٥"

---

١ — عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٠ .

٢ — الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠ — ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ٣ ، ص ٤٣٤ ، حاشية رقم ١ — محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٨٣ — الآثار الأندلسية الباقية ، ص ١١٣ .

٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٤١ — ١٤٢ ، (نقلا عن ابن عذارى وروايات نصرانية) .

٤ — ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢١٢ — ٢١٣ ، حاشية رقم ٣ .

٥ — عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ويجعل =

وبوفاة سيف الدولة وتنازله عن روطة لألفونسو السابع يسدل الستار على دولة بني هود في الثغر الأعلى ليعودوا الى الثورة من جديد في عهد الموحدين "١" .

وهكذا عشنا مع احداث الثغر الأعلى في أوج سلطان بني هود فيه ، وفي مرحلة الضعف والعمالة مع النصارى ، ورأينا تذبذب العلاقات المرابطية مع حكام بني هود حتى انتهى الأمر الى احتلال المرابطين لسرقسطة ، ثم رأينا كيف أن المرابطين لم يستطيعوا حمايتها فترة طويلة فسقطت في يد النصارى عام ٥١٢ هـ / ١١١٨م ، وما تلا ذلك من انحسار النفوذ المرابطي في الثغر الأعلى حتى خرجوا منه ، وكيف أن المرابطين بسبب مشاكلهم الداخلية في المغرب لم يستطيعوا اجابة استغاثات أهل سرقسطة بعد أن ملكهم الفونسو المحارب ، ثم رأينا أخيرا عمالة سيف الدولة الذي أصبح عبدا طائعا للنصارى يشترك معهم في غاراتهم المخربة على أراضي المسلمين .

ومن المصادفات الغريبة أن يوافق مقتل سيف الدولة في عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م نفس الفترة التي كانت فيه الدولة المرابطية تلفظ انفاسها الأخيرة ، اذ بعد عام واحد سقطت مراكش في يد الموحدين وكأن القدر قد انزل عقابه على بني هود والمرابطين لتفرقهم وتنازعهم وتناحرهم مما كان سببا لبوادهم وأنتثار عقدهم .

========

= رزق الله الصدفي (تاريخ دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٧٨ — ٧٩) تاريخ وفاته عام ٥٣٦ هـ .

١ — رزق الله الصدفي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٨ — ٧٩ ، (ظهر منهم محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان المستعين بن هود) .

الفصل الثاني

العلاقات السياسية للمرابطين مع

الدول الاسلامية في المغرب والمشرق

ا — العلاقات المرابطية مع امارة بني زيرى في افريقيـــة (تونس)

كانت الظروف مواتية في عهد يوسف بن تاشفين لضم امارة بني زيرى في افريقية الى دولة المرابطين ولكنه فضل سياسة المهادنة مع امرائها لعدة اعتبارات منهـــا : كون بني زيرى سنة على المذهب المالكي ، ومن ناحية أخرى انهم ينحدرون مـــن صنهاجة القبيلة الأم ايضا للمتونه . "١"

هذا وقد تفرع من دولة بني زيرى في عهد أميرها المنصور بن يوسف بلكيـن دولة بني حماد في الجزائر ، وذلك بعد ان استقل بها اخوة حماد بن يوســـف بلكين بها في عام ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م وكون بها امارة مستقلة نسبت اليه . وغالبـا ما اتسمت العلاقات بين الامارتين بالعداء الا ان اواصر القربي والانتماء الاســـرى كانت كثيرا ما تخفف من حدة هذا العداء . وكان حماد قد سبق بني زيرى في خلع طاعة الفاطميين واقامة الخطبة باسم الخليفة العباسي القادر بالله أبو العباس واعلن العودة الى مذهب مالك وذلك في سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م . وأما بنو زيرى فقد — عادوا الى مذهب مالك بعد ان خلع اميرهم المعز بن باديس في عام ٤٤٣ هـ /١٠٥٢م طاعة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، واقام الخطبة باسم الخليفة العباسي القائـم بأمر الله . "٢"

وقد اتسمت علاقات المرابطين بالحماديين بالعداء على الرغم من صلة الجوار التي تجمع بينهما ، بينما اتسمت علاقاتهم ببني زيرى في تونس بالود . وكيفمـــا كانت طبيعة هذه العلاقات بين بنو زيرى في تونس ، وبنو حماد في الجزائر فان —

---

١ — خليل ابراهيم صالح البشير : علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالاندلس والدول الاسلامية ، ص ٣٥٤ — ٣٥٧ " (رسالة دكتوراه لم تطبع) .

٢ — نفس المرجع السابق والصفحات .

انشغال المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين بحروب الاندلس وبتوطيد نفوذهم فيها وكذلك في الجنوب المغربي هو الذى حال دون توسع المرابطين في المغربين الأوسط والادنى على حساب الصنهاجيين ، وجعلت علاقات المرابطين بالصنهاجيين عامة تتسم بالود . وفي المقابل فان هذه السياسة الودية هى التي جعلت الصنهاجيين يمدون المرابطين بالعون عندما طارد قواتهم عبد المؤمن بن علي في نواحي وهران وتلمسان ، ولكن هذه المساعدات لم تؤثر على مجرى الاحداث ولم تحل دون الانتصار النهائي للموحدين على المرابطين . "١"

وفيما يختص ببني زيرى في تونس فقد كانت علاقات يوسف بن تاشفين بهم طيبه ، وقد تجلى ذلك في تبادل الرسائل بينهم والتي كانت تحمل انباء انتصارات المرابطين على الاسبان النصارى ، فبعد انتصار يوسف بن تاشفين في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ارسل الى الامير تميم بن المعز بن باديس (٤٥٣ — ٥٠١هـ/ ١٠٦١ — ١١٠٧م) يخبره بذلك . "٢"

ويبدو أن هذه العلاقات الطيبة استمرت حتى وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦م على افضل ما يكون ، بل وتوثقت اكثر في عهد علي بن يوسف خاصة بعد أن فشلت الحملة البحرية التى جردها روجر الثانى ملك النورمان في عام ٥١١ هـ/ ١١١٧م لمساعدة رافع عامل الامير على بن يحيى (٥٠٩ — ٥١٥ هـ / ١١١٥ — ١١٢١م) على مدينة قابس ، والذى كان قد خرج عليه . فقد قام الامير علي بن يحيى بالاتصال بعلي بن يوسف لوضع الخطط المشتركة ، لمواجهة الخطر النورماني . "٣"

---

١ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

٢ — خليل صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٣٧١ .

٣ — نفس المرجع السابق والصفحة .

كما أدت هذه الحملة الى أن يدرك المرابطون مدى الخطر المترتب على دولتهم ، من وجود النورمان وقوتهم البحرية الضخمة في صقلية ، ولذلك وجه المرابطون اسطولهم بقيادة أبي عبد الله محمد بن ميمون عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢م الى جزيرة صقليع فافتتح منها مدينة نقوطره ( ) وعاد محملا بالكثير من الغنائم والسبايا . وقد أيقن روجر الثانى أن هذه الغزوة لصقلية هى من تحريض صاحب المهدية الأمير الحسن بن علي ، عندها قام باعداد حملة ضخمة بقيادة جرجي بن ميخائيل الأنطاكي بقصد احتلال المهدية ، وقد وصل الأسطول النورمانى المكون من ثلاثمائة سفينة تحمل على ظهرها نحو ألف فارس في أواخر جمادى الأولى من عام ٥١٧ هـ الى ساحل أفريقية وبعد أن فتح النورمان جزيرة قوصره "١" قصدوا المهدية حيث حققوا بعض النجاحات ، الا أن الدائرة دارت عليهم وعاد من سلم الى صقلية . "٢"

وبعد عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣م أصبحت دولة المرابطين عاجزة عن تقديم أية مساعدة لصاحب المهدية ، وكان من نتيجة ذلك أن تعرضت السواحل التونسية الى هجمات متكررة من الأسطول النورماني الذى توج انتصاراته بدخول جزيرة جربه عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥م ، والمهدية عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م . "٣"

---

١ ـ جزيرة صغيرة لا تزيد مساحتها على ١٠٠ كم تقع بين صقليه وتونس ، وتبعد عن الأولى ١٠٠ كم ، وعن الثانية ٧٠ كم ،فتحها المسلمون أيام عبد الملك ابن مروان ، وهي اليوم تتبع لايطاليا رغم قربها من تونس وتعرف بانتيليرا : انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ـ محمود شاكر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ، ص ٢٥ .

٢ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٥ ـ ٦٨ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦١١ ـ ٦١٢ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٧٨ ـ ٦٧٩ ـ خليل ابراهيم صالح البشير : المرجع السابق ص ٣٧٢ ـ ٣٧٥ .

٣ ـ خليل ابراهيم صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

أما بالنسبة للعلاقات المرابطية الحمادية، فكان يغلب عليها طابع العـــداء حتى وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦م ، ولعل ابرز مثال على ســوء العلاقات في هذه الفترة أن الحماديين استغلوا انشغال يوسف بن تاشفين بالنصارى في معركة الزلاقة، وتحالفوا مع قبائل بني هلال لمهاجمة الاراضي المرابطية. الا أن يوسف فوت عليهم ذلك برجوعه بسرعة متناهية بعد انتهاء المعركة ، وقام بتحصين المغـرب الأوسط والأقصى ، ثم بعث برسالة الى الأمير الحمادى الناصر بن علناس (٤٥٤ ـ ٤٨١ هـ / ١٠٦٢ ـ ١٠٨٨ م) يعاتبه على فعلته . وفي عام ٤٩٦ هـ / ١١٠٢م حاول المنصور بن الناصر الحمادى (٤٨١ ـ ٤٩٨ هـ / ١٠٨٨ ـ ١١٠٤م) أن يسترجع مدينة تلمسان من يد المرابطين الا أنه فشل في ذلك ، ولكن بعـــد عام ٥٠٠ هـ / ١١٧٦ م تحسنت العلاقات بين الطرفين خاصة بعد ظهــور محمد بن تومرت لشعور الطرفين بالخطر المشترك ، لذا نجد أن المرابطيــــن يستنجدون بالحماديين لصد هجمات الموحدين عندما اشتد خطرهم فلم يتوان الحماديون في ارسال قواتهم لمساعدة تاشفين بن علي، الذى اشتبك مع القوات الموحدية في معركـة عنيفة الا أنه هزم فيها ويبدو أن سبب الهزيمة كان بسبب تواطؤ قائد قوات الحماديين طاهر بن لباب مع عبد المؤمن بن علي قائد الموحدين ، إذ اتصل الأول بالثانــي بطريقة سرية وأدّى له الولاء "١" ، وبعد هذا الحادث بقليل ســقطت الدولة المرابطيـــة .

---

١ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٣٦٠ ـ ٣٧٠ .

ب ـ علاقات المرابطين مع الدولة العباسية

==============================

رأينا في التمهيد، كيف كان العالم الاسلامي منقسما على نفسه، يعتريه الضعف وتفرق الكلمة نتيجة للصراعات المذهبية، خاصة بين الشيعة والسنة . وكيف أضحت الخلافة العباسية اسيرة لسلطان السلاجقة، وغدا الخليفة العباسي مسلوب السلطة . الا انه مع ذلك بقي رمزا للخلافة الاسلامية السنية تتجه اليه الأنظار وتقام باسمه الخطبة من فوق المنابر .

وكذلك كانت الخلافة الفاطمية قد دخلت دورها الثاني وهو دور الضعف والانحلال، وانتقلت السلطة من الخلفاء الى الوزراء . وانقسم البيت الفاطمي على نفسه، ودخلوا في صراعات مريرة . "١"

ولكن على الرغم من وهن الخلافتين العباسية والفاطمية، في الفترة المعاصرة لدولة المرابطين فقد كانت الدعوة لاحداهما تعني تبنى اتجاه مذهبي معين واتباع سياسة تتمشى والاعتراف بالتبعية لهذه الخلافة أو تلك، وان كانت هذه التبعية امرا صوريا بحتا لم يكن له آية قيمة من حيث تمتع الدول الاسلامية التى استقلت عن سلطان العباسيين أو الفاطميين بسلطانها الفعلي في بلادها .

وكان المغرب كما هو معلوم مركز الخلافة الفاطمية الأول الذى انتقلت منه الى مصر . ولذلك كان أهل المغرب منقسمين على انفسهم، فقسم منهم يؤيد الخلافة العباسية وهم السنة المالكية . وقسم آخر يؤيد الخلافة الفاطمية، وهم الشيعة الذين تأثروا بالدعاة الفاطميين خلال اقامتهم بين ظهرانيهم . فخطب حكام دولة بني زيرى وبني حماد للخلافة الفاطمية فترة من الزمن ثم تخلوا عن الخلافة الفاطمية وأعلنوا ولاءه للخلافة العباسية كما أشرنا من قبل . وكان انقسام أهل المغرب الى سنة وشيعة يعني من الناحية السياسية أن قيام دولة قوية في بلاد المغرب على مذهب السنة أو الشيعة، انما كان يعنى تغييرا كبيرا في ميزان القوى

---

١ ـ انظر : التمهيد .

المذهبية والسياسية في بلاد المغرب .

وفعلا عندما قامت دولة المرابطين السنيه مالت بصورة تلقائيه الى جانب الخلافة العباسيه ، وأخذت تعزز علاقاتها معها باعتبارها رمزا للخلافة الاسلامية السنيه ، وفي المقابل كان الاعتراف بالخلافة العباسيه يكسب حكام الدولة المرابطيه احتراما وتقديرا من قبل رعاياهم .

أما عن أقدم اشارة عن العلاقات العباسية المرابطيه فهي موضع خلاف بين المؤرخين ، فقسم منهم ذهب الى انها تعود الى فترة مبكرة من حياة الدولة المرابطيه ، وعلى رأس هؤلاء ابن تغرى بردى "٢" الذى أشار الى انها تعود الى عهد الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر (٤٥١ ـ ٤٨٠ هـ / ١٠٥٩ ـ ١٠٨٧) الذى خطب في عهده للخليفه العباسي ، وتؤيد السكة المرابطيه رواية ابن تغرى بردى في أن العلاقات بين الطرفين قد بدأت في فترة مبكره ، وهذا ما دلت عليه بعض الدنانير المرابطيه المضروبه في سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م . بمدينة سجلماسه والتى ذكر عليها اسم أمير المؤمنين عبد الله "٢" .

الا أن هذه المسألة الأخيره موضع خلاف بين المؤرخين وعلماء السكه ، ففريق يرى أن المقصود بأمير المؤمنين هو عبد الله بن ياسين ، وفريق أخر يرى أن المقصود بذلك هو الخليفة العباسي ، ولكن الفريق الاول يعوزه الدليل ، أما الفريق الثاني فلديه الأدلة المنطقية التي تؤكد على أن الخليفة العباسي هو المقصود بأمير المؤمنين الذى ضرب اسمه على سكة سجلماسه ، لأن عبد الله

---

١ ـ النجوم الزاهره ، ج ٥ ، ص ١٢٦ .

٢ ـ محمد ولد داداه : مفهوم الملك في المغرب ، ص ١١٣ ـ

عبد النبي محمد : المرجع السابق ، ص

ابن ياسين لم يلقب الا بالألقاب التاليه : (الامام ، والشيخ ، والفقيه)، وكذلك خلفاؤه لم يلقبوا بأمير المؤمنين بل لقبوا ، بالأمير ، وأمير المغرب ، وأمير المسلمين "١" ، في حين أن عددا لا بأس به من خلفاء الدولة العباسيه قد تلقبوا أو سموا بعبد الله ومن أمثلة ذلك : (السفاح : عبد الله بن محمد بن علي ، والمهدى : ابو عبد الله محمد بن المنصور ، والأمين : محمد ابو عبد الله ، والمأمون ابو عبد الله ، والمنتصر بالله : محمد ابو عبد الله ، والمعتز بالله : ابو عبد الله ، والمهتدى بالله : محمد ابو عبد الله ، والمستكفي بالله عبد الله). بل أن الخلفاء المعاصرين للدولة المرابطيه كانت اسماؤهم عبد الله أو كانوا يكنون بأبي عبد الله ، فالقائم بأمر الله عبد الله (٤٢٢ — ٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ — ١٠٧٤م) ، والمقتدى بأمر الله عبد الله بن محمد المتوفى عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م . "٢"

ومما يدعم ما ورد على السكة من أن المقصود هو الخليفة العباسي أن الخليفة المستظهر بالله لقب نفسه بعبد الله في الرسالة التي بعثها الى علي بن يوسف "٣" على الرغم من أن اسمه المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله . "٤"

ويتصدر ابن الأثير "٥" والمراكشي "٦" والسلاوى "٧" الفريق

---

١ — خليل ابراهيم صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٣٨٤ .

٢ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٨٧

٣ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

٤ — السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧٨ .

٥ — الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥٥ ، ٤١٧ .

٦ — المعجب ، ص ١٤٧

٧ — الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

الذى يؤكد على أن الاعتراف بالخلافة العباسيه من قبل حكام المرابطين لم يتم الا في عهد يوسف بن تاشفين الذى استجاب لرغبة علماء وفقهاء ووجهاء رعيته الذين خاطبوه بوجوب الاعتراف بالخليفة العباسي لتجب طاعته ٠

وتختلف الروايات حول بداية العلاقات بين يوسف بن تاشفين والخلافة العباسية ، ولكنها تجمع على أنها كانت علاقات طيبه ٠ وهذا ما أكده ابن عذارى "١" عندما أورد رفض يوسف لاقتراح اشياخ القبائل عليه في عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣م بأن يلقب بأمير المؤمنين فرد عليهم بقوله : ((٠٠٠٠٠ حاشا لله أن اتسمى بهذا الأسم انما يتسمى به الخلفاء وأنا راجل الخليفة العباسي والقائم بدعوته في بلاد المغرب)) ٠

وفي عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤م وصل الى يوسف بن تاشفين خبر وفاة الخليفه العباسي القائم بأمر الله وبيعة الخليفه المقتدر بالله في الثالث عشر لشعبان من السنة المذكوره "٢" ٠ ويحدد السيوطي "٣" تاريخ بداية الصلات بين الطرفين بعام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م فيذكر أنه في هذه السنه بعث صاحب سبته ومراكش الى الخليفة العباسي يطلب منه أن يسلطنه على ما تحت يده من البلاد فرحب الخليفة العباسي بذلك وبعث اليه بالخلع والأعلام ، والتقليد ولقبه بأمير المسلمين ففرح بذلك وسر به فقهاء المغرب ٠٠ وهناك من يحدد بداية هذه العلاقات بعام ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م "٤" ومن يحددها بعام

---

١ ـ البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٧ ٠

٢ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٨

٣ ـ تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧٥ ٠

٤ ـ حسين مؤنس : سبع وثائق جديده عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ٢ ، ع ١ ـ ٢ ١٩٥٤ ، ص ٦٣ ـ ٦٥ ٠

٤٩٠ هـ / ١٠٩٧م عندما بعث يوسف بن تاشفين بعثة دبلوماسيه مكونة من عبد الله بن العربي ونجله القاضي أبي بكر الى أبي العباس أحمد المستظهر بالله الخليفة العباسي في بغداد الذى استقبل الوفد في عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٧م "١" بحضور الوزير العباسي ابن جهير "٢" ، وقد أسفرت المقابلة عن اعتراف الخليفة العباسي بشرعية امارة يوسف بن تاشفين وعاد الوفد يحمل التقليد له وحاملا اليه أيضا رسائل من أبي حامد الغزالي ، والطرطوشي يحثانه فيهما على مواصلة خدمة الاسلام والمسلمين ويفتيانه في الحكم على ملوك الطوائف بوجوب الخلع . "٣"

ولما ورد التقليد الى يوسف بن تاشفين من الخليفة المستظهر بالله ضرب السكة باسمه "٤" ، واتخذ السواد شعارا للمرابطين في ملابسهم واعلامهم كما أقام الخطبة له على منابر بلاده . "٥"

---

١ ـ خليل ابراهيم صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ ـ ومن الجدير بالذكر أن رحلة ابن العربي بدأت في يوم الأحد مستهل ربيع الأول من سنة ٤٨٥ هـ وانتهت عام ٤٩٣ هـ ، انظر : عبد الجليل الطيار : الدراسات اللغوية في الأندلس ، ص ١٦ .

٢ ـ عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، ج ١ ، ص ١٤٣ حاشية رقم ١٠٥

٣ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠١ ـ ١٠٢

٤ ـ عبد النبي محمد : المرجع السابق : انظر (الجداول) ـ سرهنك : دول البحار ، ج ١ ، ص ٢٩٠ ،

٥ ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٣١٤ .

وبقيت العلاقات المرابطيه العباسيه طيبة طوال حياة يوسف بن تاشفين ، وآخر اشارة تدل على ذلك تعود الى عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م عندما بعث يوسف ابن تاشفين رسالة الى المستظهر بالله العباسي يخبره فيها أنه خطب له على منابر مملكته ويطلب منه الخلع والتقليد فبعث اليه بما طلب . "١"

ويظهر من الرواية السابقة أن يوسف بن تاشفين كان يرسل بين الفينة والفينة رسائله الى الخليفة العباسي لتجديد العهد له وتوكيد اواصر العلاقات الطيبة بينهما .

وفي عهد علي بن يوسف غلب على العلاقات المرابطيه العباسيه طابع الود والألفه وهذا يتضح من خلال الرسائل المتبادلة بين الطرفين التي كان يؤكد فيها أمير المسلمين علي بن يوسف على حرصه على التبعيه للخليفة العباسي واخباره بأوضاع بلاده وما يقوم به من جهاد ضد الأعداء وحرصه على نشر العدل والمساواة بين رعيته .

وقد دأب الباحثون عند الاشارة لهذه العلاقات على الاستشهاد بالردود العباسيه دون ايراد اية رسالة صادرة عن أمير المسلمين علي بن يوسف الى الخليفة العباسي ، وكان البحث بحمد الله اسفر عن العثور على رسالة موجهة من علي بن يوسف الى الخليفة المستظهر بالله العباسي والتي يمكن أن نعتبرها نموذجا لرسائله للحضرة العباسيه .

ويبدو أن المكاتبات بين أمير المسلمين علي بن يوسف والخلافة العباسيه تعود الى فترة مبكره من حكمه ، وهذا ما يرجحه الدكتور حسين مؤنس مستشهدا برسالة موجهة من الخليفة العباسي المستظهر بالله الى علي بن يوسف ، وهي بدون تاريخ ، ولكنه يرجح أنها كتبت في السنة الأولى من حكم علي بن يوسف

---

١ — ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩١ .

سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦م ، وهي جواب على كتاب ارسله علي بن يوسف يطلب فيه التقليد فرد عليه الخليفه العباسي بما طلب ، وأوصاه بالاستمرار في الجهاد في سبيل الله . ومن فصول هذه الرساله : ((من عبد الله أبي العباس المستظهر بالله أمير المؤمنين الى هيم الدولة العباسية وزعيم جيوشها المغربيه علي بن يوسف بن تاشفين ... أما بعد فالحمد لله مقدما على كل قال .. وعرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك الموضح لاخلاص عقيدتك ، المطبوع بطابع الدين المعرب عن تمسك بحبل الله متين .... وتجرد للدفاع عن الاسلام والمسلمين ، وبع أعراض العاجلة بالمغفرة من رب العالمين ، واعلن بالدعاء لأمير المؤمنين على ذوائب المنابر تكن الظافر بالاعداء والظاهر ....)) "١" .

ومن الرسائل التي بعث بها علي بن يوسف الى الخليفة العباسي المستظهر بالله رسالة يبدو أنها كتبت بعد أن جاءه التقليد من بغداد ، فهو يؤكد فيها على تمسكه بولائه للخلافة العباسيه ومخبرا اياه بحال بلاده واستمراره في اقامة الحق ومقارعة الأعداء عن ثغور المسلمين والرسالة غير مؤرخه ، ويظهر انها ارسلت بين عامي ٥١١ هـ و ٥١٢ هـ / ١١١٧م و ١١١٨م ، وذلك على ضوء رسالة ارسلت من قبل الخليفة العباسي المستظهر بالله عام ٥١٢ هـ / ١١١٨م يظهر انها كانت ردا على الرسالة تلك والتي سنورد بعضا من فصولها بعد رسالة أمير المسلمين علي التي من فصولها : ((.... ونسأله الصلاة على محمد رسول الله المنتخب اللباب من أكرم الأنساب وأن يختص حضرة أمير المؤمنين سليل الخلائف بصفايا العوارف ويجمع على الأقدار بحقها والاعتراف بفضلها كلمة المخالف والمحالف وعقيدة المتجانف والموالف عن أوفى عهد وأقوى عقد في التمسك بعلائق طاعتها والتقليد لقلائد امامتها بعد أن وصل اليه

---

١ ـ حسين مؤنس : سبع وثائف جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس ، ص ٦٦ ـ ٦٨ .

كتابها العزيز من مراسمها العالية ..... على أنه مازال يحمل مشايعتها ومبايعتها معتصط ومعالامة أمامتها وخلافتها معلما والاحكام سنتها العادلة متقلدا ملتزمـا وفي مجاهدة اعداء الذين وحماية أرجاء المسلمين مجتهدا ..... يشيد بالدعـاء لها على منابر بلاده ...)) "١" ، ثم يوضح اليه أنه جعل تقوى الله تعالـى اساسا لسياسته ومعاملاته وجعل القرآن والسنة دستورا لدولته ، وأنه قطـع دابر الظلم وضبط اعمال ملكته ، ووفر الجند من أجل الجهاد في سبيل اللـه فقضى على أطماع الكفار في بلاد المسلمين عازيا ما تتمتع به بلاده من أمن وقوة الـى بركة تبعيته الى الخلافة العباسية .

وفي عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م رد الخليفة العباسي على رسالة أميـر المسلمين السابقه فيما بعد ومما جاء فيها بعد المقدمات التقليديه : ((... وأما ما أنهيتـه من توفر الأجناد ومثابرتك على الجهاد لدفع ادناس الكفره فيما يليك من البـلاد فانك وطائفتك من " حزب الله وحزب الله هم الغالبون " ... وتجرد للدفاع عـن الاسلام والمسلمين وحطم صاعدك في نحور اعداء الله الكافرين ، وأعلن بالدعـاء لأمير المؤمنين على المنابر تكن الظافر بالأعداء ... " "٢"

ويبدو أن تلك العلاقات التي رأيناها نقية صافية بين الدولة المرابطيه والدولة العباسيه في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وبداية عهد علي بن يوسـف قد طرأ عليها بعض التغيير في أواخر عهد علي بن يوسف إذ اننا لم نجد اسم الخليفة العباسي على دينار ضربه الأمير تاشفين ولي عهد علي بن يوسف "٣" ، وهـذا ما أكده المراكشي "٤" عندما قال : " وانقطعت الدعوة بالمغرب لبني العبـاس بموت أمير المسلمين وابنه " .

---

١ ـ محمد بن ابراهيم بن خيره المواعيني الاشبيلي : ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب ، ورقة ٣٥ ب ، ١٣٦ (انظر الرسالة في الملاحق) .

٢ ـ مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٨٨ ـ ٨٩ .

٣ ـ محمد ولد داداه : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

٤ ـ المعجب ، ص ٢٧٢ .

ج — علاقات المرابطين مع الدولة الفاطميه .

==========================

لم يفكر المرابطون في الأعتراف بالخليفة الفاطمي في القاهرة لسوء اعتقادهم في الفاطميين فيهم ولعداوتهم لهم ، وهذا يتفق مع موقف الدولة العباسيه التي يخطبون باسمها في المغرب فقد كانوا ينظرون الى الخليفة العباسي على أنه الخليفة الشرعي الذى يجب أن يخطب له على منابرهم ، وفي المقابل كانوا لا يعترفون بشرعية خلافه الفاطميين "١" .

وحاول أمير الجيوش بدر الجمالي تحسين علاقاته مع المغاربه الا أنهم لم يميلوا اليه ، وعندها أمر بقتل من ظفر به منهم . ولكن ابنه الأفضل بن بدر الجمالي نجح في استقطاب المغاربه الى بلاده ، ولحسن معاملته لهم أخذ العديد منهم يرحلون الى مصر ، وقد شارك بعضهم في حروب الأفضل ضد الصليبيين ، فيذكر في هذا الصدد أن رجلين أحدهما يلقب بالفقيه قد حضرا مع الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش بمصر موقعته مع الافرنج "٢" ، وأبليا بلاء حسنا ثم توجه الفقيه الى بغداد فوعظ في جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو متلثم "٣" لا يظهر منه غير عينيه . "٤"

ويظهر أن هيمنة الفاطميين في مصر على طريق حجيج المغرب والأندلس الى مكه وخاصة بعد نجاح الصليبيين في اقامة مملكة بيت القدس والسيطرة على

---

١ — ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤١٤ .
٢ — محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٥٩ .
٣ — هذا يعني أنه من المرابطين لأنه من عادتهم التلثم .
٤ — ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤١٤ .

الكرك اضافة لسيطرة الفاطميين على الحجاز في فترات متقطعة "١" ، جعل المرابطين يجنحون الى سياسة مسالمة الخلافة الفاطمية ليضمنوا سلامة حجاجهم ، وهذا ما دلت عليه احدى الوثائق التي عثرت عليها وهى عبارة عن رسالة موجهة من قبل علي بن يوسف بن تاشفين الى الأفضل بن بدر الجمالي يخبره فيها عن أحوال الدولة المرابطية ، وما حققه من انتصارات على الممالك النصرانية خاصة مملكة برشلونه ثم يثني على الأفضل بن بدر الجمالي وعلى خدماته التي يقدمها للحجيج المارين في مصر ويوصيه على شخصية كبيرة من المرابطين اشتهرت في الجهاد تريد الحج الى بيت الله الحرام ، وزيارة المدينة المنورة ، وتعود أهمية هذه الوثيقه الى أنها الوحيده التي نملكها عن العلاقات المرابطيه الفاطميه .

ومن فصول رسالة أمير المسلمين علي بن يوسف الى الأفضل بن بدر الجمالي ،

" ..... الى الأفضل صاحب مصر .... من حضرة المغرب مقر سلطاننا .... اثر قفولنا من الغزوة الطافية وقد حسنت لنا آثار .... وأناخت جيوشنا بمدينة برجلونه أعزبلاد هم دارا وأجلها مقدارا ..... ولما كان بيننا وبين حضرته الكريمه .... وجب أن تهدى اليها حتى أمكننا رسول وتأتي لنا في مطالعتها سؤل جملا من أخبارنا ولمعا من آثارنا .... ويتأدى كتابنا غدا الى حضرته العزيزة .. من يد فلان ..... وأحد كبراء اسرتنا وأعيانها .... رأى أن ينتقل من حسن الى حسن وأن يجمع بين الغزو والحج ... " "٢" .

---

١ - محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣٦ .

٢ - ابن خيره المواعيني : المصدر السابق ، ورقة ٣٦ ، انظر الرسالة كاملة في الملاحق .

الباب الثالث

جهاد علي بن يوسف بن تاشفين ضد الممالك والأمارات الاسبانية والنصرانية

الفصل الأول

- جهاده ضد مملكة قشتاله وقلمريه .

لقد اتخذ الصراع بين النصارى والمسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية صفة الجهاد المقدس من قبل المسلمين ، وصفة حركة الاسترداد من قبل النصارى ، وكان كل طرف يطمع بأن يسود دينه في هذه الرقعة ، وقد استطاع الهلال ان يرتفع على الصليب عدة قرون بفضل جهود حكام الأندلس المخلصين . وكان الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢ - ١٨٠ هـ / ٧٨٩ - ٧٩٦ م) أول من بدأ حركة الجهاد ضد الجليقيين فكان أول من جهز الصوافي والشواتي ضدهم ، وانزل بهم في سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م هزيمة منكره والحق بهم خسائر كبيرة في الارواح والعتاد في معركتين كبيرتين "١" . وتمكن ابنه الحكم بن هشام الربضي (١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م) من تحقيق انتصارات رائعة عليهم عام ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م ، وكذلك نجح في التصدى لجيوش الفرنجة بقيادة لويس بن شارلمان عام ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م عندما حاولت احتلال مدينة طرطوشه وفي عام ١٩٧ هـ / ٨١٣ م ، افتتح عدة حصون ، وفي العام التالي أغار على اراضي برشلونه "٢" ، أما عبد الرحمن الأوسط فلم يكن أقل حماسا للجهاد من سابقيه ، فتصدى للنورمان في عام ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م بكل بسالة واجلاهم عن الأندلس ، وقام أيضا بعدة حملات ناجحة في اعوام ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ضد الاسبان النصارى وكبدهم خسائر فادحه "٣" .

وتابع الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ/٩١٢ - ٩٦١م) جهاده للممالك الاسبانية النصرانية بحماس منقطع النظير فبعد أن نجح في توحيد جبهته

---

١ - كانت الموقعة الأولى عند ألبه ، والثانية مع برمودا الكبير ملك استوريش عند نهر بوريا انظر السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص ٢١٦ .

٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

٣ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

الداخلية ، أخذ يجيش الجيوش ويقودها في بعض الأحيان بنفسه ضد هذه الممالك حتى دوخها وأذعنت له بالطاعة ، وهادنته ، وبعثت أليه بالسفارات والهدايا لخطب وده ليكف عن غزو بلادها . "١"

أما المنصور بن أبي عامر فلم تشغله امور الدولة عن الجهاد ، فقام بخمسين غزوة ضد الممالك النصرانية لم تنكس له فيها رايه ، ففرس في قلوب اعدائه الذعر والهلع وشرد جيوشهم ، وهدم حصونهم ومعاقلهم . وأذلهم بانتصاراته العديده وغزواته المتكرره ، ففي عام ٣٧١ هـ / ٩٠١١ م تمكن من اسقاط سموره في جنوب مملكة ليون ، وكذلك تمكن من الاستيلاء على برشلونه واحرقها ، وفي عام ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م وصل الى شنت ياقوب في كومبوستلا ، والتى تعتبر ثالثة المواضع التي يقصدها الحجاج النصارى بعد بيت المقدس وروما ، ولكنه لم يتعرض للكنيسة نفسها التي يدعي الاسبان النصارى ان القديس يعقوب مدفون بها . وفي عام ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م اقتحم قشتاله وهزم النصارى هزيمة نكراء . "٢"

وبعد وفاة المنصور بن أبي عامر عام ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م تابع خليفته عبد الملك بن المنصور الجهاد ضد الممالك النصرانية فأوغل في عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢م في اراضي برشلونه وفي عام ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م احتكمت اليه ملوك النصارى فيما شجر بينهم من خلافات حول العرش ، فتوسط عبد الملك بين قومس قشتالة شانجه بن غرسيه وبين قومس غليسيه مندس جنثالث (Menendo Gonzalez) الوصي على الفونسو الخامس ملك ليون الصغير ، وقصد قومس قشتالة شانجه بن غرسيه قرطبة لطلب مودة عبد الملك وعرض خدماته للتحالف معه ضد الممالك النصرانية

---

١ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

٢ - ستيفن ريشيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٢٤ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٣٣١ - ٣٣٢ - وعن شنت ياقوب انظر : شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٦١ - ٦٢ .

الأخرى . "١"

ولكن بعد وفاة عبد الملك بن المنصور في عام (٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م) تغيرت الأوضاع لصالح الممالك النصرانية . وتوقف الزحف الاسلامي نحو الشمال الاسباني فترة وجيزة من الزمن "٢" . فبعد هذا التاريخ انتثر عقد الأندلس ، خاصة بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠م ، اذ انتزى المتزون الطامعون في السلطة كل في منطقته واذا بنا أمام مجموعة كبيرة من دويلات الطوائف ديدنها التنافس والتناحر على السلطه ، واعماها هذا التنافس عن رسالتها الجهاديه ، فأخذت كل دويلة تستعين بالنصارى على اختها ، ودفع معظمهم الأتاوات لملوك النصارى بكل خسة ونذاله كما أوضحنا في التمهيد .

وفي هذا الوقت الذي كان يعاني فيه الأندلس ويلات التفكك والتخبط في حمامات دماء الحروب الأهلية كانت الممالك النصرانية في الشمال الأسباني وأوروبا تعد نفسها للقيام بعمليات منظمة ضد المسلمين في المشرق والأندلس . ووضع بابوات أوروبا خططهم لاحتواء الصراع الدائر بين الممالك النصرانية الشمالية والمسلمين وصبغه بالصبغه الصليبية بدلا من الصبغة القومية ، واستغلوا مكانتهم لالهاب عواطف النصارى الأسبان والأوروبيين ضد المسلمين في الأندلس . وممن ساهم بشكل جدى في هذا المجال البابا ايربان الثاني الذى أصدر فتواه للحجاج الأوروبيين العازمين على التوجه لاداء فريضة الحج الى بيت المقدس بأنه خير لهم أن ينفقوا أموالهم في عمارة المدن الاسبانية التى خربها المسلمون . وبادر البابا الاسكندر الثاني الى اصدار صك غفران لكل من قاتل من أجل الصليب في اسبانيا ، وقام بتجنيد الجيوش لمواصلة قتال المسلمين في الأندلس ، وأخذت جموع المتطوعة من الأوروبيين خاصة من الفرنسيين تتدفق على الممالك النصرانية الشمالية .

---

١ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٢٦ — ٣٢٩ .

٢ — ستيفن رنسيمان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤ — ٣٥ .

وأصدر البابا جوريجورى السابع نداء الى اوروبا يذكر فيه أن اسبانيا تنتمي الى المقر المقدس ، وأن المسيحيين سوف ينعمون بما يفتحونه من أيدى المسلمين من الأراضي، وأخذ يؤيد ويشجع كل حملة تتوجه من أوروبا الى اسبانيا ." ١"

وأتت هذه الجهود ثمارها برفع معنويات نصارى الشمال الأسباني ، ونجح الفونسو السادس في احتلال مدينة طليطله عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م . عندها استيقظ ضمير ملوك الطوائف فانطلقت صرخات الاستغاثة منهم تطلب العون والمساعدة من دولة المرابطين فلم يتوانى يوسف بن تاشفين عن مساعدتهم اذ تقدم بجحافله الى الأندلس ليقهر النصارى في موقعة الزلاقة في عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م ، ثم يعود الى بلاده غانما كما أوضحت في التمهيد .

وبعد هذا النصر المؤزر الذى احرزه يوسف بن تاشفين على النصارى ، انطلقت صرخات الاستغاثه من نصارى الشمال الأسباني مدوية في أنحاء اوروبا داعية الى حرب صليبية جديدة ضد المسلمين فتدفقت المتطوعة من اوروبا الى الشمال الاسباني منذ عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧م "٢" مما ألهب نفوس نصارى الشمال حماسا لمواصلة محاربة المسلمين ، في الوقت الذى يأس فيه يوسف بن تاشفين من توحيد كلمة ملوك الطوائف لمواجهة الحلف الصليبي ، عندها لم يجد بدا من اسقاط ملوك الطوائف ليحبط مخططات النصارى التي كانت تهدف الى طرد المسلمين من الأندلس ، فتم له ذلك ، وأصبح وجها لوجه معهم كما أوضحت في التمهيد .

لقد حمل المرابطون راية الجهاد وخاضوا معارك مشرفة ساهمت في تأخير سقوط الأندلس عدة قرون ، وفي نفس الوقت كان الحماس الديني قد وصل الى القمة

---

١ — المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٦ — ١٣٧ .

٢ — المرجع السابق نفسه والصفحات .

عند النصارى خاصة بعدما نجح الصليبيون في احتلال بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م "١" ذهب الأسبان للانضمام الى الحملات الصليبية المتوجهه الى الشرق للمشاركة في شرف القتال "٢". ولكن رجال الكنيسة الأوروبية رفضوا مشاركة الأسبان في هذه الحملات لادراكهم خطورة الجبهة الأسبانيه مع المسلمين ، لأن المعارك الدائرة في اسبانيا تدور على أبواب أوروبا ذاتها وكان من الممكن أن تتغير الخارطة السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية لو قدر للمجاهدين المسلمين أن ينجحوا في اختراق الممالك النصرانية الشمالية في اسبانيا ، أما في الشرق فكان الحال مختلف فلو لم يحالفهم الحظ قنعوا بالعودة الى ديارهم . "٣" ، ويظهر أيضا أن الصليبيين كانوا يهدفون من وراء اشعال حرب في شبه الجزيرة الايبيرية اشغال مسلمي الأندلس عن اخوانهم في المشرق فلا يقدمون لهم اية معونة "٤" . أجل لقد تحولت الدعوة البابوية لحرب صليبية في اسبانيا الى اتجاه عملي ، وتجسدت تلك الدعوة بشكل جلي عندما حشد الفونسو المحارب حملة صليبية ضخمة شارك فيها عدد كبير من الأوروبيين أمام سرقسطة لاسقاطها فكللت جهودهم بالنجاح وأمن بابا روما بعد ذلك على سلامة الحجاج المتوجهين لزيارة كنيسة شانت ياقوب "٥".

---

١ ـ ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ .

٢ ـ عبد الكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس ، ص ٦٠٠ .

٣ ـ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٤٧ .

٤ ـ عبد الكريم التواتي : المرجع السابق ، ص ٦٠٠ .

٥ ـ رنسيمان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ ـ الفصل الخاص بعلاقات المرابطين مع بني هود في سرقسطه .

بهذه الروح المجبولة بالتعصب والحقد كانت الممالك النصرانية تحارب المسلمين في الأندلس وتسعى لطردهم من ديارهم. الا أنه يجب عدم تجاهل دور العامل الاقتصادي في تحريك نصارى الشمال نحو الجنوب الاسلامي ، فقد كان سكان الشمال الاسباني جفاة غير مثقفين ، وقليل من امرائهم من كان له حظ من مبادئ العلم ، وكانوا من الفقر وعسر الحال اعجز من أن يتمتعوا بفنون الرخاء والدعة التي كان يتمتع بها أهل الأندلس الاسلامي ، غير أنهم كانوا رجال حرب وجلاد ، وكانوا يبيعون شجاعتهم لمن يدفع أغلى ثمن لأنهم كانوا يحاربون ليعيشوا. وتحت هذه الظروف الاقتصادية الممزوجة بالروح الصليبية كان النصارى يحاربون المسلمين في الأندلس . "١"

ولقد استجاب المرابطون للتحدي الصليبي واحبطوا الكثير من مخططاتهم التوسعية في الفترة الأولى من حكمهم للأندلس فقد حقق يوسف بن تاشفين انتصارات رائعة عليهم ولما قضى نحبه سار ولده علي بن يوسف على خطاه في الجهاد فخاض سلسلة من المعارك الحاسمة مع اعداء أمته ربح بعضا منها وخسر بعضها الآخر .

ولكن أوضاع المرابطين بدأت تضطرب بعد خروج محمد بن تومرت عليهم مما ادى الى رجحان كفة النصارى ونشاط حركة الاسترداد ، وأخذ المرابطون يفقدون الكثير من مواقعهم الاستراتيجية في الأندلس وكان ذلك بداية لأفول نجم المسلمين في هذه البلاد ولنتحدث بشيء من التفصيل عن جهاد علي بن يوسف ضد الممالك الاسبانية النصرانية .

---

١ — علي الجارم : قصة العرب في اسبانيا ، ص ١٧٣ .

جهاده ضد مملكة قشـــتاله

====================

لقد حالت الظروف دون توغل الجيوش الاسلامية في المناطق الشماليـــة الغربية من شبه الجزيرة الايبيرية والمعروفة باسم اشتوريش (As turias) ، مما اتاح للنصارى فرصة لاقامة مملكة لهم في منطقة ليون. وحتى تحمي هذه المملكـــة الناشئة نفسها من غارات الجيوش الاسلامية قامت بانشاء حزام من القلاع والحصـــون خاصة من جهة الشرق والجنوب ، وقد عرفت هذه القلاع والحصون في المصـــــادر الاسلامية باسم القلاع بينما سماها الأسبان كاستيلوس (Castellos) أي الحصون . وقد تمتعت هذه القلاع بشبه استقلال ذاتي عن مملكة ليون للتمكن مـن اتخاذ التدابير السريعة لمواجهة اى هجوم يقع فجأة ودون الرجوع للحكومة المركزيـــة في ليون . "١"

وفي القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى اتحدت هذه القلاع تحت قيادة فرنان جونثالث (Fernan Gouzatez) ، الذى كـــان مقتنعا بضرورة تحرير قشتاله من سلطان ليون ، وفعلاً اعلن الحرب على ملك ليـــون راميرو الثانـــــي ، وانتهي الامر باستقلال فرنان في قشتاله "٢" .

وتنقسم مملكة قشتالة الى قسمين ، قشتالة القديمة وهى المنطقة الشمالية التي نشأت فيها والقاطعات التى حولها مثل برغش ، وشقوبيه "٣" . وقشـــتالة الجديده التي تتكون معظمها من اراضي مملكة طليطلة بعد سقوطها عام ٤٧٨ هـ /

---

١ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، حاشية رقـــم ١ .

٢ ـ Abdurrahman Ali El-Hajji, Andalusian Diplomatic relations with Western Europe During the Umayyad period, A.H.138 - 366/A.D. 755-976 ,P.49.

٣ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، حاشية رقم ١ .

١٠٨٥م والتي تمتد جنوبا الى جبال الشارات • "١"

ثم مالبثت قشتاله أن التهمت مملكتي أرغونة ونبره وبسطت نفوذها ولغتهـا رسميا على جميع اسبانيا فيما بعد ، وكذلك امتدت لغتها جنبا الى جنب مع حركة الكشوف الجغرافية "٢" وقد وصفها القلقشندى "٣" بأنها مملكة عظيمة ذات عمالات متسعة •

ومن حسن حظ أمير المسلمين علي بن يوسف أنه ما أن ارتقى عرش دولته حتى كان نجم الفونسو السادس قد أفل فجأة في عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨م "٤" ، ولم يترك الفونسو السادس خليفة له الا ابنة واحدة تسمى أوراكا (Urraca) التى لم تلبث أن تزوجت من الفونسو الأول المعروف بالمحارب وبذلك اتحدت قشتاله وارغونة تحت سيادته • ولكن هذه الوحدة لم تدم طويلا اذ سرعان مادب الشـقاق بين الزوجين ، واستمر عدة سنوات ، واستقر الأمر على فسخ زواجهما عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م على أن يكون الفونسو المحارب ملكا لأرغونة وقشتالة ، وتكون أوراكا ملكـة

---

١ ـ احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٨٢ •

٢ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ حاشية رقم ١

٣ ـ صبح الأعشـى ، ج ٥ ، ص ٢٧٠ •

٤ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٠ •

الميون وجليقية "١" •

وقد منحت النزاعات الداخلية في مملكة قشتالة أمير المسلمين علي بن يوسف فرصة طيبة ليسدد ضرباته الى اعماق هذه المملكة التى كانت تترنح في عباب حروبها الأهلية والتي قضت على افذاذ ابطالها امثال البارهانس "٢" ، قائد قشتاله الكبير الذى كان صنوا للقائد الشهير القمبيطور • "٣"

وقبل أن يقدم أمير المسلمين علي بن يوسف على تنفيذ جهاده ضد الممالك الأسبانيه النصرانيه اراد أن يطمئن على الجبهة الأندلسية التي ستكون مركز انطلاقه نحو الشمال ، وخطاً من خطوط تموينه الهامة في حملاته تلك — ولذلك جاز الى الأندلس بعد توليه السلطة بمدة يسيرة في منتصف عام ٥٠٠ هـ/اوائل ١١٠٧م ، وبادر الى نقل العاصمة الأندلسية من قرطبة الى غرناطة • ولعل ذلك يعود لأسباب استراتيجية وأمنية أهمها : أن معظم سكان غرناطة كانوا من البربر فهم اكثر انقيادا وتعاطفاً مع ابناء جلدتهم من الأندلسيين ، وانها من الناحية العسكرية أقرب الى مسرح العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها القوات المرابطية في شرق الأندلس ، كما أنها أقرب الى بلاد العدوه مصدر التموين والامداد للمرابطين في الأندلس "٤"•

---

١ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٠٦ — ١١١ •

٢ — اسمه البارفانييث ابن أخي السيد القمبيطور كان من أكبر قواد الفونسو السادس وقد توفى عام ٥٠٨ هـ انظر : ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٤٥ ، حاشية رقم ٨٦ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم ٢ •

٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٣ •

٤ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٠٧ •

وقد نبه قائد المرابطين الشهير يحيى بن غانيه "١" لأهمية غرناطه قائلا : ((وهي دار منعة وكرسي ملك ومقام حصانه)) ، كما ذكر المرابطين بأهميتها وهو على فراش الموت قائلا : ((الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا جشمتم يامعشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم)) "٢" . لكل هذه الاعتبارات كانت غرناطه عاصمة ملائمة للمرحلة المقبله .

كما قام أمير المسلمين علي بن يوسف بتعيين شقيقه تميم واليًا للعاصمة الجديدة غرناطة ، وجعله قائدًا عامًا للقوات المرابطية في الأندلس ، وعين محمد بن أبي بكر اللمتوني على قرطبة . ثم مالبث أن عين محمد بن الحاج على ولاية بلنسيه وشرقي الأندلس ، حيث استطاع منها أن يدخل مدينة سرقسطة ، كما تقدم في الباب السابق "٣" وبعد أن اطمئن أمير المسلمين علي بن يوسف على الجبهة الأندلسية . اعطى في عام ٥٠١ هـ / ١١٠٨م اشارة البدء بالجهاد لاخيه تميم ضد مملكة قشتالة . "٤".

ولم يكن اختيار هذا التاريخ المبكر من بداية حكمه اختيارًا عشوائيا بل كانت له مبرراته . فبالاضافة للاعتبارات التي ذكرناها وهي تمزق الجبهة الداخلية القشتالية كان علي بن يوسف يتوق للرد على غارات الفونسو السادس الذى أخذ يعيث في اراضي المسلمين في الأندلس ، وخاصة بعدما شاع خبر مرض أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤م . ففي هذا التاريخ ارسل الفونسو السادس حمله مكونة من ثلاثة الآف وخمسمائة مقاتل وصلوا في غاراتهم الى احواز اشبيليه . فلما ارتقى علي بن يوسف عرش دولة المرابطين لم ينس هذه الأعمال التي قام بها الفونسو السادس

---

١ ـ هو ابو زكريا بن غانيه من كبار قواد المرابطين في الأندلس وقد بقي على ولائهم حتى بعد سقوط دولتهم . فعندما سقطت مراكش بيد الموحدين امتنع في غرناطة فلم يدخلوها الا على اشلائه عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٩م انظر ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

٢ ـ نفس المصدر السابق والصفحات.

٣ ـ انظر : الباب الثاني الفصل الأول .

٤ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ ـ =

واراد أن يباده بالهجوم معاقبة له على ما فعله في ديار المسلمين . "١"

ولعله توجد اعتبارات أخرى جعلت أمير المسلمين علي بن يوسف يقـــــوم باعلان الجهاد في هذه الفترة المبكرة ضد الممالك النصرانية . ولعل اهم هــذه الاعتبارات هي محاولته صرف الجهود والطاقات نحو الجهاد بدلا من أن تستغـــل في النزاعات الداخلية ، فقد لاحظنا أنه منذ اللحظات الأولى لتولية للحكـــم عارضه يحيى بن أبي بكر ، وابن الحاج ، ومن ثم فمن المرجح أنه رأى ان انصراف المرابطين للجهاد خير موحد للأمه بدلا من الشحناء والبغضاء .

= محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٠ — ٦١ .

١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٠ — ٦١ .

نهر البريجة
روزالين الجبل
أُقليش
إلى بلشون 25 ك.م
العين المستبردة
عين القرن 16
تربيلدوس
الأرض التي وقعت فيها المعركة
سيبع كونكريس
ش.
ڤيباروبيو
سايليثس
المنرروس
سيكوبريغا
طريق من مدريد إلى بلنسية

(١)

أقليش وضواحيها

(١) ميراندا : وقعة أقليش ومصرع الأمير [illegible]

موقعة اقليـــــش (Ucles) :ـ

وبدأ تميم يعد العدة للغزو واستطاع أن يجهز جيشاً جيد الاعداد والعدة .

وخرج من غرناطة في العشر الأواخر من رمضان عام ٥٠١ هـ / العشر الاوائل مـــن مايو ١١٠٨م متوجهاً لغزو اراضي قشتالة ، فتوجه الى جيان "١" ولبث فيهـــا أياماً قلائل . وكانت الامدادات تتوالى على قواته خلال الطريق فالتحقت بهـــا قوات من قرطبة بقيادة أبي عبدالله محمد بن رنق . ثم سار تميم من جيان الـــى بياسة في الشمال الشرقي ، ومنها تابع مسيرته شمالاً صوب اراضي قشتالة . وفي الطريق اليها وافته حشود مرسية بقيادة فاتحها المشهور ابن عائشة شقيق علـي بن يوسف ، ثم لحقت به قوات بلنسية بقيادة واليها محمد بن فاطمة . "٢"

وبعد مسيرة عشـرين أو خمسة وعشرين يوماً وصلت كل تلك القوات أمـــــام اقليش "٣" في يوم ١٤ شوال / ١٦ مايو . وحاصرت القوات المرابطية المدينة ثم اقتحمتها دون كبير عناء . ولجأ بعض المدافعين عنها الى قصبة المدينة وتحصنوا فيها وانتهى خبرهم الى الفونسو السادس . "٤"

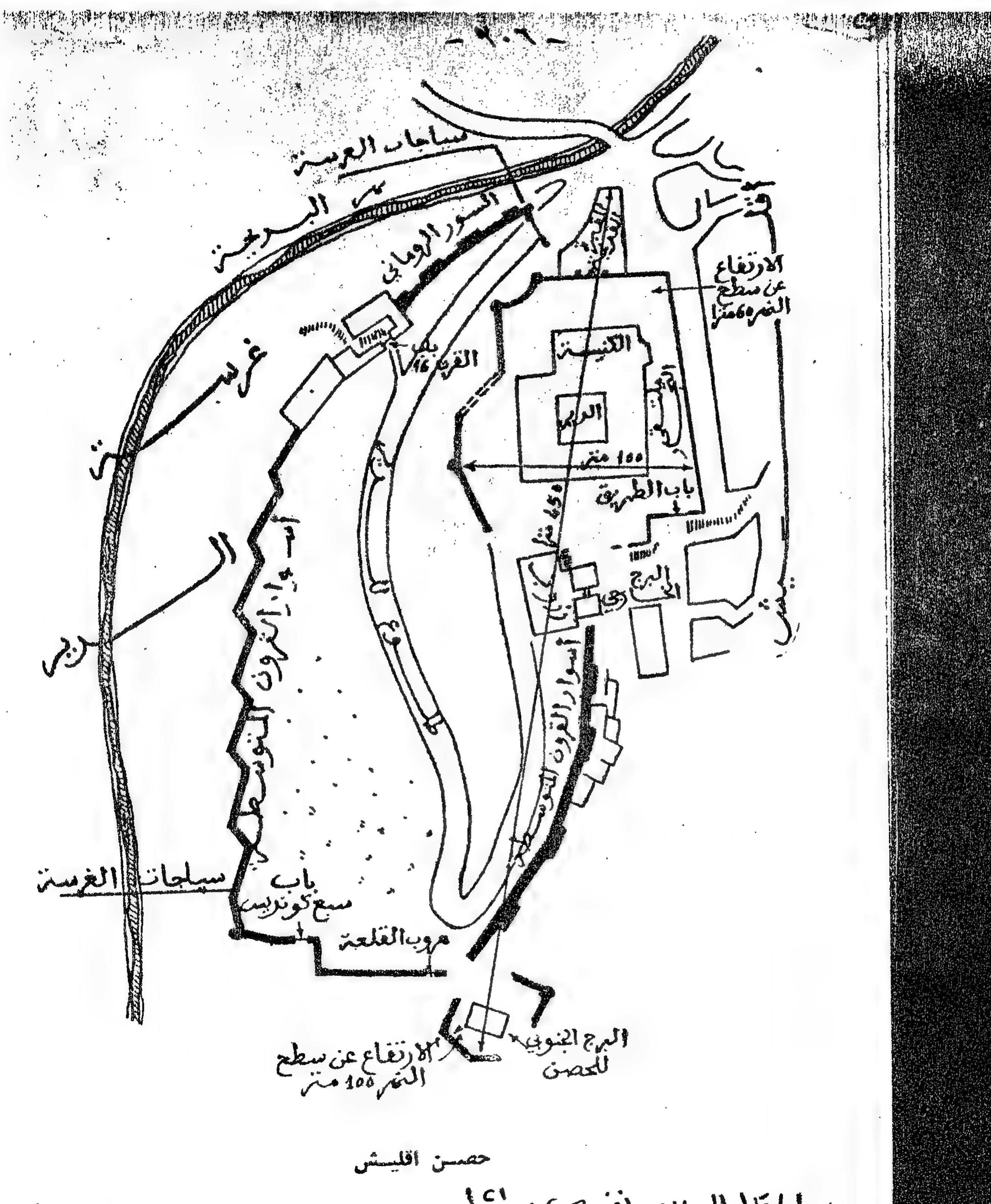
---

١ ـ ميراندا : وقعة اقليش ومصرع الأمير ضون شانجه ، مجلة تطوان ، العدد الثاني ، ص ١٢١ ـ ١٢٣ .

٢ ـ المقال السابق نفسه ، ص ١٢٢ ـ ١٢٤ .

٣ ـ مدينة لها حصن في ثغر الأندلس وهي قاعدة كورة شنتبريه (Santaver) وهي محدثة بناها الفتح بن موسى بن ذي النون ، وفيها كانت ثورتـــــه وظهوره عام ١٦٠ هـ ، وهي على نهر منبعث من عين على رأس المدينه : انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ٥١ ـ ٥٢ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسيه ، ج ٢ ، ص ٤٥ ـ ٤٧ .

٤ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٩ ـ السلاوي : المصـــــدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .



حصن أقليش

المقال السابق نفسه ، ص ١٢٤

فبعث لاغاثتهم ولده شانجه (Sancho) البالغ من العمر أحد عشر عاما يساعده القائد الكبير البرهانس (Alvarhanes) ، وقادة آخرين امثال الفارفانييث ، وغرسيه أوردونيث ، ووالي قلعة النسور ، وقلعة عبد السلام في سبعة الاف . "١"

ولما علم تميم بقدوم جيش الفونسو السادس لنجدة اقليش شاور قادة قواته لمواجهة المرحلة المقبلة ، وكيفية مواجهة زحوف قوات الفونسو المتوجهة لفك الحصار عن اقليش ، ويبدو انهم اتفقوا على تنظيم القوات المرابطية على النحو التالي : رأس حربه للجيش ، واهل مرسيه وبلنسيه في الجناحين ، وتميم مع قواته الغرناطية في القلب ، وبهذا التنظيم خرج الجيش المرابطي في ساعة مبكرة من صباح يوم الجمعه ١٧ شوال / ٢٩ مايو لمواجهة القشتاليين على مسافة قريبة من اقليش ."٢"

واستطاع الجيش الاسلامي قبيل الصدام المسلح ان يحصل على معلومات غاية في الخطورة عن قوات العدو القادمه عندما تمكن احد المسلمين الذى كان قد اسر وقدم مع الحملة النصرانية الفرار من الجبهة النصرانية الى الجبهة الاسلامية ، وأخبرهم عن القوات القادمه لنجدة اقليش . فهذا ما يتضح من رسالة تميم لأخيه علي بن يوسف بعد الانتصار في اقليش حين قال : ((ونزع "٣" الفتى الينا ....

---

١ - عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٢٥ .

٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩ - ٥٠ - ميراندا : وقعة أقليش ، ص ١٢٣ .

٣ - لفظ نزع مستعمل هنا استعمالاً خاصا لأن النازع في الاصطلاح الأندلسي هو الجندى الذى يندس في جيش الأعداء أو يدخل معهم حصنهم متنكرا في زيهم حتى يتعرف أخبارهم أو يثبط هممهم ، ثم ينزع الى قومه ساعة الحاجة اليه ، وكان في الأنظمة الحربية الأندلسية ديوان خاص لهؤلاء يعرف بديوان =

من معسكرهم منبئاً بهم ((الا عليهم)) "١"

فعلى ضوء هذه المعلومات نظم المرابطون جيوشهم واستعدوا للقتال وهم على بصيرة بحقيقة عدوهم المندفع نحوهم ، وقد بدأت المعركة بانقضاض القوات القشتالية على قوات قرطبة التي كانت رأس حربة الجيش الاسلامي ، فتخلخلت صفوفها وتضعضع رجالها ، الا أن جناحي الجيش الاسلامي المكونين من قوات مرسية وبلنسية قاما بعملية التفاف حول القوات المهاجمة ودخلوا عليها معسكرها مما أربك قوات العدو وأتاح لقوات قرطبة نوصة طيبة لاعادة تنظيم صفوفها ثم للهجوم على القشتاليين مما اضطرهم الى التراجع ليجدوا انفسهم محاصرين من قوات جناحي الجيش الاسلامي "٢"

وعمل السيف عمله في رقاب النصارى وتبدد شملهم ، وقد حاول سبعة من كونتات النصارى ومنهم غرسيه أوردونييث الالتجاء الى حصن بلشون القريب للاختفاء فيه فهب المسلمون المتواجدين فيه عليهم واستأصلوا شأفتهم ، بينما نجح الفارقانييث في الانسحاب مع بعض قواته الى مدريد وطليطلة ، ثم جمعت رؤوس القتلى فكانت ثلاثة آلاف قتيل وقد أذن من فوقها للصلاة كما هو معهود ، "٣"

وكان من بين جيث القتلى جثة الأمير شانجه بن الفونسو السادس وولي عهده ، فكان ذلك انتصارا رائعاً يذكرنا بنصر الزلاقة "٤" ، وكأن القدر شاء ان يجعل

= النزاع ، انظر حسين مؤنس : الثغر الاعلى ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم ٤ ،

١ — المقال السابق نفسه ، ص ١٢٧ — ١٢٨ ،

٢ — ميراندا : وقعة اقليش ، ص ١٢٣ ،

٣ — حسين مؤنس : الثغر الاعلى ، ص ١٣٠ يحدد ابن أبي زرع (روض القرطاس ص ١٥٩ — ١٦٠) عدد القتلى بحوالي ٢٣ الف قتيل وهذا مبالغ فيه لأن ابن عذارى (البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٩ — ٥٠) ، يذكر أن مجموع من قدم مع شانجه كان سبعة الآف ،

٤ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٣ ،

الفونسو السادس يتجرع كأس هزيمته في الزلاقة ويرى ابنه في اقليش يتجرع كأساً أمر من كأسه ، لأن كأس اقليش هناك اليها دماء ابنه ودماء سبعة من خيرة قادته وهم الكونتات السبعة . "١"

وبعد أن جمعت الغنائم من ساحة المعركة من مال وخيل وسلاح وغيرها "٢"، وبعد أن اعيد لاقليش طابعها الاسلامي باعادة تعمير مساجدها ، وتحويل بعض كنائسها الى مساجد "٣" ، بعد ذلك كله غادر الأمير تميم ساحة المعركة الى غرناطة . وكان قبل أن يغادر اقليش قد طير لأمير المسلمين على بن يوسف خبر هذا النصر مبينا له كيف دارت المعركة ، وما أن غادر تميم أقليش حتى تمكن واليى مرسية وبلنسية من دخول قلعة أقليش التي استعصت عليهم في بداية الأمر . "٤"

وبعد هذا العرض الموجز لموقعة اقليش يتساءل الباحث لماذا لم يكن الفونسو السادس كعادته على رأس الجيش القشتالي المتوجه لفك الحصار عن اقليش ؟ وهل عدم خروجه لقيادة الجيش كان بناء على نصيحة زوجته ، التي اشارت

---

١ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٢٥ — حسين مؤنس : الثغر الاعلى ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٣ — ٦٤ .

٣ — ميراندا : وقعة اقليش ، ص ١٢٢ (يتوقع أن هذه الكنائس كانت أصلا مساجد وحولها النصارى الى كنائس) .

٤ — المقال السابق نفسه ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

عليه بالاكتفاء بارسال ابنه شانجه بدلا منه لأن قائد المرابطين ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ؟ ؟ ثم كيف نفسر احجام تميم عن مطاردة فلول القشتاليين في قلب قشتاله وعدم محاولته بعد هذا النصر الانقضاض على طليطلة لاعادتها الى الحضيرة الاسلامية ؟ وأخيرا ما هي أهم نتائج هذه الموقعة ؟ •

أما بالنسبة للتساؤل الأول فيبدو أن السبب الرئيسي لعدم خروج الفونسو السادس على رأس جيشه هو أن العظم قد وهن منه ولم يعد بمقدوره قيادة الجيوش لكبر سنه ، فقد توفي في سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩م السنة التالية لموقعة أقليش •

أما عن نصيحة زوجته له بارسال ولده شانجه "١" فيبدو أن هذه القصة يغلب عليها طابع الاسطوره ، لأنه لو كان بمقدور الفونسو السادس قيادة الجيش لما توانى لحظة واحدة عن ذلك ولعل الدافع لارسال شانجه كان خطة من الفونسو لبث الحماس في نفوس جنده وقادته في المعركة ولكي يستميتوا في الدفاع عن الأمير الصغير •

ويمكن تفسير اشراك شانجه في هذه الموقعة على أن الأمر كان مؤامرة دبرت باحكام من قبل بعض أعيان بلاط الفونسو السادس المتشوفين الى السلطه ، لأنه اذا قضي على شانجه في المعركة خلا لهم الأمر ، ولا سيما أن الفونسو السادس كان في آخريات حياته وكان شانجه وحيده •

---

١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٩أ — ١٦٠أ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ •

ومن المرجح ان المؤامره قد دبرت من بعض عملاء الفونسو المحارب الذين اقنعوا الفونسو السادس بأرسال ولى عهده الى ساحة اقليش ليتخلصوا منه ليخلوا الجو لالفونسو المحارب فيضم قشتالة الى ملكه بعد وفاة الفونسو السادس • والاكيف نفسر سعي اعيان ووجهاء قشتالة بعد فترة وجيزة من وفاة الفونسو السادس لزواج الفونسو الأول المحارب من اوراكا ولية عهد الفونسو السادس وبعد اتمام الزواج اتحدت ارغونة وقشتالة • فهل كان هذا الزواج فصلا من فصول مؤامرة دبرت ضد مملكة قشتالة كان أحد فصولها التخلص من ولي عهد الفونسو السادس الأمير شانجه ؟ •

أما عن احجام الأمير تميم عن التوغل في اعماق قشتالة ، واحجامه عن محاصرة طليطلة العاصمة القشتالية فأمر يثير الاستغراب والحيرة في آن واحد • فهذا الموقف لم يكن الأول في تاريخ المرابطين ، فقد رأينا مثل هذا الموقف بعد انتصارهم في موقعة الزلاقة ، وقد فسر وقتها سبب احجام يوسف بأسباب عسكرية ، ولكن تكرار الموقف في اقليش أمر يلفت الانتباه • فلعل ضراوة المعركة وتكبد الطرفين خسائر فادحة قد حال دون المرابطين واعادة تنظيم قواتهم قبل أن يقوموا بمطاردة فلول قشتالة •

على أى حال من أهم نتائج هذه الموقعة انها فتحت أمام المرابطين الطريق الى بلنسية وسرقسطة ، لأن اقليش كانت على الطريق تحول بينهم وبين القيام بأي عمل حاسم في هذه الناحية "١" • وترتب أيضا على سقوط اقليش بيد المرابطين الاستيلاء على عدة حصون ومدن منها وبذه ، وقونقه ، وقونيه وغيرها "٢" • كما اسهم هذا

---

١ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٠٧ — ١٠٨ •

٢ — محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٦ — ٦٧ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٣٤ — ٧٣٥ •

النصر اسهاما فعالا في رفع معنويات المسلمين وشجع ذلك أمير المسلمين علي علــــى معاودة غزو قشتالة ومحاصرة عاصمتها طليطلة كما سنرى .

ومن نتائج هذه الموقعة بالنسبة للقشتاليين ، اضافة الى خسائرهم الفادحة في الارواح ، انهم خسروا بعض المناطق . كما لم يتحمل الفونسو السادس هـــول تلك الفاجعة ومنظر ولده وهو يتجرع كأس الهزيمة والموت في آن واحد فتسارعت دقـات قلبه واضطربت احساؤه ، ولم يلبث سوى مدة قصيرة حتى توفي في عام ٥٠٢هـ / ١١٠٩م "١" .

واذا كان الفونسو السادس خسر ولده وبعض املاكه فقد خسر أيضا بعض قواده بعض اراضيهم ، فمثلا خسر البرهانس بعد أن سيطر المسلمون على قونقـــــه (   ) اقطاعيته في قرية توريتا (   ) "٢" .

ومن آثار وقعة اقليش في الأدب الاسباني كثرت الأهازيج والأغاني الــــتي تشيد ببطولات النصارى في هذه الموقعة وبشكل خاص الأمير شانجه والكونت غرسـيه . وقد قام الأسقف (ضون رود ريغو) بجمع هذه الأهازيج في كتابه " التاريخ " "٣"

---

١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

٢ ـ حسين مؤنس : الثغر الاعلى ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم ٢ .

٣ ـ ميراندا : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، مجلة تطوان ع ٣ ـ ٤ ، ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م ، ص ١٥٧ .

ويمكن اعتبار وقعة اقليش نقطة تحول في تاريخ الممالك النصرانية الشمالية ، اذ بعد هذه الموقعة ، وبعد وفاة الفونسو السادس بدأت احوال هذه الممالك تضطرب ، فقد اندلعت الحرب الأهلية بين الفونسو المحارب وزوجته أوركا ، كما أن السنوات الثلاث التى تلت وقعة أقليش تمثل قمة الانتصارات التي حققها المرابطون في الاندلس ، اذ بعد عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩م بدأ النفوذ المرابطي ينحسر في الأندلس تحت مطارق الممالك النصرانية .

لقد كان انتصار المسلمين في اقليس بداية لخطة منظمة وضعها علي بن يوسف لغزو الممالك النصرانية ، ولعله كان يقصد من هذه الخطة أن يبر بوعد والده لرعيته عندما قال بعد اخضاع ملوك الطوائف ((..... ولئن عشت لأعيدن جميع البلاد التى ملكها الروم ...)) "١" ، فقد أخذ علي بن يوسف بعد هذه الموقعة يبث جيوشه لتحرير الأرض الاسلامية التي استولى عليها النصارى في فترات سابقة ، ولم يكتف بذلك بل كان يجوز الى الأندلس ويقود بنفسه الحملات ضد هذه الممالك .

غزو اراضي قشتالة عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩م

تشجع أمير المسلمين علي بن يوسف بعد نصر اقليش للقيام بحملة يقود ها بنفسه ضد مملكة قشتالة ، ولعله كان يود استعادة طليطلة منهم ، خاصة أنه رأى أن الوقت مناسبا جدا للقيام بهذه الخطوة في سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م لانشغال الفونسو المحارب بحربه الاهليه مع زوجته اوراكا . "٢"

---

١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

٢ - اشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

واستنفر امير المسلمين قواته في المغرب والأندلس لهذا الغرض ، وفي منتصف محرم من السنة المذكورة عبر من سبتة الى الأندلس في جيش جرار تقدره بعض الروايات بما يزيد على مئة ألف "١" . وبعد أن مكث فترة وجيزة في غرناطة تحرك الى قرطبة وأقام بها أياما "٢" ، ومن قرطبة تختلف المصادر في تحديد المنطقة التي قصدها أمير المسلمين اولا . فيذكر ابن عذارى "٣" أنه تحرك من قرطبة الى مدينة طلبيره "٤" ففتحها ودخل قصبتها ، وطهرها من براثن الشرك ، وترك عليها حامية من المشاة وحاملي السهام وعين عليهم أحدا المرابطين ورحل عنها ويمم شطر طليطلة فحاصرها ثلاثة أيام ثم بدأ بالقفول محملا بالغنائم بعد أن قضى اربعين يوما في تلك الغزوة .

هذا وتذكر بعض الروايات الاسلامية والنصرانية أن هدف أمير المسلمين علي بن يوسف من هذه الغزوة كان محاولة استعادة طليطلة . فيذكر صاحب الحلل الموشية "٥" أن أمير المسلمين جاز في عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م برسم الجهاد ونصر

---

١ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦١ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٥ ـ ٨٦ ـ ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٢ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ ـ

٢ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٢ ـ ويذكر السلاوى : (الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٥) ، ورزق الله الصدفي (تاريخ دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٥٦) أنه أقام في قرطبه شهراً .

٣ ـ البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٥٢ .

٤ ـ يوجد في الأندلس ثلاث مدن بهذا الأسم الأولى : مدينة كبيرة حصينه على نهر تاجه غربي طليطلة وهى المقصودة في المتن . والثانية قرية الى الجنوب منها يقال لها طلبيرية المرج ، والثالثة قرية بالقرب من بطليوس على ضفة وادى أنه يقال لها طلبيرية ايضا انظر ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٤ ، حاشية رقم ١ .

٥ ـ مؤلف مجهول ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

الملة ، فقصد طليطلة ونزل على بابها ، وحاز المنية المشهورة بخارجها وانتشرت جيوشه على تلك الأقطار ودوخ بلاد المشركين فلاذوا بالفرار الى المعاقل ، واعتصموا بالحصون المنيعة ونزل على طلبيرة وافتتحها عنوه •

وينقل لنا محمد عبد الله عنان "١" الرواية القشتالية عن هذه الغزوة ، والتي يفهم منها أن أمير المسلمين كان معداً نفسه لدخول طليطلة ، ويتضح ذلك من خلال جلبه لأدوات الحصار • وتذكر الرواية أيضا بأنه ضرب الحصار حول أسوارها مدة سبعة أيام • "٢" ضرب المرابطون خلالها الأسوار بالمجانيق ضربا شديداً ، وحاولوا احراق بعض ابراجها ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل لحصانة المدينة وقوة الحامية المتواجدة داخلها والتي كان يقودها البارهانس الذى مالبث أن خرج واصطدم مع المرابطين فى معركة حامية الوطيس اضطرتهم الى فك الحصار والرحيل عنها بعدما أحرقوا ادوات الحصار • ومنها ساروا الى طلبيرة — فافتحوها ، ثم ساروا بعدها شمالاً واستولوا على مدريد ، ووادى الحجارة ، وهنا دب الوباء بالجيش المرابطي فاضطر الى مغادرة ارض العدو والعودة الى قرطبة •

ويمكن قبول منطقية الرواية التي تقول أن الهدف من هذه الغزوة هو الاستيلاء على طلبيرة ، لتضيق الحصار على طليطلة من جهة الغرب بعدما نجح المرابطون في الاستيلاء على اقليش من جهة الشرق حتى يتسنى لهم استعادة طليطلة "٣" أى أن محاصرة طليطلة لم يكن الا نتيجة حتمية لسقوط طلبيرة •

---

١ — عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٨ — ٦٩ •

٢ — يذكر السلاوى (الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٥) ، وابن أبي دينار (المؤنس ، ص ١٠٩) ، وابن أبي زرع (روض القرطاس ، ص ١٦١) ان الحصار دام شهراً ونيف •

٣ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٥ — ٨٦ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٩ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦١ •

ويمكن أيضا قبول رواية صاحب الحلل الموشية والرواية القشتالية والتي تنص على أن أمير المسلمين علي قصد أول ما قصد طليطلة اذا ما افترضنا أنه قد استفاد درسا عمليا من وقعة اقليش . فقد سبق أن رأينا أنه عندما قصد تموم اقليش وحاصرها . هب القشتاليون من طليطلة لنجدة مدينتهم .

ويمكن الذهاب ابعد من ذلك اذا ما افترضنا أن الأخبار التي وصلت الى أمير المسلمين في مراكش عن الأوضاع الداخلية لقشتالة خاصة بعد وفاة الفونسو السادس وزواج الفونسو المحارب من اوراكا ، وما نتج عن هذا الزواج من حروب اهليه هى التي شجعته على الخروج بنفسه على رأس هذه الغزوة بقصد استعادة طليطلة من القشتاليين .

على أى حال لقد كانت حملة أمير المسلمين علي بن يوسف حملة موفقه ، فقد تمكن خلالها من العبث في احواز قشتالة "١" ، كما أخضع ٢٧ حصنًا ، ومدينة مجريط (Madrid) ، ووادى الحجارة ، وقلعة هنارس وغيرها . "٢"

ولم ينس القشتاليون هذه الغزوة التى لاقوا خلالها العذاب والدمار ، فما أن انسحب أمير المسلمين من اراضيهم وعاد الى بلاده حتى قاموا بحملة انتقامية قتلوا فيها ألفا من المسلمين ، كما دمروا احدى وستين قرية "٣" . وقصدوا مدينة

---

١ ـ نفس المصادر السابقه والصفحات .
٢ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦١ ، السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ ـ ميراندا : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .
٣ ـ ميراندا : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

سرقسطه وهاجموها وفي هذا الهجوم هزم حماتها من المسلمين وسقط صاحبها ابـــن هود شهيداً "١" .

غزو الأمير سير بن أبي بكر لغرب الأندلـــس

يبدو أن امير المسلمين خلال غزوته لطالبيره وفشله في اقتحام طليطلة رأى أنـه لا يمكن أن يتسنى له الاستيلاء على طليطلة الا بعد تجريدها من كل معاقلهـــا ، ومن كل ناحية يتوقع ان يأتيها منها مدد . ولذلك نجده يوجه قائده سير بن أبـــي بكر الى قلمريه "٢" ، التى كانت تتمتع بحماية قشتاله لأن أميرها هنرى البرجونى كان زوجاً لأتريسا الأبنة غير الشرعية لألفونسو السادس . "٣"

واستطاع سير في شهر ذى القعده من عام ٥٠٤ هـ / ١١١١م أن يفتـــح من غرب الأندلس برتقال "٤" ويابره "٥" وأشبونه "٦" وشنترين "٧" وغيرهـا من المواقع . "٨"

وكانت شنترين من أحصن المواقع التي اعترضت القائد سير ، اذ يتضح من الرسالة التي بعث بها الى أمير المسلمين علي بن يوسف والتي يخبره فيها كيف أن المسلمـــين

---

١ ــ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٦ ــ ٣٨٧ ــ (وقد تحدثنا عن هذه الموقعة في الباب السابق) .

٢ ــ وهى تعني مملكة البرتغال انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٤ ، حاشية رقم ١ .

٣ ــ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٩ ــ ٧٠ .

٤ ــ تقع في اقصى شمال قلمريه انظر المرجع السابق نفسه ، ص ٧٠ .

٥ ــ مدينة من كورباجه انظر الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦١٥ .

٦ ــ من كورباجه المختلطه بها تقع الى الغرب من باجه ، وهى مدينة قديمة علـى سيف البحر انظر المصدر السابق نفسه ، ص ٦١ .

٧ ــ مدينة معدودة من كورباجه وهى على جبل عال بينها وبين بطليوس ثلاث مراحل انظر المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤٦ .

٨ ــ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٦ ــ السلاوى : المصـــدر =

اتخذوا شتى الوسائل من حيل وحرب نفسية وغارات على هذه المدينة حتى تمكنوا من فتحها . ومما جاء فيها ((.... وكانت قلعة شنترين - ادام الله أمر أمير المسلمين من أحصن المعاقل للمشركين ، واثبت المعاقل على المسلمين .. فتزلنا بساحة القوم فساء صباحهم ذلك اليوم فلم نزل نطاولهم مطاولة المحتسب المؤتجر .... ونشن الغارات على جميع الجهات فترد جيوشنا عليهم خفافا وتصدر الينا ثقالا وامرنا باقامة سوق سبيهم وأموالهم على مرأى ومسمع من نسائهم ورجالهم فازدادت ريحهم بذلك ركودا .. ولما ضمهم لضيق ولاجة الحصار ... أختاروا الدنية على المنية ورضوا بالاستسلام للعبودية ... واستولينا على أقطارها ..)) "١"

وبعد غزوة الأمير سير للغرب وفد على أشبيليه المنصور بن عمر المتوكل بن الأفطس قادماً من قشتالة التي كان قد سار اليها بأمواله وذخائره عندما دخل عليه المرابطون بطليوس سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م وقتلوا أباه عمر المتوكل وأخويه . ولما وصل الى أشبيليه ارسل الى أمير المسلمين في مراكش فكانت له عنده منزلة جيدة "٢" .

- غزوات المرابطين لأراضي قشتاله (٥٠٤ - ٥٢٦ هـ/ ١١١١ - ١١٣٢ م)

==================================

وفي نفس العام الذى قام به الأمير سير بغزو الغرب الأندلسي قام الأمير يحيى بن أبي بكر ومعه عز الدولة ابو مروان عبد الله بن المعتصم بغزو طليطلة ، ولكن هذه المحاولة لم توفق لتطهير الجيش الاسلامي من سقوط أحد الوتية وانكسار أحد

= السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ - رزق الله الصدفي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦ - حسين مؤنس : الثغر الاعلى ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٩ - ٧٠ .

١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ - ٣٣٢ .

٢ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٠ .

الرماح "١" • وفي رأيي أن هذا السبب غير مقنع لأن الجيوش المرابطية كانت دوماً تحوي بين صفوفها مجموعة من الفقهاء والمرشدين للجيش فلابد أنهم أوضحوا لهم بأنه لا طيرة ولا تطير في الاسلام ، ولابد أن هناك اسباباً أخرى ادت الى فشل هذه المحاولة لم تكشف عنها المصادر التي بين أيدينا •

وتمكن الأمير مزدلي في عام ٥٠٦ هـ / ١١١٢م من اكتساح منطقة وادى — الحجارة وما حولها ، وان يضيق على قاعدتها • وقد حصل في هذه الغزوة على غنائم وفيره عاد بها الى مقره في مدينة قرطبه • "٢"

وبعد هذه النجاحات التي احرزتها الجيوش المرابطية ضد الممالك النصرانية خاصة ضد مملكة قشتالة صمم الأمير مزدلي علي توجيه ضربة قوية للعاصمة القشتالية طليطلة فأعد حملة ضخمة من القوات الاندلسية والمغربية مع اعداد من المطوعة ثم مالبث أن انضم اليه الامير سير بن ابي بكر اللمتوني وسارا على رأس هذا الجيش الضخم في عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م نحو طليطلة فبالغا في نكايتها وشنا على جميع تلك الجهات الغارات المغيرة والمدمره • "٣"

وخرج البرهانس في عشرة الاف من جنده لمدافعة المرابطين عن طليطلة فوقعت معركة حامية الوطيس دارت الدائرة فيها على البرهانس وسقط من جنوده سبعمائة فارس • "٤"

---

١ — ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٩٠ — ٩١
٢ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٦ •
٣ — المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٧ — ٥٨ — ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٢١ •
٤ — ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢١ •

غير أن السلاوى يذكر "١" أنه لم يحدث صدام بين البرهانس والمرابطين ، وما أورده في هذا الصدد يتلخص في انه بينما الجيوش المرابطية تفتح حصن ارجنه أو أرلبه ويقتلون ويسبون اتصل الخبر بالبرهانس فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم فصمد القائد مزدلي للقائه ففر البرهانس امامه ليلا وعاد مزدلي الى قرطبه .

ويظهر أن صاحب وادى الحجارة الكونت رود ريجونو نييز (RodrigoNunez والذى يسميه ابن أبي زرع (بني الزند غرسيس) "٢" اراد أن يقوم بعمليات انتقامية ردا على اعمال المرابطين في الاراضي النصرانية فقام بالانقضاض على مدينة سالم وضرب عليها الحصار فهب اليه مزدلي ، فلما سمع الزند غرسيس بمقدمه ولى هاربا تاركا جميع اثقاله وضاربه فغنمها مزدلى "٣" . وفي عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م توفى الأمير مزدلي "٤" فخلفه على قرطبه ابنه محمد الذى اقام واليا عليها ثلاثة أشهر . "٥"

ورد النصارى على غارات المرابطين على عواصمهم وثغورهم . فأغاروا في عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥م على قرطبة ، فتصدى لهم واليها محمد بن مزدلي بجيشه ، ودارت رحى معركة دامية بين الطرفين سقط خلالها محمد بن مزدلي شهيدا ، ومعه الأمير أبو اسحاق وابنيه ، والأمير أبو بكر بن واسنيو ، كما

---

١ ـ الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٥ .
٢ ـ حسين مؤنس ، الثغر الاعلى ، ص ١١٣ .
٣ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .
٤ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .
٥ ـ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٢ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

استشهد معهم نحو الثمانين من وجوه المرابطين ، وجملة كبيرة من الحشم وأهل الأندلس ، وذلك يوم الخميس مستهل صفر ٥٠٩ هـ / ٢٧ يونيه ١١١٥م."١"

لقد كانت الفاجعة مروعة ثأر فيها النصارى لقتلاهم في اقليش . وقد بادر امير المسلمين على بن يوسف بتعيين أبي بكر يحيى بن تاشفين وهو ابن عم له على قرطبه خلفاً لواليها الشهيد بعد أيام من وصوله اكتسح النصارى اصاحب الجولة على قرطبة اراضي ولايته ، فاستنفر جيوشه واستنجد بالامير عبد الله بن مزدلي والي غرناطة ، واصطدما مع العدو في منطقة قريبة من بياسه "٢" فدارت الدائرة على المسلمين واستشهد منهم خلق كثير ، وذلك في يوم الأربعاء ٢٨ جمادى الثاني من عام ٥٠٩ هـ . "٣"

وفي أواخر محرم عام ٥١١ هـ / مايو ١١١٧م قرر امير المسلمين علي بن يوسف ان يجوز الى الاندلس ليتجه منه الى الغرب . فجاز البحر واستراح في اشبيليه برهة من الوقت حتى تكاملت عساكره القادمة من العدوه ، كما اتاح للعسكر الأندلسية فرصة الاستعداد لمشاركته في غزوته تلك . وهب الفقهاء والعلماء لتلبية نداء الجهاد ، واقبل المطوعة من جميع ارجاء الاندلس خاصة من غرناطة واشبيلية . وقصد امير المسلمين علي بن يوسف بهذه الجموع قلمرية وضرب حولها الحصار عشرين يوماً وضيق عليها ثم انصرف عنها الى اشبيليه . كما استطاع عبد الله ابن فاطمه ، والمنصور بن الافطس ان يغيرا على بعض النواحي النصرانية وأن يعودا

---

١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦١ .

٢ ـ بينها وبين جيان عشرون ميلاً وهي على كديه من تراب مطله على النهر الكبير المنحدر الى قرطبه (انظر الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

٣ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦١ .

الى اشبيلية محملين بالغنائم والاسرى . "١"

ويفهم من الرواية السابقة ان امير المسلمين قد فشل في دخول قلمريــة ، ولكن صاحب الحلل الموشيه "٢" يذكر انه افتتح مدينة قلمرية ، كما تؤيــد الرواية النصرانية رواية صاحب الحلل الموشية وتذكر انه دخلها عنوه "٣" . ويعلل محمد عبد الله عنان "٤" ان سبب عدم احتفاظ امير المسلمين علي بن يوسف بقلمرية هو موقعها البعيد والمتوسط بين النصارى .

"٥"

وبعد تسع سنوات من غزو امير المسلمين لغرب الاندلس عبر ابنه تاشفين في عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م الى الاندلس في خمسة الاف جندى ، ثم استصرخ اهل الاندلس فأتوه مسرعين فسار بهم الى طليطلة ففتح بعض حصونها بالسـيف وقام بالعبث في احوازها . وفي نفس السنه فتح تاشفين ثلاثين حصناً من حصـون غرب الاندلس وكتب بالفتح الى ابيه . "٦"

---

١ — المصدر السابق نفســه ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

٢ — مؤلف مجهول ، ص ٨٦ .

٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨١ .

٤ — نفس المرجع السابق والصفحه

٥ — انظر عن حياة تاشفين : ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ٤٥٤ — اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ — القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ — محمد عبد الله عنان : عصـر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ، ١٤٥ .

٦ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٤ — السلاوى : المصـدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ — ومن الجدير بالذكر انه في ٢٧ صفـر من هذه السنه عين الامير ابي بكر بن علي بن يوسف والياً عاماً للاندلـس وقائداً لجيوشها ، انظر عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلســى ، ص ٤٣٨ — ٤٣٩ .

كما تمكن المرابطون بقيادة عبد الله بن ورقا من استرداد حصن كواليه في عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨م "١" . وفي نفس السنة تقدمت جيوش قشتالة الى الأندلس ووصلت في زحفها الى مقربة من قلعة رباح ، فخرج الأمير تاشفين للقائها فارتدت الى بلادها "٢" .

وفي عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٩م سار واجدى بن عمر بن سير اللمتوني في جيش اشبيلية الى اطراف قشتالة ، وبالغ في النكاية فيها ، ولكن تهاونه ادى الى هزيمته فالزمه أمير المسلمين بدية من أسر وأنفذ عزله "٣" وولى مكانه ابا زكريا يحيى بن علي بن الحاج . "٤"

وتمكن القشتاليون في عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠م من التوغل في الاراضي الاسلامية حتى غدوا على مشارف مدينة قرطبة ، فاستغاث واليها عبد الله بن تينغمر بالامير تاشفين الذي هب مسرعًا لنجدته عندها آثرت القوات القشتالية الانسحاب على الاشتباك مع القائد الفذ تاشفين . "٥"

وبدأت القوات القشتالية تضايق المسلمين بانشاء الحصون وشحنها بالمقاتلة الذين كانوا يداومون على الاغارة على الاراضي الاسلامية والعبث فيها . ومن هذه الحصون التي تضرر منها المسلمون حصن انمكة التابع لطليطلة ، فقد شحنه القشتاليون بعدد جم من المقاتله على رأسهم قائد مشهور اسمه فرند .

---

١ — حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ١ ، ع ٣ ، ١٩٥٥م ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٣ .

٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٠ .

٤ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٣ .

٥ — المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٤ .

ولم يجد تاشفين بداً من التخلص من هذا الحصن ، فخرج في رمضان من عام ٥٢٤ هـ بجيش غرناطة ، وانضم اليه قرطبه في الطريق ، وهرع المطوعة للالتحاق بالقوات المتقدمة نحو حصن السكة من عمل طليطلة ، فحاصره تاشفين ، وتمكن من دخوله عنوه وقتل من كان فيه واسر قائده تليوفر نانديث . "١" ، ثم عرج تاشفين على حصن بارجاس فقتل من رجاله خمسين ، واستمر في تقدمه حتى وصل الى سان سرفادور من ضواحي طليطلة ، وبعدها ارتد بقواته جنوباً عائداً الى غرناطة ليجد حشود المستقبلين في انتظاره . "٢"

وتواترت الاخبار في ١٥ رجب عام ٥٢٤ هـ "٣" الى والي اشبيلية ابو حفص عمر بن الحاج اللمتوني ببدء قشتالة بقيادة رذويجوجنثالث تحركاتها لغزو اشبيلية ولم يشعر الا وقوات العدو تعبث في الشرف "٤" . فخرج عمر بن الحاج لمدافعة العدو ووقف على ضفة الوادي وبعث سراياه لتناوش العدو فصادت بعض الاسرى فقام عمر بن الحاج بعملية استفزازية للعدو بتنفيذه حكم الاعدام بالاسرى على مرأى من اخوانهم في الضفة الاخرى من الوادي فثارت حميتهم واقتحموا الوادي واطبقوا على المرابطين ، فسقط عمر بن الحاج شهيداً وتبدد شمل المسلمين ، وتقدم القشتاليون نحو اشبيلية وهم ينهبون ويسبون ويقتلون واستمروا في السير على هذه الحال حتى غدوا على فرسخين منها فهب تاشفين لانقاذ اشبيلية وجد السير اليها بعد ان قتل

---

١ — ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ٤٥١ .

٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٤ .

٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٢ — ٨٣ .

٤ — وهو جبل خصب التربه بينه وبين اشبيلية ثلاثة اميال وسمي بذلك لان مشرف من ناحية اشبيلية وهو ممتد من الجنوب الى الشمال انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .

زعيمها وفض جمعها "١". ولكن القشتاليين عدلوا عن مهاجمة اشبيلية وعادوا حيث أتوا محملين بالغنائم ، عندها سار تاشفين نحو الغرب ومعه ابن قنونه والي قرطبة والتقوا بقوة من النصارى كانت قد اغارت على احواز يابرة فهزمها المرابطون وقتلوا معظم رجالها وأنقذوا منها الغنائم والاسرى . "٢"

وفي عام ٥٢٥ هـ / ١١٣١م احدقت القوات النصرانية بحصن ارنيط (ارنيه) "٣" بهدف الاستيلاء عليه عن طريق التجويع بمنع الميرة عنه ، لمضايقة هذا الحصن لهم ، فاستنجد والي قرطبة المصين في هذه السنة ابو محمد عبد الله بن ابي بكر بتاشفين بن علي لفك الحصار عن الحصن فأسرع اليه بقوة يقودها بنفسه . كما سارع يحيى بن علي بن غانية بالالتحاق بالقوات المتوجهة الى الحصن . فلما علم النصارى بذلك ارسلوا صرخات الاستغاثة فجاءتهم النجدات ، فاستعد تاشفين وابن غانيه لمواجهتها وما ان جن المساء حتى كانت الدائرة على النصارى ، وبعد هذا النصر المؤزر عاد تاشفين الى غرناطة في ربيع أول من عام ٥٢٦ هـ / يناير ١١٣٢م . "٤"

وما ان عاد تاشفين من غزوة حصن ارنيط حتى علم ان القشتاليين قد خرجوا من عاصمتهم طليطلة قاصدين قرطبة فأسرع الى قرطبة لصدهم قبل وصولهم اليها ، ورأى ان الامر لابد له من خفة حركة فترك إثقاله بأرجونه "٥" . وخلال ذلك

---

١ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٢ — ٨٣ .

٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٤ — ١٣٦ .

٣ — وهو حصن منيع عظيم بينه وبين تطيله ثلاثون ميلاً . انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

٤ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٤ — ٨٥ .

٥ — ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥١ .

نجح الجيش القشتالي في احتلال شنتاسطين ، والوادي الأحمر . الا ان — تاشفين استطاع أن يلحق بالعدو في قرية براشه حيث دارت رحى معركة حاميـــة الوطيس بين الطرفين استؤصلت فيها شأفة النصارى . "١" واسر قائد القـــوات القشتالية مع عشرين من زعمائهم وامتلأت ايدي المرابطين بالغنائم من اسلحة ودواب وثياب . وسار تاشفين بالاسرى والغنائم الى قلعة رباح القريبة من ميدان المعركة فأصلح احوالها وسد خللها وترك الاسرى لدى اهلها ليفتدوا بهم من يستطيعون من اسراهم ، ثم عاد في قواته غانمًا الى غرناطه . "٢"

موقعة قرب الزلاقـــه

=============

وفي عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٣م جاس القشتاليون في الاراضي الاسلاميـــة ، فنهبوا وقتلوا "٣" . وقام الفونسو السابع المعروف بالسليطين في هذه الســـنة مع ابن هود بغزو الاراضي الاسلامية حتى وصلا الى اشبيلية ، وتمكنا من الوصـــول الى شريش "٤" فاقتحموها وقتلوا من وجدوا فيها واستباحوها وبالغـــوا في النكاية بالمسلمين ثم قفلوا راجعين الى بلادهم دون ان يعترضهم احد من المسلمين . "٥"

---

١ — نفس المصدر السابق والصفحه .

٢ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٥ — ٨٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٤ — ١٣٦ .

٣ — المقري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ .

٤ — من كورشذونه بينها وبين روطه ستة اميال انظر الحميري : المصـــدر السابق ، ص ٣٤٠ .

٥ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

ويظهر ان الفونسو السابع تشجع بعد غزوته المشتركة مع ابن هود فبادر في جمادى الاولى من نفس العام "١" الى تجهيز حملة ضخمة تضم بين صفوفها بعض مشاهير قادة النصارى وآلافاً عديدة من ابطالهم فعاثوا في احواز بطليوس ، وباجه ، ويابرة ، ونكلوا وارعبوا نواحي ما كان يصل اليها عدو وعادوا على مهل .

وعندما علم تاشفين بذلك اخذ يعد العدة للصدام مع هذا العدو المتعجرف الذي خرج يعيث في ديار المسلمين . ويبدو انه استصرخ اهل الاندلس للجهاد فتجمعت لديه الجيوش وسار بها على عجل متعقبا آثار العدو حتى ظفر به بفلاة قرب الزلاقة . ولما تراءى الجمعان نظم كل طرف صفوفه ، فنظم تاشفين قواته على النحو التالي ، هو في القلب مع وجوه المرابطين وكانت اعلامهم بيضاء ومطرزة بالآيات القرآنية ، وفي الجانبين الكفاة والحماة من ابطال الاندلسيين تتقدمهم حمر الرايات ، وفي الجناحين اهل الثغور من اصحاب الجلادة والصبر ، وكان رأس حربة الجيش الاسلامي مشاهير زناته والحشم بالرايات الملفقه . "٢"

ولا نعلم كيف نظم النصارى صفوفهم ، الا انه قياسا على تنظيماتهم في معاركهم السابقة ، فإنهم كانوا عادة يقسمون جيشهم الى قسمين يقود كل قسم قائد مشهور من قوادهم معتمدين في قتالهم على الشجاعة الفرديه عكس المرابطين الذين كانوا يعتمدون في قتالهم على اساس جماعي كل فئة تقاتل تحت راية خاصة بها .

---

١ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ — ويجعلها ابن عذارى (البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٨٨ — ٨٩) ، وصاحب الحلل الموشيه (مؤلف مجهول ، ص ١٢٢) عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٤م .

٢ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٨ — ٩٠ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

وما هي الا برهة من الوقت حتى التحم الطرفان في معركة دامية تبدد فيهـــا شمل النصارى ، وكان يوماً مشهوداً للاسلام وفي ذلك يقول ابن الصيرفي :

أما وبيض الهند خصـــــوم | فالروم تبذل ما طبائك تـــروم
خضعت ملوك الروم في تيجانهـــا | لا غزو قام بتاجه التممـــيم "١"

ثم عاد تاشفين في جمادى الاولى سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣م الى قرطبة ومنهـــا سار الى غرناطة ، "٢"

موقعـــة فحص البكـــــار :-
===================

وفي النصف الاول من شهر ذى الحجة من عام ٥٢٨ هـ اكتسح القشتاليـــون الاندلس وعاثوا فيه ، فاستنفر تاشفين أهل الاندلس فجاءت اليه النجدات مـــن غرناطة وقرطبة ، وجاءت جيوش اشبيليه بقيادة واليها تيتان بن علي ملبية النـــداء ولحقت بتاشفين بفحص الريحانه ، ومنها اتجه الاثنان يتعقبان العدو واخذا ينتظرانه في فحص البكار "٣" الواقع شمالي قرطبه في منطقة فحص البلوط وهـــى بدروش (   ) حاليا • وكان هذا الحصن على درجة كبيـرة من الاهمية لتحكمه في طريق وادى آنه المؤدى الى بطليوس "٤" ، أى على طريق العدو التي لا محيص له عنها. ولما تقابل الجمعان عزم العدو على المكر والخديعة فانتظروا حتى اذا أرخى الليل سدوله وركن الجند الاسلامي الى الراحه — لأن التقليد المألوف في العصور الوسطى يحرم القتال في الليل الا ان النصارى هذه المره خالفوه لينتزعوا النصر من المسلمين ، فاختاروا اربعة الآف من انجادهم الفان من الفرسـان

---

١ — ابن الخطيب : اعمال الاعمال ، ق ٣ ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ •
٢ — نفس المصدر السابق والصفحه — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٨ — ٨٩ •
٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٠ — ٩١ •
٤ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٩ ، حاشية رقم ١ •

ومثلهم من الرجالة" وانقضوا على معسكرات المسلمين فبددوا شملهم وانهدمت الاخبية ، ونفرت الدواب وقطعت مقاورها فوقع القتل والنهب وفر الجند المرابطي عن اميرهم تاشفين . "١"

ويبدو ان احد قادة تاشفين قد نصحه بالهرب فبادر بالرد عليه قائلاً :

((لا اسلم واسلم الامه ولا ابرح او تنجلي عما انجلت هذه الغمره)) . عندها احدق به عبيده ، ورجال من اهل الاندلس ، وافذاذ من المرابطين دون الاربعين رجلاً فحالوا بينه وبين النصارى . واستطاع احد عبيد تاشفين ان يغير مسيرة المعركة بطعنة وجهها الى قائد الجيش القشتالي فأرداه قتيلاً ، عند ذلك انتثر عقد محلة النصارى وما بان الفجر حتى دارت الدائرة عليهم "٢" .

وقبل ان يعود تاشفين الى مقره في غرناطه توجه الى حصن قشرش "٣" وهو من حصون المسلمين ثم رحل الى قرطبه" حيث أقيم مهرجان شعرى احتفالاً بالنصر وسلامة الامير تاشفين ، فألقى الشعراء بين يديه عيون القصائد التي اشاد فيها اصحابها ببطولته "٤". ومن ابرز ما قدم قصيدة لابي بكر يحيى بن الصيرفي يهنئه فيها على ما احرزه من نصر ويحمد الله على سلامته كما ضمنها نصائح قيمة في فنون الحرب وخدع الاعداء وكيفية تجنبها وهى نصائح مجرب وتقع هذه القصيدة في ستين بيتاً وتصلح ان تكون نموذجا لفنون وضروب الحروب في عهد المرابطين ، ونقتطف منها الابيات التاليه :ـ

---

١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٠ ـ ٩١ .

٢ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٩٠ ـ ٩٢ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ـ عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ .

٣ ـ قشرش أو قاصرش يقع جنوبي نهر التاجه وشمالي شرقي بطليوس .

٤ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩١ .

يا أيها الملأ الذي يتقنع — من منكم البطل الهمام الاروع
ومن الذي غدر العدو به دجى — فانفض كل وهو لا يتزعزع

ثم يقول : واحذر كمين الروم عند لقائها — واخفض كمينك خلفها أن تدفع
لا تبقين النهر خلفك عندما — تلقى العدو فنشره متوقع
وصدمة اول وهلة لا تتردع — بعد التقدم فالنكوص يضعضع "١"

ولم يكف القشتاليون عن منازلة المرابطين في الاندلس على الرغم من الهزائم التي منوا بها ، ولعل ذلك ينبع من حماسهم الديني الذي اذكته في نفوسهم الكنيسة في روما ، اضافة الى نجاحهم في تحقيق بعض المكاسب المادية في غاراتهم على اراضي المسلمين . فبعد موقعة فحص البكار بسنتين التقى تاشفين مع القشتاليين في مكان يعرف بفحص عطيه حيث دارت الدائرة على النصارى وقتل منهم عدد كبير "٢" . وفي نفس السنه ايضا هزمهم تاشفين في جبل القصر هزيمة نكراء . "٣"

وفي عام ٥٣١هـ / ١١٣٦م قصد تاشفين بن علي احدى قلاع النصارى — القريبة من قلعة رباح جنوبي نهر وادي يانه تسمى كركي وفتحها عنوة "٤" . وفي السنة التالية قصد اشكونيه او شكلونه وفتحها ايضا عنوه ، وامتلأت يديه بالغنائم التي حمل منها الى مراكش ستة الاف سبيه "٥" وبعد هذه الحملة توقفت حملات الامير تاشفين في مجاهدة النصارى اذا استدعاه في هذه السنة الى مراكش والده

---

١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٢٤ — ١٢٩

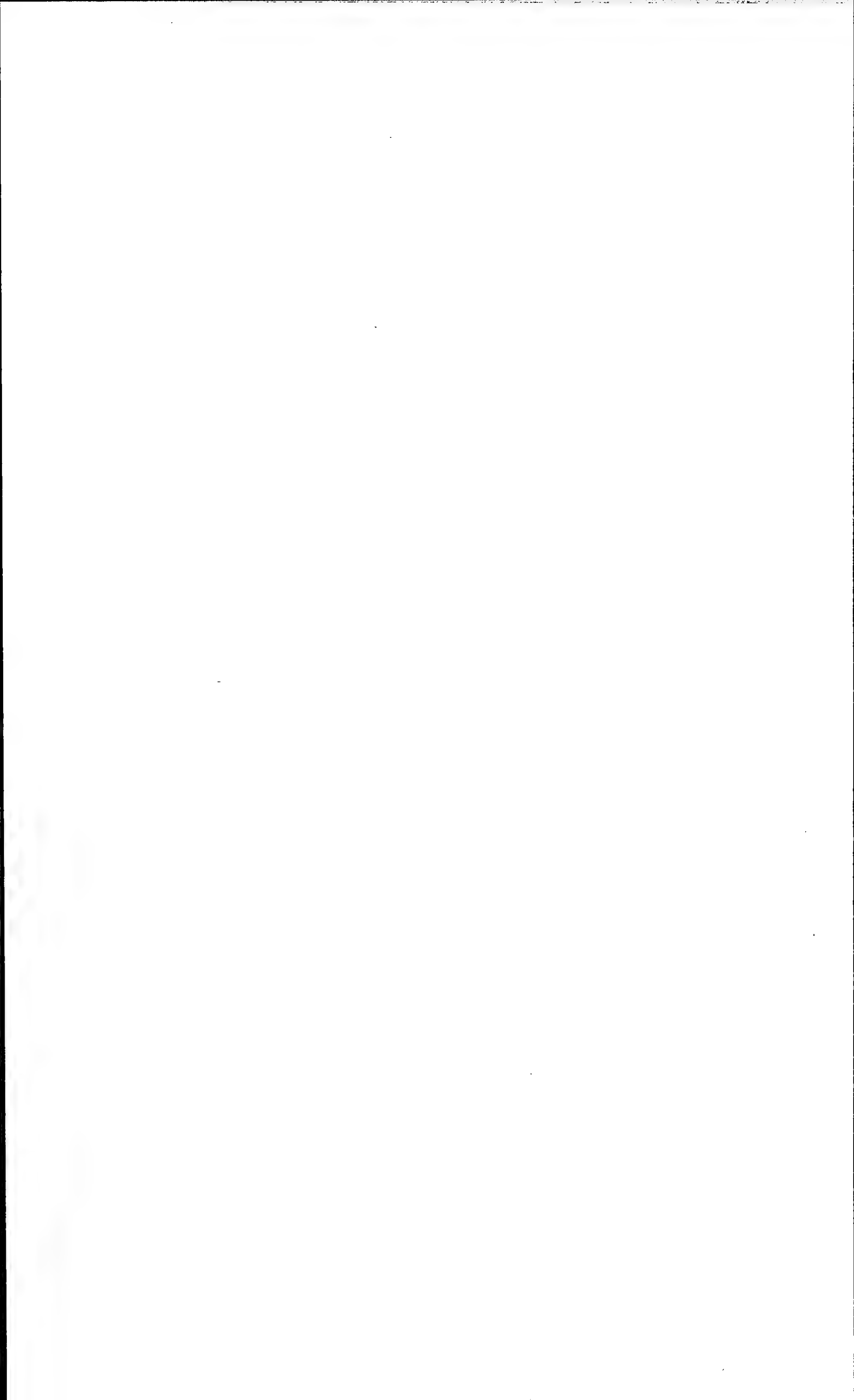
٢ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٤ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٤٢ .
٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٤ — ٩٥ .
٤ — ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ ، حاشية رقم ١ .
٥ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٤ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

أمير المسلمين . "١"

وهكذا كانت الحرب سجالا بين المرابطين والقشتاليين في الاندلس ، فكان كل طرف يعيث في اراضي الآخر ، مما كان له اسوأ الاثر على رعايا الطرفين . وقد اتت هذه الحرب الاستنزافية على افذاذ الطرفين ، ففقد المرابطون عدداً كبيراً من مشاهير قادتهم امثال مزدلي وولده محمد ، ومحمد بن الحاج ، وأبو بكر بن واسينو وغيرهم . وفقد النصارى ايضا اعدادا كبيرة من قادتهم ، ففي موقعة اقليش فقط سقط سبعة من مشاهيرهم دفعة واحدة كما قتل الامير شانجه وعدد كبير من القشتاليين . ولكن النصارى كانوا يعوضون خسائرهم البشرية عن طريق السيل المتدفق عليهم من اوروبا ، اما المرابطون فكان المعين الممكن ان يعوضهم عن خسائرهم هو بلاد العدوه ، الا انها كانت في هذه الفترة عبارة عن حمام من الدم ، اذ كان المرابطون يخوضون ضد جيوش محمد بن تومرت معركة حياة أو موت مما قضى ايضا على افذاذ ابطالهم في المغرب . لكل هذه العوامل نجد الاوضاع تضطرب في الاندلس بعد استدعاء الامير تاشفين الى مراكش .

---

١ ـ عن استدعاء الامير تاشفين الى مراكش للاستعانة به في محاربة الموحدين انظر الفصل الخاص بثورة محمد بن تومرت .



الفصـــل الثانـــي

- جهاده ضد مملكة أرغونة وامارة برشلونـــة .
- خضوع الجزائر الشرقية لسلطان المرابطيـــن .

جهاده ضد مملكة أرغونة وامارة برشلونــــــــــــه

===========================

كانت مملكة نبره (نافار) التي قامت منذ اواخر القرن الثاني الهجــري / الثامن الميلادي في المنطقة الفاصلة بين مملكتي قشتاله وبرشلونه ، من أشد الامارات الاسبانية النصرانية مقاومة للمسلمين ، غزاها المسلمون مرارا ، ودخلوا عاصمتهــــا بنبلونه (Pamplana) "١" أكثر من مرة في القرنين الثالث والرابـــع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين ، الا انها استطاعت ان تحافظ علـــــى استقلالها وتدافع عنه سواء ضد المسلمين او ضد الفيكنج او ضد جيرانها من النصارى . "٢"

واستمرت نبره على ما هى عليه من قوة ووحدة حتى نهاية حكم سانشو الثالث الملقب بالكبير (٣٩١ ـ ٤٢٧ هـ / ١٠٠٠ ـ ١٠٣٥ م) الذى قسم مملكته قبيـــل وفاته بين ابنائه الاربعة فرناندو ، وغرسيه ، وراميرو ، وكونزالوا . فخص أكبرهم غرسيه بالوطن الاصلي نبره وخص راميرو بأرغونة (ارجون) ـ وهــى رقعة تمتد بحذاء نبره ـ وكانت قشتالة وجليقية وليون من نصيب فرناندو ، وكانت ولاية سوبرابي وريباجرسا ـ وهى منطقة ليست ذات شأن لصغرها في اواســـط جبال البرتات من نصيب كونزالوا .

---

١ ـ Abdurrahman Ali Hajji : Andalusian Diplomatic Relations With Western Europe During the Umayyad Period. (A.H.138-366/A.D.755-976), P.50-51.

ـ محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، ص ٣٠٧ ـ القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .

٢ ـ محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، ص ٣٠٧ ـ

وكما هو معهود في مثل هذه الاحوال دب الخلاف والنزاع بين الأخوة الأربعة ، فاستعرت نيران حرب اهلية مريرة بينهم تمخضت عن تلاشي مملكة سوبرابي ، بمقتل اميرها عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨م وضم أخيه راميرو اراضيها الى مملكته ارغونه. وبعد كسب هذه الاراضي اخذ راميرويسعى لضم نبره الى مملكته ، فتحالف مع امراء سرقسطة من بني هود من اجل تحقيق هذا الهدف، الا انه هزم في لقائه مع اخيه غرسيه عام ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢م.

ولم يمض وقت طويل حتى سقط ملك نبره مدرجا بدمائه في احدى معاركه الأهلية مع أخيه فرناندو ملك قشتاله سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤م. "١"

واذا انتقلنا الى الركن الشمالي الشرقي مما يلي جبال البرتات وجدنا امارة برشلونة ، ذلك الثغر الذى سلب من المسلمين في فترة مبكرة عندما انقض عليه شارلمان وضمه الى مملكته في عام ١٨٥ هـ / ٨٠١ م لتأمين حدود فرنسا الجنوبية من اخطار المسلمين . "٢"

وكان ملوك الأفرنج يعينون حكاماً من قبلهم لهذا الثغر ، فلما ضعف سلطانهم استقل هؤلاء الولاة بما تحت ايديهم ، وانقسم الثغر الى عدة امارات كان أهمها امارة برشلونة التي كان يحكمها في أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى اسرة آل بوريل . وقد استطاع المنصور بن أبي عامر في عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥م فتح برشلونة وتخريبها، الا انه لم يحتفظ بها .

---

١ — محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٦٤ — ٣٦٧ .

٢ — Abdurrahman Ali Hajji: Op.Cit, P.45.

ومنذ مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي خضعت برشلونة لحكم آل برنجير ، فحكمها مؤسس هذه الاسرة الكونت رامون برنجير الكبير حوالي أربعين عاما ٤٢٧ ـ ٤٦٩ هـ / ١٠٣٥ ـ ١٠٧٦م ، وقد نجح رامون برنجير خلال حكمه الطويل أن يأخذ بيد هذه الامارة نحو التقدم والازدهار ، وان يوسع رقعتها على حساب المناطق المجاورة له .

وقبيل وفاته اوصى بحكم امارته الى ولديه برنجير ورامون على أن يحكموها في آن واحد ، ولكن ما ان ادركته الوفاة حتى اشتعلت نيران الحرب الاهلية بين الأخوين واستقر الامر في النهاية على ان يحكم كل واحد منهم مدة ستة اشهر على التناوب ، ولكن بعد فترة قصيرة وجد رامون مقتولا غيلة فخلا الجو لبرنجير وحكم الامارة منفردا الى ان تخلى عن حكمها عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م لابن اخيه المقتول رامون برنجير الثالث . "١"

وفي خضم هذه الصراعات والمنافسات والدسائس من أجل الفوز بالسلطة كانت تبرز بين الفنية والفنية بين ملوك وامراء الأسبان النصارى زعامات ذات وزن كبيرة فقد رأينا في الفصل السابق كيف كان ملك قشتالة الفونسو السادس يصول ويجول في شبه الجزيرة الايبيرية الى ان حلت الهزيمة بجيشه في اقليش والتي فقد فيها ولده الوحيد شانجه فمات غيظا وحزنا .

وبعد أن غربت شمس الفونسو السادس ملك قشتالة القوى الذى عاني منه المسلمون في الأندلس معاناة قاسية تسلمت مملكة ارغونة راية حرب الاسترداد ضد المسلمين خاصة بعد ما تولى عرشها في عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٥م الفونسو الأول الملقب بالمحارب الذى كان لا نظير له في حماسه الديني في محاربة المسلمين ، والذى

---

١ ـ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤ ـ ومن الجدير بالذكر ان امارة برشلونه دمجت في مملكة ارغونة في عام ٥٣٢ هـ/١١٣٧م انظر: Abdurrahman Ali Hajji: Op. Cit, P.45.

تبذ حياة النعومة ورخاء العيش ليتفرغ لقتال المسلمين ، "١"

لقد كان الفونسو الأول فارساً جلداً عالي الهمة شديد الأطماع فيما جاوره من بلاد المسلمين ، فبعد فترة قصيرة من ارتقائه لعرش أرغونة تزوج من اوراكا ابنة ألفونسو السادس ملك قشتالة الوحيدة فانضم اليه بهذا الزواج ليون وقشتالة ، ودخلت في طاعته جليقية والبرتغال ، وكانتا تدينان اليه الأتاوة، وأصبح بذلك سيداً لمعظم شبه الجزيرة الايبيرية لا يخرج عن سلطانه سوى الاراضي الاسلامية وقطالونية في الشرق ، "٢"

واستطاعت كنيسة روما أن تزيد من الهاب حماس الفونسو المحارب ببشاراتها ومواعظها الدينية ، ومساعداتها المادية ومؤازرتها له بارسال الحملات الصليبية من أوروبا ، ولذلك يمكن اعتبار مملكة ارغونة من الممالك الاسبانية النصرانية الرائدة بعد مملكة قشتالة لحركة الاسترداد النصرانية ، فقد استطاع ألفونسو المحارب بحماسه الديني وطموحه القومي الذي يفوق الوصف لاسترداد الأراضي الاسلامية أن يصبغ الحرب بين المسلمين والنصارى في اسبانيا بالصبغة الصليبية ، فبعد ارتقائه العرش بدأ ألفونسو المحارب مشروعه في استرداد الثغور والمعاقل الاسلامية بمحاولة التهام سرقسطة ، وزاد طمعه فيها خاصة بعد استشهاد ملكها المستعين ابن هود ، ولم ينقذ سرقسطة من السقوط في يده سوى الحرب الأهلية التي نشبت بينه وبين زوجته أوراكا ، وفتح أهالي سرقسطة بعد استشهاد زعيمهم ابواب

---

١ — ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٣ — ٣٤ ،

٢ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٠ — ١١١ ،

مدينتهم للمرابطين كما أوضحنا في الباب السابق • وما أن استقر المرابطون فيها حتى تجردوا للدفاع عن هذا الثغر الذى تتهدده الاخطار من قبل الممالك النصرانية المجاورة، فاستطاعوا بقيادة محمد بن الحاج ومحمد بن عائشة من رد الفونسو المحارب وحليفه عماد الدولة اللذين جاءا لفتح سرقسطة عام ٥٠٤ هـ / ١١١٠م على أعقابهما • "١"

وفي نفس الوقت كان المرابطون يقارعون رامون بيرنجير الثالث كونت برشلونة الذى كان كثير الاغارة على الاراضي الاسلامية • فبعد ان استقر المرابطون في سرقسطة شنوا حملة تأديبية ضد كونت برشلونه • فخرج القائد المرابطي في سرقسطة محمد بن الحاج في جيش كثيف، ميمما شطر برشلونه في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م• وفي طريقه اليها خرب حصن ثرفيرا (Cervera) "٢" أو البويه "٣"، ولما وصل الى ظاهر برشلونه وجدها قلعة حصينة لا يمكن فتحها بسهولة • ومن ثم اكتفى بشن الغارات عليها وتدمير كل شيء يمكن ان ينتفع به العدو • ثم جمع اكبر قدر من الغنائم وأخذ طريقه عائدا الى سرقسطه •

موقعـــة البورت :

===========

واستقر رأى ابن الحاج على أن يبعث الغنائم ومعظم الجيش عبر الطريق الروماني الكبير • اما هو فقد انتخب مجموعة من انجاده واراد اختصار الطريق عبر مفازة وعره ومنعطفات خطره • وخلال اجتيازه لهذه المسالك الوعره كمن له الأرغونيون عند عقبه وعرة قريبة من حصن كونجست دل مارتوريل (Congostdel Martorrell)

---

١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين • ص ٧٤ •

٢ — المرجع السابق نفسه • ص ٧٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى • ص ١١٢ — ١١٣ •

٣ — ابن أبي زرع : المصدر السابق • ص ١٦٠ •

وهاجموه فقاتلهم قتال من رأى أنه ملاق ربه فأراد أن يقابله على أفضل صوره وهو مدرج بدمائه فكان له ذلك واستشهد معه جماعة من المطوعة "١" ، وكان من بينهم قاضي لارده المعروف بابن قبروق "٢" ، وأما القائد محمد بن عائشة فقد تخلص من الكمين المنصوب بحيلة وعاد الى بلاد المسلمين ، الا انه ما لبث ان فقد بصره بعدها بمده . "٣"

وتعرف هذه الموقعة باسم البورت وهى كلمة افرنجية تعني في اللغة العربية كلمة "الباب" "٤". وقد اهتزت جنبات الأندلس لهذه الفاجعة التي حلت بالمرابطين الذين جاءوا للمحافظة على الديار وحماية الذمار في الأندلس .

وعندما علم أمير المسلمين علي بن يوسف بخبر هذه الفاجعة انتدب لولاية سرقسطة بدلا من واليها الشهيد ابن الحاج ، أبا بكر بن ابراهيم بن تافلويت "٥"، الذى كان عاملا علي مرسية "٦" . وقد صمم ابن تافلويت على الثأر لهزيمة ابن الحاج ، فسار في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م على رأس جيش ضخم مكون من قوات سرقسطة ، ونثسيه ، وكل من يستطيع حمل السلاح واتجه الى برشلونه ، وعاث في أحوازها ومزارعها "٧" ، وضرب حولها الحصار عشرين يوما ، فخرج أميرها رامون برنجير في

---

١ — المصدر السابق نفسه ، ص ١٦١ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٢ — ١١٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٥ .

٢ — هو يحيى بن محمد الاموى المعروف بابن قبروق من اهل لارده ، وسكن شاطبة وولي قضاءها ثم استعفى وانتقل الى بلنسية ، فشاورقاضيها حينئذ انظر: ابن الابار : المعجم ، ص ٣٠٩ .

٣ — المصدر السابق نفسه ، ص ٥٥ .

٤ — المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٤ — والعرب يطلقون كلمة الباب على بداية الدرب الذى يتحكم في عبور الجند له .

٥ — وهو ممدوح ابن خفاجه ومخدوم أبي بكر بن باجه ، توفي عام ٥١٠ هـ . انظر : السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٣ — ١١٤ .

٦ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦١ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

٧ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، =

قوات عظيمة مكونة من برشلونة وأربونه ، ودارت رحى معارك عنيفة بين الطرفيــــن قتل فيها عدد كبير من النصارى، واستشهد من المسلمين سبعمائة • "١"

وفي الوقت الذى كان فيه ابن تافلويت يخوض غمار حرب دامية مع أميــــر برشلونه، انتهز الفونسو المحارب غياب الجيوش عن سرقسطة وقصد دخولها، فتصدى لـه عبد الله بن مزدلي، الذى هب لنجدة المدينة واشتبك معه في معركة ضارية ســقط فيها عبد الله بن مزدلي شهيداً • "٢"

لقد صمم الفونسو المحارب على الاستيلاء على قواعد الثغر الأعلى، وركــــز جهوده على سرقسطة ، وكما رأينا في الباب الثاني استطاع أن يجرد لهذا الهدف حملة صليبية ضخمة نجحت في دخول سرقسطة عام ٥١٢ هـ / ١١١٨م ، ولم تبــذل جهود مكثفة من قبل المرابطين لانقاذ هذه المدينة، لانشغالهم بمحاربة الموحديــن ، اذ لم يعد في قدرتهم ارسال حملات ضخمة الى الأندلس لتحقيق مثل هذا الهدف •

ويظهر أن الفونسو المحارب ادرك وضع المرابطين الحرج فاستغل ذلك أحسن استغلال • كما أن انتصاره الكبير على المرابطين بدخول سرقسطة شجعه علــــى السير قدما في اسقاط بقية قواعد الثغر الأعلى • ومما زاد في طموحه أيضا تحسن علاقاته مع أمير برشلونه عن طريق المصاهرة التي أدت الى اتحاد ارغونة وبرشلونه • "٣"

= ص ٧٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلــــى ، ص ١١٢ — ١١٣ •

١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦١ •

٢ — حسين مؤنس : الثغر الأعلـــــى ، ص ١١٣ — ١١٤ •

٣ — ابراهيم حركات : المرجع الســـابق ، ج ١ ، ص ١٧٩ •

وحتى يضمن الفونسو المحارب خطاً دفاعيًا جيدا لحماية عاصمته الجديـدة سرقسطة،كان عليه أن يستولي على كل القلاع ذات الموقع الاستراتيجي التي تهدده ، ولذلك اتجهت انظاره الى قلعة أيوب وهي من أمنع معاقل بلاد شرق الأندلـــس فافتتحها عام ٥١٣ هـ / ١١١٩م • "١"

والغريب أنه في هذه الفترة كان أمير المسلمين علي بن يوسف قد جاز من العدوة الى الأندلس ، بدلا من أن يكثف جهوده لاستنقاذ سرقسطة ، أو قلعة أيوب ، أو على الأقل تقوية الوسائل الدفاعية في منطقة الثغر الأعلى بزيادة عدد الجند ، وتزويد المعاقل الحصينة بالمؤن والعدد والعتاد والرجال ، أو أن يقوم على أقل تقدير بحملة استعراضية في الثغر الأعلى لرفع معنويات جنده ورعيتـه في تلك المناطق ، وبدلا من كل ذلك فقد توجه الى غرب الأندلس،حيث قام بعدة عمليات عسكرية • "٢"

موقعـــــة كتنـده :ـ

===============

لقد أخذ الفونسو المحارب ينفذ مخططه التوسعي بكل دقة واحكـــام ، فبعد أن ملك قلعة أيوب الحصينة سار نحو كتنده من حيز دورقه (Daroca) من عمل سرقسطة "٣" ، وضرب عليها الحصار وضيق على اهلها "٤" ، فانطلقت صرخات الاستغاثة من أهل شرقي الأندلس طالبة العون والمساعدة من المرابطين ، فهب الى نجدتهم من قرطبة الأمير ابو اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين علـــى

---

١ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ •

٢ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ •

٣ ـ ابن الآبار : المعجم ، ص ٧ ـ ٨ ـ المقرى : المصـــدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٠٥ •

٤ ـ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٨٦ ـ الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٣٣ ب •

رأس قوة صغيرة . وعلى الرغم من صغر هذه القوة الا أن أهل شرقي الأندلس تحمسوا بمقدمها حماسا منقطع النظير ، فما ان وطأت حوافر خيول هذه القوة ارض شرق الأندلس حتى توافدت جماعات المتطوعة منضمة اليها ، وبادر العلماء والفقهاء أمثال أبي علي الصدفي "١" ، وأبي بكر بن العربي يلبسون دروعهم للمشاركة في شرف الجهاد ـ "٢"

ويظهر أن الفقهاء المرافقين للقوة المرابطية ادركوا اهمية تعبئة الجند نفسيا قبل خوض المعركة الفاصلة مع العدو ، فكانوا لا يدخرون وسعاً في اغتنام الفرص لبث المواعظ والارشادات طوال مسيرة هذه القوه من مرسيه الى كتنده ، فكان ابو علي الصدفي يواظب على القاء دروسه في أوقات الاستراحه ، فعندما توقف الجيش بعض الوقت في شاطبة جنوب بلنسية القى هناك دروسه ، وربما في غيرها من مدن الطريق ، وحتى في ساحة المعركة أو قربها القى عدة دروس ، "٣"

وفي يوم الخميس ٢٤ ربيع أول عام ٥١٤ هـ / أواخر يونيه ١١٢٠ م "٤" دارت رحى معركة عنيفة بين الجيش الاسلامي والفونسو المحارب عند كتنده ، وفي هذه المعركة هزم المسلمون هزيمة نكراء وقتل عدد كبير من المتطوعة بلغ عدة الاف ـ بينما لم يتكبد الجند المرابطي خسائر جسيمه لأنهم فروا وتركوا المتطوعة يصلون نيران المعركة وحدهم . وممن سقط شهيداً في هذه المعركة ابو عبد الله بن

---

١ ـ هو حسين بن محمد بن فيره بن حيون يعرف بابن سكره الصدفي ، من أهل سرقسطة وسكن مرسيه . (انظر عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .)

٢ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

٣ ـ عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ .

٤ ـ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٤ ـ ابن الآبار : المعجم ، ص ٧ ـ ٨ .

الفراء قاضي المريه "١" ، وأبو عبد الله الصدفي "٢" ، هذا ويقدر ابن الآبار "٣" عدد القتلى من المتطوعة بنحو عشرين ألفاً ، وقد عاش من بقي منهم طوال بقية الحياة في بلنسية .

وقد عبر ابن العربي بمثل مغربي دارج عن مدى خسائر المسلمين في هذه المعركة عندما سئل عن حاله فقال : ((حال من ترك الغباء والعباء)) ، أي أنه قد فقد جميع ما لديه . "٤"

وطارت أخبار هذه الهزيمة في أرجاء المغرب والأندلس . ويبدو أن أمير المسلمين علي بن يوسف ادرك ما يترتب على هذه الهزيمة وما سبقها من هزائم من تضعضع لمركز المرابطين في الأندلس، فأراد أن يعيد ثقتهم به ، فجاز عام ٥١٥ هـ/ ١١٢١م ليأخذ بثأر هزيمة كتنده ، الا انه فشل في التقدم نحو سرقسطة لاحكام حراستها من قبل الفونسو المحارب بعد ان سيطر على معاقلها ، فاكتفى بمناوشة نواحي طليطلة والبرتغال . "٥"

ويظهر أن أمير المسلمين علي بن يوسف حمل أخاه ابراهيم بن يوسف مسؤولية هزيمة كتنده ، واعتبره مقصراً في اتخاذ التدابير والاستعدادات الكافية للمعركة ، ويبدو أيضا إنه استمع لشكاوى أهالي المتطوعة وبعض من حضر هذه الموقعة عن موقف الأمير ابراهيم والجيش المرابطي المنهزم حين تركوهم نهباً لرماح وسيوف الاعداء ، ولذلك أصدر امره بعزل ومعاقبة أخيه ابراهيم "٦" .

---

١ — هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا المعروف بابن الفراء ، وهو من أهل المرية وقاضيها (انظر : ابن بشكوال : الصدر السابق ، ج ٢ ، ٥٤٢).

٢ — المقري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٠٥ — ابن الآبار : المعجم ، ص ٧ — ٨ .

٣ — المعجم : ص ٧ — ٨ .

٤ — المقري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٠٥ .

٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٥ — ١١٦ .

٦ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٦ ، حاشية رقم ٣ — ابن الآبار : المعجم ، ص ٥٥ — ٥٦ .

ومن النتائج التي ترتبت على هزيمة كتنده وسقوط المدينة بيد الفونسو المحارب أنه أصبح في مأمن في سرقسطة ، لأن ذلك اتاح له أن يستولى على القلاع والحصون التابعة لها . وهذا ما حدث فعلاً بعد موقعة كتنده فلم تجروء القوات المرابطية على الاقتراب من سرقسطة . "١"

غزوة الفونسو المحارب الكبرى للأندلس :

لقد لاقت انتصارات الفونسو المحارب المتلاحقة على الجيوش المرابطية واستمراره في التهام الاراضي الاسلامية ، اضافة لصرخات بابوات روما المدوية الداعية الى احياء الروح الصليبية في نفوس الاسبان من أجل اجلاء المسلمين عن الأندلس اذنا صاغية من قبل رجال الدين النصارى الذين كانوا يعيشون تحت الحكم الاسلامي في الأندلس فرأوا من واجبهم الوطني الوقوف الى جانب الممالك النصرانية التي تحاول طرد المسلمين من الأندلس . هذا بالاضافة الى استيائهم من وضع النصارى (المستعربين) الذين أقبلوا على الثقافة العربية اقبالاً عظيما ، ولذلك كانوا يحاولون ايقاف هذا الاقبال بأي ثمن . "٢"

---

١ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .

٢ ـ عن اوضاع اهل الذمه منذ الفتح الاسلامي حتى خروج المسلمين من الأندلس ، وعن بعض تحركاتهم ضد الدولة الاسلامية انظر : ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ١١٩ ـ ١٢٧ ـ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٤١٠ ـ ٤١٢ ـ عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠٧ ـ دول الاسلام في الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ـ لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ج ٢ ، ص ٢٧ ـ ٢٩ ـ علي الجارم : قصة العرب في اسبانيا ، ص ٧٢ ـ ٧٩ ـ أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ، ٢٠٣ ـ ٢٠٥ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

ولقد وجد المستعربون في شخصية الفونسو المحارب مطلبهم لينخلصوا انفسهم من الانحراف في التيار العربي ، فبعثوا اليه مندوبين عنهم يطلبون منه القدوم الى غرناطة ليساعدوه في افتتاحها قاطعين له الوعود بأن يقدموا له كل عون ومساعدة من عدة ومؤنة ورجال . "١"

ولعل سبب تزعم نصارى غرناطة لهذه المؤامرة دون غيرها من الحواضر ، يعود لكونها أكبر حاضرة يتجمع فيها اكبر اعداد المستعربين ، من حيث العدد والثراء والنفوذ . "٢" كما انها ايضا عاصمة المرابطين في الاندلس ، فسقوطها يعني ضربة قاسمة للمظهر للوجود المرابطي في الأندلس ، لا بل للوجود الاسلامي ككل في الأندلس ، لما سيترتب على ذلك من انتشار الذعر والخوف في قلوب المسلمين ، كما أن سقوطها سيجعل المناطق التي لم تسقط بعد بين فكي كماشة الأعداء .

ويبدو أن الفونسو المحارب كان مترددا في تلبية نداء المستعربين في غرناطة من أجل فتحها ، لذا تكررت عليه وفودهم ملحة في طلبها ، وواصفه له خيرات غرناطة من محاصيل وثمار مختلفة من قمح وشعير ، وكتان ، وكروم ، وزيتون ، وفواكه ، وكثرة عيونها وأنهارها المنبثقة من قصبتها ومرافقها ومريرها ، وأنها بحكم موقعها الاستراتيجي وثرائها تعتبر سنام الأندلس . فلما لمسوا منه الابطاء بعثوا له باسماء اثني عشر ألف من انجادهم الذين سيكونون تحت تصرفه عندما يتقدم اليهم . "٣"

---

١ — عبد الرحمن الحجيي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٣٢ — ٤٣٣ .

٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠٦ .

٣ — ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ١٠٨ — ١٠٩ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٩ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — ٩٢ .

وازاء هذه الاغراءات عزم الفونسو المحارب على القيام بحملة ضخمة على الأندلس من أجل دخول غرناطة ، فانتخب من قواته اربعة الاف فارس "١" من أنجاده من أرغونة وتعاهدوا على الأنجيل أن لا يفر احد منهم عن صاحبه "٢" ثم ما لبث أن أضاف الى فرسانه خمسة عشر ألف راجل "٣" ، وعزم على أن يحيط غزوته تلك والهدف الذي تسعى اليه بالكتمان الشديد . "٤"

وفي أول شعبان عام ٥١٩ هـ / سبتمبر ١١٢٥ م "٥" خرجت جحافل الفونسو المحارب من سرقسطة يتقدمها اسقفا سرقسطة ووشقه "٦" واتجهت نحو بلنسية فوصلت في يوم الثلاثاء ٢٠ رمضان ٥١٩ هـ "٧" ، وخلال تواجد الفونسو المحارب على اراضي بلنسية هرع اليه المعاهدون للانضمام اليه وتقديم المساعدة والعون له ، وأخذوا يدلونه على المسالك ، ويرشدونه الى عورات المسلمين وكل شيء يضربهم . ومن بلنسية تحرك نحو مرسية عن طريق بسطه "٨"

---

١ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ ـ ٩٢ ، ويذكر ابن عذاري (البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦٩) ان عدد الفرسان خمسة الاف .

٢ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ ـ ٩٢ .

٣ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٩ .

٤ ـ ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

٥ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ ـ وهناك خلاف حول تحديد بداية الزحف فيذكر صاحب الحلل الموشية (مؤلف مجهول ، ص ٩٠ ـ ٩٢) انه في منسلخ شعبان عام ٥١٩ هـ ، اما ابن الخطيب (الاحاطه ، ج ١ ، ص ١٠٩ ـ ١١٠) فيذكر أنه بداية شعبان عام ٥١٥ هـ .

٦ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠٧ ـ ١١٠ .

٧ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

٨ ـ مدينة متوسطة تقع الى الشمال الشرقي من غرناطة وتبعد عنها نحو ١٢٥ كم ، (انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ١١٣ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٢ ، حاشية رقم ٩١).

التي طمع فيها لكونها غير محصنه ، ولأن أكثر حاراتها غير مسوره . ثم سار حتى وصل الى وادى آش "١" يوم الجمعه أول ذى القعده وأقام يقاتلها من الجمعة حتى الأثنين "٢" ، وبعد ها أخذ يكرر محاولاته لدخولها مدة شهر . "٣"

وتابع الفونسو سيره في اتجاه غرناطة فسار حتى وصل الى قرية فنيانه الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة وادى آش وأقام عليها شهرين "٤". وخلال ذلك أخذ المعاهدون في استدعائه فافتضح أمرهم "٥" ، وحاول الأمير تميم السيطرة عليهم الا أنه لم يستطع ذلك لكثرتهم فأخذوا يتسللون الى الفونسو من كل فج فكثر رجله وضخمت قواته ، وأخذ يضايق مدينة وادى آش والمحلات الأخرى في طريقه "٦".

---

١ ـ و... من اعمال غرناطة وهي مدينة كبيرة تحيط بها البساتين ومن اعمالها حصن جليانه . وهو حصن عظيم يبتعد عنها ١٢ ميل (انظر ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١١٢ ـ ١١٣ ـ المقرى : المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣) .

٢ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ ـ ٩٢ .

٣ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

٤ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٣ ـ ٩٤ ـ ويذكر ابن الخطيب : (الاحاطه ، ج ١ ، ص ١٠٩ ـ ١١٠) أن المدة كانت شهراً .

٥ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ .

٦ ـ ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ١١٠ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

وفي هذا الوقت طارت أخبار هذه الغزوه الى اسطاع أمير المسلمين علي بن يوسف فأنفذ أمره على الفور الى سائر أقطار العدوه بتوجيه الجيوش الى الأندلس ، فجدت جيوش العدوة السير لتحدق بالمدينة المستهدفة من قبل العدو وأعوانه من المعاهدين وأحاقت بها، ثم أقبلت عساكر بلنسيه ومرسيه للغرض ذاته "١" ، وصارت الجيوش المرابطية كالدائرة حول غرناطة وهي وسطها كالنقطة ، "٢"

وتحرك الفونسو المحارب نحو قرية دجمه احدى قرى غرناطة "٣" يوم عيد الأضحى فصلى الناس بالمصلى صلاة الخوف "٤" وهم في كامل أسلحتهم واستعدادهم "٥" ولما وصل الفونسو المحارب الى مدينة غرناطه كانت قواته قد بلغت خمسين ألفا حيث ضرب محلته بالقرب منها بضع عشرة ليلة لم يستطع فيها القيام بأي عمل عسكري ضد غرناطه لتوالي تساقط الأمطار وانخفاض درجات الحرارة ، الا أن المعاهدين كانوا يجلبون اليه المؤن ، "٦" ، وخلال ذلك وصل اليه زعيم المعاهدين

---

١ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ ،

٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ — ٩٧ ،

٣ — المصدر السابق نفسه ، ص ٩٤ ،

٤ — فرضت صلاة الخوف يوم الخندق وتؤدى على النحو التالي : طائفة تصلي مع الامام ركعة واحدة وطائفة تحرسهم وتواجه العدو ، ثم يقف الامام فترجع الطائفة الأولى لتحل محل الثانية ويتابعوا مع الامام حتى اذا جلس انتظر حتى يأتوا بالركعة الثانية ، ثم يسلم فيسلموا ، اما الطائفة الاولى فتتم وحدها ، والصلاة تؤدى قصرا ، (انظر محمد بن ادريس الشافعي : الرسالة ، ص ٢٤٤) ،

٥ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ ،

٦ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٤ — ٩٧ ،

ابن القلاس ، وحدثت مشادة بين الفونسو المحارب وابن القلاس تبادل الطرفان فيهما الاتهامات بالاخلال في الشروط التي تم الاتفاق عليها ، فقد اتهم الفونسو المحارب ابن القلاس بأنه لم يف بوعوده التي قطعها له ، ورد ابن القلاس الاتهام بأن الفونسو تأخر حتى اقبلت الجيوش الاسلامية من الشرق والغرب وبلاد العدوه ، ثم حمل ابن القلاس الفونسو مسؤولية هلاك المعاهدين اذا هو أقلع عن محاولة دخول غرناطه .

وفعلاً قرر الفونسو المحارب العودة الى بلاده بعد أن رأى حصانة غرناطة ، وكثافة الجيوش الاسلامية المحدقة بها ، فتحرك قاصدا لأربع بقين من ذي الحجة عام ٥٢٠ هـ / ٢١ يناير ١١٢٧م "١" . وما أن تحرك عنها حتى تتبعت الجيوش الاسلامية أذياله تناوشه حتى اذا ما وصلت قواته حصن لسانه "٢" ، تقابل الجيشان في منطقة تابعة لهذا الحصن تسمى الرنيسول ، وحدثت مناوشات أثناء النهار كان النصر فيها حليف الجيش الاسلامي ، ولكن ما أن ارخي الليل سدوله حتى قام قائد الجيش الاسلامي بتصرف غير مسؤول عندما امر بتغيير مقر قيادته من مكان منخفض الى آخر مرتفع ، دون أن يدرك ما لهذا الاجراء من خطورة على نفسية جنده الذين ظنوا أن أميرهم قد عزم على الانسحاب فولوا مدبرين من معسكرهم فحدث الاضطراب والاختلال في المحلة الاسلامية . "٣"

ولم يصدق العدو ما يسمع وما يرى في المحلة الاسلامية ، وعلى الفور قام

---

١ ـ ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ١١٠ ـ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٣١ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

٢ ـ حصن من حصون غرناطة الدفاعية يقع الى الشمال الغربي منها : (انظر مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ ، حاشية) .

٣ ـ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٣١ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

الفونسو المحارب باستنفار جنده وقسمهم الى اربعة ألوية وحمل على المسلمين فكانت الدائرة عليهم،كما استولى على محلتهم "١" يوم الأربعاء ١٣ صفر ٥٢٠ هـ "٢"

وتشجع الفونسو المحارب بعد هذا النصر غير المتوقع وقرر العوده مرة أخرى الى غرناطة بقصد دخولها فوصل اليها بعد أن مر على عدة قرى ومدن وحصـــون دمرها جميعها،وعاث فيها ، وخرب أرباضها ، وحرق زروعها وجمع سبيها . وعلى ثلاثة فواسخ من غرناطة ضرب الفونسو محلته،وأقام بها ثلاثة أيام "٣" . ويبدو أن حصانة المدينة وقوة الحامية المحيطة بها ، خيبت رجاء الفونسو فحزم خيامه وقفل راجعا الى بلاده وفي طريقه اليها كانت القوات المرابطية تتعقبـــه فنهبت وقتلت أعدادا كبيره من جنوده . ومما زاد الأمر سوءا بالنسبة له تفشـــي الوباء بين جنده فأخذ يطوى المسافات للحاق ببلاده تاركا في كل موقع حلـــــل فيه هلكى ومرضى الى أن عاد الى بلاده "٤" بعد أن عاث في الاراضي الاسلامية وجمع الغنائم الوفيرة منها "٥" مدة سنة وثلاثة أشهر . "٦"

لقد عاد الفونسو المحارب الى بلاده دون أن يحقق هدفه الذى خرج من أجله وهو الاستيلاء على مدينة غرناطة . ولولا تباطؤه في الوصول اليها أول مره والذى مكن الجيوش الاسلامية من جمع حشودها واستقدام نجدات جديدة من سائـر

---

١ ـ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .
٢ ـ ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٦١ .
٣ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧١ ـ ٧٢ .
٤ ـ ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ١١٠ ـ ١١٣ ـ ابن عـــذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٢ ـ ابن الأثير : المصدر الســـابق ، ج ١٠ ، ص ٦٣١ .
٥ ـ الذهبي : المصدر السابق ، ج ٨ ، ورقة ١٤٠ ب .
٦ ـ مؤلف مجهول : المصدر الســـابق ، ص ٩٧ .

انحاء الأندلس والعدوه، ولولا أن ادركه فصل الشتاء لتمكن الفونسو من تحقيق هدفه الكبير، لأنه دخل الأندلس بجيوش جراره، اضافة لالاف المعاهدين الذين انضموا اليه .

وكشفت هذه الحملة عن تدهور الأوضاع في الاندلس أنه فقد اظهرت تمزق الجبهة الداخلية فيه . فالمعاهدون القاطنون في المدن الاسلامية أظهروا نواياهم الخبيثة تجاه المسلمين ، وأخذوا يحيكون الدسائس والمؤامرات ضدهم . غير أن هذه الحملة نبهت الدولة المرابطية والمسلمين في الأندلس الى خطورة المعاهدين ، فأخذت تحسب لهم حسابا كبيرا، كما شددت المراقبة عليهم، وأنزلت أشد العقوبات بالمتآمرين منهم .

كما كشفت هذه الحملة عدم كفاءة قائد الجيوش المرابطية في الاندلس تميم ابن يوسف . على ان اهم نتائجها بالنسبة للجبهة الاسلامية وهو ما كشفت عنه من ضعف الوسائل الدفاعية في الاندلس، وخاصة فيما يتعلق بالقلاع والاسوار .

كل هذه الامور ادركها رجالات الاندلس من علماء وفقهاء . ويظهر أنه بعد مشاورات جرت بينهم استقر رأيهم على ندب ابن رشد للذهاب الى مراكش، ليخبر أمير المسلمين علي بن يوسف بما آلت اليه حال الأندلس ، وما اكتشفوه من خلل بعد غزوة الفونسو المحارب .

وتوجه ابن رشد في يوم الثلاثاء أول ربيع اول ٥٢٠ هـ الى مراكش وحدث امير المسلمين بما يراه علماء الاندلس " ١ " من تغريب المعاهدين لموقفهم من الفونسو المحارب واستدعائهم له ومساعدتهم له " ٢ " ، وبما يرونه من عزل أخيه

---

١ ـ ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٦٣ .
٢ ـ ابن الآبار : المعجم ، ص ١٥٥ .

تميم وتقديم غيره "١" . كما اقترح ابن رشد ايضا على أمير المسلمين ضرورة ترغيم الأسوار والقلاع في الاندلس والمغرب ، وبناء سورلمدينة مراكش "٢" .

وفعلا قام امير المسلمين بتنفيذ كل هذه الاقتراحات ، وكتب الى سائر انحاء الاندلس بالنظر في الاسوار في جميع البلاد "٣" ، فقام والى غرناطة الجديد باصلاح اسوارها ، وقام أهل قرطبة باصلاح سور مدينتهم ، وكذلك فعل أهل اشبيلية ، وأهل المرية ، كما قام بعزل اخيه تميم وعين بدلا منه واليا جديدا اسمه عينطلو "٤" . وفي شهر رمضان من نفس السنة اصدر امير المسلمين امره بتغريب المعاهدين الى ناحية مكناسه وسلا وغيرهما من بلاد العدوة . "٥"

ويظهر أن الذين غربوا هم الفئات التي اشتركت في المؤامرة بشكل فعلي ، ومما يبرهن على ذلك انه في عام ٥٢٢ هـ : ١١٢٨م جاءت شكوى من المعاهدين الى أمير المسلمين يشكون فيها ظلم واليهم عمر بنتاله ."٦".

---

١ ــ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٦٨ .
٢ ــ عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٣٤ .
٣ ــ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٣ .
٤ ــ احسان عباس : تاريخ الادب الأندلسي ، ص ٣٠ .
٥ ــ عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٣٤ ــ هذا وقد عاد ابن رشد الى قرطبة في يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الاولي ٥٢٠ هـ ، (انظر : ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٦٣ ــ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ ــ ٩١).
٦ ــ ميراندا : علي بن يوسف واعماله في الاندلس ، ص ١٧٥ .

كما يبدو أن العدد الأكبر من المعاهدين الذين اشتركوا في المؤامرة قـــد انسحبوا مع الفونسو المحارب عندما ايقنوا فشل مخططهم • "١"

ولكن لماذا غرب هؤلاء المعاهدون الى سلا ومكناسة بشكل خاص ؟ لعل الدولة المرابطية فكرت في الاستفادة منهم باسكان قسم منهم في بعض المناطـــق الزراعية لاستغلالها كمدينة سلا مثلاً المشهورة بخصوبة اراضيها "٢" ، أو بالاستفادة من بعضهم كجند مرتزقة كما ضم امير المسلمين عدد منهم الى حرسه الخاص • "٣"

وأما الفونسو المحارب فقد استفاد فائدة كبيرة من غزوته تلك فقد تعرف علـــى معاقل ومدن الاندلس عن قرب ، وعرف اماكن القوة والضعف فيها ، واســـتطاع ان يوجد له فيها عملاء دائمين من المعاهدين ، وان يكتسب اعدادا منهم انضموا الى جيشه ، كما توصل الى حقيقة هامة وهى أن افضل طريقة لطرد المسلميـــن من الاندلس هى اجلاؤهم على مراحل بانتزاع معاقلهم الواحد بعد الآخر •

موقعـــة القلاعـــه :

=================

فبعد هذه الغزوة أخذ الفونسو المحارب يستكمل سيطرته على معاقل الثغـر الاعلى التي لم يكن قد بقي منها في ايدى المسلمين سوى طرطوشة ، ولاردة ، وافراغه ، فأخذ يعمل على الاستيلاء على طرطوشة الميناء الهام على البحر الأبيض المتوســـط ، ولكن تحقيق هذا الهدف لم يكن بالامر اليسير اذ لابد له اولاً من الاستيلاء علـــى

---

١ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١١٢ •
٢ ـ القلقشـــندى : صبح الأعشـــي ، ج ٥ ، ص ٦٩ •
٣ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١١٤ •

لاردة وافراغة ، وأن يخوض في سبيل ذلك عدة معارك مع المرابطين . ومن أجل ذلك خرج من عاصمته سرقسطة عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٩م وزحف في اتجاه أفراغة ولاردة ، وسار بقواته جنوباً نحو بلنسية .

وكان المرابطون بعد غزوة الفونسو الكبرى عام ٥١٩ هـ قد كثفوا حامياتهم وبثوا عيونهم على حدودهم مع الفونسو المحارب . ولذلك استطاعوا أن يتعرفوا على نوايا الفونسو المحارب، وانه يزمع القيام بحملة كبرى كتلك التي قام بها على الأندلس في عام ٥١٩ هـ، وبادروا بارسال هذه المعلومات الى أمير المسلمين في مراكش، طالبين منه المدد والعون . فبادر أمير المسلمين بارسال جيش من السود اليهم، وأوعز الى مدن الاندلس وحواضرها بأن تتكفل بنفقات هذا الجيش كل ناحية حسب طاقتها . وقد وصلت هذه الحشود الى مرسية تعزيزاً للجيوش المرابطية في شرق الأندلس .

وتقابلت الجيوش الاسلامية مع جيوش الفونسو المحارب في منطقة يقال لها القلاعة أو القليعة ، جنوبي بلنسية . وهناك دارت الدائرة على الجيش الاسلامي، بعد أن فقد من أفراده اثنا عشر ألفا بين قتيل وأسير ، واستولي الفونسو المحارب على القلاعة وأقطعها لأحد اتباعه . "١"

---

١ — المرجع السابق نفسه ، ص ١١٤ — ١١٨ .

وعندما وصلت أخبار هذه الهزيمة الى اسماع أمير المسلمين علي بن يوسف غضب لذلك غضبًا شديدًا ، وبادر بارسال رسالة توبيخ لجنده وقادته محملا اياهم عبء الهزيمة .

ويستفاد من هذه الرسالة أن جيش المرابطين في هذه الموقعة كان أكثر عددًا من جيش الفونسو المحارب ، وأن قائد جيش المرابطين هو ابو محمد بن أبي بكر بن سير اللمتوني ابن اخت أمير المسلمين علي بن يوسف . كما يستفاد منها أيضًا أن هذه الموقعة وقعت في النصف الأول من عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م .

ومما جاء في هذه الرسالة التي كتبها ابن أبي الخصال على لسان أمير المسلمين علي بن يوسف الى قادة المرابطين في شرق الأندلس في السابع من شهر شعبان ٥٢٣ هـ ما يلي : ((واتوافقتم مع عدوكم ، وأنتم أوفر منه عدة ، وأكثر جمعا ... وكنتم في تلك الوقعة قرة عين الحاسد وشماتة العدو الراصد ..))"١"

ونستطيع على ضوء هذه الرسالة والرسائل التالية التي وصلت الى قادة الشرق الأندلسي من قبل أمير المسلمين أن نتعرف على اسباب هزيمة المسلمين في القلاعة على الرغم من كثرة عددهم .

فيتضح أنه لم يكن هناك تنسيق بين القوات النظامية والمتطوعة ، فقد ترك النظاميون المتطوعة وهربوا تاركين اياهم نهبًا لرماح وسيوف العدو. واذا علمنا أن المتطوعة يشكلون جزءا لا بأس به من الجيش الاسلامي علمنا مدى خطورة مثل هذا التصرف على وجود المرابطين في الأندلس ، اذ سينظر اليهم أهل الأندلس نظرة حقد وعداء لتسليمهم اياهم للأعداء على هذا النحو ، وسيدفعهم هذا الحقد والعداء على المرابطين الى تحين الفرص للتخلص من حكمهم . ومما يؤكد فرار الجند النظامي عن المتطوعة ما جاء

---

١ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٣٩ ـ ١٤٣ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٥٤١ ـ ٥٤٤ .

في رسالة أمير المسلمين الى قادة القلاعة حيث يقول : ((.... فشغله عنكم من غررتموه من الرّجل الذى اسلمتوه للقتل ، ونصبتموهم دريئة للرماح ثم طرتم ....)) "١" .

كما يظهر أن الجيش الاسلامي كان منقسما على نفسه قبل المعركة ، وهذا ما يلمح من خلال تركيز أمير المسلمين في رسائله على وحدة الصف واتفاق الكلمة فيقول : ((فكونوا بعد هذه الهناة لداعي الرشد بين مطيع وسامع ومن كلمة الاتفاق والتآلف على امر جامع فانكم لو حسنت سريرتكم واطمأنت على التقوى قلوبكم لظهر أمركم ... ولما ذهب ريحكم ...)) "٢"

ومن الاسباب المهمة ايضا لهذه الهزيمة أهمال قادة شرق الأندلس وعدم استعدادهم وتأهبهم لمواجهة أي طارئ يجد من قبل العدو ، فلم تكن لديهم العيون التي ترصد تحركاته بعد اشتباكهم معه لتزويدهم بالمعلومات ليكونوا على اهبة الاستعداد لمواجهة مكائد العدو خلال القتال . فمعرفة المعلومات الوافية عن العدو قبل هجومه او اثناء تقدمه تتيح الفرصة للقادة المسلمين لوضع الخطط الكفيلة لصد هجومه ، وهذا ما نبه اليه أمير المسلمين في رسالته حين قال : ((.... فلتضعوا على مسالكه عيونا تكلأ ، ولتكن آذانكم مصغية لما يطرأ فان كان له مدد كما ذكر قطعتم به السبيل دون لحاقه ، وأقمتم الحزم على ساقه ..)).

ومن الأسباب العامة التي أدت الى هزيمة المرابطين تأخر الهجوم عندهم والتي كانت سببا في كثير من هزائمهم . فقد كان المرابطون يندفعون على الأعداء في الساعات الأولي من المعركة بحماس منقطع النظير فيدفعون العدو امامهم . ولما

---

١ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٣٩ .

٢ ـ المقال السابق نفسه ، ص ١٤٠ .

كانوا يحاربون من غير دروع ثقيلة في حين ان النصارى كانوا لا يدخلون أية معركة دون ان يلبسوا الدروع الثقيلة ، فكما هو معروف عند العسكريين ان القوات المتمركزه تكون خسائرها في الغالب اقل من خسائر القوات المهاجمه في الساعات الأولى ، وهذا ما كان يحدث فعلا ، فقد كان يسقط من الجنود المسلمين المندفعين في هجومهم عدد كبير في بداية المعركة ، وبعد أن يمتص المد وقوة الصدمة الأولى يبدأ ميزان القوة يرجح لصالحه لأن صفوف المسلمين تكون قد تخلخلت لكثرة من سقط منهم . "١"

ولعل عدم تجانس القوات الاسلامية في معركة القلاعة كان عاملا جوهريا في هزيمة المسلمين فيها . فقد رأينا أن النجدة القادمة من بلاد العدوة كان أغلبها من السودان، كما كانت هناك جيوش مرابطية من لمتونة وغيرها من قبائل البربر، اضافة للعناصر الأندلسية . ان جيشًا يتكون من هذه العناصر غير المتجانسة التي تجمع على عجل ليدفع بها لخوض معركة دون سابق تخطيط وتدبير مع عدو له خبرة ومقدرة حربية فائقة سيكون مصيره الهزيمة حتما وهذا ما حدث .

ويمكن اضافة عامل غير مباشر لهذه الهزيمة وهو تزعزع ثقة الأندلسيين في المرابطين الذين توالت هزائمهم ، ولذلك كان الاندلسيون يقاتلون بمعنويات منخفضة جدا مما قلل من حماسهم للقتال في هذه المعركة، وفي نفس الوقت فقد حال اضطراب الأحوال في المغرب بسبب ثورة محمد بن تومرت وانشغال الدولة بمحاربته دون ارسال اعداد أوفر من النجدات التي ارسلت لشرق الأندلس .

---

١ ـ حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٤١ .

وفي اوائل السنة التالية لمعركة القلاعة ، أى عام ٥٢٤ هـ / ١١٢٩م ،
توفي والي بلنسية محمد بن يوسف بن بد ر بن ورقا ، فعين مكانه ينتان بن علي بن
يوسف ، وهو الابن الأصغر لعلي بن يوسف . وما أن استقر الوالي الجديد في
ولايته حتى وضع نصب عينيه الانتقام من مملكة ارغونة التي لا تتوقف عن الزحف على
الاراضي الاسلامية . فخرج ينتان على رأس جيش بلنسية غازياً لأراضي أرغونة ،
حيث التقي مع أحد قادتها الكونت جاستون دي بيارن والتي تسميه الرواية العربية
غشتون ، فهزم الأرغونيون ، وقتل غشتون وحمل رأسه الي غرناطة في شهر جمادى
الآخره ، حيث رفع على رأس رمح وطيف به في الأسواق والطرقات على أصوات الطبول ،
وبعد ذلك ارسل هذا الرأس الى أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكش . "١"

الا أن النصر الذى أحرزه المرابطون بقيادة ينتان والي بلنسية كان محدود
الأثر لأنه لم يقترن باستعادة بعض الممتلكات الاسلامية التي كان قد استولي عليها
الأرغونيون ، بينما نجحوا هم في هذه السنة في الاستيلاء على مدينتي تطيلة
وطرسونه من المسلمين . "٢"

موقعـــة أفراغـــه :
================

وفي أواخر سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٣م استأنف الفونسو المحارب خطته التوسعية
في الثغر الاعلى ، فاستولى على مدينة مكناسة "٣" . ويبدو أن قيادة المرابطين

---

١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨١ ـ محمد عبد الله
عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٤ .
٢ ـ المقرى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٩٨ .
٣ ـ حصن بالأندلس من اعمال مارده (انظر : ياقوت : المصدر السابق ،
ج ٥ ، ص ١٨١ . (ط دار صادر ـ ١٩٧٧م) .

تنــد وصلتهــ الصحـاأنبــاء عن تحركات الفونسو المحارب وأنه مقبـــل على معركة حاسمة ، ولذلك قاموا بتكثيف الجهود وتسخير كل الطاقات لصده عــن معاقلهم . وحتى يأمنوا غائلة أمير برشلونه، ولكي لا يضطروا للقتال في أكثر من جبهة، فقد عقدوا معاهدة مع أمير برشلونه رامون برنجير الثالث مقابل أن يدفعوا له أتــاوة سنوية مقدارها اثنا عشر ألف دينار ، وذلك بايعاز من أمير المسلمين علي بن يوســف ابن تاشفين . ولما علم الفونسو المحارب بأخبار هذه المعاهدة استشاط غيظا وأقســم أنه سوف ينتزع تلك البلاد ويقطع منفعتها عن الطرفين . "١"

وبدأ الفونسو المحارب عملياته العسكرية بالزحف على افراغه ("٢") ولكن أفراغه لم تكن بتلك الغنيمة السهلة فقد كانت حصنا منيعا لا يرام "٣" . ومما زاد من حصانتها موقعها الطبيعي فوق الربى العالية في نهاية وعر ضيق تصعب مهاجمته ويسهل الدفاع عنه "٤" . فسار الفونسو اليها بجمع كثيف وضرب الحصار عليها ، وكان بداخلها وقتذاك القائد سعد بن مردنيش "٥" الذى استغاث بالمسلمين . "٦"

---

١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

٢ — مدينة في اقصى حدود دولة المرابطين جنـــوب غرب الاردة بينهمـــا ثمانية عشر ميلا . (انظر الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٨) .

٣ — نفس المصدر السابق والصفحة .

٤ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

٥ — هو سعد بن محمد بن احمد بن مردنيش الجذامي ، قال بعضهم أنـــه ينتمي الى تجيب انظر : ابن الخطيب : الأحاطة ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

٦ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ — الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٤٥ .

ولما رأى الفونسو المحارب حصانة المدينة رأى أن يرفع من معنويات جنده حتى لا يدب اليأس في قلوبهم ، فتقدم أمام الجيش مع عشرة من خيرة رجاله وأقسموا على الموت أو الاستيلاء عليها ، وقام بتقديم عدد من القساوسه على بعض الصفوف حتى التهبت نفوس جنده حمية . "١"

واستجاب المرابطون والأندلسيون لنداءات قائد المدينة المحاصرة ابن مردنيش ، فأرسلت قرطبة قائدها الزبير اللمتوني في ألفي فارس ، وسار يحيى ابن غانية من مشاهير قادة المرابطين ووالي مرسية وبلنسية في خمسمائة فارس ، وتجهز والي لارده عبد الله بن عياض وسار في مائتين ، وقد اجتمع هؤلاء وأولئك وحملوا المسيرة الى افراغه "٢" وغير ذلك من عدد القتال وأدوات الحرب. "٣"

ويبدو أن المرابطين عملوا على استدراج قوات الفونسو المحارب للاشتباك معه في معركة محدودة حتى يتمكنوا من ايصال المسيرة للمدينة المحاصرة، واختار المرابطون القائد عبد الله بن عياض صاحب لارده لشجاعته لتنفيذ هذه المهمة، فلما برز للعدو الذي كان عدد جنده اثنا عشر الفا ، استهان به الفونسو المحارب وقال لأصحابه اخرجوا خذوا هذه المسيرة ، فتقدمت قطعة من جيشه لمهاجمة ابن عياض الا ان ابن عياض تمكن من هزيمتها . ولما رأى الفونسو المحارب هزيمة رجاله اندفع بقواته الرئيسة نحو ابن عياض "٤" ، وبينما هو

---

١ - الحميري : المصدر السابق ، ص ٤٨ - ٤٩ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٨ - ١١٩ .

٢ - الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٤٦ ا - ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

٣ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

٤ - الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٤٦ .

في طريقه لمواجهة ابن عياض وصلت قافلة الميرة الى المدينة فارتفعت معنويـــات اهلها ، وصمموا على قتال العدو وقتـال الموت ، "١"

كما استطاع المسلمون أن يستدرجوا الفونسو المحارب الى كمين نصبوه له فـي الطريق ، ثم انقضوا عليه من كل ناحية ، وامتلكوا زمام المبادرة ومزقوا الجيـــش الأرغوني شر ممزق وكثر القتل في صفوفه "٢" ، وخلال ذلك خرجت افراغه بصغيرها وكبيرها من نساء ورجال الى محلة العدو فاشتغل الرجال بتطهير المحلة من حراسها ، واشتغلت النساء بالنهب فحمل جميع ما في المخيم الى المدينة من اقوات وعدد وآلات ، وسلاح وغير ذلك ، وفي هذا الوقت وصل القائد الزبير اللمتوني في عسكره فانهـزم الفونسو المحارب وولى هاربا "٣" وسيوف المجاهدين تأخذ منه وعزيمتهم لا تقلـــع عنه حتى لجأ الى حصن خرب على رأس جبل شاهق مع بعض من نجا من أصحابـه ، واحدق المسلمون تلك الليلة بذلك الحصن يرقبونه ، ولما ايقن الفونسو المحارب انه محاصر قرر الهرب في هجمة الليل من ذلك الموضع ونجح في ذلك ، "٤"

وكان تاريخ هذه الملحمة الشهيرة التي حفظت رمق الأندلس مدة من الزمن في ٢٣ رمضان عام ٥٢٨ هـ / ٧ يوليو ١١٣٤م ، "٥"

---

١ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥ ،

٢ ــ حسين مؤنس : الثغر الأعلـــــى ، ص ١١٨ ــ ١١٩ ،

٣ ــ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٣ ــ ٣٤ ،

٤ ــ الحميـــري : المصدر السابق ، ص ٤٨ ــ ٤٩ ،

٥ ــ ابن الخطيب : الأحاطه ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، حاشية رقم ٣ ــ حسين مؤنس : الثغر الأعلـــى ، ص ١١٨ ــ ١١٩ ــ ويجعـل ابن الأثير (الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣ ــ ٣٤) تاريخها عـام ٥٢٩ هـ ،

وقد اختلفت الروايات حول مصير الفونسو المحارب، فيذكر الذهبي "١" أنه نجا من القتل في ساحة المعركة ولكنه مات غما بعد عشرين يوما منها على من فقد من جيشه وكبار قادته . وهناك من يذكر أنه سقط خلال المعركة . "٢"

وكان لنصر المرابطين في أفراغة صدى عميق في سائر أرجاء الأندلس وفي اسبانيا النصرانية بنوع خاص . فقد عادت سمعة المرابطين العسكرية في الأندلس الى سابق عهدها ، وذاع صيت يحيى بن غانية قائد المرابطين في ذلك اليوم . وقد قام شاعر الشرق الأندلسي ابو جعفر بن وضاح المرسي يمدح ابن غانية في قصيدة نقتطف منها ما يلي :—

شمرت برديك لما اسبل الواني	وشبَّ منك الأعادى نار غيّان
عفرتهم بسيوف الهند مصلتة	كأنما شرقوا منها بغدران
وقفت والجيش عقد منك منتثر	الا فرائد أشياخ وشبان
والخيل تنحط من وقع الرماح بهـا	كأن تصهالها ترجيع الحان "٣"

وبعد هذا النصر الذى حققه المسلمون في معركة افراغه ارتفعت معنوياتهم وأخذوا ينتهزون الفرص للانقضاض على معاقل النصارى . ففي عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥م خرج ابن مردنيش صاحب أفراغه وابن غانية صاحب بلنسيه ، واستنفرا القوات الاسلامية في طرطوشة ولارده ، والحصون المجاورة لمداهمة مكناسة واستعادتها من الأرغونيين ، بعد أن طموا بنفاذ المؤنة فيها . وحاول الاغونيون ارسال قوة من رجالهم لايصال المؤونة الى مكناسة ، الا أن هذه القوة ما ان اشرفت

---

١ — تاريخ الاسلام ، ج ٤ ، ورقة ١٤٦ أ .
٢ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٨ — ١١٩ .
٣ — الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٩ .

على المدينة وشاهدت القوات الاسلامية تفرض عليها الحصار حتى قذف الله في قلوب رجالها الرعب ونجوا بأنفسهم • فانقضت القوات الاسلامية على المدينة ودخلتها • ثم اتبعت ذلك بفتح عدة حصون منيعة اخرى • "١"

هذا ولم يقتصر جهاد المرابطين على مدافعة الاسبان النصارى في البر بل كانوا يقارعونهم في عباب البحر ففي عام ٥١١ هـ / ١١١٧م امر علي بن يوسف قائد اسطوله بتعمير السفن لغزو بلاد النصارى ، فأنشأ منها خمسة وعشرين ثم شن الغارة على مدينة قطرون ، فامتنع قسم من اهلها بقصبتها وهي وعرة المرتقى • ولما اشرف المسلمون على افتتاحها حماهم الليل فانصرف عنها القائد المرابطي بأسطوله الى مدينة المرية بعد أن حصل على خمسين سبيه • "٢"

---

١ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٥ ـ ٩٦ •
٢ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٦٤ •

خضوع الجزائر الشرقية لسلطان المرابطين :

==========================

هذه الجزائر هي : ميورقه ، ومنورقه ، ويابسه ، والتي يسميها الجغرافيون المحدثون جزائر البليار "١" . وقد امتازت هذه الجزائر بخصوبة ارضها ووفرة انتاجها وطيب مناخها "٢" ، فجزيرة يابسة مثلا اشتهرت بكثرة كرومها ، وصناعة المراكب لكثرة الغابات في ربوعها . "٣"

على أن أهم هذه الجزر هي جزيرة ميورقه (Mollarca) ، فهي أكبر الجزر الثلاث مساحة "٤" اذ يبلغ طولها اربعين ميلا "٥" ، وكانت عاصمتها مدينة بالما (Palam) "٦"

وعندما بدأ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اخضاع ملوك الطوائف كان يحكم هذه الجزائر مبشر بن سليمان الملقب بناصر الدولة (٤٨٦ ـ ٥٠٨ هـ / ١٠٩٣ ـ ١١١٤ م) "٧" الذي كان غيورا على الاسلام والمسلمين ، عاملا على

---

١ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢١٩ ، حاشية رقم ٢ .

٢ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .

٣ ـ ياقوت : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٢٤ .

٤ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٥ .

٥ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

٦ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٥ ، حاشية رقم ٢ .

٧ ـ اصله من قلعة حمير من اعمال لارده ، اسر في صباه من قبل نصارى برشلونه وعاش في كنفهم حتى تعرف عليه ذات مره سفير عبد الله المرتضى (٤٤٢ ـ ٤٨٦ هـ) حاكم الجزائر الشرقية الى امير برشلونة برنجير في بعض الشئون فأعجب بمواهب مبشر فافتداه من الاسر واخذه معه الى ميورقه الى المرتضى الذي اعجب به ايضا واخذ يستعين به في تصريف شئون الحكم ، فلما =

الذود عن بلاده بكل بسالة ضد النصارى الذين واظبوا على الاغارة عليه . كما كان عادلا منصفا بين رعيته فأجلوه واحترموه . "١"

لقد كانت الجزائر الشرقية بموقعها في البحر الابيض المتوسط تجاه الجانب الشرقي من الأندلس شوكة في حلق الجمهوريات الايطالية وامارة برشلونة لأن المسلمين بهذه الجزائر كانوا كثيرا ما يغيرون على شواطئ ايطاليا ، وعلى شواطئ امارة برشلونه ، ولذلك حاولت الجمهوريات الايطالية وبرشلونه أكثر من مرة احتلال هذه الجزر ولكن دون جدوى "٢" . ولذلك لم يتعرض يوسف بن تاشفين لهذه الجزر لأنه وجدها تقوم بنفس الدور الذى كانت تقوم به مملكة بني هود في سرقسطة وهو مدافعة النصارى ومجاهدتهم ومن ثم فضل ان تبقي حاجزا بينه وبين النصارى ، فقد كانت تقف بالمرصاد للطليان ولامارة برشلونه في البحر الأبيض المتوسط . ومما دفعه الى اتخاذ هذا القرار ، ادراكه لحاجته الى اسطول قوى ليتمكن به من الحفاظ عليها ، ولتقوم بنفس الدور الذى تقوم به هذه الجزر في غربي البحر الأبيض المتوسط . فضلا عن ذلك فقد كانت هذه الجزر في هذه الفترة في أوج ازدهارها في عهد أميرها مبشر الذى كان محبوبا من رعيته ، وقصدا للشعراء والأدباء يشدون الى بلاطه الرحال ليحظوا بعطاياه ، وممن جاز اليها الشاعر المشهور ابن اللبانه الذى مدح مبشر بقصيدة قال في مطلعها :-

---

= توفي المرتضي خلفه في الامارة . (انظر ابن الكرديوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٢٢ - ١٢٣ - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف : ص ٢٠٠ - ٢٠١) .

١ - محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ٧ - ٨ سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠م ، ص ١٥٨ .

٢ - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

ملك يروعك في حلى ريحانـــــه ... راقت برونقه صفات زمانـــــه "١".

ولكن النصارى أبو الا ان يحولوا ايام اعراسها الى ايام مآتم . ففي اوائـــــل عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م تعاقدت جمهورية بيزه وجنوه الايطاليتن مـــــع امارة برشلونه على احتلال الجزائر الشرقية ، وفعلا خرج الغزاة بثلاثمائة سفينـــة من مياه جنوه متجهين صوبها . "٢"

وقصد الحلف النصراني اول ما قصد جزيرة يابسه فضرب الحصار حولهـــــا ، وضيق عليها . ورغم استبسال عاملها أبي نصر الا ان كثرة جموع النصارى غلبته ودخلت الجزيرة فأمعنوا فيها نهبا وتخريباً ، وقتلاً بصورة مروعة . وبعد أن قرت اعينهـــم بما كسبوا تركوها على ابشع صورة متوجهين نحو جزيرة ميورقة فحاصروها . "٣"

واشتد الحصار على جزيرة ميورقة ، وصمم الأمير مبشر على ان لا يسلمها حـــتى يسلم روحه ، فدافع عنها دفاع من ايقن انه ميت . وعندما شعر أن النصـــــارى مصممين على اقتحام جزيرته حاول الاتصال بهم من اجل عقد صلح معهم يتعهد فيه بتحمل نفقات الحملة التي قدموا بها ، وان يدفع اليهم ما لديه من الاسرى . ولكن النصارى رفضوا هذا العرض لأنهم لا يريدون بديلا عن الجزيرة . عندها استعد مبشر لحصار طويل المدى وقرر الاستنجاد بالمرابطين لتخليصه من كارثة الوقوع في قبضة الاعداء ، فبعث مستصرخا بهم وحاثا اياهم على القدوم اليه في اسرع وقـــت

---

١ ـ نفس المرجع السابق والصفحات .

٢ ـ الحميري : المصدر السابق ، ص ١٨٨ ـ ابن الكرديوس : المصدر السابق ، ص ١٢٢ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .

٣ ـ محمود علي مكــي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٥٩ .

ممكـــن • "١"

وحمل رسالة مبشر الى امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين احد القـادة المرابطين اسمه ابو عبد الله بن ميمون الذى كان يقود غرابا "٢" راسيا في ميناء ميورقه حينما وقع الهجوم النصراني عليها • وقد نجح ابو عبد الله بن ميمون فـي التسلل الى غرابة تحت جنح الظلام ، ومخره عباب البحر • فلما شعر بـــه الاعداء كان قد قطع مسافة لا بأس بها في البحر • فأرسلوا وراءه من يلاحقــه فطاردوه نحو عشرة اميال الا انه ابتعد عنهم في ظلمة الليل فعادوا دون فائدة • "٣"

وفي اثناء فترة الحصار العصيبة تلك توفى الامير مبشر • ولكن ذلك لم يثبط من عزائم اهل الجزيرة • فحمل الراية على الفور احد اقاربه المسمى أبي الربيع سليمان ابن لبون الذى تسميه المراجع الأجنبية (Burabe) وواصـــل مدافعة الاعداء المحاصرين لجزيرته فلم يكن اقل بأسا وصلابة من سلفه • "٤"

وخلال ذلك استطاع المسلمون في الثغر الاعلى بقيادة ابن تافلويت والـــي سرقسطة من غزو أراضي برشلونة والعبث فيها "٥" • فلما جاءت هذه الأنباء

---

١ ــ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٥٠٥ ــ ٥٠٦ ــ القلقشندى : صبح الأعشي ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ ــ محمد عبد اللـــه عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ •

٢ ــ والجمع أغربه ، وهو سفينة شراعية صغيرة من طبقة واحدة ذات صار أو صارين وتستخدم عادة في الأغراض العاجلة لسرعتها • (انظر ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، حاشية رقم ٤) •

٣ ــ المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٢ ــ ١٢٣ ــ محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٥٩ ــ ١٦٠ •

٤ ــ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٢ ــ ١٢٣ •

٥ ــ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦١ ــ حسين مؤنس : الثغـر الأعلى ، ص ١١٢ ــ ١١٣ ــ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٥ •

لقوات برشلونه المشتركة في حصار ميورقه ارادت الانسحاب قبل ان يتحقق هدف المتحالفين في الاستيلاء على ميورقه ، الا ان هذه القوات تحت ضغوط حلفائها تخلت عن المودة وبقيت معها حتى النهاية . "١"

ويبدو ان طول الحصار الذى استمر عشرة اشهر "٢" قد افقد المحاصرين الامل في وصول النجدات المرابطية اليهم ، كما انه خلال هذه المده نفذت المؤونه الموجوده في الجزيرة ، فغلب على اهلها اليأس وايقنوا انهم هالكون لا محالة. وفعلا استطاع النصارى في ٢٧ ذى القعدة ٥٠٨ هـ / ١٣ ابريل ١١١٥م دخول الجزيرة فعاثوا فيها ، وقتلوا دون شفقه ودمروا واحرقوا بكل عنف . "٣"

وطارت اخبار هذه المجازر والتدمير الذى لحق بهذه الجزيرة في افاق البلاد الاندلسية والمغربية ، فقد ارسل القاضي ابو محمد عبد محمد عبد الحق بن عطية رسالة الى الامير مزدلي أوضح له فيها ما حل بأهل هذه الجزيرة قائلا :

((واوجب أن ينادى كل مؤمن واحر قلباه امر ميورقه ... فيالله لما كان فيها من اعلان توحيدها عاد همسا ..... وبارقه كفر طلعت شمسا وصباح شرع اظلم بداجي الشرك وامسى .... ونجوم اصبح حرمها منتهبا وفرقتها يد الغلبة ايدى سبا .... والاوجه عفر منهم القتل مواعد وجباها ، وفرقهم السيف كل ممزق فلله هناك ارحام تشقق رحمهم الله ماتوا كراما .....)) "٤"

---

١ — محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٣ .

٢ — القلقشندى : صبح الأعشي ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

٣ — الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٦٧ — محمود علي مكي ، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦٠ — ١٦١ — عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ٢٤٣ — خليل السامرائي : الجزائر الشرقية في ايام الطوائف ، مجلة التربية والعلم ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٩٧٩م .

٤ — ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٢٤٤

وبعد أن حلت المأساة بجزيرة ميورقة بدخول النصارى اليها ، وصل قائـد البحر المرابطي تاقرطاس بثلاثمائة قطعة بحرية لانقاذها ، ولكن هيهات فقد قضى النصارى مأربهم وقرت أعينهم بما غنموا فلم يعد لهم مطمع بعد ذلك، ولما شعروا بقدوم الاسطول الاسلامي لانقاذ الجزائر آثروا الانسحاب، ولما عزموا على ذلك أضرموا النيران فيها . وخلال رحلة العودة هبت عليهم ريح عاصف شتت شملهم فظفر المسلمون بثلاثة سفن من سفنهم بينما غرقت سفينة اخرى امام ناظريهم . "١"

ووصل الاسطول المرابطي الى الجزيرة الكليمة فدخلها تاقرطاس مستقبلا بالنواح والعويل بدلا من الزغاريد والأهازيج ، وحط رحاله فيها في عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ ـ ١١١٦م ليضمد جراحاتها . فأخذ تاقرطاس يصلح مدنها ويجدد عمرانها ، ويشجع جنوده على الاقامة فيها ، فعاد اليها اهلها الذين كانوا قد فروا من وجه الغـزاة النصارى الى الجبال والأودية هربا من القتل والاسر "٢" لتعود للجزيرة نضارتهـا وبهجتها السابقة .

وبعد فترة قصيرة من وصول تاقرطاس للجزائر الشرقية بعث امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين واليا جديدا عليها هو وانددين بن سير فحكمها نحو ثلاثة اشـهر ، ثم خلفه ابو بكر تاكرانت الذى مالبث ان عزله امير المسلمين وبعث بدلا منه واليـا جديدا اسمه وانور بن أبي بكر من رجالات لمتونه ومعه خمسمائة فارس ، وقد قسى هذا الوالي الجديد في معاملة اهل الجزيرة عندما اراد استخدامهم في بنـاء

---

١ ـ عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٢٧ .

٢ ـ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ابن أبـي زرع : المصدر السابق ص ٦٢ ـ محمود علي مكي : وثائق تاريخيـة جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦٠ .

مدينة اخرى "١" ، واشتد في ارهاقهم ، وظلمهم ، والجور عليهم زهاء عشر سنوات " ٢ " ، الا انهم أصروا على عدم بناء مدينة اخرى غير مدينتهم ، فقام بقتل زعيمهم فثاروا عليه وحبسوه ومضوا الى امير المسلمين علي بن يوسف فأعفاهم منه " " ، وولى مكانه أبا بكر علي بن ورقاء الذى توفى على الأرجح في عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م "٣"

وبين ايدينا وثيقة تثبت ظلم وانور لرعيته التي حاول اجبارها على بناء مدينة جديدة بعيدة عن البحر، والوثيقة عبارة عن رسالة وجهها أمير المسلمين علي ابن يوسف الى احد ولاته على الجزائر الشرقية ، والذى يرجح أن يكون أبو بكر علي بن ورقاء يوصيه فيها باصلاح ما أفسده الوالي السابق واعادة الأهالي الى مدينتهم القديمة ، وقد جاء فيها : ((واسع بحسن سياستك في استرجاع من خرج من جيرانهم ، واجتهد في صرفهم الى أوطانهم حتى يكثر فضل الله عددهم)). "٤"

وبعد وفاة ابي بكر علي بن ورقاء في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م عين أمير المسلمين واليا عليها محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية ، والذى ارتحل اليها مع اولاده (عبد الله ، وطلحه ، والزبير ، وعلي ، واسحق ، وابراهيم) . وقد استمر ابن غانية في ولايتها عشر سنين "٥" ،

---

١ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦ .
٢ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٥٣ .
٣ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦ .
٤ ـ محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦٣ .
٥ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦ ـ
القلقشندى : صبح الأعشي ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

وفي رأى آخر انه استمر في ولايتها حتى وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٢م . "١"

---

١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٥٣ — ١٥٤ — ومن الجدير بالذكر انه لما سقطت دولة المرابطين على يد الموحدين لم يرضخ بنو غانية للموحدين واستقلوا بحكم الجزائر الشرقية واستمروا على ولائهم للمرابطين والخلافة العباسية ، الا إن النصارى الأرغون بقيادة خايمي الأول استطاعوا أن يدخلوا ميورقه عام ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م ويستولوا عليها (انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٥ ، حاشية رقم ٢) .

الباب الرابع

أهم مظاهر التطور الحضارى فى دولة المرابطين

في عهد علي بن يوسف بن تاشفين

الفصل الأول : نظم الحكم والادارة

الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

الفصل الثالث : الحركة الفكرية

الفصل الرابع : العمارة والفنون الاسلامية .

الفصـــــل الأول

نظـــم الحكـــــــــم والادارة

— النظام السياسي والاداري :

==================

كما رأينا في التمهيد كانت دولة المرابطين بسيطة في نشأتها ، فهي كأي دولة ذات اصول بدوية كانت تعتمد في انتخاب زعمائها على اسس تعارفوا عليها منذ زمن ، مثل كبر السن ، والشجاعة ، والكرم ، والعصبية لمن ينتخب زعيما لها دون حكر السلطة على ابناء الزعيم المنتخب . فقد بايع عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر بالامارة لتحمسه للدعوة ، وصدق جهاده ، فلما انتقل الى الرفيق الأعلى خلفه ابو بكر بن عمر وهو من نفس البيت ومن نفس القبيلة . ولما تولى يوسف بن تاشفين الحكم بدأت مرحلة جديدة حيث جعل امارة دولة المرابطين حكرا على ابنائه تنتقل بينهم عن طريق الوراثه . "١"

ولكن بما ان الدولة قامت من اجل رد الامة الى تعاليم الاسلام الصحيحة فانها لا تستطيع ان تتغافل عن مكانة الشورى في اختيار الامير ، ولذلك اضفى المرابطون على دولتهم نوعا من الشورى في اختيار ولي العهد . فكانت تقام بيعة خاصة يبايع فيها افراد الاسرة الحاكمه من بني ورتنطق ثم زعماء لمتونه ، ثم شيوخ القبائل الاخرى حتى اذا اكتملت اسباب هذه البيعة تلي العقد في المساجد وقرئ على الرعية ، ثم بعد ذلك تطير الرسائل الى ولاة المرابطين في جميع امصار دولتهم لاخبارهم باختيار ولي العهد الجديد مطالبين بأخذ البيعة العامه له . "٢"

ويبدو من كلام ابن رشد (ت٥٢٠ هـ / ١١٢٦م) "٣" انه كان يطلب من المبايعين للامير المرابطي او لولي عهده ان يحلفوا بالايمان اللازمة "٤" ، وهي

---

١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ — ٣٤٤ .

٢ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٤٢ .

٣ — ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٤٠ .

٤ — الايمان اللازمة : ايمان مبتدعة احدثها الحجاج بن يوسف ، وابو جعفر =

ايمان مغلظة تشمل عدة اشياء كالطلاق ، والعتق ، وتحريم المال ، وبراءة الذمة من الله ورسوله ، ولعل الهدف منها هو زيادة في الاستوثاق خوفاً من نكث البيعة، وكان اسم ولي العهد ينقش على السكة الى جانب والده . "١"

ومن الجدير بالذكر انه لم يحترم حق الابن الاكبر في ولاية العهد ، فاختار يوسف بن تاشفين ولده علي لخلافته ولم يكن اكبر ابنائه ، وسار على هديه ابنه علي الذى اختار في عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨م ابنه ابا محمد سير ليكون ولياً لعهده على الرغم انه لم يكن اكبر اخوته ايضا "٢" .

ويفهم من استقراء بعض النصوص ان حكام المرابطين كانوا يؤمنون بنظرية الجبر "٣" في الحكم، ويتضح ذلك من خلال محاورة دارت بين ابراهيم بن ابي بكر بن عمر الذى خرج من الصحراء يطلب ملك والده من يوسف بن تاشفين الذى بعث اليه قائده مزدلي لمفاوضته ، فعندما سأله مزدلي عن مطلبه اجاب :
((اطلب ملك ابي الذى غصبنا فيه عمي يوسف)) . فرد عليه مزدلي ((ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء والله تعالى قد خص هذا الرجل بالملك دوننا ..)) "٤"

= المنصور وقد وقف كبار الفقهاء ضد هذه اليمن ورأوها غير ملزمه شرعا فقال مالك رضي الله عنه : ليس على مستكره يمين ، وقال داود : اليمين بغير الله لا قيمة لها انظر المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٧٠ .

١ — لمزيد من التفاصيل عن النقود المرابطية انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦ — ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ٤٤٧ — ابن ابي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٩ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٣ — عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٢٢ — ٢٤ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

٣ — عن الجبرية انظر محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ص ١٠٩ .

٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

وكان امير المرابطين يرى انه مسؤول امام الله في اختيار ولي عهده ، وان هذا الامر ليس من الامور العامه . فهذا ما يفهم من كلام يوسف بن تاشفين عندما اراد اخذ البيعة لولده علي حين قال / ((... فان امير المسلمين وناصر الدين ابا يعقوب ، يوسف بن تاشفين لما استرعاه الله علي كثير من عباده المؤمنين خاف ان يسأله الله غدا عما استرعاه كيف تركه هملاً لم يستنب فيه سواه ، وقد امر الله بالوصية فيما دون هذه العظيمة وجعلها أوكد الاشياء الكريمة كيف وفي عظائم الأمور ومصلحة الخواص والجمهور ..)) "١".

وكانت التقاليد المرابطية تتطلب من الامير المرابطي الجديد ارسال الرسائل الى الخليفة العباسي والتي كانت تتضمن تأكيد الولاء له ، وكان الخليفة العباسي بدوره يبارك هذه البيعة "٢" . ومن ضمن التقاليد المرابطية ايضا تجديد البيعة لولي العهد بعد وفاة والده وهذا ما قام به علي بن يوسف بعد وفاة والده ، والذي اوضحناه في الفصل الاول .

اما بالنسبة للقب الحاكم المرابطي ، فكما اوضحنا في التمهيد ان يوسف بن تاشفين اتخذ لنفسه لقب امير المسلمين وناصر الدين ، وهذا اللقب . . حمله كل امراء المرابطين من بعده . الا انه بالاضافة الى هذا اللقب فقد وجدنا علي بن يوسف يتخذ لقبا آخر غير اللقب السابق وهو "ولي الله" ، وقد نقش هذا اللقب على بعض عملته . "٣"

---

١ — انظر الفصل الاول .

٢ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

وكان الامير المرابطي يتمتع بسلطة تنفيذية قوية ، الا انه كان يدير دفة الحكم من مقره في مراكش الذى كان يطلق عليه اسم بيت الامه "١" بمساعدة بطانة من الفقهاء ، وكان لا يقطع في امر من الامور الا بمشورتهم حتى في بناء الاسوار والحصون وتوسعة المساجد . "٢"

وكان يساعد امير المسلمين علي بن يوسف في ادارة دفة الحكم مجموعة من الوزراء والكتاب وقد تمتع الوزير في عهد علي بن يوسف بمركز ممتاز ، فقد كان يأتي بعد امير المسلمين مباشرة ، ويشاركه في تدبير شؤون الدوله . وقد وثق علي بن يوسف بوزرائه ثقة مطلقة ، واطلق ايديهم في الشؤون المالية والادارية ، فيذكر انه اطلق يد وزيره ابي محمد بن مالك واقطعه مال امير المسلمين في الاندلس "٣". كما تمتع الوزير عمر بن نيتان بسلطات واسعة حتى نجده يحول دون اعتقال امير المسلمين علي بن يوسف للداعية الجديد ابن تومرت والذى استقر رأى الفقهاء على سجنه او قتله وذلك كما اوضحنا في الفصل الخاص بثورة ابن تومرت .

ومن وزراء علي بن يوسف ايضا محمد بن ابي الخصال الذى كان معروفاً بثقافته الموسوعية "٤" ، واسحق بن نيتان بن عمر بن نيتان الذى تولي الوزارة ولم يكن عمره يزيد عن ثمانية عشر عاما لما كان يتمتع به من ذكاء وقاد ، فمنحه علي بن يوسف صلاحيات واسعة ، وجعل له النظر في المظالم والشكايات . "٥"

---

١ — ارنست كونل : الفن الاسلامي ، ص ١٢٦ .

٢ — انظر الفصل الخاص بالعمارة والفنون الاسلامية .

٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦١ — ٣٦٢ .

٤ — أنظر عن ابن أبي الخصال الفصل الخاص بالحياة الفكرية .

٥ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ، ص ١٠١ .

أما عن النظام الادارى لدولة المرابطين فقد كانت مقسمة الى ولايتين كبيرتين . الاولى ولاية المغرب ، والثانية ولاية الأندلس . وكانت كل ولاية منهما مقسمة الى ولايات اصغر منهما ، فكان المغرب مقسما لعدة ولايات صغيرة اهمها مراكش ، وفاس وتلمسان ، وسجلماسه ، وهذه كانت تتألف ايضا من وحدات صغرى يتولاها رجال من قبل النواب والامراء . "١"

وكان الاندلس ايضا مقسما الى ست ولايات هي : اشبيلية ، وغرناطة ، وقرطبة ، وبلنسية ، ومرسية ، وسرقسطة . وكانت عاصمة ولاية الاندلس في عهد يوسف مدينة قرطبة ثم انتقلت في اوائل حكم علي بن يوسف الى غرناطة ثم عادت في اواخر ايامه الى قرطبة . "٢"

وقصر علي بن يوسف حكم هذه الولايات على ابنائه واقاربه ، وقد لاحظنا ذلك خلال حديثنا على جهاد علي بن يوسف ضد الممالك النصرانية "٣" ، فقد كان معظم قواد الجيش ، وحكام الولايات من ابنائه واقاربه امثال تاشفين بن علي ، وتميم بن يوسف ، وابن عائشة ، وابن فاطمة ، وابن غانية ... الخ .

وكان من عادة امير المسلمين علي بن يوسف ان يكتب الى اهل الناحية المولى عليها الوالي الجديد موضحا لهم المبررات التي دفعته الى اختيار هذا الوالي كتوفر الخبره والذكاء ، ومؤكدا لهم استمراره في مراقبته خلال ولايته ، وطالبا منهم السمع والطاعة والنصح له . "٤"

---

١ ــ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥ .

٢ ــ عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٤٤٩ ــ ٤٥٠ .

٣ ــ انظر الباب الثالث ــ ومن الجدير بالذكر أن الطرطوشي (سراج الملوك ، ص ٩٤) يضع وزنا كبيرا لعامل المحاباه في سقوط الدول فقد قال : ((وقالت الحكماء اسرع الخصال في هدم السلطان واعظمها في افساد وتفريق الجمع عنه اظهار المحابة لقوم دون قوم ، والميل الى قبيلة دون قبيلة فمتى اعلن يحب قبيلة فقد برئ من قبائل وقديمًا قيل المحاباة مفسده)) .

٤ ــ العماد الاصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ــ ٣٦٦ .

وكان امير المسلمين يضع للوالي الجديد الخطط التي يجب ان يسير عليها وكان على الوالي ان يقدم تقارير عن كل ما يجد في ولايته الى امير المسلمين. "١"

وكانت ولاية الاندلس لا يتولاها الا اقرب المقربين من اقرباء أمير المسلمين وكثيرا ما كان ولاة العهد يتولونها ، فاذا اعتلى ولي العهد العرش ولى اخاه الاكبر هذا المنصب . "٢" وكان الوالي يعين بعهد مكتوب باسم امير المسلمين يقرأ امام الجمهور في المسجد الجامع . "٣"

وكانت صلاحيات الوالي في عهد علي بن يوسف صلاحيات واسعة ، فقد كان يتمتع بشبه استقلال في ولايته ، كما كان يتمتع بنفوذ كبير عند امير المسلمين ، وقد بلغ من قوة نفوذ بعض ولاة الاقاليم مثل مزدلي والي تلمسان ان يضمن العفو مسبقا لثائر فاس عند امير المسلمين علي بن يوسف عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦م . "٤"

وكان بلاط الولاة صورة صغره عن بلاط امير المسلمين علي بن يوسف في مراكش. فكما لامير المسلمين وزراء وكتاب يحررون المراسيم الاميرية "٥" ، وهيئة علمية تجالسه ليسترشد برأيها في بعض الامور ، والتي كان يرأسها في بلاط علي بن يوسف العالم الكبير مالك بن وهيب "٦" ، كذلك كان للولاة في المغرب والأندلس

---

١ ــ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ ــ ٣٥٨ .
٢ ــ المرجع السابق نفسه ، ص ٣٥٠ ــ ٣٥٢ .
٣ ــ ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١٢٧ .
٤ ــ ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢١٢ ــ ٢١٣ .
٥ ــ من اشهر كتاب علي بن يوسف : ابو محمد بن اسباط ، وابو بكر بن الصيرفي وغيرهم انظر : ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ٤٥٠ ــ ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٥٧ ــ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٥٤ .
٦ ــ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦١ ــ وانظر الفصل الخاص بالحياة الفكرية ايضا .

وزراء وكتاب وعلماء يجالسونهم . بل ان عددا كبيرا من الكتاب والوزراء الذين خدموا بعض الولاة خدموا في بلاط امير المسلمين علي بن يوسف ، فكان ابن أبي الخصال كاتبا لامير بلنسيه محمد بن الحاج ثم انتقل الى مراكش وغيره كثير "١" . واستوزر ابو بكر بن ابراهيم احد ولاة علي بن يوسف في الاندلس العالم المشهور ابن باجه الذى نظم عدة قصائد في مدحه ، لانه وجد في هذا الامير الذى تشبه بملوك الطوائف في بذخ بلاطه في سرقسطة متنفسا "٢" .

ومن الكتاب الذين اختصوا بالامير ابي اسحق ابراهيم بن يوسف الكاتب الكبير الفتح بن خاقان الذى الف كتاب ((قلائد العقيان)) باسمه فجاء فيه ، ((رأيت ان اخدم مجلسه العالي (اى الامير ابراهيم) بزف الكتاب اليه ، وشرف محاسنه بمثولة بين يديه فرسمته باسمه وكسوته نور وسمه)) . "٣"

وكان من ضمن صلاحيات الولاة في عهد علي بن يوسف الاستعداد لرد عادية الاعداء في أي لحظة من اللحظات مما جعل من ضمن مسؤلياتهم الحرص على توفير السلاح والعدد للجيش ، وتقوية الحصون ، وسد الثغور ، وبث العيون لرصد تحركات الاعداء ، وتنشيط صناعة الاسلحة . ومن ضمن صلاحيات الوالي ايضا الاشراف على دور الضرب ، وان يضرب اسم امير المسلمين على السكه . كما كان عليه مسؤلية رعاية مصالح رعيته والاستماع الى مظالمها وشكاياتها ، لذا كان يجلس للنظر

---

١ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

٢ — ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦١ ، حاشية

ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٩ —

ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٠٤ — ٤٠٥ ، ٤٠٨ .

٣ — ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٤٠٣ .

في المظالم ، ويكتب التوقيعات ، ويتفرغ للمناظرة في يوم الجمعه ، وكان عليه ان يولي العمال على الاقاليم التابعة له . "١"

على ان أمير المسلمين علي بن يوسف لم يغفل عن تذكير ولاته ما بين الفينة والفنية بواجب التزام الحق والعدل في سياسة رعاياهم ، طالبا منهم مداومة السهر على مصالح الرعية . وهذا يتضح من خلال رسائله المتعددة الى ولاته في مختلف الأمصار ، ومن هذه الرسائل رسالته الى ولده تاشفين في عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١م والتي يوصيه فيها بتقوى الله والعدل بين الرعية ومما جاء فيها : ((...ثم اعتمد المعدلة في عباد الله فانما انت واحد منهم ، وكلنا عبيد الله الى تراب انتسابنا والى الحساب مآبنا ، والناس كلهم سواء .... وانما يتميزون بالمساعي والاعمال ..)) . "٢"

وتعدى الامر في بعض الاحايين ان يتدخل امير المسلمين في تعيين بعض الولاة التابعين لاعمال احد ولاته ، وهذا ما يفهم من رسالة وجهها علي بن يوسف الى ولده تاشفين في رجب ٥٢٦ هـ يطلب منه فيها ان يعين الزبير على غرناطة . "٣"

ومن اشهر ولاة علي بن يوسف الامير تميم بن يوسف الذى تنقل بين عدة ولايات في المغرب والاندلس. فقد عين على ولاية المغرب في عام ٥٠١هـ/١١٠٧م "٥" ثم عزل عنها ، وتولى غرناطة "٤" ، ونقل منها الى تلمسان في عام ٥٠٤هـ/١١١٠م.

---

١ ــ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٠ ــ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ ــ ٣٥٣ .

٢ ــ ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ١٢٧ ــ ١٢٨ ــ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٧ ــ ٨٨ .

٣ ــ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٧ .

٤ ــ السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

٥ ــ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٥ .

وفي عام ٥١٥ هـ / ١١٢١م عين واليا عاما للاندلس وبقي في هذا المنصب حتى وفاته عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م فتولى مكانه تاشفين بن امير المسلمين علي "١".

وقد تولى تاشفين بن علي عدة ولايات في الاندلس قبل ان يتولاها كلها فيما بعد عدا الجزائر الشرقية "٢". ومنهم ايضا مزدلي بن تاشفين سولنكان ، وهو ابن عم امير المسلمين يوسف "٣" والذى تولى عدة ولايات كان من بينها قرطبة وغرناطة. وتولى الامير سير بن ابي بكر (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣م) اشبيلية "٤". وتولى ابو بكر بن ابي يحيى ابراهيم المشهور بابن تيفلويت صهر علي بن يوسف (ت ٥١٠ هـ / ١١١٦م) غرناطة ثم سرقسطة "٥". وتولى عبد الله بن فاطمة فاس ثم اشبيليه . "٦" وتولى ابو حفص عمر بن سير قرطبة عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥م "٧". وتولى ابو زكريا يحيى بن علي عام ٥١٥ هـ / ١١٢١م مرسية "٨". وتولى ابن غانية الجزائر الشرقية "٩" ومن الذين تولوا قرطبة واجدى بن عمر بن سير "١٠". وتعاقب محمد بن يوسف بن بدر ونيتان بن علي على ولاية بلنسية . وهناك ولاة غيرهم أقل شهرة ذكرت كتب التراجم والتاريخ اسماءهم . "١١"

---

١ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٦٧ ـ ابن ابي زرع : المصدر السابق ج ٤ ، ص ١٦٤ .

٢ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٧ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٧ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

٣ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٠ ، حاشية رقم ١ .

٤ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٦ ـ ٦٠ .

٥ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٦١ ، حاشية رقم ٢ .

٦ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٦٢ .

٧ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٦ .

٨ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٦٧ .

٩ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٧ .

١٠ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٠ .

١١ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٨١ ـ ٨٣ .

ـ الجيـــش والأســطول :

===================

اما بالنسبة للجيش في عهد علي بن يوسف فقد تعددت عناصره واستحدثت اساليب جديدة في تنظيمه وطريقة قتاله • فقد استخدم علي بن يوسف في جيشه لأول مرة في المغرب الأقصي الروم الذين لعبوا دورا بارزا في مقارعة الموحدين "١" ، وبرز منهم قادة لعبوا دورا مشرفا في الدفاع عن حياض دولة المرابطين ، ومن اشهر هؤلاء الروبرتيير (Reverter) "٢"

ومن العناصر المكونة للجيش المرابطي في عهد علي بن يوسف ايضا السودان او العبيد كما كانوا يسمون في بعض الاحيان " الذين كانوا يخدمون في الحرس الخاص للأمير المرابطي ، كما كانوا يشاركون في الحروب •

---

١ ـ محمد ولد داداه : مفهوم الملك في المغرب ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ ، يرى المستشرق فرنشيسكو كوديرا ان استخدام النصارى في الجيش المرابطي كان احد عوامل سقوط دولة المرابطين لان هذا الاجراء ساء الرعية الاندلسية فأخذت تعمل على التخلص من سلطان المرابطين ولعل تذمر الرعية ناتج عن محاباة بعض الولاة للجند النصراني اذ يذكر ابن الخطيب : (الاحاطة ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٥) ان والي بلنسية محمد بن سعد بن محمد بن مردنيش قد صانع النصارى وابتنى لجيشه من النصارى منازل وحانات للخمور ـ انظر حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ •

٢ ـ عن هذا القائد انظر الفصل الخاص بثورة محمد بن تومرت •

كما ضم الجيش المرابطي بين صفوفه الصقالبه النصارى "١" الذين استخدموا في حماية الحصون

---

١ — الصقالبه : كان الجغرافيون العرب يطلقون هذه التسمية على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخزر بين القسطنطينية وبلاد البلغار ثم اكتسب اللفظ مدلولا خاصا في اسبانيا فصار اولا يطلق على اسرى الحرب الذين كانوا يقعون في ايدى الجرمان ويباعون الى المسلمين في الاندلس . ثم صار لفظ الصقلبي ينسحب في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى على الرقيق الذى من أصل أجنبي سواء في ذلك من كانوا من أوروبا أو من اسبانيا ذاتها ، وكان لتجار اليهود معامل للخصي اهمها معمل فردان في فرنسا ، فكانوا بعد خصيهم يجلبون الى الاندلس ، ويباعون فيها ويربون تربية خاصة ، ويعلمون العربية ، وفنون الفروسية ويستخدم قسم منهم لحراسة الحريم ، وقسم آخر في الادارة ، وقد بلغ عددهم في عهد عبد الرحمن الناصر (١٣٧٥٠) . ولما توزعت الأندلس الى طوائف استأثر الصقالبه بشرق الأندلس وانشأوا فيه ممالك لهم في طرطوشه ، ودانيه ، والمريه . ويذكر المستشرق خليان ريبرا أن الصقالبه يمثلون العنصر الأوروبي في المجتمع الأندلسي وعن طريقهم انتقلت بعض الصور الشعرية التي شاعت في البيئات الأوروبيه وأثرت فيها .

(انظر : لطفي عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٣٦ — ٣٨ — خالد الصوفي تاريخ العرب في اسبانيا ، ص ٣٢) .

التزاماتها المرابطون لحماية اراضيهم • "١"

ويبدو ان اغلب العناصر النصرانية التى كانت تعمل في الجيش المرابطي بقيت متمسكة بنصرانيتها بدليل ما يروى من ان المرابطين قد تركوا لهم حرية العباده واباحوا لهم بناء الكنائس • "٢"

وممن دخل في صفوف الجيش المرابطي فرقة من الغز الاتراك اضافة الى قبائل البربر المتعددة التي كانت تخضع لسلطان المرابطين "٣"• كما شارك عرب بني هلال في معارك الجهاد التي خاضها المرابطون ضد الممالك النصرانية "٤"• كذلك اشتركت بطون من بعض القبائل العربية الاخرى في جيش علي بن يوسف الذى — كان يقارع جيوش الممالك الاسبانية النصرانية في الأندلس ، وهذا ما اشارت اليه بعض الروايات التاريخية من اعتماد امير المسلمين علي بن يوسف على العرب في معركة جبل القصر عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥م• "٥"

وكان الجيش المرابطي بشكل عام مقسم الى قسمين سمى الأول منهما بالحشم والثاني بالداخلين • فكان جيش الحشم يتألف من جنود قبائل جزولة ،

---

١ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ •

٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٧٩ — ٣٨١ — ومن الجدير بالذكر ان الشريعة الاسلامية لا تبيح لاهل الذمة ببناء كنائس جديدة او ترميم القديم منها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم — (لا تحدثوا كنيسة في الاسلام ولا تجددوا ما ذهب منها) ، انظر اسماعيل بن محمد الانصارى : حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين ، ص ١١ •

٣ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ •

٤ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٧٩ — ٣٨١ •

٥ — خليل ابراهيم صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٣٦٤ •

ولمطه ، وزناته ، ومصموده ، اما جيش الداخلين فيتألف من قبائل صنهاجة ومن الأعلاج ، والعبيد السودان . "١"

أما بالنسبة لعدد افراد الجيش المرابطي ، فكان يزيد أو ينقص بحسب الظروف . فاذا كانت الدولة تتعرض للأخطار او كانت تنوى الغزو عندها يرتفع عدد افراد الجيش وتحشد الجيوش بواسطة العمال ، ويهرع الآف المتطوعة من مختلف الفئات ، وعلى رأسهم الفقهاء . فقد رأينا في الباب الثالث كيف ان أبا علي الصدفي ، وأبي بكر بن العربي كانا في مقدمة الجيوش المقاتلة في موقعة كتنده عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠م . الا انه كان هناك جيش نظامي مستعد لحماية الثغور والمدن عندما تدعو الضرورة الى ذلك ، وفعلا حافظ هذا الجيش على الأمن في الداخل حتى أن قطاع الطرق واللصوص الذين كانوا منتشرين في العهد السابق انقطع دابرهم في عهد المرابطين . "٢"

ويظهر انه كان هناك ديوان خاص بالجند النظامي ، اذ كانت تصرف لهم رواتب شهرية مقدارها خمسة دنانير للفارس مع نفقته وعلف فرسه "٣" ، على ان الجند كانوا يعتمدون بشكل اكبر على ما يغنمونه من الاعداء لاستمرار حركة الجهاد في عهد علي بن يوسف . الا ان الدولة كانت تلجأ في بعض الحالات الى منح الجند اقطاعات زراعية يستثمرونها مقابل رواتبهم "٤" ، كما كانت الدولة تزود اهل الثغور التي أوكلت حمايتها الى اهلها لمعرفتهم بمواطن الضعف والقوة لدى الاعداء ، بالخيل والسلاح كلما توفر شيء منها . "٥"

---

١ ـ محمد ولد داداه : المرجع السابق ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

٢ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

٣ ـ المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

٤ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤١٢ .

٥ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

أما فيما يختص بقيادة الجيوش المرابطية فقد كانت حكرا على أبناء واقارب اميرالمسلمين علي بن يوسف بن تاشفين امثال تاشفين بن علي ، وتميم بن يوسف ، ومزدلي بن تاشفين ... الخ . ولما تعددت الجيوش المرابطية المشتركة في معركة الجهاد ضد النصارى في الشمال الاسباني ، كانت الضرورة تحتم في بعض الاحيان توحيد القيادة في الاندلس لقائد واحد هو حاكم الاندلس من قبل اميرالمسلمين علي ابن يوسف ، مثلما حدث لتميم بن يوسف عام ٥١٥ هـ / ١١٢١م ، ولتاشفين ابن علي عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م . "١" . وكانت لقائد الجيوش الاندلسية الموحدة حرية توجيه القوات التي تحت امرته في الاندلس الى اي جهة يريدها . وكان قادة الجيوش المكونة للجيش الموحد بمثابة مجلس حرب القائد العام للجيش يجتمعون معه للمشورة في مختلف القضايا ويرسمون معه خطة الهجوم او الانسحاب .

وكانت عادة أمير المسلمين علي بن يوسف ان يجرى تنقلات مستمرة لقادة جيشه "٢" ، ولعله كان يقوم بذلك من اجل الا يتيح لاى واحد منهم بأن يستبد ويؤلب الجند عليه او يشجعه النفوذ الواسع على الانفصال .

وكان المغرب يمثل العمق الاستراتيجي بالمفهوم الحديث للجيوش المرابطية حيث كان بمثابة معسكر كبير يغذى حركة الجهاد في الاندلس ضد الاسبان النصارى بما تحتاجه من جند ونجدات . وكانت سبته وطنجة بمثابة قواعد متقدمة ترابط فيها قوات مرابطية على اهبة الاستعداد لتلبية نداء الواجب اذا طلب منها التدخل من قبل القيادة الاندلسية لرد عادية الاسبان النصارى . "٣"

---

١ – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٧ – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

٢ – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٥ ، ٨٧ – السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ – ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٨٧ .

٣ – حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ – ٢٨٦ .

وكان الفقهاء والقضاة يشاركون الجند في الجهاد ويواصلون اذكاء وتشويقهم للشهادة ، وينتهزون كل فرصة لحثهم على بذل النفس من اجل رفع راية لا اله الا الله . "١"

وعلى نطاق التسليح والتعبئة وتطوير نظم الهجوم والدفاع في عهد علي بن يوسف فقد حدث بها بعض التطور لكثرة الاحتكاك مع النصارى في معارك دامية ساعدت على تفتق العبقرية العسكرية . فقد عمل القادة جل جهدهم لتطوير جيوشهم من اجل احراز النصر على اعدائهم ، واستعملوا معظم الادوات والاسلحة التي تمكنوا من الحصول عليها بمهارة فائقة ، فكانت الابل والخيل تشكل العناصر الرئيسية في اى جيش يجهز للاغارة على اراضي الاعداء او لصد اى هجوم على اراضيهم ، اما افراد الجيش فكانوا مجهزين بسيوف الهند ومزاريق الزان ، والسهام ، والمطارد ، والرعدات ، والدروع ، والتروس ، والزرود . "٢"

اما بالنسبة لطريقة قتال الجند المرابطي والسمات العامة لتنظيماته قبيل الاشتباك وخلاله فقد وصفها الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م) "٣" ، أحد معاصري علي بن يوسف بن تاشفين خير وصف ، ومما جاء في وصفه لذلك :

((واما صفة اللقاء وهو احسن ترتيب رأيناه في بلادنا وهو ارجى تدبير نفعله في لقاء عدونا ان نقدم الرجالة بالدرق الكاملة ، والرماح الطوال ، والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزون مركزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الارض وصدورهم شارعة الى عدوهم جثيا في الارض وكل رجل منهم قد القم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون ، التي تمرق سهامهم الدروع ، والخيل خلف الرماة ، فاذا حملت الروم على المسلمين لم تزحزح الرجالة

---

١ — ابن الآبار : المعجم ، ص ٢٤٦ — وانظر موقعة كتنده (٥١٤هـ) في الباب الثالث .

٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ — ٣٨٣ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .

٣ — سراج الملوك ، ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

عن هيئاتها ولا يقيم رجل منهم على قدميه فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب ، والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تتلقاهم فأخذوا يمنة ويسره فتخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجاله فتنال منهم ما شاء الله تعالى)) .

وكان من ضمن التقاليد العسكرية في عهد علي بن يوسف ان يقوم الجند باستعراض عسكري قبل انطلاقه نحو اهدافه "١" ، وبعد العرض يتحركون وهم بكامل اهبتهم نحو الهدف الذي انتدبوا اليه . وكانت الاقوات والخيام تحمل على ظهور الابل التي كانت تسير في مؤخرة الصفوف يتلوها الرماة يقودون قطعان الماشية من كل صنف ، فاذا حط الجيش رحاله اقاموا معسكرا تحف به الخنادق والتحصينات . "٢" وعندما يقتربون من العدو تنشر الرايات ذات الالوان المختلفة والممثلة لقطاعات الجيش ، ولعله كانت هناك راية كبرى اثناء الحرب . وكانت بعض هذه الرايات التي كان عددها سبع رايات في عهد علي بن يوسف موشاة بالذهب "٣" وكانت الجيوش المرابطية تسير على دوى الطبول التي كان سمعها يدخل الذعر والرعب في قلوب الأعداء . "٤"

الا اننا يجب ان لا نغفل عن العوامل التي كانت تتحكم في ترتيب وتنظيم الجيش قبيل الصدام والتي يمكن حصرها في عاملين : هما طبيعة الارض التي تم عليها الصدام ، ونوعية العدو الذي يواجهه . لذا كان لكل معركة ظروفها التي تحكمت فيها ، فتارة هي كما وصفها الطرطوشي ، واخرى يرتب فيها الجيش على شكل خماسي على النحو التالي : المقدمة والتي كانت تتكون من جند المشاة اما الميسرة

---

١ ـ السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ .

٢ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩١ .

٣ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

٤ ـ محمد ولد داداه : المرجع السابق ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

والميمنة اللذان يؤلفان جناحي الجيش فيتألفان من وحدات الفرسان الخفيفة وحملة القسي والنبال ، وكان القلب يتألف من وحدات الفرسان الثقيلة التي يرجع اليها الفضل غالبا في احراز النصر في المعارك الحاسمة ، اما القوى الخفيفة او الاحتياطية فكان يقودها القائد العام للجيوش المرابطية ، وتتألف من نخبة ممتازه من الجند المدرب المتميز بالشجاعة "١" ، والتي كانت ترقب سير المعركة حتى اذا تمكن الاعياء من العدو انقضت عليه وانتزعت النصر منه .

واعتمدت الجيوش المرابطية ايضا في قتالها على نظام الكمائن لمناسبة طبيعة البلاد الوعره مع هذا الاسلوب من اساليب القتال . "٢"

وفي عهد علي بن يوسف برع المرابطون في فنون الحصار التي كانوا يجهلونها في بداية قيام دولتهم ، وقد اتضحت هذه البراعة خلال حصارهم لمدة مدن في غرب الاندلس واستيلائهم عليها . "٣"

أما فيما يتعلق بالروح القتالية عند الجند المرابطي فكانت تشبه الروح القتالية عند الجند الاسلامي في صدر الاسلام ، لانهم كانوا يقاتلون من اجل اعلاء كلمة لا اله الا الله ، فكانوا لا يبدأون قتالهم الا بعد أن يؤدون الصلاة واذا كتب الله لهم النصر اذاعوا هذا النبأ من اعلى المآذن في جميع انحاء الدولة . "٤"

---

١ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .

٢ — انظر الباب الثالث (موقعة افراغه ٥٢٨ / ١١٣٤م) .

٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

٤ — حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .

وقد اثنى صاحب الحلل الموشية "١" على الجند المرابطي فقال : ((فكانوا يختارون الموت على الانهزام)) ، لانه يجد في الفرار عارا فما بالك اذا اعتقد ان الثبات سبيله الى الشهادة في سبيل الله ٠ ؟

وكانت عزة نفس الجندى المرابطي البدوية تأنف تعقب العدو الفار امامها "٢" وهذا ما رأيناه في اكثر من معركة في الزلاقة عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م وفي اقليش عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧م وفي غيرها ٠

ومن التطورات التي جدت في مجال الاستراتيجية العسكرية في عهد علي بن يوسف التوسع في بناء الاسوار والحصون ٠ فعندما شعر امير المسلمين علي بعدم فعالية التحصينات التي اقامها والده ، والتي لم تعد تجدى في صد غارات الصامدة في المغرب والنصارى في الاندلس اقام اعدادا كبيرة منها في المغرب والاندلس ٠ "٣"

أما بالنسبة للاسطول فقد اشرنا الى نشاطه في الباب الثالث عند حديثنا عن الجزائر الشرقية ، الا ان الذى اود ان اشير اليه هو ان الاسطول قد تضخم عدد قطعة في عهد علي بن يوسف ليصل الى عشرة اساطيل في عهد ابنه تاشفين عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م ٠ "٤"

ويبدو ان من عوامل ازدهار الاسطول المرابطي سيطرة المرابطين على دور الصناعة ذات الشهرة العالمية في صناعة السفن ، ومن اهم هذه الدور دار الصناعة

---

١ ـ مؤلف مجهول : ص ٢٢ ٠

٢ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩١

٣ ـ انظر عن هذا الموضوع الفصل الخاص بالعمارة والفنون الاسلامية ٠

٤ ـ السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٧ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ٠

في مدينة المريه "١" . كما كان للأندلسيين اصحاب الخبرة في فنون البحرية دور كبير في ازدهاره، وسيطرته على مياه البحر الابيض المتوسط . "٢"

ويظهر ان الاسطول المرابطي في عهد علي بن يوسف كان مقسطا لعدة وحدات ترابط في موانئ الدولة وقواعدها البحرية المختلفة ، فهذا ما يتضح من رواية الادريسي التي جاء فيها ((ان احمد بن عمر المعروف برقم الاوز كان واليا لامير المسلمين علي بن يوسف على جملة من اسطوله)) "٣" . ومما يؤيد تقسيم الاسطول الى وحدات منتشرة في مياه الدولة الاقليمية ان جملة من هذا الاسطول كانت ترابط في دانيه ، ويتضح ذلك من خلال رسالة وجهها امير المسلمين علي بن يوسف الى عامل هذه المدينة ، والتي من فصولها : ((وانظر في امر الاسطول والمستخلص بدانية حرسها الله واستنب في ذلك من ترضاه ..)) "٤"

ويبدو ايضا ان الاسطول بوحداته المتعددة التي وصلت الى عشرة اساطيل كانت تخضع لقيادة موحدة ، فهذا ما يفهم من الرواية التي تقول بأن محمد بن ميمون قد حضر في عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م لمساعدة تاشفين بن علي بعشرة اساطيل . "٥"

---

١ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٩٢ .
٢ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٤٨ ـ ٥٠ .
٣ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ .
٤ ـ محمود مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .
٥ ـ السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٧ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ .

ـ القضـــاء :

============

يعتبر عصر المرابطين بعامة وعهد علي بن يوسف بن تاشفين بخاصة من العهود التاريخية النادرة التي تمتع فيها القضاة بالسطوة والجاه ، اذ لم يكن منصب القضاء في هذا العهد مجرد منصب ديني فحسب بل ارتبط بالسياسة ، فقد تمتع القضاة بسلطات واسعة اغرت بعضهم في اواخر عهد المرابطين بالاستقلال عن دولة المرابطين امثال قاضي قضاة قرطبة ابن حمدين الذى اعلن انفصاله في عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م ، وتلقب بنفس القاب امراء الدولة المرابطية (امير المسلمين وناصر الدين) ، وقام بتدوين الدواوين ، وتنظيم الجيش واستمر في عمله هذا ما يقرب من العام . "١"

وكان لا يتولى منصب القضاء في عهد المرابطين الا من ثبتت جدارته ونزاهته ، وتمتع بحظ وافر من العلم . واشتراط الكفاءه ليس غريباً على تاريخ القضاء الاسلامي فقد تنبه فقهاء المسلمين لخطورة هذا المنصب فاشترطوا عدة شروط لمن يتولاه تتفق وشروط من يتولى حكم الامة ، ومن هذه الشروط : الاسلام ، والعقل ، والذكوره ، والحرية ، والبلوغ ، والعدالة ، والعلم ، وسلامة الحواس ، اضافة للذكاء والفطنه والاناه "٢" ، الى غير ذلك من الشروط التي ترمي الى اختيار افضل الناس لهذا المنصب الخطير لتعلقه بأمور الدين ، ولان امير المسلمين معرض للمثول بين يديه لو توجب عليه حكم "٣" . وقد نبه النباهي "٤" لخطورة خطة القضاء فقال : ((خطة القضاء من اعظم الخطط قدرا واجلها خطرا)) .

---

١ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .
٢ ـ النباهي : المرقبة العليا ، ص ٣ ـ ٤ .
٣ ـ المقري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .
٤ ـ المرقبة العليا ، ص ٦ .

وكانت الاندلس مقسمة الى ثلاث مناطق قضائية كبرى هي : الشرق ، والغرب ، والموسطه، وفي كل منها قاض للجماعة "١" . وهذا ما يفهم من الرسالة التي وجهها علي بن يوسف في عام ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م الى اهل شرقي الاندلس لاعتراضهم على احكام الفقيه قاضي القضاه عندهم مشيرا الى وجود منصب قاضي قضاة الشرق، ومما جاء فيها : ((... وصح عندنا ان الفقيه الجليل الحافظ قاضي القضاة بالشرق ..))"٢"

ومن المحتمل ان يكون المغرب مقسما الى مناطق قضائية تشبه ذلك التقسيم الذى رأيناه في الاندلس . وكانت اهم المناصب القضائية في المغرب والاندلس هي منصب قاضي قضاة مراكش لقربه من السلطان ، وقاضي قضاة قرطبه مركز والي الاندلس من قبل امير المسلمين ، فكان الاول يستفتى في كل ما يتعلق بالمغرب والثاني في كل ما يتعلق بالاندلس . "٣"

---

١ ـ قاضي الجماعة : هو اعلى منصب قضائي في الدولة ، ومصطلح قاضي الجماعة مستحدث في الاندلس يعود لقاضي قرطبة يحيى بن يزيد التجيبي المتوفى عام ٢٤٢ هـ اذ ان قاضي قرطبة قبله كان يسمى قاضي الجند ، والمقصود بالجماعة جماعة القضاه ، ويستمد قاضي الجماعة اختصاصاته من الخليفة او الامير انظر : ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥ .

٢ ـ محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

٣ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

وكانت سياسة امير المسلمين علي بن يوسف في تعيين القضاة لا تستند الى عصبية قبيلة كما فعل في تعيين الولاة وقادة الجيش ، وهي سياسة حكيمة برهنت على رغبة امير المسلمين علي في تحقيق العدالة بين جميع افراد الرعية من غير محاباة لأحد . "١"

ويظهر ان اختيار قاضي الجماعة كان في بداية عهد المرابطين يسير على ضوء التقاليد التي كانت متبعة في العهود السابقة ، فقد كان يعين من قبل امير المسلمين بعد استشارة الوزراء وكبار الشخصيات في بلاطه . "٢" الا ان هذا الوضع قد طرأ عليه تعديل في عهد علي بن يوسف واصبحت الرعية هي التي تنتخب القضاه ثم يبارك هذا الاختيار امير المسلمين ، وهذا منتهى شورية حكم المرابطين او ما يعبر عنه بالمصطلح الحديث "" بغاية الديمقراطية " ، كما يدل على استقلالية السلطه القضائية عن السلطة التنفيذية . وعند تعذر اختيار الجماعة لقاضيها كان يتمرك امر الاختيار لامير المسلمين ، ومما يؤيد ما ذهبنا اليه رد امير المسلمين علي بن يوسف على الجماعة بأحدى النواحي التي ارسلت اليه باسماء رجلين رشحوهما للقضاء ليختار امير المسلمين واحد منهما ، فقد جاء في رد علي بن يوسف عليهم ((..... وصلت الينا مراجعتكم عما كنا خاطبناكم فيه من اختيار رجل منكم يصلح لولاية القضاء عندكم ووقفنا منها على اختلافكم في الرجلين المذكورين في المقدين الواصلين من قبلكم فرأينا التوقف في الامر حتى يقع اتفاقكم ......وان استمر الخلاف اخرجنا الامر عنكم واجتهدنا في الاختيار لكم ان شاء الله تعالى والسلام)) "٣" .

وقد انحسرت سلطات قاضي الجماعة في العهود السابقة لقيام دولة المرابطين في الامور التاليه : قطع التشاجر والخصام بين المتنازعين ، واستيفاء الحق لمن

---

١ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .
٢ ـ ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥ .
٣ ـ محمود مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤

طلبه ، والزام الولاية للسفهاء والمجانين ، والتحجر على المفلس حفظا للاموال والنظر في الاحباس ، وتنفيذ الوصايا ، وتزويج الايامى من الاكفاء ، واقامة الحدود ، والنظر في المصالح العامه من كف التعدى في الطرقات والافنية "١" . ولكن ما ان جاء المرابطون حتى توسعت صلاحياته ، ففي عهد يوسف بن تاشفين اصبح قاضي القضاة الرجل الاول في منطقته الذى يرجع اليه ، واصبحت سلطته تفوق سلطة نائب أمير المسلمين على الامصار ، وهذا هو الذى يتضح من خلال رسالة وجهها يوسف بن تاشفين الى قاضي قرطبة ابن حمدين والتي من ضمن فصولها : ((.. وقد عهدنا الى جماعة المرابطين ان يسلموا لك في كل حق تمضيه ولا يعترضوا عليك في قضاء تقضيه ، ونحن اولا وكلهم آخرا مذ صرت قاضيا سامعون منك غير معترضين في حق عليك ، والعمال والرعية كافة سواء في الحق ، فان شكت اليك بعامل وصح عندك ظلمه لها ، ولا يتجه في ذلك عمل غير عزله فأعزله ، وان شكا العامل رعيته خلافا في الواجب ... فقومها له ومن استحق من كلا الطرفين الضرب والسجن فأضربه واسجنه ، وان استوجب الغرم في ما استهلك فأغرمه واسترجع الحق شاء او ابى من لديه ...)) "٢"

وتعززت هذه السلطات اكثر في عهد علي بن يوسف واضيفت الى قاضي الجماعة مهام اخرى عززت من مكانته ، واصبح علي بن يوسف لا يقبل شكاية احد من رعاياه الا اذا كانت مؤيده بشهادة من قاضيه تؤيد ظلامته . وما لبث علي بن يوسف ان اوكل النظر في الظلامات الى قضاة البلدان حتى لا يتجشم المظلومون مشقة السفر الى العاصمة لعرض شكاويهم على السلطان ، وهذا ما اوضحه علي بن يوسف من خلال

---

١ — النباهي : المصدر السابق ، ص ٥ — ٦ .

٢ — ابن بسام : الذخيره ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

رسالته الى قاضي مالقه ابو محمد عبد الله بن احمد بن عمر القيسي المالقي المتوفى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ، وهي مؤرخة في ذي الحجة سنة ٥٢٣ هـ / ٢٨ ديسمبر ١١٢٩ م ، ومما جاء فيها : ((وقد قلدناك تقليدا تاما ان تنظر بجهتك من شكاوى العامة في اللطيف والجليل ... واي عذر لك وقد شددنا من ازرك ..... واي عامل من عمال الرعية قامت الشهادة عندك بتعديه وعلمت صحة استهدافه وتصديه فانه امره الى صاحب البلد مستعمله ومولية ، واشعره بما ثبت عندك فيه فان غل يد اذيته وانفذ عزله عن رعيته ، والا فأخف ذلك الينا في سائر ما يتوقف لديك من الامور التي تقصر عنها يدك ..)) "١"

وكان امير المسلمين علي بن يوسف وولي عهده تاشفين يؤكدان على عمالهما بحماية جانب القاضي وعدم السماح للرعية بالاعتراض على احكامه ، كما كانا يؤكدان عليهم باستمرار على واجب الاحتفاء بالقضاة حينما يمرون في اعمالهم ، وكانا يوبخان الوالي الذي لم يحتفل ببعض القضاة الذين مروا في اعماله ولم يكترث بهم ، وهذا ما تبين من خلال رسالة بعث بها تاشفين الى احد ولاته حول هذا الموضوع . "٢"

ولم تكن تلك السلطات مجرد امور نظرية بل كانت تمارس عمليا ، وقد رأينا في الباب الثالث كيف طالب ابن رشد امير المسلمين علي بن يوسف بعزل واليه على الاندلس تميم فاستجاب له . "٣"

---

١ ـ محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٧١ ـ ١٧٤ .

٢ ـ محمود علي مكي : المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٤ ـ ١٤٦ .

٣ ـ انظر الباب الثالث ، ص

وكان من ضمن صلاحيات قاضي الجماعة تعيين قضاة الاقاليم • وبشكل اجمالي لم يكن يخرج عن سلطان قاضي الجماعة الا اعداد الجيوش وجباية الخراج ، فقد كانت اختصاصاته تشمل ما يسمى في العصر الحاضر بالقضايا المدنية والتجارية والجنائية والادارية • "١" •

وكان يشرف على بيت المال ، ويصلح المساجد ، ويقيم الصوامع ، ويصنع المنابر ، واذا ما دعا داعي الجهاد نجده في مقدمة الصفوف • "٢" •

وكان يساعد القضاة مجموعة من الكتاب ، وهذا ما اشارت اليه كتب التراجم بايرادها مجموعة من اسماء ممن اشتهر بالكتابة للقضاة امثال : محمد بن اسماعيل بن عبد الملك الجمحي المتوفي عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م الذى عمل كاتبا للقضاة في شاطبه ، وبلنسية "٣" ، وعبد العزيز بن علي بن عيسى ابو الاصبغ المعروف بالشقوري المتوفى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦م "٤" ، وعبد العزيز بن خلف بن ادريس السلمي المتوفى عام ٥٤١ هـ / ١١٣٦م وغيرهم • "٥"

وكان يشترط في الكتاب الذين يكتبون للقضاة ان يكونوا على قسط وافر من الثقافة ومعرفة بالقضاء والاحكام والشروط "٦" • وكان لقاضي الجماعة منذ عهد علي بن يوسف مستشارون من الفقهاء عددهم اربعة اثنان منهم يلازمان القاضي ليستشيرهم

---

١ ـ ابن رشد : مسائل ابن رشد ، ج ١ ، ص ١٥ •

٢ ـ المقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ ـ ٣٧١ •

٣ ـ ابن الابار : المعجم ، ص ١٥٧ •

٤ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٥ •

٥ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٦ •

٦ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ •

في اصدار الاحكام ، والاثنان الآخران يختصان باصدار المشورة للمتنازعين "١" ، وكان للفقهاء المشاورين رئيس منهم ينظم شؤونهم "٢" .

واتخذ القضاة الحجاب على ابوابهم ليحولوا بين الناس وبين ان ينالوا من هيبة المجلس ووقاره ، وكانوا يستعينون بطائفة من الشرطة يسمون الاعوان في بعض الاحيان . "٣" .

وكان كاتب الامير أو وزيره حلقة الاتصال بينه وبين القاضي ، وكان اتفاق القاضي والامير يعني الهدوء والدعة ، واختلافهما يعني الاضطراب والفوضى . "٤"

وعلى الرغم من هذه السلطات الواسعة التي كان يتمتع بها القضاة في عهد علي بن يوسف الا انه لم يغفل عن مراقبتهم ، وعزل المقصر منهم . فقد كانت تصله تقارير مفصله عن جميع قضاته في الامصار ، وهذا يتضح من خلال رسالته الى اهل فاس في عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣م والمتعلقة بعزل قاضيهم ابن ملجوم ، ومما جاء فيها : ((... وقد انهي الينا وتحقق لدينا ان الجهول لهين الملجوم ، اجهل بأحكام القضاء من الملجوم .. فقد وليناه خطة الملوم ونبذناه بالعراء وهو مذموم وجلعنا شهب العزلة الشيطانية كالرجوم ..)) "٥" .

ومن اشهر من تولى منصب قاضي الجماعة في عهد علي بن يوسف ، محمد ابن احمد بن رشد (٤٥٠ — ٥٣٠ هـ / ١٠٥٨ — ١١٣٥م)) قاضي الجماعة بقرطبة "٦" . وهو من كبار فقهاء الاندلس وقضاتها ، وكانت ولايته لقضاء الجماعة

---

١ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ — ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢١٦ .
٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .
٣ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٦٩ — ٣٧١ .
٤ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٧١ — ٣٧٢ .
٥ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٢ .
٦ — ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٢٧٠ — الضبي : بغية الملتمس ، ص ٥١ .

بقرطبة عام ٥١١ هـ / ١١١٧م ، ثم استقال منها في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١م "١".
وهو الذى افتى بتغريب النصارى جزاء غدرهم بالمسلمين عام ٥١٩ هـ/ ١١٢٥م
لمساعدتهم الفونسو المحارب، وهو ايضا الذى اشار على علي بن يوسف بتسوير مراكش ،
وعزل تميم عن ولاية الاندلس . "٢"

والف ابن رشد مجموعة قيمة من المؤلفات اهمها : البيان والتحصيل لما في
المستخرجه من التوجيه والتعليل ، وكتاب المقدمات لاوائل كتاب المدونه ، واختصار
كتاب المبسوط ، واختصار كتابي ابي جعفر الطحاوى . "٣"

ومنهم ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض اليحصبي "٤" ،
المتوفى عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩م "٥" . وهو سبتي الدار والميلاد اندلسي
الاصل "٦" ، وكان من ائمة وقته في الحديث ، والفقه ، والنحو ، والشعر ،

---

١ - ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٤ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
٢ - أنظر الباب الثالث ، والفصل الخاص بالعمارة والفنون الاسلامية .
٣ - الضبي : المصدر السابق ، ص ٤٠ - ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ١ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٤ - ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص ٢٧٠ .
٤ - أبي عبد الله محمد بن عياض : التعريف بالقاضي عياض - ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ٢ ، ص ٤٦ - ٤٨ .
٥ - العماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٥٥٠ - ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥١ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ - ٤٨٥ - ابي عبد الله محمد بن عياض : المصدر السابق ، ص ٣ .
٦ - ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

خطيبا فصيحا صاحب ثقافة موسوعية "١" . ولي الشورى في بلدة سبتة ثم تولى القضاء في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م فقام بعمله احسن قيام ، وبنى الزيادة في جامع سبته ، وبنى بجبل الميناء الرابطة ، وفي عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦م تقلد خطة قضاء غرناطة الا انه فصل عنها في عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧م ، ثم ولي قضاء سبته مرة ثانية في اواخر عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م "٢" ، وفي عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م انتفضت سبتة بقيادته ، ولكن الامر انتهى باستيلاء الموحدين عليها لـ وعفا عبد المؤمن ابن علي عن القاضي عياض الذى ما لبث ان توفى في مدينة مراكش عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م "٣" أو في قول آخر في مدينة فاس . "٤"

ومن اشهر مؤلفات القاضي عياض كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وهو مطبوع ، وكتاب اكمال المعلم في شرح مسلم ، وكتاب التنبيهات المستنبطه على الكتب المدونة والمختلطة (مخطوط) ، وكتاب ترتيب المدارك وتعريف المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك (مطبوع) ، وكتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام (مطبوع)، وكتاب الالماع في ضبط الرواية وتقييد السماع (مطبوع) ، وكتاب الفنون الستة في اخبار سبته (مفقود) ، وغيرها . "٥"

---

١ ـ أبي عبد الله محمد بن عياض : المصدر السابق ، ص ٤ وما بعدها .
٢ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠ ـ ١١ .
٣ ـ ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦ ـ ٤٨ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .
٤ ـ العماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٥٥٠
٥ ـ أبي عبد الله محمد بن عياض : المصدر السابق ، ص ١١٥ ـ ١١٨ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٥ ـ ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

ومن مشاهير القضاة ايضا خلوف بن خلف الصنهاجي المتوفى عام ٥١٥ هـ/ ١١٢١م الذى تولي قضاء الجماعة في مراكش بعد ان تولي قضاء غرناطة عام ٥١٠ هـ/ ١١١٦م ثم قضاء فاس "١" . ومنهم أبو عمران موسى بن حماد الذى تولى القضاء بجهات شتى ثم عين بمرسوم من أمير المسلمين على بن يوسف في اوائل رمضان عـــام ٥٢٤ هـ "٢" . وعبد الحق بن عطيه المتوفى عام ٥٤٦ هـ / ١١٥١م والـــذى ولي قضاء قرطبة أو المرية عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م "٣" . واحمد بن ابراهـــيم ابن أحمد المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠م والذى استقضي بشلب "٤" . واحمد ابن الجحاف المتوفى عام ٥٤٧ هـ / ١١٥٢م والذى تولى قضاء بلنسية "٥" . ومحمد بن هشام الأموى المتوفى عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥م وهو من مشاهير قضـــاة غرناطة "٦" . وعبد الله بن مروان بن عبد العزيز المتوفى عام ٥٣٥هـ/١١٤٠م ، والذى تولى قضاء بلنسية عشر سنوات "٧" . وابو الحسن علي بن اضحى الهمدانى قاضي قضاة غرناطة المتوفى عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥م "٨" . وأبو بكر بن العربـــي الذى تولى قضاء اشبيلية عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣م . ومن قضاة اشبيليه ايضا ابو ـ

---

١ ـ ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

٢ ـ النباهـــي : المصدر السابق ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

٣ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤١ ـ المقـــرى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

٤ ـ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٧٧ ـ ابن الابار : المعجم ، ص ٧ .

٥ ـ ابن الابار : المعجم ، ص ٣٦ .

٦ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١١٨ .

٧ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢١٢ ـ ٢١٤ .

٨ ـ ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ـ ابن سعيد : المغرب =

الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني "١" . ومن القضاة المشهورين ايضا محمد بن احمد بن خلف التجيبي المعروف بابن الحاج المتوفى عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م "٢" . وقاضي الجماعة بقرطبة محمد بن أصبغ المعروف بابن الناصف المتوفى عام ٥٣٦ هـ/ ١١٤١م "٣" ، وقاضي الجماعة بمراكش عبد الله بن محمد ابن ابراهيم اللخمي المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩م "٤" ، وقاضي الجماعة ابو القاسم أحمد بن محمد بن علي بن حمدين المتوفي عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧م . "٥"

ومن الخطط المهمة التي كانت تخضع لقاضي الجماعة خطة قضاء الكور ، فكان يعين عليها قضاة يمثلونه في النواحي التابعة له ، والذين كانوا بدورهم يعينون من ينوب عنهم في القرى التابعة لنواحيهم . وكانت اختصاصات قضاة النواحي محدودة في قرية أو في حي كبير من أحياء المدينة وتسند اليه بمقتضي توكيل خاص من لدى قاضي الكورة "٦" .

ومن الخطط التى كانت تخضع لسلطان قاضى الجماعة ايضا . خطة الأحكام ، والشورى ، والافتاء ، والمظالم ، والحسبة ، والرد .

وكانت خطة الأحكام من اهم خطط القضاء في المغرب والاندلس ، ويطلق على صاحبها لقب ((صاحب الأحكام)) . ويرجع وجود هذه الخطة الى أواخر

= في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢١١ ، ٢١٥ ـ ٢١٦ .

١ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٥ ، ٩٢ ـ ٩٣ .

٢ ـ النباهي : المرقبة العليا ، ص ١٠٢ .

٣ ـ ابن الابار : المعجم ، ص ١٣٠ .

٤ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠٤ .

٥ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

٦ ـ ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥ ـ ١٦ .

عهد الخلافة الأموية في الاندلس ، الا ان اول اشارة لهذه الخطة في عهد الدولة المرابطية تعود الى عهد علي بن يوسف وذلك من خلال رسالة بعث بها الى قاضيه الوحيدى يبين له احكام هذا المنصب وصلاحيات صاحبه ، محددا له الشروط التى ينبغي ان تتوفر في قضاة الاحكام ، من ثقة ، وديانة وعفاف ، وزهد وتحفظ ، كما يعطي لقاضي الجماعة سلطة مطلقة في تعيين قضاة الاحكام وعزلهم وعقابهم دون الرجوع الى امير المسلمين . ومن فصول هذه الرسالة المؤرخة في ذى الحجة ٥٢٣ هـ / ٢٨ ديسمبر ١١٢٩م الى قاضي مالقه ابو محمد عبد الله بن — أحمد بن عمر الوحيدى (ت في ٢٦ محرم عام ٥٤٣ هـ) : ((... ومدار هذا الامر اختيار الحكام الذين استثبتهم في اقطارك القاصية ، ونصبتهم في الجهات النائيه ، فشرطهم الثقة والديانة والصون والأمانة ... وبعد توليتك اياهم فاشرف عليهم اشرافا يتعقب احوالهم ....)) "١" .

ومن تولى خطة الاحكام في عهد علي بن يوسف محمد بن عمر بن محمد (كان حيا عام ٥١١ هـ / ١١١٧م) من أهل مرسية وصاحب الاحكام فيها ، والذى كان من العلماء المشهود لهم بسعة الاطلاع "٣" . ومنهم محمد بن عبد الغفور ابن احمد الكلابي المعروف بابن زغيبة المتوفى عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣م والذى تولي الاحكام في مدينة المريه "٤" .

---

١ — محمود مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٧١ — ١٧٤ ، ١٤٠ .

٣ — ابن الأبار : المعجم ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .

٤ — المصدر السابق نفسه ، ص ١١١ .

أما خطة الشورى فهى خطة قديمة ، فالفقهاء المشاورون هم جماعة من كبار العلماء يختارهم الامير ليسترشد برأيهم في امر القضاة والاحكام . ولم يكونوا هيئة بمعنى الكلمة تجتمع معاً في مجلس خاص ، بل كانوا فرادى يختار الأمير من يراه صالحا للشورى ثم يبعث اليه بما يريد ليفتي فيه ، وقد يستقدمه الى القصر ، وكان المشاورون لامير المسلمين اعلى مرتبة من القضاة بل كانوا في مراتب الوزراء من حيث المكانة والجاه . "١" الا ان خطة الشورى في الاقاليم كانت أقل مرتبة من القضاء ، اذ اننا نلاحظ ان عددا من القضاة تولى منصب الشورى قبل تولية منصب القضاء . ومن الأمثلة على ذلك عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن مرّجي بن حكم الانصارى المتوفى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٦م والذى تولى خطة الشورى ببلنسية ثم قلد قضاء مرسيه واستمر في هذا المنصب حتى سقطت دولة المرابطين . "٢" ومنهم أحمد بن طاهر بن علي بن عيسى الانصارى المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م والذى تولى ايضا الشورى بدانية ثم عرض عليه قضاؤها فرفض . "٣"

---

١ ـ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، حاشية رقم ١ .
٢ ـ ابن الآبار : المعجم ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .
٣ ـ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٨ ـ ٧٩ ـ
وعن خطة الشورى انظر : هشام سليم عبد الرحمن ابو رميله : نظم الحكم في الاندلس في عصر الخلافة ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ـ (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاداب ـ قسم التاريخ ، كلية الاداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٥م) . وهى مطبوعة على آلة كاتبه).

وكان يجمع في بعض الاحيان بين القراءة والخطبة والصلاة في جامع قرطبة والمشورة في الاحكام ، فقد كان عبد الرحمن بن احمد بن خلف بن أحمد بن رضا المقرى المتوفى عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥م خطيبا بجامع قرطبة ، وصاحب صلاة الفريضة به والمشاور في الأحكام . "١"

أما خطة الأفتاء : فكان يشترط فيمن تناط به أن يكون ذا خبرة ومعرفة بالمسائل والنوازل والفتاوى ، بصيرا بعقد الشروط "٢" . ويظهر أنه كانت هناك هيئة من الفقهاء يتولون الافتاء في عهد علي بن يوسف ، لأنه كان يوجد رئيس للمفتين "٣" . وممن تولى منصب الافتاء في هذا العهد محمد بن حكم ابن محمد بن أحمد الجذامي المتوفي عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨م ، والذي كان يمارس مهامه في مدينة فاس . "٤"

أما فيما يختص بالمظالم فقد كان يعين بواسطة أمير المسلمين شخصيا من بين الفقهاء المشاورين عنده ، وكان يطلق عليه صاحب المظالم ، وقد عرف القريزى هذه الخطة قائلا : ((اعلم أن النظر في المظالم عبارة عن قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة .. وهى خطة حدثت لفساد الناس وهى كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى

---

١ ـ ابن الآبار : المعجم ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .
٢ ـ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٨ ـ ٧٩ .
٣ ـ ابن الآبار : المعجم ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .
٤ ـ ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ـ ٢٢٦ .

منه يدا)) "١" . ومن تولى احكام المظالم محمد بن أصبغ الأزدى المتوفي عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١م قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب صلاة الفريضة بجامعها ، وكان قد تولى خطة احكام المظالم بقرطبة قديما مع شيخه قاضي الجماعة ابن رشد "٢".

ومن الخطط التى تذكرها كتب التراجم في هذا العهد خطة الاشراف على المدن فقد ذكر ابن خاقان "٣" ان ابن أبي الخصال كتب الى الوزير أبي بكر ابن رحيم يهنئه بولاية خطة الاشراف وذلك في شوال عام ٥١٥ هـ . ويبدو أن صاحب هذه الخطة كان يعين من قبل أمير المسلمين مباشرة وهو بمثابة المسؤول الأول عن كل ما يحدث في المدينة واتصاله مباشرة مع أمير المسلمين ، وهذا ما يفهم من رسالة ابن أبي الخصال الى صديقه الذى تولى هذه الخطة .

ومن الخطط القضائية التي تميز بها الأندلس ، خطة الرد اذ انها لم تظهر في المشرق الاسلامي ، وكان يحكم فيما استرابه الحكام وردوه عن أنفسهم ، ويبدو أنه كان له حق مطالعة رعايا الكور والوقوف على احوالهم ، وقد اطلق على من يتقلد هذه الخطة أسم صاحب الرد لأن اليه كانت ترد بعض الاحكام .(٤) "

---

١ ـ هشام سليم عبد الرحمن أبو رميله : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .
٢ ـ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥ .
٣ ـ قلائد العقيـــان : ص ٢٠٥ .

٤ ـ هشام ابو رميله : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

وممن تولى هذه الخطة في عهد الدولة المرابطية عبد الله اللخمي الاشبيلي ٠ "١"

ويظهر أن احوال أهل الذمة بقيت على سالف عهدها في العصور السابقة لقيام دولة المرابطين ، اذ تركت لهم الحرية في التحاكم الى قضاتهم ٠ ومن اشهر قضاتهم في عهد علي بن يوسف ديان قاضي اليهود في قرطبة والمتوفي عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٩م ٠ "٢"،

=========

١ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٨ ٠
٢ ـ بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٤٩٨ ٠

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

الحيــــاة الاقتصاديــــة

===============

لقد ازدهرت الحياة الاقتصادية ازدهارا عظيما في عهد المرابطين بشكل خاص في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، فكانت ايامهم ايام دعة ورفاهية ، ورخاء ، وعافية ، فكثرت الخيرات ، ورخصت اسعار الحبوب والثمار وعمت الغبطة رعاياهم ." ١ "

وشهد هذا العهد نهضة صناعية مباركة وخاصة بعد ما اتحدت الاندلس مع المغرب ، وتبادل الطرفان الخبرات الصناعية " ٢ " ، فازدهرت الصناعة وتخصصت بعض المدن الاندلسية والمغربية في بعض الصناعات ، فالمرية في المنسوجات " ٣ " ، وشاطبة في الورق " ٤ " ، ومراكش في المغازل " ٥ " ، علماً بأن هذه المدن كانت لها عراقة في الصناعات المذكورة في العهود السابقة .

وراجت التجارة رواجاً واسعاً سواء على مستوى التبادل الداخلي أو على المستوى الخارجي مع الدول الاسلامية والدول الاوروبية ، فازدحمت الموانيء المرابطية

---

١ ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص ١٦٧ .

٢ ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ، ص ٢٧ ـ الجزنائي : جني زهرة الآس ، ص ٣٢ .

٣ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٥٦ .

٤ ـ احمد مختار العبادي : الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، مج ١١ ، ع ١ ، ابريل ـ مايو ـ يونية ١٩٨٠ م ، ص ١٥٣ .

٥ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

بالسفن التجارية القادمة من الشرق ومن الدول الاوربية •

ومن العوامل الهامة التي ساعدت على هذا الازدهار ما كانت تتمتع به الدولة المرابطية من ثقة وسمعة في الاوساط العالمية لحرصها على تطبيق تعاليم الاسلام السمحة ، فلا مكوس جائرة "١" ، ولا فوضى واضطراب ، فالدولة ساهرة دوما على حماية التجار ، وحريصة على تأمين طرق تجارتهم "٢" • كما ساعد ارتفاع مستوى دخل الفرد وثراء الدولة على تنشيط عملية البيع والشراء مما شجع التجار على اغراق الاسواق بالبضائع المختلفة • "٣"

ولم تطغ الصناعة والتجارة على الزراعة ، فقد راجت المنتوجات الزراعية المختلفة ، واخذ المزارعون يصدرون منتوجاتهم من المغرب الى الاندلس وبالعكس واسهمت الدولة اسهاما فعالا في تشجيع الزراعة وذلك عن طريق توفير المياه وبناء القنوات • "٤"

وانعكس ثراء الدولة في عهد علي بن يوسف على حياة الحكام والرعية على حد سواء ، فغلبت حياة الترف والبذخ على سلوك الناس • فهذا والى سرقسطة من قبل امير المسلمين علي بن يوسف ، الامير ابن تيفلويت يعجب في احدى - سهراته باداء ابن باجه (ت ٥٣٣ هـ / ١١٣٠م) ، فيأمر له بمبلغ

---

١ - الامير عبد الله بن بلقين : التبيان ، ج ١ ، ص ١٢٠ •

٢ - احمد لياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٧٧م •

٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ •

٤ - احمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مج ١١ ، ع ١ ، ص ١٤٨ - ١٥٠ •

طائل من المال "١" . ومن مظاهر ثراء الرعية في عهد علي بن يوسف استخدامها للرخام الفاخر والزخارف ذات التكاليف الباهضة في عمائرها . "٢"

ولعل ارتفاع عطاء الجند في عهد علي بن يوسف يعتبر مؤشرا آخر من مؤشرات ذلك الازدهار ، فقد اورد ابن خاقان "٣" رسالة كتبت على لسان امير المسلمين الى صاحب قلعة حماد يقول فيها : ((وتمنح اهل العشرات مئين ، واهل المئين الافا)) "٤" .

ونتج عن قوة اقتصاد دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ان اصبحت عملتها عملة عالمية يتم التعامل بها في الاسواق العالمية في الشرق والغرب في ذلك الوقت . "٥"

وحتى نقف على مدى تقدم دولة المرابطين من الناحية الاقتصادية في عهد علي بن يوسف سنعرض بشيء من الايجاز لاهم مظاهر التقدم في مجالات الزراعة ، والتجارة ، والصناعة ، والنقود ، ثم نعرج بالحديث على الضرائب .

---

١ _ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٣ _ ١٦٤ .
٢ _ ابن الابار : المعجم ص ٩٨ _ ٩٩ _ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٣ _ ١٦٤ .
٣ _ قلائد العقيان : ص ١١٩ .
٤ _ المقصود بأهل العشرات : القائد المسؤول عن عشرة جنود ، وأهل المئين : اى القائد المسؤول عن مئة .
٥ _ عبد رب النبي بن محمد : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

١ - الزراعـــــة

================

ساعدت رقعة دولة المرابطين الشاسعة بما تحويه من بيئات جغرافية متباينه ، من صحراوية وجبلية ، وسهلية على تنوع المنتوجات الزراعية ، كما كان للدولـــة دور كبير في دفع عجلة النهضة الزراعية اذ عملت جهدها من اجل توفير المياه عن طريق حفر الابار ، ومد القنوات والمحافظة على الامن . "١" .

وادى التشجيع من قبل الدولة للمزارعين في عهد علي بن يوسف الى زيـادة المحاصيل الزراعية المعروفـة في السوق فرخصت الاسعار وتناهى سعر القمح الـــى ان بيع كل اربعة اوسق "٢" بنصف مثقال ، والثمار ثمانية اوسق بنصف مثقـال ، والقيطاني "٣" لا تباع ولا تشترى . "٤"

ومن اهم المحاصيل الزراعية التي راجت في عهد علي بن يوسف الزيتون "٥" والتين "٦" والزعفران الذي كان يتوفر في بياسه "٧" ، اما سجلماسة فاشتهرت

---

١ - احمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

٢ - الوسق يساوى ستون صاعًا انظر : ابن زكريا : معجم مقاييس اللغـــة ، ج ٦ ، ص ١٠٩ .

٣ - لفظ القيطاني يطلق على العدس والكرسنه والحمص .

٤ - ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

٥ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤١٠ .

٦ - ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٧٩٢ - ٧٩٣ .

٧ - عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

بالتمور التي بلغت اصنافها ستة عشر صنفا ، والفواكه ، والقطن ، والكمون ، والحناء . "١" كما ازدهرت زراعة الحبوب من قمح وقيطاني "٢" ، وشعير "٣"، واشتهرت اغمات بأصناف الفواكه المختلفة "٤" وفي نواحي السوس ازدهرت زراعة السكر "٥" ، وغيرها من المنتوجات التي كانت تنتشر في اصقاع الدولة المرابطية .

ولكن الذي كان يحد من استمرار هذا التقدم هو تعرض المحاصيل الزراعية للآفات ، وبشكل خاص الجراد ، علاوة على انحباس المطر وتوالي سني الجفاف ، أو انهمار الامطار الشديد في بعض السنوات والذي كان يؤدي الى تدمير المزروعات عن طريق الفيضانات .

ففي عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١م اشتدت المجاعة بقرطبة ، وانتشر الوباء بين الناس ، وكثر الموتى ، وبلغ سعر مدّ القمح خمسة عشر دينارا ، وكانت هذه الكارثة مشجعة على انتشار الفوضى . "٦"

وفيما بين سنتي ٥٢٧ - ٥٣١ هـ / ١١٣٢ - ١١٣٦م عانت الاندلس من ويلات الجراد ، فأكل الجراد في عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م ما على

---

١ - الحبيب الجنحاني : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في سجلماسة ، مجلة المؤرخ العربي ، ع ٥ ، ص ١٤١ .
٢ - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .
٣ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٩ .
٤ - الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٦ .
٥ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .
٦ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

الارض من زرع وكلأ ، وامر الناس بالخروج اليه فساقوا منه خمسة آلاف وثلاثمائة عدلا . "١"

وادركت الحكومة المركزية خطورة هذه الحشرة فأخذ امير المسلمين علي بن يوسف يرسل رسائله الى عماله حاضا اياهم على الجد في القضاء على هذه الآفه . ومن هذه الرسائل تلك التي كتبها ابو بكر بن القبطرنه على لسان علي بن يوسف الى اهل الاندلس والتي من فصولها ((..... وانفروا اليه وبالله العون .... فأخرجوا اليه الجم الغفير ولا يتخلف الكبير منهم ولا الصغير ... فجدوا في اطفاء هذا الجمر (اى الجراد ...)) "٢" .

وقبل وفاة علي بن يوسف بعام واحد تومرت الفيضانات بعض نواحي فاس ، وجزيرة طليلة ، وطنجه ، واشتد الغلاء حتى بلغ ثمن سطل الشعير ثلاثة دنانير "٣" .

لقد جاءت هذه الكوارث الطبيعية من فيضانات ، وجفاف ، وتسلط الجراد على المحصولات في وقت كانت فيه الدولة المرابطية تلفظ انفاسها الاخيرة من جراء ضربات المصامدة بشكل خاص ، وثورات الاندلس ، وضغط الاسبان النصارى من جانب اخر ، مما حال دون تقديم الدولة المساعدات اللازمة للمزارعين والعمل على ترميم ما دمرته الفيضانات .

---

١ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مج ٧ — ٨ ، ١٩٥٩ — ١٩٦٠م ، ص ١٦٤ ، حاشية رقم ١ .

٢ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٨٧ — ١٨٨ .

٣ — ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٩٩ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧٤ .

٢ - التجـــارة

===========

ا - التجارة الداخليـــــة :-

=====================

لقد كان لتوحيد المغرب والاندلس تحت راية الدولة المرابطية نتائج بعيدة الاثر على مستقبل التجارة الداخلية والخارجية فيها ، اذ اخذت الدولة تضم بيـــن جناحيها مناطق ذات اهمية اقتصادية فائقة . ففي الجنوب كانت تخضع لسيادتهـــم مدينة سجلماسة ، وأودغشت اللتان تعتبران مفتاحًا لسوق الذهب القادم مـــن السودان ، وفي الشمال خضعت لنفوذهم موانىء البحر الابيض المتوسط الـــتي كانوا عن طريقها يتصلون بالعالم الخارجي .

وساعد سعة رقعة دولة المرابطين ايضا في تنوع الانتاج وتنشيط عمليـــة تبادل المنتوجات والسلع بين شمال وجنوب المغرب من جانب ، وبين المغرب - والاندلس من جانب اخر ، وبين المغرب والاندلس والعالم الاسلامي والعالـــم الاوروبي من جانب ثالث .

ومما سهل عملية التبادل الداخلي وجود شبكة من الطرق التجارية الـــتي اعتادت القوافل ان تسلكها منذ فترات طويلة خاصة التي كانت تنطلق من مناطق الانتاج فكانت سجلماسة ترتبط مع وجدة وفاس وتلمسان بطرق تجارية تسلكها القوافل حاملـــة البضائع من والى سجلماســـة . "١"

---

١ - الحبيب الجنحانـــي : المغرب الاسلامي ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

واهم السلع المتبادلة داخلياً هي : القمح ، والتمور ، والزبيب ، والمنسوجات والمعادن المصنعه ، والخرز ، والملح ، والذهب ، والعنبر ، والصمغ والفواكه .

فكانت سجلماسة على عادتها في الفترات السابقة تصدر الى جميع انحاء المغرب الذهب والزبيب ، والقطن ، والحناء ، والتمور "١" . وتصدر اودغشت الصمغ عن طريق سجلماسة الى الاندلس "٢" ، كما كانت ايضاً مركزاً تجارياً هاماً لتجارة الذهب والرقيق والعنبر ، والذهب الابريز الخالص الذي كان يصدر على شكل خيوط مفتولة .

ولعل انوال المرية في عهد علي بن يوسف كانت تستورد هذه الخيوط "٣" لادخالها في خيوط منسوجاتها الفاخرة ، وكانت تستورد النحاس المصنوع والثياب .

وكانت تجلب الى المرية الفواكه من وادي بجانه ، ومن بلاد العدوه "٤" ومن نواحي السوس كان يجلب قصب السكر ويباع في المغرب ، وكانت الاندلس في عهد علي بن يوسف تزود المغرب ببعض محصولاتها الزراعية التي كان يأتي على رأسها الفواكه وبشكل خاص التين الذي كان يصدر من مدينة اشبيليه الى المغرب . "٥"

---

١ - المرجع السابق نفسه ، ص ١٨١ - الحبيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة ، مجلة المؤرخ العربي ع ٥ ، ص ١٤١ .

٢ - الحبيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة ، ص ١٤٧ .

٣ - الحبيب الجنحاني : المغرب الاسلامي ، ص ٢٧ .

٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٨ .

٥ - ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٧٩٢ - ٧٩٣ .

ب ـ التجارة الخارجيــــــة :

لقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على ازدهار التجارة الخارجية ، فبالاضافة للعوامل التي شجعت التجارة الداخلية ، كان لنمو البحرية المرابطية في عهد علي ابن يوسف وسيطرتها على موانيء شرقي الاندلس وجزر البليار دور في تشجيع التجارة الخارجية ، فاستطاع المرابطون ان يحكموا سيطرتهم على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، واصبح الاسطول المرابطي منافساً خطراً للاساطيل النورمانية والايطالية كما ساهمت قوة الدولة وحمايتها للطرق التجارية الداخلية والعالمية في تشجيع الرواج التجاري وزيادة السلع المعروضة في الاسواق . "١"

كما كان لتسامح وعدالة الدولة المرابطية وتخلقها بخلق الاسلام بمعاملة الجميع بالمساواة ، وما شاع عن امرائها من امانة واستقامة وعدل كل ذلك جعل التجار يثقون بها ، فأخذوا يجلبون بضائعهم الى الاندلس والمغرب دون ان يخشوا ظلماً او عدواناً . "٢" فوفد تجار العراق خاصة من البصرة والكوفة ببضائعهم الى سجلماسة للاتجار "٣" ، واصبحت المرية مرفأ مزدحما بالسفن القادمة من شرقي البحر الابيض المتوسط ، ومحطا لمراكب تجار النصارى القادمين من جنوه ، وبيزه ، والبندقية ، وقطلونية ، وارغونة حاملين بضائعهم "٤" ، والتي كانت تتكون في الغالب

---

١ ـ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٠١ .
٢ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٤٠٢ .
٣ ـ ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .
٤ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٨٩ .

من الرقيق ، والفراء ، والقصدير . "١"

"٢"
وكانت المراكب الشامية والمصرية تقصد موانئ الاندلس ببضائعها المتنوعة ، ولا ادل على ذلك من ذكر بعض المراجع لاسماء بعض التجار الشاميين والمصريين الذين قدموا ببضائعهم الى مدينة المرية ووافاهم الاجل هناك . فيذكر انه في عام ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م توفى تاجر مصرى اسمه ابن حليف الاسكندرى "٣" ، وفى عام ٥٢٥ هـ/ ١١٣٠ م توفي تاجر شامي اسمه ابو عمرو عثمان بن محمد بن بقي الشامي . "٤"

ويجب على الباحث خلال حديثه عن العلاقات التجارية للمغرب والاندلس مع المشرق الا يغفل عن الاشارة الى قافلة الحج المغربى التي كانت عبارة عن مدينة متنقلة اينما نزلت يكون السوق ويحدث التبادل بين الحجاج واهالي المناطق التي كانوا يمرون بها .

ولا توجد اشارة في المصادر التي بين ايدينا تدل على ان العلاقات التجارية بين المغرب وبلاد السودان قد فترت في عهد علي بن يوسف ، فيبدو ان القوافل المغربية المحملة بالملح لم تنقطع عن الدخول الى بلاد السودان لتعود محملة بالذهب "٥" . ولعل تجار اغمات ايضا استمروا على عادتهم في العهود السابقة

---

١ ــ مارك بلوك : مشكلة الذهب في العصر الوسيط (في كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادى ترجمة توفيق اسكندر) ، ص ٨ ــ لومبارد : الذهب الاسلامي منذ القرن الثامن حتى القرن الحادى عشر الميلادى — (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق اسكندر ( ) ، ص ٧١ .

٢ ــ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٨٨ .

٣ ــ المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٠ ــ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٤ ، ص ٤٠٩ .

٤ ــ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٧٠ .

٥ ــ الحبيب الجنحاني : المغرب الاسلامي ، ص ٢٥ .

في جلبهم النحاس الملون ، والاكسيه ، والزجاج ، والاحجار الكريمه ، والعطور الى بلاد السودان والعودة بالارباح الوفيره . "١" ولم تشر المصادر كذلك في هذه الفترة الى ما يعكر صفو العلاقات التجارية بين سجلماسة وبلاد غانه ، ولعل تجار سجلماسة استمروا في تسويق بضائعهم في اسواق غانه والعودة بالتبر والرقيق . "٢"

وساعد الرواج التجارى وما صحب ذلك من تكديس السلع التجاريــة ان اخذت المدن المغربية والاندلسـية تكيف وضعها مع هذه النهضة الاقتصاديـة لتتخـذ معظمها سمات العواصم التجارية الكبرى "٣" . فقد تعددت اســواقها المتخصصة ، فهناك سوق للكتانيين ، واخر للبز "٤" ، وثالث للدخان ، ورابع للمغازل "٥" ، ومن المرجح انه كان للبضائع الاخرى اسواق خاصة بها .

وحتى تحافظ الدولة على الامن وتمنع استغلال التجار للرعية وضعت قائميـن على الاسواق لحراستها ومراقبتها . "٦"

---

١ ـ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

٢ ـ الحبيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة ، ص١٤٨ ـ الجنحاني : المغرب الاسلامي ، ص ١٦ .

٣ ـ لمعرفة سمات المدينة الاسلامية من حيث الشكل والتخطيط وتعدد الاسواق ابه انظر : المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ٢ ، ص ١٧٨ وما بعدها ـ البغدادى : تاريخ مدينة بغداد ، ج ١ ، ص ١١٣ ـ ١١٤ ـ صالح العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية لمدينة البصرة في القرن الاول الهجرى ـ سعيد الافغاني : اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ص ٤٠٧ .

٤ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٣٤ .

٥ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ ، حاشية رقم ٣ .

٦ ـ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٣٤ .

واستجابت الموانيء المغربية والاندلسية لهذه النهضة الاقتصادية ، فقامت بانشاء عشرات الفنادق لاستقبال التجار الاوروبيين وبضائعهم . ومن اشهر الموانيء التي لعبت دوراً رئيسياً في حركة التجارة بين المرابطين وتجار الافرنج مدينة المرية التي كان يوجد فيها (٩٧٠ فندقا) "١" . ومن هذه التجارة الخارجية الواسعة جني اهل هذه المدينة اموالاً طائلة جعلتهم يتصدرون بقية اهل الاندلس في الثراء "٢" ، في الوقت الذى تصدرت فيه مدينة سجلماسة مدن المغرب في الثراء . "٣"

وحتى تواكب الدولة المرابطية التطور الاقتصادى الهائل قامت بانشاء عشرات دور الضرب في المدن الرئيسية لتوفير العدد الكافي من النقود التي تتناسب مع حجم التبادل التجارى ، فأنشأت عدة دور ضرب في عهدى يوسف بن تاشفين وولده علي كان من اهمها : دار الضرب في مراكش ، وتلمسان ، وسبتة ، وسجلماسة ، وسلا ، ومرسية ، وشاطبة ، وشريش ، وقرطبة ، وغرناطة ، والمرية ، وبلنسية ، وجيان ، ودانية ، وسرقسطة ، وطنجة وغيرها . "٤"

---

١ ـ البيد

١ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٩ .

٢ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

٣ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

٤ ـ عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ـ محمد باقر الحسيني : الكنى والالقاب على نقود المرابطين والموحدين في شمال افريقيا والاندلس ، مجلة سومر ، مج ٣٠ ، ١٩٧٤م ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

ولتوفر الذهب والفضة في مناجم المرابطين بكميات كبيرة في عهد يوسف بن تاشفين وعهد ولده علي فقد فاق وزن الدينار المرابطي الوزن الشرعي للدينار في فجر الاسلام ، وكذلك بالنسبة للدرهم المرابطي الذى فاق ايضا الوزن الشرعي في فجر الاسلام . "١"

وتحقيقاً لمرونة العمليات التجارية قامت دور الضرب بسك اجزاء صغيرة من الدينار والدرهم للوفاء بالدفع وتبرئة الذمة ، فقسم الدينار الى انصاف وارباع ، وقسم الدرهم الى وحدات صغيرة ايضا كان من بينها القيراط "٢" . ويبدو انه

---

١ — تراوحت اوزان الدنانير المرابطية ما بين ٤٫٠٥ و ٤٫٣٠ غم ، بينما بلغ وزن الدينار في فجر الاسلام ٤٫٢٥ غم . وبلغ وزن الدرهم المرابطي ما بين ٣٫٩٢ و ٦٫٢٠ غم فضه في الوقت الذى كان فيه وزن الدرهم في فجر الاسلام ٢٫٩٧ غم .
لمزيد من التفاصيل عن السكة المرابطية ، وما تمتاز به من صفات وما يثبت عليها من عبارات انظر ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦ — ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٤٧ — ابن ابى دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٩ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ — عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٢٢ — ٢٤ ، ٣٠ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ١٤٢ — عبد الرحمن فهمي : موسوعة النقود العربية ، ص ١٤٢ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

٢ — عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

كان من ضمن هذه الاجزاء في عهد علي بن يوسف القطع الثمنيه ، والقطع الثلثيه ، وهذا ما تبين من خلال سؤال وجه الى ابن رشد حول فضة القطع الثمنيه والقطع الثلثيه . "١"

ولقوة اقتصاد دولة المرابطين خاصة في عهد علي بن يوسف احتفظت السكة المرابطية بقيمة مرتفعة ، وكسبت احترام دول العالمين الاسلامي والاوروبي حتى كاد النقد المرابطي ان يصبح نقداً دولياً . فقد عرفت اسواق القسطنطينية العملة المرابطية . "٢" كما تدل الكثير من النصوص اللاتينية على ان الاوروبيين كانوا يتعاملون فيما بينهم بالعملة المرابطية التي كانوا يحصلون عليها من بلاد الدولة المرابطية نتيجة لتعاملهم التجاري معها فقد كانوا يصدرون لها الرقيق الابيض ، والفراء ، والقصدير والحديد ويحصلون منها في المقابل على الذهب . "٣"

ولكن على الرغم من هذه المكانة المرموقة التي احتلتها العملة المرابطية في الاسواق العالمية الا ان بعض المصادر تشير الى ان النقود المرابطية بدأت تفقد قيمتها الشرائية بالتدريج في اواخر عهد علي بن يوسف بن تاشفين لانتشار الغش فيها حتى ان قضية المعاملة بالدنانير والدراهم المغشوشة بالنحاس اصبحت من

---

١ - ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .
٢ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣١ .
٣ - ومن الامثلة الدالة على تعامل الاوروبيين فيما بينهم بالعملة المرابطية ان بعض الرهبان فرض على زملائه الذين تصرفوا في ممتلكات الطائفة دون حق غرامة قدرها عشرون مرابطية . ومنها ايضا انه قبل عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م بقليل تزوج امير نصراني بفتاة شريفة من بيروت ، ولكي يدبرا امر معاشهما باع الزوجان لفرسان المعبد اراض كانت لهما في ضواحي مدينة عكا بمبلغ مئتي دينار مرابطية ، كما كانت البابوية تفرض على الاديرة غرامات بالدنانير المرابطية - وليس ادل =

القضايا التي تشغل بال الناس في هذا العهد • وهذا يتضح من خلال الاسئلة

= على قوة العملة المرابطية في الاسواق التجارية العالمية حتى بعد سقوط دولة المرابطين اننا نجد ملك قشتالة الفونسو الثامن (٥٥٣ ـ ٦١١ هـ / ١١٥٨ ـ ١٢١٤ م) يسك عملة تحمل اسمه وانما على نمط السكة المرابطية بعد ان استبدل الآيات القرآنية ، وشهادة الاسلام ، وبقية الالقاب والشعارات المرابطية بشعارات والقاب نصرانية ، وذلك حتى تحتفظ عملته بما كان للعملة المرابطية من قوة التعامل في الاسواق التجارية لاسيما الاسواق الاوروبية وقد استطاعت هذه العملة القشتالية ان تحتفظ في اسواق اوروبا في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بقوتها لدرجة ان الفرنسيين ظلوا يسمون الدنانير القشتالية بالدنانير المرابطية اى المرابوتا (Marabotins) ـ انظر عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٧٧ ـ فيليب حتى : تاريخ العرب مطول ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ ـ مارك بلوك : مشكلة الذهب في العصر الوسيط (في كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادى) ، ص ٤ ـ ٥ • ومن الامثلة الاخرى ايضا على قوة العملة المرابطية ان ـ كونت بروفانس في عام ١١٦١ م وعد ان يدفع للامبراطور ١٢٫٠٠٠ Marabotins (اى دينار مرابطي) • لا بل ان الدنانير المرابطية ذاتها جرى تداولها في اوروبا الغربية فقد عثر على دنانير مرابطية في دفائن في دير Del Camp جنوبي مدينة طولوزه ، وفي فيرنو (Vernoux) ، وفي سانت رومان ، لا بل ان سمعة العملة المرابطية تعدت اوروبا الى الصين وهذا ما اكدته وثيقة صينية تعود الى عام ١١٨٧ م • ومن الجدير بالذكر ان موزمبيق اتخذت في منتصف يونيو ١٩٨٠ م عملة جديدة بدلا من عملة ايسكودو البرتغالية ، وتعرف العملة الجديدة باسم Metical وهو اسم محرف عن (مثقال) ـ الدينار المرابطي الذى ذاع تداوله في اسبانيا حتى القرن السادس عشر الميلادى اى حين بدأ استعمار البرتغال لموزمبيق • (انظر امين توفيق الطيبي : النقود العربية غزت اوروبا القرون الوسطى ، مجلة العربي ، ع ٢٧٦ ، نوفمبر ١٩٨١ م ، ص ١١٢ ـ ١١٣) •

التي كانت تطرح على الفقهاء بهذا الخصوص ، "١"

ولعل هذا ناتج مما كانت تعانيه الدولة المرابطية في ايامها الاخيرة من مشاكل داخلية ، من ثورات قام بها الاندلسيون ، واخرى قام بها المصامدة بقيادة المهدى بن تومرت ، اضافة لغزوات الاسبان النصارى المتكررة للاندلس — الاسلامي الامر الذى ترتب عليه انعدام الامن ، والذى كان له اسوأ الاثر على حركة التجارة والصناعة والزراعة وادى الى حرمان الرعية والدولة على حد سواء من تلك الاموال الضخمة التي كانت تحصل عليها من جراء الرواج التجارى مما دفع بعض الافراد الى استغلال هذه الفرصة فأخذوا يتلاعبون بالعملة عن طريق غشها بالنحاس وتشير بعض المراجع الى ان الدولة نفسها عندما قل احتياطيها من الذهب الخالص قامت بسك عملة نحاسية لتسديد نفقات تجهيز الجيوش ودفع مرتبات الجند . "٢"

---

١ — ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

٢ — عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

٣ ـ الصناعـــــة :

================

ولم تكن الصناعة أقل تقدماً وازدهاراً من الزراعة والتجارة فقد راجت صناعات مختلفة في عهد علي بن يوسف كان من أهمها الصناعات النسيجية ، والورقيــة ، وصناعة الزجاج والصابون .

اما صناعة المنسوجات فقد اشتهرت بها مدينة المرية ذات الشهرة القديمــة في هذا الحقل ، اذ كانت انوالها تنتج ثمانمائة طراز من الحرير تصنع منهــا الملابس الفاخرة التي كان يدخل في بعض خيوطها في بعض الاحيان خيوط ذهبية ، وكان يضاف الى ذلك زخارف متنوعة باهضة التكاليف ، ولم تجد مصانع النسيج فــي هذه المدينة ضيرا في تقليد بعض الطرز المشهورة في المشرق ، فأخذت تنتج الاصبهاني والجرجاني ، كما اخذت أيضا تقلد بعض المنسوجات اليونانية القديمة مثل السقلاطون الذى كان ينسج من الحرير المطرز بالذهب . "١"

ولم يستطع نصارى الشمال الاسباني مقاومة اغراء الملابس الحريرية المرابطيــة فأقبلوا علي شرائها والتباهي بارتدائها في الاحتفالات الرسمية . فقد كان القديس خوان دى اوتيجا يرتدى ثوبا عليه طراز علي بن يوسف بن تاشفين في الاحتفــالات الدينية ، والثوب لا يزال محفوظا في كنيسة كنيتا اورتونيو (برغش) . وهنــاك مجموعة من المنسوجات التي صنعت في عهد الدولة المرابطية محفوظة بكاتدرائيـــة شلنقه وشـفونه "٢" . ويحتفظ متحف فينا ايضا بعباءة نسجت في صقلية للملك روجر الثاني في عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م تظهر عليها المؤثرات العربية بوضـــوح ويرجح ان هذه المؤثرات تسربت عن طريق الاندلس ، فزخارفها مشتقة من الزخارف

---

١ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٥٦ ـ ١٥٨ ـ عبد الرحمن الحجـي : التاريخ الاندلسي ، ص ٤٥٠ .

٢ ـ باليـنـاس : المرجع السابق ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

العربية فضلا عن انه نسجت عليها كتابة باللغة العربية ، وسجل فيها تاريخها الهجرى ، وعبارات التبجيل والدعاء وفقاً للتقاليد الاسلامية . "١"

وازدهرت صناعة الورق ازدهارا فائقاً خاصة في مدينة شاطبة التي كانت مصانعها تنتج افضل انواع الورق الذى لا يباريه نوع "٢". اما مدينة فاس فكانت مصانعها تنتج الورق ولكنه لم يكن بشهرة الورق الشاطبي . "٣"

وكذلك ازدهرت صناعة تجليد الكتب المطلية بالذهب ، والكتابة على الجلد وخاصة بأداة محماه . وهناك دليل دامغ يؤكد على أسبقية المسلمين على اوروبا في هذا الفن اذ يظهر اول ذكر لعملية تذهيب من هذا النوع في كتاب مغربي يعود الى عهد الدولة المرابطية يتناول فنون صناعة الكتب ، وقد ألف في الفترة الواقعة بين سنتى (٤٥٤ و ٥٠٢ هـ / ١٠٦٢ و ١١٠٨ م) في حين نجد اقدم

---

١ - احمد فكرى : العمارة والتحف الفنية (في كتاب اثر العرب والاسلام في النهضة الاوروبية) ، ص ٤٤٤ .

٢ - احمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، مج ١١ ، ع ١ ، ابريل - مايو - يونيو ١٩٨٠م ، ص ١٥٣ .

٣ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ - ومما يستحب ان يلفت النظر اليه انه بينما كان المغرب والاندلس في هذا التاريخ يشهد نهضة صناعية رائعة خاصة في مجال الصناعات الورقية منها كانت اوروبا كلها بدون استثناء ليس بها مصنع واحد للورق وانما دخلت اليها هذه الصناعة بعد هذا الوقت بزمن . فيرجع عهد ايطاليا بالورق الى اواخر القرن الثالث عشر الميلادى وفي عام ١٣٩٠ م انشيء مصنع للورق بمدينة نورمبيرغ بالمانيا ، اما فرنسا فأقدم المصانع فيها يعود الى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، وبدأ اول =

"١" استعمال غربي لهذا الفن كان في ايطاليا ويعود تاريخه الى عام ٨٦٣ هـ / ١٤٥٩م .

اما صناعة الصابون والزجاج فقد اشتهرت بهما مدينتا مراكش وفاس "٢" ،
وكذلك راجت الصناعات النحاسية والحديدية في مدينة المرية . "٣"

= مصنع للورق انتاجه في انجلترا في عام ١٥٨٨ م ، في حين ان صناعة الورق وصلت الى القمة في العهدين المرابطي والموحدي . فيذكر انه كان في مدينة فاس وحدها ٤٠٠ مصنع للورق ايام المنصور والناصر الموحدين (٥٨٠ — ٦١٠ هـ / ١١٨٤ — ١٢١٣ م) — انظر المنوني : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

١ — شاخت وبوزورث : تراث الاسلام ، ق ٢ ، ص ١٢٧ — ١٢٨ ، (نشر ضمن سلسلة عالم المعرفة ، ذو القعده / ذو الحجة ١٣٩٨ هـ .

٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ — ابراهيم حركات: المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

٣ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٤٥٠ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٨٩ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

٤- مــوارد بيــت المــال

==============

لقد اقتصرت موارد بيت المال في عهد دولة المرابطين على الزكوات والاعشار ، واخماس الغنائم ، وجزية اهل الذمة ، ومع ذلك كانت موارد الدولة من هـــذه الموارد عظيمة • وقد كلف اهل الذمة بجمع هذه الموارد المالية في عهدى يوسف بن تاشفين وابنه علي "١" • فعهد المرابطون الى اليهود في الاندلس بأعمال الجباية ، كما جعلوا اعمال الجباية في المغرب للنصارى المقيمين في البلاد ، — ولعلهم عمدوا الى ذلك لانهم يعلمون ان امثال هؤلاء يخافون السلطان ويخشون العاقبة ويترددون طويلاً قبل ان يقدموا على التلاعب في هذه الجبايات او أن يفرطوا في اداء الواجب "٢" • ولعل استخدام اهل الذمة في اعمال الجباية يعود ايضا لما كانوا يتمتعون به من خبرة ودراية في هذا المجال •

ولم يغفل المرابطون في عهد علي بن يوسف عن مراقبة ومحاسبة القائمين على اعمال الجبايات ، فكانوا يراقبونهم مراقبة الفاحص المدقق المتشدد ويحاسبونهم حساباً عسيراً ، ويعملون على معاقبة المقصر ، وحتى اذا عزل عامل الجبايات لم يكن يسلم من المحاسبة ، كما كان عرضة لمصادرة الاموال والسجن اذا رأوا منه تفريطاً او تقصيراً • واذا قضى عامل الجبايات نحبه وهو على رأس عمله كان يلجأ المرابطون الى محاسبة

---

١ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ — ابراهيم حركات: المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ •

٢ — حسن محمــود : المرجع السابق ، ص ٤١٠ — ٤١١ •

الورثة ويثقلون عليهم ويصادرون تركة المتوفى اذا لزم الامر . ولعل هذا الخوف من الحساب العسير هو الذى دفع عامل الخراج في مدينة قرطبة حين حضرته الوفاة الى ان يحضر ما كان عنده من مال ويشهد الحاضرين على دفعه ، ثم ابرأ ذمة جميع عماله وكتابه لانه خشي ان يصيب ورثته مكروه اذا مات دون ان يبرئ ذمته . "١"

وكانت الدولة المرابطية في عهد علي بن يوسف تلجأ في بعض الاحيان الى جباية ضرائب اضافية تقتضيها الحال الراهنة كما حدث عندما جاز ابن رشد الى مراكش واصدر فتواه بتغريب النصارى والعمل على التعتيب ، ففرض في عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦ ما يسمى بضريبة التعتيب ، ويبدو ان بعض الولاة قد تشددوا في تحصيل هذه الضريبة من بعض المدن مما دفع الرعية الى التذمر وعدم الاخلاص في العمل . "٢"

وفى اواخر عهد علي بن يوسف فرضت مكوس على اكثر الصناعات والسلع التي كانت تباع في مراكش من صابون ، ومغازل ، ودخان ، وكانت المكوس على كل شيء يباع دق أو جل كل حسب قيمته . "٣"

---

١ — المرجع السابق نفسه ، ص ٤٠٦ — ٤٠٧ .

٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٣ — ٧٤ .

٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ — ٤٠٧ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٤٢١ .

ولعل اضطراب الاحوال الداخلية والخارجية في اواخر عهد علي بن يوسف وما نتج عن ذلك من اضطراب للاحوال الاقتصادية وفراغ الخزينة المرابطية من الاموال التي تحتاج اليها لمواجهة الظروف الصعبة التي تمر بها الدولة هو الذي اضطر علي بن يوسف لاتخاذ مثل هذا الاجراء . "١"

---

١ - هناك بعض القواعد الفقهية التي يستند اليها الفقهاء لحل ما يعترضهم من المشكلات ، ومن تلك القواعد مثلا رأيهم بأن : ((ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب)) فواجب الدولة حماية البلاد وواجب الافراد المساهمة في ذلك ، فاذا لم يفعل الافراد ما وجب عليهم ، فانه يجب على الدولة ان تحصل منهم ما يكفي لحماية البلاد من الاخطار ، وبذلك تستطيع الدولة ان تؤدي واجبها . وكذلك قولهم بأنه : ((يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام)) فاذا احاطت الاخطار بالبلاد ، وهددتها وامكن تلافي هذا الضرر العام بأخذ جزء من اموال الناس جاز لولي الامر ذلك حتى لو ترتب عليه ضرر بأصحاب الاموال . ولعل الفقهاء في عهد علي بن يوسف قد اعتمدوا على هذه القواعد عندما اشاروا عليه بفرض جبايات اضافية (انظر ضيف الله يحيى الزهراني : موارد بيت المال في العراق خلال العصر العباسي الاول ، ص ٣٨ - ٣٩ - رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة والنظم الاسلامية - جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة ، ١٩٨١ م ، مطبوعة على آلة كاتبة) .

الحيـــاة الاجتماعيـــة

لقد كان من نتائج سيادة الدولة المرابطية على الاندلس دخول عناصر جديدة الى المجتمع المرابطي لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها • وكما هو معروف ان الشعوب الاقل تحضرًا اذا انتصرت عسكريًا على شعوب أكثر منها تحضرًا لا تلبث ان تأخذ عنها مظاهر حضارتها وبخاصة ما كان يتصل منها بحياة الترف والبذخ • وهذا ما حدث بالفعل بالنسبة للمرابطين الذين تمكنوا من فرض سيطرتهم على الاندلس الذى كان يتقدم في ذلك العصر على المغرب في مجال الحضارة ، فما هى الا برهة من الزمن حتى أخذ حكام لمتونة يفتتنون بما وصل اليه ذلك القطر من حياة ترف وبذخ ، فأخذوا يقلدونهم في حياتهم الباذخة تلك •

فقد كانت لمتونة تمتاز بما يمتاز به البدو من قيم وعادات نبيلة من شهامة وشجاعة وصبر على الظروف البيئية القاسية ، ومقارعة الاعداء معتمدين في حياتهم تلك على الابل فمنها ركوبتهم ، وطعامهم وكساؤهم • ولكن هذه الخشونة مالبثت ان تلاشت شيئًا فشيئًا حتى اختفت كليًا في عهد علي بن يوسف بن تاشفين حيث قبل المرابطون على بناء القصور والعمائر الفخمة مقلدين بذلك أهل الأندلس في طريقة معيشتهم فغلب عليهم طابع البذخ والاسراف ، وهذا الذى اتضح من خلال مخلفاتهم الاثرية والتي سنعرض لها في الفصل الأخير •

وقد تمتعت المرأة بمكانة مرموقة في عهد علي بن يوسف ، فكانت مكرمة الجانب تتمتع بقسط وافر من السلطة والنفوذ ، واقتناء الثروة ، بل اننا نلمح كثيرًا من اسماء مشاهير قادة امير المسلمين علي بن يوسف ينتسبون الى امهاتهم امثال

ابن غانيـــــــة ، وابن فاطمـــــة ، وابن عائشـــــة .. الخ . "١"

ومن الامثلة الدالة على قوة نفوذ النساء في هذا العهد خضوع أمير المسلمين علي بن يوسف لضغوط زوجته قمر في تعيين ولده سير وليا للعهد على الرغم مـــن وجود من هو أكبر واجدر منه بهذا المنصب . "٢"

وبلغ من قوة نفوذ بعض الأميرات المرابطيات في عهد علي بن يوسف أن — أصبحن مقصد الشعراء يمتدحونهن بعيون القصائد ويتقربون اليهـــن ، كما جاء الى اعتابهن أصحاب الحاجات يطلبون العون والشفاعات ، وممن قصدهن للشـــفاعة الشاعر المشهور ابن خفاجه الذى كتب الى الاميرة مريم بنت ابراهيم يستشفع بها الى الأمير أبي طاهر تميم بن يوسف . "٣"

ولم تقف المرأة في عهد علي بن يوسف موقف المتفرج من تلك التطورات التي طرأت على الدولة وبخاصة في مجال النهضة العلمية . فقد كانت تميمه بنت يوسف ابن تاشفين تطلب العلم وتحفظ الشعر ، وتتخذ الموكلين والكتاب ، وتبرز اليهم وتحاسبهم دون ان تجد في ذلك حرجا . "٤"

---

١ — عبد الحق حموش : ابن تاشفين ، ص ٩ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٤٩ .

٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٨ ، ٩٧ ، ١٠١ — (اولاد علي بن يوسف هم : عمر الصغير ، وابو بكر ويدعى بيكور ، وابو حفص عمر الكبير ، وابراهيم ، واسحاق ، وتميم ، وداود ، وسير انظر الحميدى جذوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ — ٤٦٠ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ص ١٥٧ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٠ — ١٠١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٥٨ —

٣ — حسن محمـــــود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤١٦ .

٤ — نفـــــس المرجع السابق والصفحة .

وكانت هذه المشاركة من جانب النساء في الحياة العلمية تحدث دون اى معارضة من رجال الدولة في عهد علي بن يوسف .

وكانت نساء الطبقات العليا في المجتمع المرابطي لا يتزوجن الا من مستوى طبقاتهن من ابناء عشيرتهن ، وهذا يتضح من خلال رواية مفادها ان كاتبا دخل على احدى بنات أمير المسلمين ، وكانت سافرة على عادة لمتونة ، فظل يلحظها طويلا مندهشا من روعة ما يرى من جمال آخاذ فظنت انه يرغب في زواجها فأنشدت :

هي الشمس مسكنها في السما

فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود

ولن تستطيع اليك النزولا "١".

وترفعت النساء المرابطيات ذوات الشأن عن اعمال البيت ، وتركن القيام بها للعبيد "٢" ، بينما كن في سابق عهدهن قبل قيام دولة المرابطين يرعين الابل والغنم ويربين الأولاد ويحكن الثياب "٣" . ولكن على الرغم من هذه الحياة المترفة التي كانت تحياها المرأة في عهد علي بن يوسف فانها لم تتخلف عن تلبية نداء الواجب عندما كان يطلب منها ذلك ، فنجدها تحمل السلاح عندما هدد المصامدة

---

١ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ٠ ، ص ٢٣٥ .
٢ - عبد الحق حموش : المرجع السابق ، ص ٩ .
٣ - عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ ، حاشية رقم ١ .

مدينة مراكش ، ولم يدخل عبد المؤمن هذه المدينة الا على جثة الأميرة فانو بنت الوزير عمر بن ينتان التي قاتلت المصامدة بحد السيف حتى استشهدت . "١"

وكان من عادة لمتونة ان النساء يكشفن وجوههن وان يتلثم الرجال "٢" ، وكان النبلاء يتخذون لثاماً مغايراً للثام العبيد "٣" ، كما كانوا يلبسون الثياب البيضاء . "٤"

اما بالنسبة لوضع العلماء في عهد علي بن يوسف فقد تمتعوا بمكانة مرموقة ، فقد كان لا يصدر اى حكم الا عن طريق فتوى شرعية من الفقهاء . ومن الامثلة الدالة على ذلك أخذ أمير المسلمين علي بفتوى ابن حمدين في احراق كتاب احياء علوم الدين "٥" ، وبفتوى ابن رشد في تغريب النصارى الذين تعاونوا مع الفونسو المحارب عام ٥١٩ هـ / ١١٢٦ م الى المغرب ، وكذلك أخذ بفتواه بواجب الاعتناء بالاسوار والحصون في المغرب والأندلس ، وبوجوب عزل أخيه تميم عن ولاية الاندلس . "٦"

---

١ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .
٢ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٥٢ ، حاشية رقم ١ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ .
٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٥١ .
٤ — ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٦٦ ، حاشية رقم ٢ .
٥ — انظر الفصل الخاص بالحياة الفكرية .
٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٤١٦ ، انظر الباب الثالث .

وعومل أهل الذمة في عهد علي بن يوسف وفقا لتعاليم الكتاب والسنه . ولم يكن المرابطون بتلك الغلظة التي وصفهم بها خصومهم في معاملة أهل الذمه ، اذ اشركهم علي بن يوسف في الجيش ، وعينهم على الجبايات "١" . بل تعدى الأمر الى ان وصل بعضهم الى مركز القيادة في الجيش مثل الربرتير الذى ابلى بلاء حسنا في الذود عن حياض دولة المرابطين في هذا العهد مما جعل شهرته تطبق الآفاق "٢" .

ولم يجد أمير المسلمين علي بن يوسف ، وأعيان بلاطه ضيرًا في الزواج من نصرانيات ، فتزوج علي بن يوسف من جارية نصرانية "٣" . وكان امير المسلمين علي لا يبالي في انزال اشد العقوبات على الوالي الذى يثبت لديه بأنه قام بايذاء المعاهدة . "٤"

وعلى الرغم من هذه المعاملة المتسامحة مع النصارى في المغرب والاندلس الا أنهم لم يفتأوا أن أخذوا يتآمرون على المسلمين وذلك بتعاملهم مع نصارى الشمال الأسباني ، وأصبحوا عيونًا لهم على المسلمين يبذلون لهم أقصى مساعدة يستطيعون تقديمها لهم عند خروجهم في غزوات مخربة في ارض المسلمين "٥" . وقد اتضح ذلك

---

١ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٤٢١ .

٢ — ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .

٣ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٧ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٨ ، ٩٧ .

٤ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

٥ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤١٧ — ٤١٨ .

بشكل جلي في غزوة الفونسو المحارب للأندلس عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م) ، وترتب عليه كما تقدم تغريب المشتركين في تلك المؤامرة الى ارض العدوه بفتوى ابن رشد . ولم يكن ذلك التغريب بالعقوبة القاسية اذا ما قيست بما كان سينتج عن مؤامرتهم لو قدر لألفونسو المحارب دخول غرناطة ، بل اننا رأينا المعاهدين الذين غربوا الى المغرب لم يسجنوا وينكل بهم جزاء خيانتهم بل اشتركوا في الحرس الخاص للأمير علي وعمل قسم منهم في الجيش ، وآخر في الجباية ، ولم يهضم حق من حقوقهم ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى ما كانت تتمتع به الدولة المرابطية من روح المسامحة معهم .

وبصفة عامه عامل المرابطون اليهود الذين يتركزون في المنطقة الممتده من سلا في أقصى المغرب وحتى تاهرت في ادناه "١" ، وبشكل خاص في مدينة اغمات هيلانه معاملة حسنه "٢" . وليس ادل على ذلك من أنه عندما عزم أمير المسلمين علي بن يوسف على توسعة مسجد القرويين قام قاضية ابن معيشة بشراء بيوت اليهود المجاورة للمسجد والتي تدخل ضمن التوسعة بأثمانها دون بخس "٣". أما في الاندلس فكما هو معروف فان وجودهم كان يتمركز في المدن الرئيسية وبشكل خاص في غرناطة التي كانت تسمى مدينة اليهود "٤" ، وقد عاملهم المرابطون ايضا

---

١ ــ آرثر كوستلر : امبراطورية الخزر وميراثها ، ص ٢٧٢ .

٢ ــ احمد مختار العبادى : دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، مجلة تطوان ، ع ٥ ، ١٩٦٠م ، ص ١٤٤ ، حاشية .

٣ ــ ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ ــ ٦٩ .

٤ ــ الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

معاملة حسنة وأوكلوا اليهم امور الجباية فى الاندلس "١" ، وسمحوا لهم باقامة شعائرهم بكل حرية "٢" ، بل أن احدهم كان كاتباً لوالي غرناطة أبي عمر ينالـه . "٣"

ولكن المستشرق كارل بروكلمان "٤" ينقل لنا صورة مغايرة لتلك الصورة التي قدمت فيذكر أن اليهود كانوا يشترون حرية العباده بجزية ثقيلة في حين آثر غيرهم الهجرة كما فعل والد الفيلسوف ابن ميمون ، وأن النصارى المستعربه كانوا في حالة أمر من حالة اليهود ، ولذلك رحبوا بالغارات المتكررة التي كان امراء النصارى يقومون بها على الديار الاسلامية في الاندلس . "٥"

---

١ ـ حسن محمـود : المرجع السابق ، ص ٤١٠ ـ ٤١١ .
٢ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .
٣ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٧
٤ ـ تاريخ الشعوب الاسلاميه ، ج ٢ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .
٥ ـ يبدو ان بروكلمان متأثر براية هذا بالدعاية الصهيونية في العصر الحاضر ، وما تروجه عن معاناة اليهود فى مختلف انحاء العالم ، وفى مختلف حقب التاريخ من ظلم واضطهاد . ولعله اتخذ من بعض اجراءات الدولة المرابطية التي كانت تقضي بمنع اليهود من دخول مدينة مراكش ليلاً وتحريم المبيت عليهم فيها ركيزة لذلك الاتهام ، الا ان الباحث لا يجد في هذه الاجراءات اجحافاً بحق اليهود لانهم كانوا يعيشون شبه منعزلين عن العناصر الاسلامية في المغرب فغلب عليهم طابع الانزواء والتآلف فيما بينهم ، عاملين جهدهم على احتكار التجارة والزراعة بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة حتى نجحوا في ذلك ، ومن امثلة ذلك امتلاكهم لبساتين أغمات . هذا اضافة لما كانوا يقومون به من احاكة للدسائس والمؤامرات ، وتعاملهم مع النصارى ضد المسلمين ، فكانت هذه التصرفات وغيرها مجلبة لنقمة الرعية المسلمة عليهم =

وقد شجع الرخاء الاقتصادى في دولة المرابطين الحكام والرعية على حد سـواء على جلب الرقيق الى المغرب والاندلس لاستخدامهم في مجالات متعددة من الخدمة في المنازل ، أو في الجيش ، أو في أى اعمال أخرى يريدها السيد . "١"

= والتى اخذت تنظر اليهم نظرة ازدراء واحتقار ، الا ان هذه النظرة لم تكن مبررا لظلمهم وحرمانهم من حقوقهم اذ لم يرد في المصادر التي بين ايدينا اية اشارة لاضطهاد اليهود من قبل المرابطين في عهد علي بن يوسف . اجل لقد كانت نفسيات اليهود والنصارى المجبولة على الحقد والكراهية للمسلمين تقوى عدوانيتها خلال فترات الحكم المتسامحة ، وهذا مالاحظه المستشرق اوليرى حين قال : (ان النظام الادارى للدولة الاسلامية قد امد بعض اهل الذمة بفرص اظهروا فيها مدى ما انطوت عليه نفوسهم من الظلم والخيانة ، وهى تلك الاخلاق التي لم يستطيعوا كبح جماحها) . وقد أوضح رب العزة هذه الحقيقة حين قال : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير) . (البقرة ، اية ١١٩) — انظر سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٩٩ — احمد مختار العبادى : دراسة حول كتاب الحلل الموشية ، ص ١٤٤ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢١٨ — ٢٢٠ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ج ١ ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ — احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٢٠ ، حاشية رقم ٣ .

١ — انظر الفصل الخاص بنظم الحكم والادارة .

وقد انصهرت تلك العناصر في المجتمع المرابطي اما عن طريق المصاهرة او المجاورة او المعاشرة ، فحدث تزاوج بين ثقافات هذه العناصر نتج عنه طابع حضارى فريد •

كما انعكس الرخاء الاقتصادى على حياة المجتمع المرابطي في عهد علي ابن يوسف في المأكل والملبس • فقد تفنن المرابطون في اعداد موائدهم ، وتأنق الرجال والنساء في ملابسهم ، فارتدت النساء الملابس الحريرية الفاخرة المطرزة بالذهب في بعض الاحيان "١" • وكان علية القوم من المرابطين يتخذون اللثم السوداء ، بينما كانت الطبقة الدنيا تتلثم باللثم البيضاء • اما عامة الناس من غير المرابطين سواء في المغرب أو الاندلس فلم يكن لباسهم يختلف عن اللباس التقليدى الذى كان شائعا • وكانت السمة العامه التى تغلب على الازياء في ذلك العصر هى السعة المفرطة • "٢"

ومن انواع الاطعمة المشهورة في عهد علي بن يوسف وفي العهود السابقة المجبنات ، وهى نوع من أنواع القطائف يضاف اليها الجبن في عجينها ، وتقلى بالزيت الطيب • وقد اشتهرت مدينة شريش بهذا النوع من الاطعمة ، وكان اهل الاندلس يقولون من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم "٣" ، وقد

---

١ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ١٥٦ ـ ١٥٩ ـ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٦ •

٢ ـ ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٢٦٦ ـ المقرى : المصدر السابق ج ١ ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٦ •

٣ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ، حاشية رقم ٤ ـ المقرى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٢ •

مدح الشعراء هذا الصنف من الاطعمة فقال عبد الرحمن السّهيلي المتوفي عـــام ٥٨١ هـ فيها :

أذكى من المســك العتيق لنــــــا
نشــقا وألذ من صبا حين تـــدار
وكأن من صافـــي اللجين بطونهــــا
وكأنما الوانهن نضـــــــار "١"

ومن دلائل الرخاء الاقتصادي الذي كان ينعم به المجتمع المرابطي فـــي عهد علي بن يوسف استعمال بعض الفئات الثرية منه للسباني ، وهي عبارة عـــن مناديل كبيرة تستعمل اثناء الطعام • وكانت اثمن انواع السباني تتخذ من رفيـــع القطن والكتان • "٢"

واذا القينا نظرة سريعة على الأحوال الاجتماعية في الدولة المرابطية فـــي أواخر ايام علي بن يوسف ، لرأينا صورة غير مشرفة فنجد حوانيت عديدة من ضمـــن معروضاتها ادوات اللهو والغناء "٣" ، كما نجد انتشارا لبعض المفاسد الـــتي لا يقرها الشرع "٤" • فقد أخذ الراعي والرعية يعيشون حياة بانذخة ادت الـى

---

١ ـ ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ٣ ، ص ٤٨١ •

٢ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، وانظر الحاشية ايضـــا •

٣ ـ البيذق : اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٦٤ ـ ٦٥ ـ الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ •

٤ ـ البيذق : اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ـ ابـــن ابي اصيبعه : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٦٢ •

المجون والاسراف في تعاطي الملذات ، فأمراء المرابطين قلدوا أهل الاندلس في الاخذ باسباب الحياة المترفة والمسرفة في المجون والملذات ، وفي تزيين مجالسهم بما يمحو بساطة الصحراء . كما قوى المرابطون عند الاندلسيين احترام المرأة — فأنشدت القصائد في مدحها "١" ، وظهرت المرأة على مسرح الحياة كعضو فعال في مختلف مجالات الحياة حتى أن الشاعرة نزهون بنت القلاعي كانت تجتمع مع الشعراء في عهد علي بن يوسف ، وكانت لها مساجلات مع الزجال المشهور ابن قزمان "٢" . وهذا مغاير عما عرفناه عن المرأة المرابطية المحتشمة ودليل على ان الدولة بدأت تدخل في دورها الثاني دور الضعف والسقوط ، الا اننا يجب ان لا نسلم بكل ما يذكر عن دور النساء في افساد الدولة المرابطية وتسلطهن على كل شيء لان ذلك لا يتفق مع سير الاحداث التي رأيناها من استمرار حركة الجهاد ضد النصارى ومحاولاتهم الجادة في المحافظة على الامن الداخلي واستمرار النهضة الحضارية في مختلف مجالاتها حتى سقوط دولة المرابطين . فلو أن الأمور وصلت الى ما وصلت اليه كما يصورها المراكشي مثلا لكانت الدولة قد سقطت منذ زمن طويل ولم تستطع الصمود الى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م . وهي السنة التي سقطت فيها ، فالمراكشي يقول بالحرف الواحد : ((واستولى النساء على الاموال واسندت اليهن الامور وصارت كل امرأة من اكابر لمتونة ومسوفه مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور ...)) . "٣"

---

١ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣١ .

٢ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

٣ — المعجب ، ص ٢٤١ .

الا اننا لا ننكر ان النساء قد لعبن دورا في الحياة السياسية في بعض فترات حكم علي بن يوسف ، فقد رأينا كيف خضع لضغوط زوجته قمر في اختيار ولده سير لولاية عهده وهناك من هو افضل منه بين أخوته ، وكيف الحت عليه بعد وفاة سير من اجل اختيار ولده الصغير اسحق بدلا من تاشفين لولاية عهده خلفا لسير "١" وباستثناء هذه الاشارة لا نجد للنساء ذلك التأثير الخطير في سياسة الدولة علما أن تقاليد لمتونة منذ القدم قد حفظت للمرأة مكانة مرموقة .

وهكذا قامت دولة المرابطين في بداية امرها على تعاليم عبد الله بن ياسين القائمة على تعاليم الاسلام النقية فحملها رجال لمتونه ونشروها في معظم ارجاء المغرب ثم مالبثوا بعد فترة وجيزة ان دخلت خيولهم ارض الاندلس ، ولكن هؤلاء الجند العتاه مالبثوا ان ضعفوا امام مغريات الحياة الاندلسية فاندفعوا الى حياة الترف وأخذوا يفقدون خشونة الجندية ، وأخذت تخبو روح القتال في نفوسهم على مر الزمن حتى رأيناهم في نهاية الامر يرتعون في أحضان مجتمع باذخ مترف متناسين رسالتهم التي من اجلها جاءوا الى الاندلس ، ومن ثم كان عجزهم عن صد زحف نصارى الاسبان الذين نجحوا في التهام رقعة واسعة من الاندلس ، كما تعاظم عليهم خطر المصامدة في المغرب الذين نجحوا في نهاية الأمر في القضاء على دولة المرابطين وهي ما تزال في مقتبل العمر .

---

١ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٧٨ ، ٩٧ ، ١٠١ .

الفصـــــل الثالـــــث

الحركـــــــــة الفكريـــــــــة

لقد رسم بعض الباحثين المحدثين صورة قاتمة للحياة الفكرية في عهد المرابطين ، مؤكدين على ان نهاية عصر الطوائف هي نهاية للتقدم والازدهار في المغرب والاندلس ، فبقيام دولة المرابطين دالت دولة الادب ، وخبت شعلة العلم لاهمال المرابطين للعلماء والادباء .

وينقل عباس الجراري "١" عن المستشرق دوزي قوله : ((بأن المرابطين كانوا بدواً اجلافاً لا يعرفون لرغد الحضارة قيمة ، فحاربوا اهل الفكر ، واصبح كبار العلماء العوبة بايدي الفقهاء المتعصبين ، والقواد الجفاة فحلت الهمجية محل التقدم وتلاشت كل الاصوات التي تتغنى بالشعر والادب ، وفنون العلم الاخرى امام صليل السيوف واصوات الفقهاء)) .

أما المستشرق اشباخ فيؤكد أيضاً على ان المرابطين اضطهدوا كل ما عنيت به الدولة العربية من قبل ، وان دولتهم كانت كريح الصحراء اللافح حين يهب على المروج الخضراء ، وانهم عملوا على تحطيم جميع العلوم والفنون ، عاملين على سحق الثقافة العربية بكل عنف لحقدهم على القبائل العربية . "٢"

ولم يكن المستشرق غومث اقل اجحافا من زميليه السابقين في حكمه على عصر المرابطين ، فعباس الجراري ينقل لنا رأيه في هذا العصر بأنه ((عصر هبط

---

١ ـ الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٩٦ ـ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ .

٢ ـ يوسف اشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤٨٣ ـ ٤٩٣ .

فيه الذوق هبوطا بالغا)) وانه عصر الميل الى كل ما هو شعبي سوقي خال من الحشمة والتوتر . "١"

ويرى جودت الركابي "٢" ان النهضة الفكرية والادبية توقفت عقب سقوط دول الطوائف في الاندلس لشدة تعصب المرابطين وتزمتهم ، فهم قوم لا يعرفون الا الحرب وخشونتها ، ولذلك لم تجد دولة الفكر والادب في ظلهم مرتعا خصبا .

وحذا محمد عبد الله عنان "٣" حذو من سبقوه من اعداء دولة المرابطين وتفنن في وصف هذه الدولة بأقذع الأوصاف ، فقد قال عن المرابطين بالحرف الواحد ((وكان اولئك البربر الصحراويون قوما غلاظا ، يؤثرون مهاد الجندية والخشونة ، وتغلب عليهم الافكار الرجعية العتيقة ، لم تأخذهم مظاهر الحضارة الاندلسية المصقوله .... ولم تكن تهزهم اصداء الشعر والاداب الرفيعة ... فقد طوردت في ظلهم — فضلا عن الكتب الفلسفية والعلمية — كتب الاصول المشرقية .. وترتب على ذلك ان ركدت في ظلهم دولة التفكير والادب وذوى بهاء الحضارة الاندلسية ..))

---

١ — عباس الجراري : اثر الاندلس على اوربا في مجال النغم والايقاع ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ ، ابريل — مايو — يونيو ١٩٨١م ، ص ٤٠ — ٤١ .

٢ — في الادب الاندلسي ، ص ٥٥ — ٥٦ .

٣ — نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ص ٤٣٦ .

ويدلل بعض الدارسين على جهل حكام المرابطين بالعربية وعجزهم عن تذوق صورها البلاغية وتشبيهاتها الرائعة بحادث حدث لامير المسلمين يوسف بن تاشفين مع ابن عباد عندما هرع الشعراء لمدحهما بعد موقعة الزلاقة الشهيرة . فقد سأل ابن عباد يوسف بن تاشفين عما فهم من الشعر الملقى فرد عليه بقوله : ((لا اعلم لعلهم يطلبون الخبز)) ، ولما انصرف يوسف الى بلاده واستقر في عاصمته مراكش كتب اليه ابن عباد رسالة تضمنت بيتين من الشعر من نونية ابن زيدون هما :ـ

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا — شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

حالت لفقدكم ايامنا فغدت — سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئت على يوسف بن تاشفين قال للقارئ يطلب منا جوارى سودا وبيضا "١" .

ولعل بعض الدارسين انساق وراء ما قرأه في بعض الكتب الموحديه مثل ـ كتب البيذق ، وابن تومرت ، والمراكشي وغيرهم ممن صوروا المرابطين بأبشع الصور ، وما قرأوه من اشعار تعرض بالمرابطين والفقهاء فتأثروا بآرائهم وأصدروا حكمهم الجائر . "٢"

هكذا صوروا حال الفكر في عهد المرابطين فلم تعد الدنيا هى الدنيا فقد خلت الا من الغربان التي تنعق فوق اطلال دولة الادب والعلم الذاويه .

لقد صعب على هذه العقول المتعصبة ان تستسيغ الواقع المتمثل في قيام

---

١ ـ مصطفى الشكعه : الادب الاندلسي ، ص ٤٤٨ .

٢ ـ ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ـ الاعمى التطيلي : الديوان ، ص ف ، ص ، ق ـ ابو الطاهر محمد ابن يوسف التميمي : المقامات اللزومية ، ورقة ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٥ (حيث اوضح حال الفقهاء المزريه) ـ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٧٧ ـ ٧٩ .

دولة المرابطين القوية في الاندلس التي وقفت عائقا في وجه حرب الاسترداد ، والتي ترتب على دفعها حركة الجهاد ضد نصارى الأسبان تأخير سقوط الاندلس في يدهم لمدة اربعة قرون اخرى .

أما المحدثون من العرب فيمكن ان يشفع لهم جهلهم لتاريخ دولة المرابطين ، فقد اتخذوا من جهل يوسف بن تاشفين باللغة العربية نموذجاً ينسحب على جميع حكام المرابطين وهذا فيه اجحاف في حق الحقيقة العلمية .

ان الدارس لتاريخ المغرب والاندلس لا ينكر ان دولة المرابطين دولة مجاهده عملت على نشر الاسلام في انحاء مختلفة من المغرب ، ثم تقدمت الى الاندلس لتقف في وجه النصارى . ولعلهم كانوا لا يستمتعون في فترة حكمهم الاولى الا بصليل السيوف التي كانت تجتث البدع والخرافات والظلم . ولكن الحال تبدلت عما كانت عليه بعد ان انتهت فترة التأسيس ، واستقرت الدولة ، وتمتعت بالامن والرخاء ، فقد جذبتهم الحضارة الى جانبها ، فاذا بنا امام دولة تحمل مشعل حضارة زاهره لا على مستوى المغرب والأندلس فقط بل على المستوى العالمي في ذلك الوقت ، وحتى الوقت الحاضر في بعض المجالات خاصة في مجال الطب ، فأصبح امراؤهم يتعشقون الادب ، ويستمتعون بسماع الشعر ، ويكلأون العلماء بعين رعايتهم ، ويغدقون عليهم الصلات بسخاء .

فأمير المسلمين علي بن يوسف جعل من نفسه مثالا لرعيته في الاقبال على العلم وتشجيعه ، مما كان له اطيب الاثر على ازدهار الثقافة . فقد اجتمع اليه من الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يجتمع في عصر من الاعصار "١" ، واستقدم طائفة

---

١ ― المراكشي : المعجب ، ص ٢٢٧ ― ٢٢٨ .

ممتازه منهم الى مراكش ، واتخذ من بعضهم كتابا ومن بعضهم الاخر وزراء ، "١"

وقد نوه ابن الآبار "٢" بازدهار العلوم في عهد علي بن يوسف فقال :

((وفي دولة علي بن يوسف بن تاشفين نفقت العلوم والاداب ، وكثر النبهاء وخصوصا الكتاب)) .

وتعدى الامر الى اشتغال امير المسلمين علي بن يوسف بالعلم "٣" حتى غدا عالما ، مشهورا بصدق روايته "٤" . ولم يكتف بذلك بل عكف على اخذ العلم من العالم الفقيه والمحدث الاديب الشاعر ابي مروان عبد الملك بن ملحان . "٥"

وحرص امير المسلمين ايضا على تنشأة ابنائه تنشأة علمية طيبة ، وهذا ما دلت عليه احدى رسائله الموجهة الى ولده الذى كان يتولى تأديبه العالم الكبير ابن زهر ، والتي يوصيه فيها بعدم التشفيب على مؤدبه والانفاه الى جزيرة ميورقة . ومما جاء في هذه الرسالة قوله اليه : ((بعد وصول الوزير الجليل ابي مروان بن الوزير الاجل والفقيه الافضل ابي العلاء بن زهر محل ابينا برد الله ضريحه وقدس روحه يشكو ما يكابده من تشفيبك ، ويقاسيه من تضريبك فأمسك عليك رفقك .... وخذ من الامور ما يسر والا انفذناك الى ميورقه ....)) . "٦"

---

١ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

٢ ـ المعجم ، ص ٥٦ .

٣ ـ الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١١٥ .

٤ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٤١ .

٥ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٨ ـ ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

٦ ـ حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وايامهم في الاندلس ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ٢ ، ع ١ ـ ٢ ، ١٩٥٤ م ، ص ٦٨ ـ ٧٠ .

وقلد الامراء والقواد اميرهم في طلب العلم وتشجيعه ، وظهر منهم فريق عرف بالتقوى والعلم الغزير ، وقد تحدثت عنهم كتب التراجم وسجلت أعمالهم في تقدير واكبار "١" . ومن هؤلاء الامراء والقواد عامل دكالة المرابطي الذى ضمن لأحد العلماء المسمى احمد بن عبد الرحمن بن الصقر الانصارى ألف دينار ذهب مرابطية مقابل اصطحابه له الا انه رفض طلبه مفضلا معاشرة العلماء على معاشرة الامراء ، وقال له : ((والله لو اعطيتني ملك الارض على ان اخرج عن طريقتي ، وافارق ديدني من خدمة اهل العلم ومداخلة الفقهاء والانخراط في سلكهم ما رضيت)) "٢"

وتتلمذ امير المرية عمر بن أمام بن الممتز الصنهاجي على الشيخ ابي علي الصدفي ، وبلغ من علمه بان سمي بالفقيه القائد . "٣"

ورحل ميمون بن ياسين الصنهاجي الى مكة المكرمة ، واخذ عن ابي عبد الله الطبرى ، وسمع صحيح مسلم ، وبعد عودته الى الاندلس اخذ يحدث في مدينة اشبيليه . "٤"

---

١ ــ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ ــ ٤٤٠ .
٢ ــ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٢١١ ــ ٢١٤ .
٣ ــ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ ــ ٤٤٠ .
٤ ــ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

واقبل المنصور بن محمد بن الحاج ، وأبو بكر الصنهاجي على العلوم "١" وتفوق زاوى بن مناد بن عطيه بن المنصور الصنهاجي المعروف بابن تقسوت في دانيه حتى اصبح من اعلام شيوخها ، وذاع صيت احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي في المرية . ووصل خلوف بن خلف الله الصنهاجي بعد ان تلقى العلم بمدينة قرطبه الى قضاء غرناطة . كما نبغ موسى بن حماد الصنهاجي بالعلم حتى اشتهر . "٢"

ومن امراء المرابطين الذين أشتهروا بقرض الشعر الامير ابراهيم بن يوسف ، الا اننا لم نعثر له الا على قصيدة واحدة القاها في مدينة شاطبه عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م "٣" .

وأخذ بعض امراء المرابطين وقوادهم ممن لم تسمح له الظروف بالتفرغ للعلم والرحيل من اجله في استقدام كبار العلماء الى بيته ليتلقى العلم على ايديهم ومما يروى في هذا الصدد ان احد امراء المرابطين طلب العالم الكبير علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم الى مراكش ليأخذ العلم عنه ، فلما دخل العالم عليه وجده جالسا على سريره فجلس علي تحته ثم قال له : اهكذا تفعل مع من كنت تتعلم منه ؟ قال : نعم فقال له علي : انزل انت الى مكاني واكون انا مكانك ، فأجابه الامير الى ذلك ولازمه . وكان الامير ابراهيم بن يوسف

---

١ ــ الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
٢ ــ عبد الله بن العباس الجراري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ١٠٥ ــ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٨ ــ ٤٣٩ .
٣ ــ ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٧٥ .

ابن تاشفين يرسل في طلب الفقيه ابي علي الصدفي لينتفع بعلمه • كما اختير العالم الجليل احمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري ليؤدب ابناء السلطان "١" • وعندما تولى الامير تاشفين الحكم بعث ولده ابراهيم الى معاهد مدينة قرطبه لاتمام دراسته فيها • "٢"

ومن العلماء الكتاب الذين اخذ عنهم ابناء اعيان المرابطين في مراكش ابو عيسى لب بن عبد الوارث اليحصبي وهو من مشاهير العلماء في عصره • "٣"

وكنتيجة لشغف امراء المرابطين بالعلم والعلماء وتنافسهم في تقريبهم اصبحت مجالسهم مقصداً لمشاهير العلماء والادباء • ومن مشاهير امراء المرابطين الذين غصت مجالسهم بأعلام العلماء الامير ابراهيم بن يوسف ، وابو بكر بن تافلويت وعبد الله ابن مزدلي • فابن خاقان يذكر في مقدمة كتابه قلائد العقيان الذى ألفه باسم الامير المرابطي ابراهيم بن يوسف ، فضل هذا الامير على الادب والعلم ، ويذكر ايضا ان الامير عبد الله بن مزدلي كان يعمل جهده من اجل تشجيع العلماء والادباء لذا كان بلاطه قبلة للشعراء والادباء ، فقصده ابو محمد بن عطيه ، وابو عامر بن ارقم ، وابو جعفر بن مسعده الذى اتخذه كاتبا له • كذلك كان الامير بن تافلويت على رأس المشجعين للعلماء خاصة للأدباء : منهم لكونه شاعراً مجيداً ، فازدحم بلاطه بالادباء وعشاق الشعر ، وكان على رأس ندمائه كاتبه

---

١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ — ٤٤١ •
٢ — عبد الله علام : الدولة الموحديه بالمغرب ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم ٤
٣ — ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٠ — ١٨١ •

ومادحه العالم الموسوعي ابو بكر بن باجه . "١"

ولم يقتصر الاقبال على العلم وتشجيعه على امراء المرابطين فقط بل تعداه الى الاميرات المرابطيات اللواتي اخذن يتذوقن الادب ويقرضن الشعر ، امثال تميمه بنت يوسف بن تاشفين التي اشتهرت بالادب والشعر "٢" ، والاديبة الشاعره ورقاء بنت ينتان "٣" ، وحواء بنت ابراهيم بن تافلويت ، واختها زينب اللائي كان لهن مجالس ادب "٤" . ففي هذا الصدد يذكر ابن عذارى "٥" ان الحرة حواء كان لها مجلس ادبي يحضر فيه لفيف من كبار العلماء امثال ابن القصيره وابن المرضي ، وانه كان لها مساجلات مع بعضهم .

ولم يكتف امراء المرابطين بمشاركتهم في العلوم وتشجيعها في عهد علي بن يوسف بل اخذوا يشجعون على بناء عشرات المدارس والمساجد لنشر الوعي والثقافة بين الرعية ، فظهرت في عواصم دولتهم مساجد ومدارس طارت شهرتها ، وقصدها العلماء من الشرق والغرب . فقد اشتهرت مدرسة سبته ، وطنجه ، وأغمات وسجلماسه ، وتلمسان ، ومراكش على حداثة نشأتها لوجود مقر السلطان فيها ، فأصبحت قبلة القصاد ، وورد اليها العلماء من كل فج لينعموا بالحياة قريباً من الامراء . كما نهضت مدارس الاندلس نهضة موفقة فاشتهرت عدة مدارس منها : مدرسة قرطبه ، ومرسيه ، والمريه ، واشبيليه ، وطرطوشه ، وبلنسيه ، وغرناطه ، وشاطبه ، وسرقسطه ، ودانية ، وغيرها . "٦"

---

١ — الجراري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٩٧ — ٩٨ .
٢ — ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ١ ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .
٣ — المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ .
٤ — الجراري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٩٨ .
٥ — البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٥٧ .
٦ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣١ — ٤٣٢ .

ومن المساجد التي اشتهرت بالدراسة العلمية ، مسجد زقاق الماء بعدوة القرويين ، ومسجد الحوراء ، ومسجد قرطبة ، ومسجد يوسف بن تاشفين في مراكش ، ومسجد القرويين . "١"

وكانت كل مدرسة من هذه المدارس تشتهر بلون من الوان المعرفة أو بهما جميعا . فعلى سبيل المثال ازدهرت مدارس مدينة المرية ازدهارا شاملا في جميع مناحي الحياة العلمية من ادبية ، وشرعية ، وطبية وغيرها . "٢" واشتهرت مدارس سبته بتدريس علم الاصول والكلام ، واشتهر مسجد القرويين بتدريس مختلف العلوم "٣" ، وبذت قرطبة اشبيليه في العلوم ، الا ان الثانية بذت الاولي بالموسيقي والغناء ، وهذا ما اشار اليه ابن رشد حين قال : ((اذا مات عالم باشبيليه فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبه حتى تباع فيها ، وان مات بقرطبه فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيليه)) . "٤"

ومن المدن المشهوره التي لعبت دوراً ثقافياً هاماً في غربي افريقية في عهد علي بن يوسف مدينة تنبكت التي انشئت في اواخر القرن الخامس الهجري / الحادي

---

١ ـ الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ ـ
الجراري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه
ج ١ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .
٢ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦
٣ ـ الجراري : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .
٤ ـ بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ، ص ٦٢ .

عشر الميلادى على ضفاف النيجر . وقد ساعد ذلك على ازدهارها تجارياً فكان يقصدها التجار عن طريق النهر وتصل اليها القوافل التجارية عن طريق مراكش . وما لبثت ان طارت شهرة هذه المدينة في الآفاق فهرع اليها العلماء من المغرب الاقصى والاندلس ومصر ، ومن نواحي اخرى مختلفة ، وبني بها المسجد الجامع والمساكن والاسواق . وفي عهد علي بن يوسف ايضا تألق نجم مدينة جني من الناحية الثقافية بعد ان اسلم اهلها في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى فأمها العلماء والفقهاء حتى غدا فيها اربعة آلاف ممن يشتغلون بالعلم . "١"

اما عن طريقة التعليم في هذا العصر فقد وجه اليها القاضي ابن العربي النقد وذلك في مقدمة كتابه " قانون التأويل " . ذلك ان طلب العلم كان يمر بمرحلتين : الاولى حفظ القران ، والثانية مرحلة تلقي العلوم الاولية . وفي ذلك يقول ابن العربي ((ويا غفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الصبي بكتاب الله في اول عمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في امر غيره اهم عليه منه)) . وكان المنهج الذى طالب به يقتضي ان يبدأ الطالب بتعلم العربية والاشعار ، وينتقل الى الحساب ، ثم ينتقل بعد ذلك الى دراسة القرآن وحفظه ، وبعد ذلك يحصل الطالب على التوالي اصول الفقه ثم الحديث مقتصرا فيه على الصحيح ، ثم علوم الحديث ، ثم تطبيق هذه العلوم جميعا على آيات القرآن .

وقد عرض ابن خلدون الى مذهب ابن العربي هذا ثم قال : ((وهو لعمرى مذهب حسن الا ان العوائد لا تساعد عليه ... من تقديم دراسة القرآن ايثارا

---

١ — حسن احمد محمود : المرحلة الافريقية في تاريخ دولة المرابطين ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ١٢ ، سنة ١٩٦٤ — ١٩٦٥م ص ١١٦ — ١١٧ .

للتبرك والثواب ، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن)) . "١" كذلك نصح ابن العربي بعدم تعليم الجوارى والغلمان بشكل مختلط لان ذلك مفسده . "٢"

وترتب على الاهتمام بالحياة العلمية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين زيادة العناية بالمكتبات الخاصة فاشتهرت مكتبة امير المسلمين على بن يوسف في مراكش وطارت سمعتها في الافاق . وتتضح هذه الشهرة من خلال بعض مخلفاتها في العصر الحاضر ، فهناك نسخة من موطأ مالك في عدة اجزاء في رق الغزال ثبت في جزئها الحادى عشر العبارة التالية : ((مما كتبه لخزانة امير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف ادام الله تأييده ونصره)) ، وكان نسخها في شهر شعبان عام ٥٠٢ هـ ، وسيرة ابن اسحاق المنسوخه عام ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م . "٣"

ومن المكتبات المشهورة ايضا مكتبة ابن الصقر في مراكش ، وهي من انشاء الحافظ ابي العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد الانصارى الخزرجي الغرناطي (٥٠٢ - ٥٦٩ هـ / ١١٠٨ - ١١٧٣ م) ، وكانت مكتبة كبيرة مملوءة بالذخائر قال عنها صاحب الديباج المذهب : ((انه اقتنى من الكتب جملة وافرة سوى

---

١ - رضا عبد الجليل الطيار : الدراسات اللغوية في الاندلس منذ مطلع القرن السادس الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، ص ٣٠ .

٢ - احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٨ - ٩ - الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٥ - ١٥٩ .

٣ - عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

ما نسخ بخطه الرائق ، وكان معه عند توجهه لمراكش خمسة احمال كتب ، وجمع منها بمراكش شيئاً عظيما)) • وقد نهبت هذه الكتب عندما دخل عبد المؤمن ابن علي مراكش "١" • وليس ثمة شك انه كانت هناك عشرات المكتبات الخاصة في المغرب والاندلس لكبار العلماء أمثال ابن العربي ، وابن رشد ، وابن باجه ، وابن زهر وغيرهم •

ومما زاد ايضا في اذكاء شعلة العلم في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف ما كانت تتمتع به البلاد في بداية حكمه من استقرار سياسي ورخاء اقتصادي ، فشجع ذلك على تنشيط الرحلة من اجل طلب العلم ، والتنقل للأخذ عن مشاهير العلماء سواء في داخل نطاق دولة المرابطين أو في اى صقع من اصقاع العالم الاسلامي • وتحفل كتب التراجم باسماء عشرات المغاربة والاندلسيين ممن رحلوا الى بلاد المشرق للقاء العلماء والاطلاع على الكتب الجديدة في مختلف فنون المعرفة ونقلها منه الى المغرب والاندلس ، فضلا عن الهدف الاساسي للرحلات وهو الحج والتجارة • كما شهد هذا العهد ايضا نشاط رحلات المشارقة الى بلاد المغرب والاندلس اما للاتجار ، واما لطلب العلم • "٢"

ومن الذين رحلوا الى المشرق ابراهيم بن احمد السلمي المعروف بابن صدقه من اهل غرناطة • الذى سمع في مصر من ابي بكر الطرطوشي في عام ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م • كما رحل ابو الطاهر السلفي الى مكة المكرمة عام ٥١٦ هـ/ ١١٢٢ م

---

١ — محمد المنوني : العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٨٥ — ٢٨٦ •

٢ — لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٣٩ •

وسمع من جلة علمائها ثم عاد الي بلاده "١" . ورحل حسن بن ابراهيم بن محمد ابن تقى المالقي الى الاسكندرية عام ٥١٥ هـ / ١١٢١م "٢" . ورحل الفيلسوف الطبيب ابو الصلت امية بن ابي الصلت الاشبيلي الى مصر وحبس نفسه في خزائن كتبها عشر سنوات ، وقد توفي في عام ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م . "٣"

وممن رحل الى مصر ايضا الحسن بن عمر الحسن الاشبيلي الذى توفي عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م "٤" . وكذلك رحل ابو هارون موسى بن عبد الله بن ابراهيم من مدينة أغمات الى مصر والحجاز ، والعراق ، وخراسان ، ونيسابور ، وكان قدومه الى المشرق عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م "٥" . ورحل كاتب الامير تميم بن يوسف ، علي بن الامام الى مصر ايضا . "٦"

وممن رحل الى بغداد ابو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطي المتوفي عام ٥١٦ هـ / ١١٢١م ، وهو من الفقهاء الفضلاء ، ورد بغداد واقام فيها مدة في المدرسة النظامية ، ثم خرج الى خراسان ، وسكن مرو الى ان توفي "٧" . وفي عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م رحل ابو حامد محمد بن عبد

---

١ ـ ابن الابار : المعجم ، ص ٦٦ .
٢ ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٧٢ .
٣ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .
٤ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .
٥ ـ الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .
٦ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٦ .
٧ ـ الاصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .

الرحيم المازني القيسي الغرناطي الى مصر ثم عاد الى قرطبة ثم غادرها الى الاسكندرية عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م مرة اخرى ، وفي عام ٥١٦ هـ / ١١٢١ م نجده في بغداد حيث امضي فيها اربعة اعوام ، وفي عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م رحل الى ايران ، واستمر في رحلاته الى ان وافته منيته في دمشق عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م . "١"

وقد نشط المغاربة والاندلسيون في الرحيل الى بلاد الشام ايضا لزيارة بيت المقدس ، وطلب العلم . فكانت المؤلفات الاندلسية والمغربية تصل الى بلاد الشام بسرعة متناهية حتى ان المخطوطة الوحيدة المعروفة لديوان الشاعر الزجال ابن قزمان ، الذى عاش في قرطبة في عهد امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين والمسماه : ((اصابة الاغراض في وصف الاعراض)) قد كتبت في مدينة صفد الفلسطينية في منتصف القرن السادس الهجرى . "٢"

ويبدو ان عدد المغاربة الذين وفدوا الى المشرق خاصة الى فلسطين واستقروا في بيت المقدس ودمشق قد تزايد في عهد علي بن يوسف حتى اصبحوا يشكلون تجمعا ضخماً مما اضطر نور الدين محمود فيما بعد الى تعيين اوقاف للمغاربة في دمشق منها طاحونتان وسبعة بساتين وحمام ودكانان ، وكانت هذه الاوقاف تغل ما يقرب من خمسمائة دينار في العام . "٣"

---

١ - كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي ، ج ١ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

٢ - بروفنسال : المرجع السابق ، ص ٥٧ - احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

٣ - سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٢٦ .

وفضلاً عن ذلك فان ما وصلت اليه الدولة المرابطية من تقدم حضاري وثقافي قد جلب اليها طلبة العلم من مناطق مختلفة من الشرق ، وهذا ما اكده ابراهام ابن داود احد المعاصرين ليهودا هاليفي (٤٧٨ - ٥٣٦ هـ / ١٠٨٥ - ١١٤١م) حين ذكر انه رأى في الاندلس بعضا من ابناء الخزر "١" يطلبون العلم ، وقد جرى العرف على اعتبار هؤلاء امراء خزريين . "٢"

وكذلك لم تخل العلاقات العدائية بين الممالك النصرانية الأسبانية والدولة المرابطية دون استفادة هذه الممالك من هذه النهضة العلمية الميمونة فأنشئت مدرسة للترجمة في مدينة طليطلة برئاسة الاسقف رايموند بعد ان استولى الفونسو السادس عليها ، وكانت تضم عددا كبيراً من المترجمين الذين نقلوا المؤلفات العربية في مختلف العلوم . وقد توالى على هذه المدرسة المترجمون من مختلف انحاء اوروبا يطلبون علوم العرب والمسلمين وينقلونها الى اللاتينية . "٣"

لقد ساعدت العوامل السابقة على تنشيط حركة التأليف وازدهار الحياة الثقافية ، هذا ويعتبر عهد علي بن يوسف بحق عهد كبار الحفاظ امثال :

---

١ - شعب من اصل تركي نشط في القرن السابع حتى الحادي عشر الميلادي ، وامتد نفوذهم فيما بين البحر الاسود وبحر قزوين ومن القوقاز حتى الفولجا انظر ارثر كوستلر : امبراطورية الخزر وميراثها ، ص ١١ .

٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٩٧ - ٩٨ .

٣ - الجراري : اثر الاندلس على اوروبا في مجال النغم والايقاع ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ ابريل - مايو - يونيو ١٩٨١م ، ص ١٩ - عبد الرحمن الحجي : اندلسيات ، ص ١٦٤ .

ابن العربي ، وابي علي الصدفي ، والقاضي عياض ، وعهد كبار رجال البلاغه كأبن ابي الخصال ، وابن القصيره ، وعصر الدواوين الشعريه ، والموشحات والازجال ، والتآليف الفقهية ، والنحوية ، واللغوية ، والكلامية ، والتاريخية ، والعبقرية الطبية الممثلة بابن باجه وال زهر اساتذة العالم في هذه العلوم في ذلك الوقت وحتى فترة قريبة من هذا العصر لما قدموه من اكتشافات باهرة سواء عن طريق اكتشاف امراض جديدة او طرق علاج مبتكره ، أو عمليات جراحية معقده كشف عنها العلم حديثا ، كما تألقت العلوم الفلسفية لتبلغ القمة في هذا العهد .

وحتى نقف على مدى التطور العلمي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين سنتحدث بشيء من الايجاز عن اهم معالم هذا التطور في المجالات التالية :

١ ـ الدرايات الشرعية (الحديث ـ القراءات والتفسير ـ الفقه والاصول ـ احراق كتاب احياء علوم الدين للغزالي) .

٢ ـ الدراسات الادبية (الشعر ـ النثر ـ النحو) .

٣ ـ الدراسات الطبيعية التجريبية (الطب ـ الصيدلة والكيمياء) .

====

الدراسات الشرعية :

من المعلوم ان دولة المرابطين قامت على اساس ديني ، لذا عمل حكامها على تشجيع دراسة العلوم الشرعية بكل وسيلة ، فقربوا الفقهاء واغدقوا الاموال عليهم واخذوا بمشورتهم في الامور الجليلة والضئيلة "١" . وبذلك كان الفقهاء في دولة المرابطين يوجهون سياستها ، ويتحملون مسؤولية حماية كيانها والاشراف على تنفيذ تعاليمها ، وان مجرد القاء نظرة شاملة على تراجمهم في كتب التراجم تكفي لمعرفة كثرة اعدادهم . وهذا طبعا يعكس المكانة السياسية والاجتماعية الرفيعة التي حصل عليها الفقهاء في هذه الدولة ، وهي مكانة لم يصل اليها الفقهاء في اى دولة اسلامية سابقة خلال الصدر الاول من التاريخ الاسلامي حتى غدا لقب الفقيه في هذه الحقبة لا يعد له لقب . وكان المرابطون يسمون الامير العظيم منهم الذى يريدون التنويه به بالفقيه "٢" ، مما جعل الفقهاء في مركز يحسدون عليه من قبل بعض افراد الرعية وبشكل خاص من قبل الادباء .

لقد كانت تجربة المرابطين مع الفقهاء تجربة فريدة في التاريخ الاسلامي وهي مفخرة لهم ، وتدل على حكمة وبعد نظر ، لان المرابطين باعتمادهم على الفقه كانوا يرفضون العفوية واللاعقلانية ، وينظرون للحكم والدولة من خلال تصور علمي ، وتمثل واع يتجليان عندهم في التعليم الاسلامية . "٣"

---

١ — حسن محمود : قيام دولة الموحدين ، ص ٤٢٨ — ٤٢٩ .

٢ — الجراري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٨٩ — ٩١ .

٣ — المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٩٠ .

أجل لقد نهضت الدراسات الشرعية نهضة مباركة في عهد هذه الدولة خاصة في عهد علي بن يوسف ، فألفت عشرات الكتب في الحديث والقراءات ، والتفسير ، والفقه والاصول .

الحديث :

=============

ومن ائمة علماء الحديث في عهد علي بن يوسف ، الحسين بن محمد بن قيره بن حيون ابو علي الصدفي المعروف بابن سكره السرقسطي المتوفي عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م الذى كان حافظا للحديث عارفا باسماء رجاله وخبيرا بعلله . وبعد ان استقر في مدرسة مرسية للتدريس شد طلاب العلم اليه الرحال ، وتحت ضغط الرعية تولى قضاء مرسية الا انه ما لبث ان عزل نفسه واختفى فلم يعثر عليه عندها اعفاه علي بن يوسف من منصبه . "١"

ومن مشاهير المحدثين ايضا احمد بن طاهر بن عيسي بن رصيص الداني (٤٦٧ - ٥٣٢ / ١٠٧٤ - ١١٣٧م) الذى ألف على الموطأ تصنيفا سماه " الايماء " ، وله ايضا مجموع في رجال مسلم بن الحجاج "٢". وصنف محمد بن علي المازرى المتوفي عام ٥٣٦ هـ/ ١١٤١م مصنفا سماه " المعلم في شرح مسلم " "٣" . وألف القاضي عياض عدة مؤلفات منها : شرح صحيح مسلم ،

---

١ - ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٣٣٠ - ٣٣٢ .
٢ - المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
٣ - وهو لا يزال مخطوطا في الخزانة الملكية في الرباط تحت رقم ٣٢٠ .

والالماع في ضبط الرواية ، وتنبيه الانام في مشكل الحديث "١" ، أمـــا عبد الله بن محمد بن السيد (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) فألف كتابا في شرح الموطأ "٢" . كما ألف عبد الله بن احمد بن سعيد بن يربوع بن سليمان — (ت ٥٢٢ هـ / ١١٢٨م) كتابا سماه ((تاج الحلية وسراج البغية فـــي معرفة اسانيد الموطأ)) ، وألف ايضا كتابا آخر سماه ((المنهاج في رجـــال مسلم بن الحجاج)) . "٣"

ومن اشتهر ايضا بالاشتغال بالحديث عبد الجليل بن عبد العزيز بـــن محمد الاموى المعروف بابن الملون (ت ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) ، وهو من أهـــل قرطبه "٤" ، ومحمد بن احمد بن طاهر القيسي (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م) "٥" ومحمد بن حسين بن أحمد الانصارى (ت ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) ، وهو مـــن أهل المرية "٦" . وعبد الله بن عيسى الشيباني (ت ٥٣٠ هـ / ١١٣٥م) الذى كان يحفظ صحيح مسلم "٧" . وزياد بن محمد بن احمد بن سليمان التجيبي — (ت ٥٢٦ هـ / ١١٣١م) ، الذى كان متفننا بالحديث وروايته "٨" . وميمون

---

١ ــ ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
٢ ــ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .
٣ ــ المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣ .
٤ ــ ابن الابـــار : المعجم ، ص ٢٦٤ .
٥ ــ المصدر السابق نفسه ، ص ١٥١ .
٦ ــ المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٣ .
٧ ــ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .
٨ ــ المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

ابن ياسين احد امراء المرابطين ، الذى رحل الى بلاد المشرق بطلب الحديث ، وسمع هناك صحيح مسلم ، وصحيح البخارى على اعلام ذلك العصر ، ثم عاد الى بلاده ، واخذ يحدث في اشبيلية "١" ، ومحمد بن الحسين بن احمد بن يحيى الانصارى الخزرجي الميورقي الذى كان محدثا عالي الرواية ، عارفا بالحديث مشهور بالاتقان والضبط "٢" ، واحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي المعروف بابن المؤخي (ت ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) ، وكان ينفرد في عصره بالحديث ، كتب اليه ابو علي الصدفي وحدث عنه بالاجازة "٣" ، واحمد بن عمر بن يوسف ابن ادريس بن عبد الله بن ورد التميمي (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) الذى كان له مجلس يتكلم فيه على الصحيحين ، وكان يخص يوم الخميس للتفسير . "٤"

---

١ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

٢ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .

٣ - ابن الابار : المعجم ، ص ١٧ .

٤ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٧٠ - ١٧١ . ومن المحدثين ايضا احمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي (ت ٥٤٠ هـ) ، من اهل المرية ، وقد ألف في شرح كتاب البخارى كتابا كبيرا .

- انظر : رضا عبد الجليل الطيار : الدراسات اللغوية في الاندلس ، ص ١٦٩ .

القراءات والتفسير :ـ

================

وفي مجال القراءات والتفسير برز عدد كبير من العلماء منهم : ابو بكر بن العربي الذى ألف تفسيرًا للقرآن يقع في ثمانين جزءا سماه " انوار الفجر في تفسير القرآن " وهو مفقود "١" . وابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي الغرناطي (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) الذى ألف تفسيرا سماه " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " في عشر مجلدات "٢" ، وله ايضا برنامج رتبه وفق اسماء شيوخه ذاكرا مروياته عنهم "٣" ، وعلي بن عبد الله بن محمد بن وهب الجذامي (ت ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) من أهل المرية الذى جمع تفسير القرآن في كتاب حسن "٤" ، ومحمد بن ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن الاسود الغساني (ت ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) ، والذى كتب تفسيرا للقرآن الكريم . "٥"

واعتنى احمد بن محمد بن العريف (ت ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) عناية خاصة بالقراءات وبطرائقها المختلفة "٦" . وكان احمد بن احمد بن خلف الانصاري

---

١ ــ عبد الرحمن الحجي : جوانب من الحضارة الاسلامية ، ص ٤٧ ، وكذلك لابي بكر تفسير احكام القرآن المشهور .

٢ ــ المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ ــ ٢٨١ ــ ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٢٦٣ ، حاشية رقم ٢ .

٣ ــ رضا عبد الجليل الطيار : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

٤ ــ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

٥ ــ ابن الابار : المعجم ، ص ١٢٦ ــ ١٢٧ .

٦ ــ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٤٤١ ــ ٤٤٢ .

(ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) امام المقرئين في غرناطة متفننـــا في علم القراءات ،
وألف فيها كتابا سماه : " الاقناع في القراءات " . "١"

ومن نبغ في هذا العلم ايضا ابراهيم بن احمد بن خلف بن الحسن بـــن
الوليد السلمي من اهل فاس ، وابو اسحاق المعروف بابن فرتون (ت ٥٣٢ هـ
/ ١١٤٢ م) "٢" ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن اصبغ
المشهور بالسهيلي ، ومن مؤلفاته : ((الشريف والاعلام بما ابهم في القرآن مـــن
اسماء الاعلام)) ، وشرح اية الوصية ، والروض الانف وغيرها . "٣"

====

---

١ ـ ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ .
٢ ـ ابن الآبـار : المعجـــم ، ص ٦٢ .
٣ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٤٧٧ ـ ٤٧٩ .

الفقـــه والأصـــول :

=================

ومن برز في الفقه والاصول محمد بن حكيم بن محمد بن احمـد الجذامي المتوفي عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وهو من اهل سرقسطه ، سكـن غرناطة ثم مدينة فاس ، وكان متحققا في علم اصول الفقه حافظا له ، ومـن مؤلفاته : ((شرح كتاب الايضاح للفارسي ، كذلك صنف في الجدل مصنفين . "١"

ووضعت طائفة من علماء الاندلس مؤلفات في شرح كتب الصحاح منها : عارضة الاحوذى في شرح صحيح الترمذى من تأليف ابي بكر بن العربي ، وشـرح صحيح البخارى الذى ألفه احمد بن محمد بن عمر التميمي المتوفى عام (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) "٢"

وممن اشتهر ايضا بدراسة الفقه والاصول احمد بن علي بن يحى بـن افلح بن زرقون (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) "٣" ، ومحمد بن حسين بن ابـي بكر المعروف بالخناط المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م "٤" ، ومن الثغر الاعلي احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الانصارى ، الذى كان يعد من اصحاب

---

١ ـ ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .
٢ ـ رضا عبد الجليل الطيار : الدراسات اللغوية في الاندلس ، ص ١٦٩ .
٣ ـ ابن الابار : المعجم ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .
٤ ـ المصدر السابق نفســه .

الثقافة الموسوعية ، فقد كان متقدماً في الحديث ، والقراءه ، والفقه ، والاصول وعلم الكلام . ومن مؤلفاته كتاب بدأ به ولم يكمله اسمه " انوار الفجر فيمن دخل جزيرة الاندلس من الزهاد والابرار " الا انه توفى قبل اتمامه فكمله ابنه عبد الله . "١"

أما ابن رشد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) فقد ألف عدة مؤلفات في هذا الحقل منها ، " البيان والتحصيل " وذلك تحت الحاح بعض اصحابه من اهل مدينة جيان ، وبعض الطلبه من اهل مدينة شلب "٢" ، وألف ابراهيم بن جعفر اللواتي (ت ٥١٣ هـ / ١١١٩ م كتابا سماه " مختصر الفقه " . على ان اهم كتب وضعت في الفقه في عهد علي بن يوسف هي كتب القاضي عياض المتوفي عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ، خصوصا كتاب اجوبة القرطبين ، وكتاب النوازل القضائية . "٣"

وانتهت الرياسة في الحفظ والفتيا الى ابي بكر بن عبد الله بن الجد الفهري المتوفي عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م ، والذي قدم للشورى مع ابي بكر بن العربي في سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م . "٤"

---

١ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .
٢ ـ ابن رشد : مسائل ابى الوليد بن رشد ، ج ١ ، ص ١٩ ، ٢١ .
٣ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .
٤ ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

احراق كتاب احياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي :ـ

==================================

ونختم الحديث عن هذا الموضوع بالحديث عن قضية اثارت جدلا علميا ، وهي قضية احراق كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي المتوفي عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، وفي عهد ابنه تاشفين . وملخص القضية انه ما ان وصل كتاب احياء علوم الدين الى المغرب والاندلس ، وقرأه الفقهاء خاصة القاضي ابن حمدين قاضي قرطبة حتى ثارت ثائرتهم ، وتنادوا لدفع الامر الى امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، فاجتمعوا به واجبروه بوجوب حرق الكتاب ، واعدامه ، لما يحمل من بدع المتكلمين وضلالاتهم ، وأفتوا بأنه لا تجوز قراءته بحال من الاحوال ، فأمر علي بن يوسف بالبحث عن كتاب الاحياء بحثا أكيدا ، وكتب بذلك الى سائر الامصار التابعة له ، وامر بتفتيش مكاتب الخاصة والعامة ، وان يحلفوا بالايمان المغلظة (الطلاق / والعتاق) بأنهم لا يملكون كتاب الاحياء . كما امر امير المسلمين علي بمنع دخول جميع كتب الغزالي الى المغرب والاندلس ، وانزل اشد العقوبات بمن وجد عنده منها شيئا ."١"

ونفذ أمر علي بن يوسف على اكمل وجه ، واحتفل الفقهاء في مدينة قرطبة بحرق نسخ كتاب احياء علوم الدين بعد ان اشبعت بالزيت على الباب الغربي لرحبة

---

١ ـ مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ محمد المنتصر الكتاني : الغزالي والمغرب ، ص ٧٠٧ ـ ٧٠٨ .

المسجد ٠"١"

وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين تفسير هذا العمل ، فعلل حسن ابراهيم حسن "٢" الحرق بسببين : الاول منها ان الاتجاه الفقهي في هذا الكتاب يسير على مذهب الامام الشافعي ، والثاني ان الكتاب صوفي بروحه يسير على الفلسفة الكلامية التي كان يحرمها المالكية ويخشون منها على مذهبهم لذلك افتوا باحراقه ٠

ويرى عبده بدوي "٣" ان سبب الاحراق يعود لجمود الفكر في تلك الحقبة.

ويعزو السيد عبد العزيز سالم "٤" سبب الاحراق الى ما حواه الكتاب من فضح لنزعات الفقهاء في دراساتهم الفقهية ، وخوضهم على الدنيا ، وطمعهم في الحصول على المناصب الرفيعة ، وحسدهم للعلماء والزهاد ٠ فالعلم عند الغزالي ليس حرفة أو مهنة دنيوية تعود على صاحبها بالربح العاجل وانما هو (((عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله))) ٠

أما احمد امين "٥" فقد ادلى بدلوه في هذه القضية وقال : (ان يوسف ابن تاشفين ذو نزعة دينية تخالف نزعة الغزالي ، وكره فيه افراطه في الدعوة الى

---

١ — ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٥٩ — هذا وقد اختلف في تاريخ هذا الاحراق فيذكر محمد عبد الله عنان (عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٨ — ٧٩) انه تم عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م — ويرى محي الدين عزوز (التطور المذهبي بالمغرب ص ٧٥) ان الاحراق كان عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م — اما الجراري (الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٩٤ — ٩٦) فيرى انه حدث في اواخر عهد المرابطين ٠

٢ — تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٤٥٦ ٠

٣ — مع حركة الاسلام في افريقية ، ص ٥٤ ٠

٤ — المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٤ — ٧٤٥ ٠

٥ — ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٣٧ ٠

محاسبة النفس ، فأصدر قاضي قرطبة مع عدد من الفقهاء فتوى تشتهر الغزالي مبتدعاً زنديقاً ، وعلى ذلك احرقوا كتابه (احياء علوم الدين) .

الا انني لم اعثر على مصدر ذكر فيه أن الاحراق قد تم في عهد يوسف بن تاشفين بل ان الذي تمدنا به المصادر هو الحديث عن علاقات طيبة كانت تربط الغزالي بيوسف بن تاشفين وهذا ما أتضح من خلال طلب يوسف فتواه في اسقاط ملوك الطوائف ومحاولة الغزالي مقابلة يوسف ، حيث ذكر انه شد الرحال قاصداً يوسف الا أنه لما وصل الى مصر جاءه نعي يوسف فعاد من حيث أتى وهذا ما أوضحناه في الباب الاول

ويرى محمد عبد الله عنان "١" أن أهم عوامل الاحراق هي : ما حواه الكتاب من حملة لاذعة على علماء الفروع ، والتنويه بجهلهم وسخف مجادلاتهم السطحية ووصف الغزالي لهم بأنهم مجانين ، وكونهم يجهلون علم الاصول الذي ينوه الغزالي بأهميته وعظم قدره .

هذا ويشك فريق في القضية من الاساس ولا يستبعدون ان الاحراق قد يكون قصة مفتعلة من وضع بعض المتزلفين من اتباع المهدي بن تومرت . "٢"

---

١ ـ عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٨ ـ ٨٠ .

٢ ـ ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١١١ ، حاشية رقم ١ .

ويرجح ان اهم عوامل احراق كتاب احياء علوم الدين هي :-

اولا :-

===== ان الكتاب تضمن تعريضا بهؤلاء الفقهاء الذين اقبلوا على الدنيا ، ومما ورد في هذا الكتاب مجموعة نقول منها : قال سعيد بن المسيب رحمه الله : اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فهو لص . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم الى غير ذلك من الآثار التي لم تعجب الفقهاء ، ولعلهم رأوا فيها تحريضا للعامة عليهم ، لا سيما اذا علمنا ان الفقهاء كانوا يتمتعون بسلطات واسعة في هذا العهد فامتلكوا المال والسلطة ، مما أغاظ المنافسين لهم من العلماء والادباء الذين لم يدخروا وسعا ، ولم يتركوا مناسبة ليشهروا بهم "١" . كما ان الغزالي افرد الباب السادس من كتابه احياء علوم الدين لعلماء السوء . "٢"

ثانيا :-

======= لعل الاحراق يعود الى اشتداد الصراع بين المتصوفه والفقهاء ، وبما ان كتاب الاحياء قد جمع بين احكام الورع واداب المتصوفه ، فقد كان خطرا على الفقهاء لانه سيرجح كفة المتصوفه ، ولذلك افتى الفقهاء باحراقه . "٣"

هذا ولم يمر احراق كتاب احياء علوم الدين دون معارضة بعض الفقهاء ، والعامه وعلى رأس هؤلاء علي بن محمد بن عبد الله الجذامي ، وابو الحسن المقرى من

---

١ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

٢ ـ ابو حامد الغزالي : احياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٥٨ ـ ٦١ .

٣ ـ ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

أهل المرية ، والمعروف بالبرجي ، وابو القاسم بن ورد ، وهو من فقهاء المريـــة ايضا ، وابو الفضل النحوى احد فقهاء قلعة حماد ."١"

ويذكر ان البرجي (ت ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م) أفتى بتأديب من يحرق كتاب الاحياء وتضمينه قيمته لانه مال مسلم . وكان البرجي مشاوراً في الاحكام في مدينـــة المرية فلم علم ابن حمدين بفتواه عزله . "٢"

كما انتصر ابو الفضل النحوى (ت ٥١٣ هـ / ١١١٩م) لابي حامد الغزالي وكتب لأمير المسلمين علي بن يوسف بذلك ، وأفتى بأن الأيمان التي فرضت في عمليـــة التفتيش ايمان لا تلزم ، وقال : ((وددت أنني لم انظر في عمرى سوى كتاب الاحياء)) وكان قد انتسخ كتاب الاحياء في ثلاثين جزءا فاذا دخل رمضان قرأ كل يوم جزءا "٣" . وذكر ايضا ان سيد علي بن حرزهم عتكف على قراءة الاحياء في بيته مدة سنه . "٤"

على أى حال استمرت مطاردة كتاب احياء علوم الدين حتى بعد وفاة علـــي ابن يوسف عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م ، وهذا ما أكدته احدى الرسائل الصادره عـــن تاشفين بن علي والمؤرخه في جمادى الاولى عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م والموجهه الـــى اهل بلنسيه نص فيها على احراق كتاب احياء علوم الدين ومما جاء فيها :

((.... ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعه ، وخاصة وفقكم الله كتـــب أبي حامد الغزالي فليتتبع اثرها وليقطع بالحريق المتتابع خبرها ، ويبحث عنهـــا ، وتغليظ الايمان على من يتهم بكتمانهـــا)) . "٥"

---

١ ــ المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٤ ــ ١٩٦ .
٢ ــ ابن الابـــار : المعجـــم ، ص ٢٧١ ــ ٢٧٢ .
٣ ــ الســـلاوى : الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
٤ ــ ابن الابـــار : المعجم ، ص ٢٧٣ ، حاشية رقم ١ .
٥ ــ حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطيـــن الى الموحدين ص ١١٣ ، انظر نص الرسالة كاملة في نفس المقال ، ص ١١٠ ــ ١١٣ .

الدراسـات الأدبيـة :ـ
===================

يصر بعض الباحثين المحدثين على ان الحركة الادبية لم يكتب لها التشجيع في هذا العهد ، فعاش اكثر الادباء والحالة هذه قابعين يترقبون الفرصة في العهد الموحدى ، الذى امتاز بنهضة ادبية شاملة "١" . فالعهد المرابطي على حد زعمهم عهد تراجعت فيه منزلة الشعراء ، وكسدت بضاعة الشعر ، وخلت الساحة لرجال السيف والفقهاء "٢" ، ويستشهدون على تراجع مكانة الشاعر وتدهور الحياة الادبية بصرخة بعض الشعراء من ذلك الوضع خاصة ما قاله الاعمى التطيلي من قصيدة من بعض ابياتها :ـ

يادولة الضيم اجملي او تجاملي ... فقد اصبحت تلك العرى والعرائك

ويا "قام زيد "اعرضي او تعارضي ... فقد حال من دون المنى قال مالك . "٣"

ولكن ما هي المنطلقات التي اتخذت لوصف العصر المرابطي بالتخلف الادبي وانحطاط مكانة الاديب ؟ اجل اذا كان الحكم ينسحب على عهد يوسف بن تاشفين فقط فنحن نسلم بأن تلك الفترة قد شهدت كساداً لسوق الشعر ، لان المرابطين شغلتهم في اول الامر امور الجهاد فلم يحفلوا بالشعر والادب "٤" ، الا ان هذا الحال لم يستمر اذ اقبل امراء المرابطين في عهد علي بن يوسف على تشجيع الشعراء والادباء ، واصبحت مجالسهم تغص بمادحيهم فعادت سيرة الشعر الاولى ، وبدأت الحياة الادبية في عهد علي بن يوسف زاهية براقة ، واخذ بعض الامراء يقلدون

---

١ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ،ج ١ ،ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ الجرارى : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

٢ ـ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، ص٩٠

٣ ـ ديوان الاعمى التطيلي ، ص ، ف ، ص ، ق .

٤ ـ الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ ،ج ١ ،ص ١٥٢ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥ .

ملوك الطوائف في عهود هم الزاهره ، فاتخذوا السمار والندماء ، واستمعوا — للشعر والموسيقى "١" ، وركنوا لحياة الدعة والترف مما كان سبباً في اندثار عقد دولتهم وهى ما تزال في ريعان شبابها .

واذا كان اختفاء شعر الخمريات ، والغزل هو المقياس في الحكم على تقدم او انحطاط الادب فنحن نسلم بأن الادب قد انحط من هذه الناحية لاختفاء هذا اللون المتبذل من الادب لان دولة المرابطين دولة قامت على تعاليم الاسلام النقية واختفاء شعر الخمريات والغزل دليل على اصالتها لانها قبلت الموازين لتعيد للادب قيمته وتصحح مسيرته التي يجب ان يسير وفقها فوضع الاديب في هذا الاطار يساعد على بروز ادب يمتاز بصدق العاطفه وقلة المبالغة يلقى له صدى في النفوس محدثا بها تأثرا واعجابا ، فالادب في هذا الطور صورة من حياة المرابطين المحتشمة وتلك هى على الاقل الصبغة العامة له . "٢"

واذا سلمنا جدلاً ان دولة الادب قد اصابها الوهن في عهد الدولة المرابطية فلابد ان نسلم بأن هذا الوهن يعود الى اواخر عهد ملوك الطوائف ، وهذا ما اكده عبد الله بن الحجارى حين قال : (((.... اجتمعت بهم (اى ملوك الطوائف)وامرهم قد هرم وساءت بتغير الاحوال ظنونهم وملوا من الشكر وضجروا من المرده ... فلم يبق فيهم فضل للافضال ...))) "٣" .

---

١ ــ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ ــ ٤٤٥ .
٢ ــ إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٠ ــ ٢٥١ .
٣ ــ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ، ص ٩١ .

على أى حال لقد شهد عهد علي بن يوسف تطورا كبيرا في مجال الادب ، ويمكن اعتبار هذا العهد عهد اكتمال ونضوج للادب الذى تمتد جذوره في اعماق تاريخ المغرب والاندلس ، والذى بدأ ازدهاره بشكل واسع في عهد ملوك الطوائف ومما ساعد على نضوج الادب في هذه الفترة اضافة للعوامل التي اشرت اليها في الصفحات السابقة من نشاط الرحلة الى المشرق ، وما كانت تتمتع به الدولة من أمن واستقرار ورخاء اقتصادى ، وتشجيع منقطع النظير للعلماء والادباء من قبل حكام هذه الدولة ، انه كان لتعدد مراكز الاشعاع الحضارى في عهد علي بن يوسف دور كبير في ابراز أدب ناضج ومشع . فقد اسهمت مدينة مراكش ، وفاس ، والمرية ، وقرطبه ، واشبيليه ، وسرقسطه ، وغيرها مساهمة فعالة في دفع عجلة الحركة الفكرية في هذا العهد . كما اسهم اتساع رقعة الدولة المرابطية ، وما ترتب على ذلك من تطور للنواحي الادارية ، وتشعب علاقاتها الخارجية في نضج الثقافة لان هذا الوضع حتم على الدولة استخدام اعداد كبيرة من الكتاب والوزراء والاداريين في مختلف النواحي لتسيير دفة الحكم ، ولعل هذا الوضع قد ادى الى اذكاء روح المنافسة بين الكتاب على تلك المناصب عن طريق التبريز في مناحي العلم وخاصة الادب ، وتجويد الكتابه ليرقوا الى مناصب مرموقة في البلاط المرابطي او ديوان الانشاء . وفعلا تطالعنا كتب التراجم في هذه الفترة باسماء عشرات الكتاب الذين تولوا الكتابة في بلاط علي بن يوسف امثال : ابن أبي الخصال وابن القصيره ، وعبد الرحمن بن محمد المعافرى ، وابو محمد عبد الغفور ، هذا علاوة عن الكتاب الذين اختصوا بأمراء المرابطين في الحواضر المختلفة ممن سنتناولهم بالحديث فيما بعد .

ولعل من نتاج المنافسة بين العلماء في هذا العصر ظهور كتب الردود ، فقد ألف عدد منهم كتبا ورسائل في الرد على غيرهم . ومن امثلة ذلك ما كان بين ابن السيد البطليوسي ، أبي محمد عبد الله بن محمد (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م)

وبين ابن خلصه ، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت ٥١٩ هـ أو ٥٢١ هـ/ ١١٢٥ أو ١١٢٧ م) من منازعات علمية ، فألف كل واحد منهما ردا على صاحبه ، وقد وصفت رسالة ابن خلصه التي رد فيها على ابن السيد بأنها من أجود الرسائل . ويبدو أنه كان من بين الاتهامات المتبادلة بين الرجلين ، أن ابن خلصه ذهب الى أن كتاب ابن السيد المعروف في شرح ادب الكاتب لابن قتيبه والموسوم بالاقتضاب ليس له ، وان ابن السيد قد اغار عليه وانتحله وان مؤلفه الحقيقي هو العالم اللغوي أبو العباس بن يلال احمد بن محمد المرسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) "١" كما كانت هناك أيضا منازعات بين ابن العربي والبطليوسي حول بعض القضايا العلمية . لقد اسهمت هذه المنافسات اسهاما فعالا في أثراء المكتبة الاسلامية بمؤلفات تمتاز بالجودة والرصانة ، وحتى نقف على مدى ازدهار الحياة الادبية في هذا العصر سنتحدث عن الشعر والنثر وما يتفرع منهما بشيء من الايجاز :-

- الشعر :

===========

لقد عاشت الامة الاسلامية في المشرق والمغرب والاندلس منذ النصف الاول من القرن الخامس الهجري سلسلة من المآسي والنكبات ، ففي هذا القرن سقطت الخلافة في الاندلس ، وفيه عاثت قبائل بني هلال في المغرب ، وفيه سقط بيت المقدس بيد الصليبيين . فالمأساة هي مأساة لمعالم وطنية تنحدر ببطء الى الضياع والنهاية ، ومأساة لمعالم دينية تتلاشي يوما بعد يوم ، ومأساة للانسان الذي يشاهد كل يوم جانبا من جوانب حضارته يتحطم وينهار ، وصرحا من صروح المجد يتحول الى خراب ودمار .

---

١ - رضا عبد الجليل الطيار : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

والنكبة تبتدئ في تراث الادب الاندلسي والمغربي منذ ان اخذت بعض مدائن الاندلس تسقط في يد الاسبان النصارى ، مثل مدينة بربشتر ، وطليطلة ، وسرقسطة ، وبلنسية . لقد تأثر الشاعر بهذه الاوضاع فتتبع بشعره هذه المحن والنكبات ، مسجلا مراحلها مخلدا شعور الرعية فيها معبرا بالدمع والدم عن تلك الاحساسات العميقة الصادقة التي كان يشعر بها الانسان تجاه الارض والدين في تجربة انسانية قل نظيرها في ادبنا العربي .

وواجه الشعراء الاندلسيون هذه النكبات والمحن بروح من الصمود والنضال والمقاومة ، فنشروا الوعي وبثوا الحماس في النفوس وكشفوا عن اسباب الهزيمة فتحملوا مسؤوليتهم في غير ضعف أو تخاذل "١" ونظموا القصائد الرائعة في مدح قادة المرابطين الذين تصدوا لهجمات الممالك النصرانية الأسبانية .

ومن هؤلاء الشعراء ابن الزقاق الذى وصف في بعض قصائده بعض المعارك التي دارت بين النصارى والمرابطين ؛ وقد صور فيها هلع الاعداء وخوفهم ، فهم يخشون قائد المرابطين حتى في المنام ، ثم انهم لرهبتهم من اسنة المسلمين ورعبهم من سيوفهم غدو يفرون من لمعان الكواكب وينفرون من الغدران توهما واشتباها ، ومن ابيات هذه القصيدة .

حتى اذا ما النقع اظلم اجفلوا	خوف التقافك فيه كالظلمان
فرقوا لطيفك في المنام ففرقوا	بين الكرى المعهود والاجفان
ولقد تروعهم الكواكب هيبة	لما حكين اسنة المران
ولربما عطشوا فحلا هم عن الغدر	اشتباه البيض بالغدران

---

١ — الطيرايسي احمد اعراب : الاصوات النضالية والانهزامية في الشعر الاندلسي ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ — ابريل — مايو — يونيو ١٩٨١ ، ص ١٣١ — ١٣٣ .

الى ان يقـــول :

راياته والنصر معقود بهـــا كقلوب اهل الشرك في الخفقان "١"

والى جانب اولئك الشعراء المناضلين الملتزمين نجد جماعة اخرى مـــن الانهزاميين ، وهى جماعة آثرت اسلوب الخضوع والخنوع واليأس على اسلوب المقاومة والنضال وفضلت العيش في أحضان الهزيمة ولم تستطع أن تسمو فوق جروحهـــا ، لقد انكمش هؤلاء الشعراء على انفسهم ، واخذوا يبكون ويشكون ، ويلقون تبعات ما حدث وما يحدث من ملمات وكوارث على الدهر ، حاثين الناس على الفرار والهروب ومن هؤلاء الشعراء ابن العسال . "٢"

ومن الموضوعات التي ازدهرت في هذا العهد شعر الطبيعية ، الـذى استمد موضوعاته من طبيعة الاندلس والمغرب الغناء . فالأندلس تمتاز بطبيعتها الاخاذه ، ومياه انهارها الغزيرة ، والتفاف غاباتها ، وكثرة حدائقها ، وبيئاتها المتباينه في جمالها . فالجنوب يمتاز باعتدال الجو وانتشار اشجار اللوز المزهـــره المزوجه بأزهار الاشجار المختلفة الضاحكه لتغريد الطيور الفرحة ، واذا سرنا الـى الشمال شاهدنا الثلوج المتراكمه على قمم الجبال . كل هذه المناظر الخلابة كـان يراها كل انسان عاش على ارض فردوسنا المفقود ولكن بمنظار غير المنظار الذى رآهـا به شاعر الطبيعة والجمال ابراهيم بن ابي الفتح بن عبد الله خفاجه (٤٥٠ — ٥٣٣ هـ / ١٠٥٨ — ١١٣٧م) الذى بقي صامتا حتى نطق في هذا العهد . "٣"

---

١ — محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ، ص ١٠٥ — ١٠٧ .

٢ — الطيراسي لمحمد اعراب : المقال السابق ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

٣ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٧ .

وابن خفاجه من اعيان مدينة شقر ذات الطبيعة الخلابة "١" والتي كان مفتونا بحبها ، والتي كان يرى فيها كل ما يدور في خلجان نفسه المرهفة فاستلهم منها عيون قصائده .

لقد كان ناظما مطبوعا يشهد بتقدمه الجميع ، مالكا لناصية البديع "٢" ، فأثنى عليه ابن خاقان "٣" فقال عنه : ((مالك اعنة المحاسن وناهج طريقها العارف بترصيعها وتنميقها الناظم لعقودها الراقم لبرودها ...)) .

ويعتبر ابن خفاجه بحق شاعر الطبيعة الاول في هذا العهد لما امتاز به شعره من رقة وانيق الفاظ ، وتعمده الاستعارات ، والكنايات ، والتورية ، والجناس ، وغيرها من المحسنات المعنوية . وقد تفرد بالوصف والتصرف فيه لاسيما وصف الطبيعة الضاحكه بما تحويه من انهار وبساتين وأزهار ، ورياض ، حتى لقبه اهل الاندلس بالجنان ، ولقبه الشقندى بصنوبرى الاندلس . كيف لا والطبيعة عنده كل شيء ، فقد شغف بها ومزج روحه وبادلها الشعور والاحساس ، وتحدث اليها كما يتحدث الى شخص حي . "٤"

ولم يقتصر ابن خفاجه في اشعاره على الطبيعة الصامته بأشجارها وأنهارها ، وسمائها ، وجبالها ، بل وصف الطبيعة المتحركة كالفرس ، والذئب وبعض الطيور "٥" .

---

١ — ابن دحيه : المطرب من اشعار اهل المغرب ، ص ١١١ .

٢ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ — ٣٦٩ .

٣ — قلائد العقيان ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

٤ — ديوان ابن خفاجه ، ص ٥ .

٥ — جودت الركابي : في الادب الاندلسي ، ص ١٠٥ — ١٠٦ .

واستطاع ابن خفاجه بأشعاره التي تمثل بشروح الطبيعة ان يكون استاذا لهذا اللون من الشعر حتى اواخر مملكة غرناطه • "١"

ولم تشغل الطبيعة ابن خفاجه عن مدح رجالات الدولة المرابطية امثال : الامير تميم ، وابراهيم ، وابن الحاج وغيرهم "٢" • ومن حسن الحظ ان ابن خفاجه خلف لنا ديوان شعر يحوى نماذج ممتازه من اشعاره ومدائحه لامراء المرابطين •

وكان ابن خفاجه اضافة لنبوغه الشعرى عالما من ائمة البلغاء نزيه النفس لا يتكسب بالشعر ، ولا يمتدح رجاء الرفد "٣" ، ولم يتصل بأحداث السياسه وقد سافر خلال حياته الى بلاد العدوة الا ان شوقه الى بلاده شده فعاد اليها حيث عاش حياة هادئه • وفي اخريات ايامه اعترته الوحشة فبكى صباه • واعتزل الناس حتى وافته منيته "٤" لأربع بقين من شوال في يوم الاحد عام ٥٣٣ هـ • "٥"

ومن نماذج شعره :—

ياأهل أندلس لله دركم	ماء وظل وانهار وأشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم	ولم تخيرت هذا كنت اختار
لا تخشوا بعد ذا ان تدخلوا سقرا	فليس تدخل بعد الجنة النار "٦"

---

١ ـ ج غومث : الشعر الاندلسي ، ص ٥٨ ـ ٥٩ •

٢ ـ ابن خفاجه : ديوان ابن خفاجه ، ص ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٦٩ ، ١٨٥ •

٣ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٩ •

٤ ـ جودت الركابي : المرجع السابق ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ •

٥ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٧ •

٦ ـ ديوان ابن خفاجه ، ص ١١٧ •

ومن الاغراض الشعرية التي ازدهرت في عهد علي بن يوسف ايضا شعر الحكمة ، وشعر التندر بالمرابطين ، والاراجيز الشعرية التاريخية .

اما شعر الحكمة فيمثله خير تمثيل الشاعر عبد الرحمن السهيلي (٥٠٧ ـ ٥٨١ هـ / ١١١٣ ـ ١١٨٥ م) ، ومن نماذج شعره في هذا الحقل :

تواضع اذا كنت تبتغي العلا وكنت راسيا عند صفو الغضب

فخفض الفتى نفسه رفعة له واعتبر برسوب الذهب "١"

ومن اعلام شعر التندر بالمرابطين الشاعر ابو بكر بن محمد بن احمد الانصاري المشهور بالأبيض (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) الذي كان مولعا بهجاء والي قرطبه المسمى الزبير . "٢"

وشارك الشاعر الابيض في هجاء المرابطين والفقهاء كلا من ابن خفاجه والشاعر اليكي الذي قال في هجاء المرابطين :ـ

ان المرابط باخل بنواله لكنه بعياله يتكرم

الوجه منه مخلق لقبيح يأتيه فهو من اجله يتلثم "٣"

ونبغ ابو طالب عبد الجبار من اهل جزيرة شقر ، والذي كان يلقب بالمتنبي بنظم الاراجيز الشعرية التاريخية ، فله ارجوزة في التاريخ تتبع فيها الاحداث من

---

١ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ ـ ٤٨١ .
٢ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
٣ ـ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

البعثة حتى وقته ، وأول ارجوزته :ـ

أبدأ باسم الله الترجيـــــز رب الانام الملـــــك

ثم بذكر المصطفى محمـــــد صلى عليه الله طول الابد

وقد ختم ارجوزته بذكر دولة المرابطين التي كان يعيش في كنفها . "١"

ومن الاغراض الشعرية التي ازدهرت في هذا العهد ايضا ازدهار رثـــاء ومدح النساء ذوات السلطان ، ومن الذين اشتهروا بهذا اللون الاعمى التطيلي "٢" الذى مدح الحرة حواء ، ورثى عددا غير قليل من النساء . "٣"

كما ازدهرت الاغراض التقليدية في الشعر وهى : الفخر الذى يمثله ابن سعيد المنسي (٤٨٣ ـ ٥٣٩ هـ / ١٠٩٠ ـ ١١٤٤ م) . أما شـــعر الخمريات والغزل ، والوصف فيمثله خير تمثيل ابن اخت الشاعر المشهور ابـــن خفاجه ، أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف بن سلمه المعروف بابن الزقـــاق ، المولود في مدينة بلنسية ، والذى توفي سنة ٥٢٨ هـ أو سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٣ أو ١١٣٥ م ، والذى اشتهر بسعة ثقافته . وقد قام بجمع شعره غرسيه غومـــــث ونشره بمدريد . "٤"

---

١ ـ ابن بسام : الذخيره ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٩١٦ ، ٩١٩ ـ ٩٢٠ ، ٩٤٤ .

٢ ـ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

٣ ـ ديوان الاعمى التطيلي ، ص ف ، ص ق .

٤ ـ ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ـ ابن دحيه : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٩ ـ ٢٠ ـ حاشية رقم ١ ـ غومث : شعراء الاندلس والمتنبي ، ص ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٨١ ـ ١٨٥ ـ غومث : الشعر =

أما شعر النسيب ، والشعر المعبر عن اللوعة واليأس من الحياة التي يحياها الاديب فيمثله ابن بقي (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) "١". كما ازدهر شعر الوقائع الحربية ، ويمثل هذا اللون من الشعر عدد من الادباء اشهرهم ابن أبي الخصال "٢" ، وابن الصيرفي "٣" ، والفقيه ابو بكر يحي بن محمد لبن يوسف . "٤"

ومن الذين اشتهروا بشعر المديح جعفر بن محمد بن ابي سعيد بن شرف القيرواني (٤٤٤ - ٥٣٤ هـ / ١٠٥٢ - ١١٣٩ م) "٥" ، وابو الحسن علي بن مهلهل الجلياني "٦" ، وابن السراج (ت ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م) "٧" ومحمد بن عيسى المعروف بابن اللبانه (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) "٨" ، وأبو اسحق ابراهيم بن عبيد الله المعروف بابن النواله "٩" ، وابو بكر بن افتتاح الذى اشتهر بمدح علي بن يوسف . وأبو بكر محمد بن رواح الذى كان نديما

= الاندلسي ص ٥٩ - ٦٠ (توجد نسخة مخطوطه لديوان ابن الزقاق ، محفوظة في مكتبة برلين ، ورقمها في فهرس اهلوارد ٧٦٨١ ، وتوجد اخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق انظر غومث : شعراء الاندلس والمتنبي ، ص ١٦٨ .

١ - غومث : الشعر الاندلسي ، ص ٦٠ - ٦٢ .

٢ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

٣ - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٢٤ - ١٢٩ .

٤ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٥ .

٥ - ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

٦ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

٧ - المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

٨ - ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ورقة ١٥٢ - ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

٩ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧١ .

لابراهيم بن يوسف "١" ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري الذي توفي عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م في مدينة يابره ، وقد اثنى عليه الفتح ابن خاقان ، ورثاه ابن ابي الخصال بقصيدة باكية ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي من اهل وادي آش ، والذي امتاز اضافة لنبوغه في الشعر بثقافة موسوعية في مختلف العلوم المعروفة في عصره . "٢"

وشارك اليهود في الحركة الادبية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، وبرز منهم عدد لا بأس به في مختلف مناحي الحياة العلمية وبشكل خاص في الشعر ، ومن اشهر شعرائهم موسى بن عزرا المتوفى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م ، والذي ألف عدة مؤلفات بالعربية اشهرها كتاب " المجاز والمذاكره " ، وهو رسالة في فن الكتابة وتاريخ الشعراء اليهود من اهل الاندلس وآثارهم ، ويضم اطرافا من الشعر العربي . وقد ضاع الاصل العربي لهذا الكتاب ، ولم تبق الا ترجمته العبرية ، وله كتاب آخر قيم هو ((الحديقة في معني المجاز والحقيقة)) ، ولم يبق منه الا فقرات من ترجمته العبرية المعروف باسم ((أرحاب هابوشم)) ، وهو كتاب يغلب عليه الطابع الفلسفي ، ويحوي طائفة من الامثال والحكم . "٣"

فن الزجل والتوشيح :—

ومن معالم النهضة الادبية في عهد علي بن يوسف والدولة المرابطية ككل ازدهار فن الزجل والتوشيح . اما الزجل فقد فرض وجوده في ميادين الشعر في

---

١ — المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ، ٣٨٦ .

٢ — ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ — ٤٧٧ — ج ٣ ، ص ٥٢٥ — ٥٢٧ .

٣ — بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٩٨ — ٤٩٩ .

هذا العهد ، الا ان الدارسين على خلاف حول تقييم هذا الفن . فالبعض وعلى رأسهم المستشرق الاسباني جارثيا غومث . يرون في الزجل مظهرا من مظاهر هبوط الذوق هبوطا بالغا ، ويرى بعض الباحثين ان الزجل مظهر من مظاهر ازدهار الادب ، لان الزجال كان يملك ناصية العربية الفصحى والعامية "١"

ولعل جارثيا غومث في حكمه السابق على الازجال كان متأثرا بما قرأه في مخطوط المكتبة الاهلية بمدريد ، والمكتوب على رق الغزال عام ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م ، اى قبل ان يقفز الزجل في الاندلس قفزته الكبرى على يد ابن قزمان بنحو قرن كامل من الزمان ، والمخطوط المشار اليه هو جمع نواميس الكنيسة والقانون المقدس ، وقد جاء فيه (لا يجوز للقلارقين "٢" ان يحضروا الملاهي والزجل في العرائس ، والمشارب ، بل يجب عليهم الانقلاب قبل دخول تلك الاطراب والازجال والتنحي عنهم) "٣"

كما ان كتب التراجم العربية اعرضت عن ايراد تراجم للزجالين "٤" ، ولعلها ايضا اعتبرت هذا اللون انحرافا وانحطاطا في الادب لاستخدامه العامية لغة له .

وبصرف النظر عن القيمة الادبية للزجل فله في نظر المؤرخ قيمة لا تباريها قيمة لانه يعتبر المرآه الصادقة للاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية

---

١ — عباس الجراري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٩٨ — ٩٩ .

٢ — لم اعثر على وصف للمقصود .

٣ — عبد العزيز الاهواني : الزجل في الاندلس ، ص ٥٩ .

٤ — المرجع السابق نفسه ، ص ٧ [illegible] .

فالزجال يستمد أزجاله من احداث الحياة اليومية ، والشعور العام للرعية ، ويعبر عن معاناة الناس بكل حرية لانه يطلق لنفسه العنان غير آبه بمراقبة احـــد ، ويؤكد المستشرق خوليان ريبيرا على ان الازجال ما هي الا اغاني او قصائد نظمت لتغنى بصوت مرتفع امام العامه ، في حين يرى المستشرق نيكل ان الازجال لـم تكتب للعامه وانما للخاصة في اجتماعاتهم ومسامراتهم ، "١"

على أي حال يعتبر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى المكنى بأبـي بكر بن قزمان (٤٨٠ ـ ٥٥٥ هـ / ١٠٨٧ ـ ١١٦٠ م) "٢" رائدا لهـــذا اللون من الفن ، فعلى يديه وصل الى قمة الازدهار وارتبط الزجل باسمه ٠ وكان ابن قزمان قبل ذلك مشتغلا بالنظم المعرب فلما وجد انه لا يستطيع ان ينافـــس اعلام الشعر امثال ابن خفاجه وغيره اتجه الى الزجل فصار اماما فيه ٠ "٣"

وكان ابن قزمان ينتسب الى عائلة شريفة ، وخبيرا بشعراء العرب امثال : أبي تمام ، والمتنبي وغيرهم ، ويعرف الفلسفة ، والفقه والبلاغة ٠ "٤"

واهمية ازجال ابن قزمان في تاريخ دولة المرابطين تعود الى انه يعكس وجهة نظر العامة حين يعلق على الاحداث السياسية والاجتماعية والعسكرية ، فنجده يتحدث عن انتصار الزلاقه ، وعن موقعة افراغه ، ونجد الغبطه تغمره لاختيار

---

١ ـ غومــــث : شعراء الاندلس ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ ، ٢٠٨ ـ ٢٠٩

٢ ـ احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩ ٠

٣ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ٠

٤ ـ غومـــث : شعراء الاندلس ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ٠

احد اصدقائه لمنصب قاضي الجماعة كما قام بمدح الاسر القرطبية الكبيرة مثل اسرة بني زهر وبني حمدين ، وبني رشد وغيرهم . وتعليقاته على الاحداث التاريخية تعليقات صادقة وعفوية ، وتعتبر لونا من الصحافة الشعرية المفهومة لعامة اهل الاندلس "١" الذين كانوا يتذوقونه ويشعرون بروحه لأنهم يستطيعون استيعابه بسهولة . "٢"

وكان لهذا الزجال ديوانات احدهما صغير سماه ((اصابة الاغراض في وصف الاعراض)) وهو الذى وصل الينا ، والثاني ديوان كبير . وقد نسخ الديوان الاول في مدينة صفد الفلسطينية في منتصف القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى ، واعتني بنشره عدد من المستشرقين . "٣"

اما فن التوشيح فيعتبر مظهرا من مظاهر الترف الفني "٤" ، وثورة على طبيعة القصيده ، وهو حركة تطور وتجديد وعوده الى الغنائية ، أو هو محصلة

---

١ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .
٢ ـ مصطفى الشكعه : الادب الاندلسي ، ٤٤٧ ـ ٤٤٩ .
٣ ـ نشره دافيد جنزبرج سنة ١٨٩٦ م ، ثم نشره المستشرق التشيكي نكل باللاتينية ، ثم اعاد نشره ج . س . كولان بحروف لاتينية ايضا ، ثم قام بنشره المستشرق الاسباني غومث انظر : احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .
٤ ـ عبد البصير عبد الله حسين : رأى في القاب الموشحه ونشأة فن التوشيح ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة ، السنة الاولى ، ع ١ ١٣٩٣ هـ / ١٣٩٤ هـ ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٨ ، ٢٩٦ وعن اجزاء الموشح وخصائصه وأجزائه ولغته واسلوبه انظر : محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٣٩٥ ـ ٤٢٢ .

للترف الحضارى ينطوى على كل مقومات السطحية الجذابه • "١"

وأهم موضوع في الموشحات هو المديح اولا ، والغزل والمجون ثانيا "٢" •
ويرى جودت الركابي "٣" ان هناك تشابها بين اغراض الموشحات واغراض الشعر القديم الذى كان ينشده شعراء جنوبي فرنسا المعروفون بشعراء التروبادور (Troubadours) ، الذين كانوا ينشدونه في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى ، الا ان العلاقة بين الفنين ما زالت موضع الجدل العلمي •

لقد ازدهر هذا الفن على يد وشاحين كبار تألقوا في عهد علي بن يوسف امثال ابن اللبانه ، والأعمى التطيلي ، وابن بقي ، وابن باجه ، وابن الصيرفي "٤" • على ان اشهر هؤلاء الوشاحين على الاطلاق هو ابو جعفر احمد بن عبد الله بن هريره القيسى الاعمى التطيلي الذى توفي في ريعان شبابه عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، وقد اثنى عليه ابن بسام في ذخيرته "٥" ، ويروى عنه أنه عندما افتتح موشحه بقوله :ـ

ضاحك عن جمان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

خرق الوشاحون موشحاتهم ، وصار توشيحه مثلا سائرا في الناس • وقد وصفت

---

١ ـ احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ـ ٢١٩ •
٢ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ •
٣ ـ في الادب الاندلسي ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ـ اثر العرب والاسلام في النهضة الاوروبية ، ص ٣٦ ـ ٦٦ •
٤ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٨ •
٥ ـ ق ٢ ، ص ٧٢٨ ـ مصطفى الشكعة : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣

بعض موشحاته بأنها مذهبه . "١"

ويذكر انه كان لابي بكر بن بقي ثلاثة الاف موشح "٢" . ولشهرة هذا الفن ألف علي بن ابراهيم بن محمد بن عيسى بن سعيد الخير البلنسي (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) كتابا سماه ((مشاهير الوشاحين في الاندلس)) أو ((نزهة الأنفس ورقة التأنس في توشيح اهل الاندلس)) وهم عشرون . "٣"

ووفدت مجموعة من الوشاحين الى المغرب وساعدوا على تعريف المغاربة بهذا الفن الجديد ، ومن الذين اسهموا في هذا التعريف ابن باجه ، وابن اللبانه "٤" .

ومن الذين نظموا موشحات في مدح بعض امراء المرابطين ، وبعض القضاة ، الاعمى التطيلي "٥" ، وابن بقي (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) . وابن باجه الذي نظم موشحه في مدح ابن تيفلويت والي علي بن يوسف على سرقسطه .

أما ما يمتاز به الموشح فهو اعتماده على اكثر من وزن واكثر من قافيه ، كما يعتمد الوشاح على ضرب من التوزيع العروضي هو اقرب الى التوزيع الموسيقى .

---

١ ـ ديوان الاعمى التطيلي ، ص ش .
٢ ـ احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .
٣ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٧ ـ ٢١٩ .
٤ ـ الجراري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .
٥ ـ عن الأعمى التطيلي انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥١ ـ ٤٥٦ ـ ديوان الاعمى ، ص أ ـ ب .

واما اجزاء الموشح فهي : المطلع ، والدور ، والسمط ، والقفل ، والبيت ، والغصن والخرجه . "١"

وقد اثرت الازجال والموشحات في الادب النصراني في شمال اسبانيا ، فنشأ مثلا في قشتاله من الموشح والزجل الشعر العامي المعروف بـ (بيليا نتكو (Villancico) "٢" .

ـ النثـــــــــر :

===============

لقد تميز عهد علي بن يوسف بن تاشفين بنبوغ عدد كبير من اصحاب الثقافه الموسوعين الذين اغنوا المكتبة الاسلامية بمؤلفاتهم المتنوعه ، التي اخذوا فيهـا ينافسون علماء المشرق ، فقد ألف ابن بسام كتاب " الذخيره في محاسن أهـل الجزيرة " ، ليثبت فيه تفوق شعراء بلاده ، ونظر وهو يؤلفه الى كتاب ((يتيمة الدهر)) للثعالبي .

وألف الفتح بن خاقان كتاب ((قلائد العقيان)) ، والذي تحدث فيه عن المعاصرين له من الوزراء والكتاب ، والشعراء ، ثم ألف كتاب ((المطمح)) الذي خصصه ايضا لمشاهير الاندلس في كل طبقة . "٣"

---

١ ـ مصطفى الشكعه : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٤ ـ وعن اجـزاء الموشح انظر : عبد البصير ، المقال الســابق ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٨ ، ٢٩٦ .

٢ ـ فليب حتى : تاريخ العرب مطول ، ج ٢ ، ص ٦٦٧ .

٣ ـ لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٧٦ .

وألف ابو عبد الله محمد بن ابي الخصال عدة مؤلفات منها : كتاب " طل الغمامة "" ١ " ، وكتاب " طوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله عنهم بالكرامة واحلهم بشهادته الصادقة دار المقامه " ، وكتاب منهاج الحسب الثاقب في نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انتظم به من مناقب صحابته الابرار . " ٢ "

وكان ابن ابي الخصال من اكثر الكتاب ملازمه لامير المسلمين علي بن يوسف ، لسعة ثقافته ، واجادته لفن الكتابه " ٣ " . وروى عنه الناس سيرة الرسول عليه السلام لابن اسحاق ، والشمائل للترمذى ، وعرف بروايته للحديث حتى حدث عنه خمسون شيخاً " ٤ " . وله ديوان رسائل اتخذ مثالا يحتذى من قبل ادباء ذلك العصر . " ٥ "

وقد اثنى عليه كثير من اعلام عصره واصفين اياه بما يتمتع به من سعة علم " ٦ " ورصانة اسلوب وانتقاء كلمات ، وطريف عباره " ٦ " . وقال عنه الفتح بن خاقان .

---

١ ـ توجد نسخة منه في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ١٠٩٠٤ / ١ .
٢ ـ ابن دحية : المصدر السابق ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .
٣ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .
٤ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ ، حاشية رقم ١ .
٥ ـ المراكشي : المعجب ، ص ٢٤٠ .
٦ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ .
٧ ـ قلائد العقيان ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ . وكان ابن ابي الخصال قد عزل من منصبه بعدما كتب رسالته المشهورة والتي نال فيها من كرامة المرابطين عندما طلب منه علي بن يوسف ان يكتب رسالة الى جند بلنسيه حين تواكلوا حتى هزمهم ابن رذ ميـر =

بأنه حامل لواء النباهه .

أما ابو مروان بن ابي الخصال (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) شقيق عبد الله فكان ايضا من الكتاب المقربين الى امير المسلمين علي بن يوسف ، وقد اثنى عليه العماد الاصفهاني ، واورد نماذجا من رسائله التي كتبها عن امير المسلمين علي . "١"

ومن الكتاب الذين خدموا في بلاط علي بن يوسف ايضا ابو محمد عبد الغفور (ت ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م) "٢" . الا ان الفتح بن خاقان ذمه وقال فيه : ((كنت نويت الا اثبت له ذكرا ولا اعمل فيه فكرا وادعه مطروحا)) . "٣"

ومنهم ايضا ابو جعفر احمد بن جعفر بن عطيه القضاعي المراكشي الذى

= هزيمة نكراء ، والرسالة تكشف عن مشاعر حقد وحنق ابن ابي الخصال واهل الاندلس بشكل عام على المرابطين ، ولعله وجد ها فرصة مناسبة للتنفيس عما يحتمل في نفسه من مرارة الفشل الذى مني به هو وصديقه ابن الحاج عندما فشلا في ثورتهما ضد امير المسلمين علي بن يوسف في بداية حكمه = انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٨ ، حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال عن المرابطين الى الموحدين ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ١ ، ع ٣ ، ١٩٥٥ ، ص ١١٥ ، المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ٤١٥ - ٤١٦ - ابن الابار : المعجم ، ص ١٤٤ - ١٤٧ - انظر الباب الاول من الرسالة - ثورة ابن الحاج .

١ - خريدة القصر ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ - ٦٤٦ .

٢ - ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ١ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

٣ - قلائد العقيان ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

كتب لامير المسلمين في اواخر ايامه . كما كان ابو بكر محمد بن سليمان بن القصيره من الذين تضلعوا في الكتابة ، وذكر له ابن بسام رسالة طويلة تحدث فيها عن موقعة الزلاقة "١" ، كما نقل له ابن بسام ، وابن خاقان جطة من آثاره الادبية "٢"

ومن مشاهير الكتاب في هذا العصر ايضا محمد بن عبد الله بن الجد الفهري الذي استدعاه علي بن يوسف لتولي الكتابة في ديوان رسائله ، وبديوانه بقي في هذا المنصب حتى وافته منيته عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م "٣" . وقد نقل عنه ابن خاقان "٤" مجموعة من رسائله كتب بها عن امير المسلمين علي بن يوسف ، والتي تلقي ضوء اعلى تاريخ الاندلس في عهد دولة المرابطين . ومن هذه الرسائل رسالة موجهة الى اهل غرناطه تنعى عليهم اختلافهم وتنازعهم ومشاغبتهم على واليهم ، ويأمرهم فيها امير المسلمين بالانقياد له والطاعه ، وهي مؤرخه في يوم الجمعه

---

١ — ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٩٤ — ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ٢٦٣ ، ٢٧١ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٦٧ .

٢ — ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ٥١٧ ، ٥٢١ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨ — ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦٠ — ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٥ ، ١١٧ — ١١٨ — ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢ ، ج ١ ص ٢٣٩ — ٢٤١ .
— امثلة من نثره انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٠ — ٣٣١ .

٣ — ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ١٢٣ — ١٢٤ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ٧ — ٨ ، ١٩٥٩ — ١٩٦٠م ، ص ١١٦ .

٤ — قلائد العقيان ، ص ١٢٨ .

١٩ رمضان عام ٥٠٧ هـ . وهناك رسالة اخرى تتعلق بتولية يحيى بن ابي بكر المعروف بابن الصحراويه على سبته وفاس ، ورسالة ثالثة الى القائد عبد الله بن فاطمـــه عامله على مدينة اشبيليه . "١"

ومنهم ايضا ابو نصر الفتح بن عبد الله بن خاقان الذى قال عنه العمـاد الاصفهاني "٢" ((كأنما يغرف من بحر زاخر الا انه كان يضع نفسه بشدة تبذلـه وكثرة تنقله ، وغضه من ذوي الرتب ، واساءة الادب على الادب ... وهو متوسع في النثر قليل البضاعة في النظم ...)) ، ومن مؤلفاته بداية المحاسن وغايـة المحاسن وقلائد العقيان ، ومطمح الانفس . "٣"

وقد تعرض الفتح بن خاقان في كتاب " قلائد العقيان ومحاسن الاعيان " لمحاسن الرؤوساء وابنائهم مع ذكر من استعذب اقوالهم . اما " مطمح الانفس ومسرح التأنس " فذكر فيه اعيان الاندلس ، ومن اشتهر بالكرم والظرف ، وكان الفتـح بن خاقان في مؤلفاته تلك يمدح ويذم على ضوء العطاء المقدم اليه ، وهذا ما فعله مع ابن باجه فقد مدحه ثم ذمه . "٤"

كما الف محمد بن يوسف بن عبد الله ابو طاهر السرقسطي (ت جمادى الاولى عام ٥٣٨ هـ) عدة مؤلفات قيمة منها : المقامات اللزومية التي تسمى ايضـا

---

١ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، مج ٧ — ٨ ، ص ١١٦ .

٢ — خريدة القصـــر ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٦١٠ .

٣ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥١٣ .

٤ — احمد امين : ظهر الاســلام ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٤ .

المقامات التميمية السرقسطية نسبة الى مؤلفها ، وهى خمسون مقامه عارض فيهـا الحريرى في مقاماته ، وقد بناها على لزوم مالا يلزم ، واهتم فيها بالسجع اهتمامه باللغه "١" ، ومن مؤلفاته ايضا المسلسل في غريب اللغه ، وهو كتاب يحتوى على خمسين بابا ليس لها عناوين خاصة ، وقد تعمد السرقسطي ان يفتح كل باب ويختمه بشاهد شعرى يأخذ من الشاهد الاول الكلمة التي يجعلها اساسا للتسلسل ، ويكون الشاهد الاخير استشهادا على معنى الكلمة الاخيرة في الباب "٢" .

ومن الكتاب المشهورين الذين لازموا الامير ابراهيم بن يوسف ، ابو عامر بن عقيد من جهلت مرسية "٣" ، ومحمد بن محمد بن الهبارية البغدادى المتوفى عام ٥٠٤ هـ / ١١٠٠ م ، والذى ألف منظومة على اسلوب كليلة ودمنه . "٤"

ومن ادباء اليهود المعاصرين ابراهام بن عزرا بن ميّز الذى يسمى في الكتابات العربية بأبي اسحاق ابراهيم (٤٨٤ - ٥٦٢ هـ / ١٠٩٢ - ١١٦٧ م) وكان من المجيدين لاساليب الترسل العربية . "٥"

---

١ - رضا عبد الجليل الطيار : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٠ - ابن الآبار : المعجم ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

٢ - السرقسطي : المسلسل في غريب اللغة ، ص ٥ - رضا عبد الجليل الطيار : المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٦ - عبد العلي الودغيرى : المعجم العربي في الاندلس ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ ، ابريل ، مايو ، يونيو ١٩٨١ م ، ص ١١٧ - ١١٨ .

٣ - ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

٤ - ما زالت مخطوطة في الخزانة الملكية في الرباط تحت رقم ٢٠٥٤ .

٥ - بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

وقد امتاز النثر في عهد علي بن يوسف بأنه يغلب على بعضه الصناعة والتكلف لابراز براعة الكاتب الفنيه ، ويتمثل ذلك بشكل جلي في مؤلفات الفتح بن خاقان خير تمثيل .

أما بالنسبة للرسائل الصادرة من ديوان رسائل امير المسلمين علي بن يوسف فأسلوبها موجز مركز ، ومسجوع ، وقصير الفقرات يأخذ من المحسنات اللفظية بقدر ، وبعيد عن التعقيد والتكلف ، باستثناء بعض الرسائل التي كتبها الفتح بن خاقان والتي كان يغلب عليها طابع التكلف . ولعل أفضل الكتاب في هذا العهد من الذين ساروا على منهج اهل المشرق ابن القصيره .[1]

======

---

١ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

النحـــــو :-

============

ومن برز في النحو في هذا العصر عبد الله بن محمد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) الذى قام بشرح جمل الزجاجي في كتاب الحلل في شرح ابيـــات الجمل ، وألف ايضا عدة مؤلفات اخرى اهمها : كتاب " المثلث " في مجلدين وهو دليل دامغ على سعة اطلاعه ، وكتاب " الاقتضاب في شرح ادب الكتاب " ، وكتاب " شرح سقط الزند لأبي العلاء المعرى " ، شرحا استوفى فيه المقاصـــد وله كتاب في الحروف الخمسة وهي (السين ، والصاد ، والضاد ، والظـاء ، والذال) جمع فيه كل غريب ، وله كتاب " الخلل في اغاليط الجمل " ، "١"

وألف ابو الحسن بن الطراوة المالقي المتوفى عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣م عدة مصنفات اهمها : كتاب المقدمات على كتاب سيبويه ، وكتاب الترشيح فــي النحو ، ومقالة في الاسم والمسمى "٢" . ولطول باعه في النحـو والادب لقب بالاستاذ ، وهو لقب رفيع في المغرب ، وفضلا عن ذلك فقد كان يعتبر من الشعراء المجيدين "٣" ، وقد مدح امير المسلمين علي بن يوسف ببعض قصائده "٤" .

---

١ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٦ ، ٩٨ ـ الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٦١ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ وله مؤلفات اخرى في غير النحو منهـــا : التنبيه على الاسباب الموجبه لاختلاف الامه ، وكتاب شـرح الموطأ ، وشرح ديوان المتنبي .

٢ ـ العماد الاصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٥٦ ، حاشية رقم ١ .

٣ ـ المصدر السابق نفسه ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٥٦ ـ ٦٥٧ .

٤ ـ ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

ومن النحويين الذين اشتهروا في هذا العهد ايضا محمد بن حكم بن باقي الجذامي ، واحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب بن زاهر الباجي الاندلسي "١" .

======

١ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

الدراسات الانسانيـــة :ـ

===============

ـ الجغرافيـــــا :

==============

لقد نهضت العلوم الجغرافية نهضة عظيمة في عهد علي بن يوسف ، وبرزت مجموعة من العلماء دفعت عجلة هذه العلوم دفعات كبيرة الى الامام عندما اعتمدوا على الرحلة والمشاهدة العينية ، والتحقق من كل مسألة قبل الاخذ بها .

ولم يبخل العلماء المسلمون بنتائج ابحاثهم القيمة حتى على اعدائهـــم ، ولعل خير مثال على ذلك ما قدمه اشهر جغرافي القرن السادس الهجرى / الثانـي عشر الميلادى ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي السبتي ـ ٤٩٤ ـ ٥٦٢ هـ / ١١٠٠ ـ ١١٦٦ م لملك صقليه ، فبعد ان تلقى هذا العالم العالم علومه الاولية في مدينة قرطبه ، بدأ رحلاته العلمية وهو ما يزال يافعا لـم يتجاوز عمره السادسه عشر ، فزار مناطقا لم تكن مألوفة في ذلك العصر ، وعرف جغرافية اسبانيا والمغرب معرفة جيده ، وزار لشبونه ، وسواحل فرنســـا وانجلترا ، واسيا الصغرى .

وفي عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م قصد صقلية والتحق ببلاط روجر الثانـــي ببالرمو ، وقد رغب روجر من الادريسي ان يرسم له خريطة للعالم يبين فيها مواقع البلدان والبحار والانهار والجبال الى غير ذلك فرسمها له ، ثم رغب منه ثانيا ان تحفر هذه الخريطة على لوح من الفضة ، فأحضر روجر الصناع المهره الذيـن اتقنوا هذا العمل تحت رعاية الادريسي ورقابته ، وبعد ان جعل الملك مقـدار ٤٠٠ ألف درهم من الفضة تحت تصرف الادريسي لهذا الغرض .

ونقش الادريسي على لوح الفضة الذى كان يزن ١٤٠ كيلو كل ما عرفه من البلدان المختلفة بأحرف عربية . "١"

وكشرح للخريطتين وتعليق عليهما ألف الادريسي كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الذى امضى في تأليفه خمسة عشر عاما وفرغ منه عام ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م "٢" . والكتاب وصف للارض اعتمد فيه على مشاهداته الخاصة ، وعلى تقارير بعض من اوفدهم روجر الثاني الى شتى البقاع في صحبة رسامين . وفي كتابه هذا يقسم العالم الى سبعة اقاليم مناخية ثم يقسم كلا منها الى عشرة اقسام من المغرب الى المشرق ، ويلحق بكل قسم منها خريطة بالاضافة الى الخريطة العامه "٣" . وعند كلامه على كل قسم منها يحدده ويبين موقعه ويتكلم عن مدنه وجباله وبحاره ، وانهاره ، وعن كل ما يحويه من ماء ويابس ، وما ينبت فيه من نبات الى غير ذلك . ومما يذكر للادريسي بالاعجاب انه حاول اثبات درجات العرض وتحديدها بعد قياسات صحيحه مطابقة للواقع . اما خطوط الطول فقد اهملها عن قصد لشكه في القياسات التي وصلت اليه .

---

١ ـ محمد المنوني : العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٧٨ ـ ٧٩ ـ ويذكر المستشرق كراتشكوفسكي (تاريخ الادب الجغرافي ، ج ١ ، ص ٢٨٠) ان الادريسي توفي في وطنه عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .

٢ ـ محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٧٨ ـ ٧٩ ـ ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩ .

٣ ـ محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسره ، ص ٩٩ ـ محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

وخريطة الادريسي تمثل القسم المعمور وهو القسم الشمالي من الكرة الارضيه مضافا اليه جزء بسيط من القسم الجنوبي الى درجة ١٦ جنوب خط الاستواء ٠ و هذا الجزء الجنوبي هو الذى تقع فيه منابع النيل حيث بين عليه منابع النيــــل بشكل واضح في موقع يقارب موقع بحيرتي فكتوريا والبرت ٠ "١"

ومن هذه الخرائط وضع احد المستشرقين الألمان خريطة كاملة اخرجهـا ملونة باللاتينية سنة ١٩٣١ م ، ثم اخرج المجتمع العلمي العراقي هذه الخريطة بالعربية سنة ١٩٥١ م ٠ "٢"

على اى حال تعتبر الخريطة الادريسية اقدم خريطة عالمية يعرفها التاريخ ، وقد امتازت مع شرحها بالمميزات التالية : ان الادريسي تجنب فيها ذكر الخرافات التي كانت شائعة في العصر الوسيط ، والتي تورط في ذكرها غيره من المؤلفيـن ، كما انفردت بأنها الخريطة الوحيدة التي تعطينا صورة صحيحة عن البلاد الواقعـــة حول بحر قزوين في مدة من الزمن تبلغ نحو قرن ٠ "٣"

ومن مؤلفات الادريسي ايضا ((روض الانس ونزهة النفس)) الذى ألفــه الادريسي لولد روجر غليوم الاول (٥٤٩ ـ ٥٦٢ هـ / ١١٥٤ ـ ١١٦٦ م) ،

---

١ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩ ـ محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٨٠ ٠

٢ ـ ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ٠

٣ ـ محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٨٤ ٠

وتوجد شذرات من هذا المؤلف في كتاب تقويم البلدان لابي الفدا "١" . وله كتاب آخر اسمه " انس المهج وروض الفرج " وهو مختصر لروض الانس ، وهو لا يزال مخطوطا في مكتبة حكيم اوغلو علي باشا باسطنبول تحت رقم ٦٨٨ . "٢"

وفى هذا العهد الذى كان فيه علماء الدولة المرابطية خاصة يؤكدون على ان الارض كروية "٣" ، كانت الكنيسة الاوروبية تحرق وتقتل كل من يسعى للسير على المنهج العلمي . وما انعتق الاوروبيون من دياجر جهلهم الا بعد اتصالهم بالعالم الاسلامي ودراستهم في جامعاته . لذا وجدنا علماء اوروبا يهتمون اهتماما فائقا بالمؤلفات العربية ، فحاولوا جمع اكبر قدر ممكن منها ، واخضعوها للنقد والتحليل والدراسة . وقد تلقفوا كتب الادريسي ، خاصة كتاب نزهة المشتاق الذى يقول عنه المستشرق امارى (((انه افضل رسالة وصلتنا عن العصور الوسطى سواء من الشرق أو الغرب))) . وممن اعتنى بمؤلفات الادريسي ايضا دى سلان ، وميلر ، وهارتمان ، ودوزي ، ودى خويه وغيرهم "٤" ، ويعتبره ميلر صاحب مدرسة جغرافية خاصة هى المدرسة العربية النورماندية . "٥"

---

١ ــ ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٩٣ (في هذه الصفحات فيها اقتباسات من الادريسي) ــ كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٠ ــ ٢٩١ .

٢ ــ محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٨٧ ــ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

٣ ــ فيليب حتى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٢٢ .

٤ ــ كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤ ــ محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٨١ ــ ٨٣ .

٥ ــ احمد علي الملا : اثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية ص ١٧٣ ــ لمزيد من التفاصيل عن الادريسي ومعاصريه انظر : حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ٩ ــ ١٠ ، ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ م ، ص ٢٥٧ ــ ٣٧٢ .

ـ التاريـــخ والانســـــاب :ـ

===================

اما بالنسبة للدراسات التاريخية فللاسف الشديد لم يصلنا منها الا النذر اليسير • ويتضح من خلال تأمل بعض الكتب التي ألفت في فترة متأخرة عن الدولة المرابطية ان الاقتباسات تكثر فيها من مؤلفات ألفها عدد كبير من المؤرخين في العصر المرابطي • ولعل اشهر هؤلاء المؤرخين في عهد علي بن يوسف المؤرخ الغرناطي ابن الصيرفي المتوفى عام ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م ، والذى يعتبر من مشاهير علماء ـ غرناطه في النصف الاول من القرن السادس الهجرى • وقد ألف ابن الصيرفـــي كتابا في تاريخ الدولة المرابطية سماه (الانوار الجلية في اخبار الدولة المرابطية) الذى يقتبس منه ابن الخطيب كثيرا "١" وكان ابن الصيرفي اضافة لاهتمامه بالكتابة التاريخية شاعرا ووشاحا مشهورا ، قائما على خدمة امراء المرابطين • "٢"

ومن المؤرخين الذين ظهروا في هذه الفترة عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الانصارى ، الذى ولد في مدينة بلنسية ، ونشأ في مدينة المرية • ومن اشهر مؤلفاته ((مختصر السيره)) و ((المغازى من سيرة ابن اسحق)) وقد توفي هذا العالم الكبير في مدينة مراكش عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٨ م • "٣"

---

١ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، حاشية رقم ١ •

٢ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، وانظر الحاشية •

٣ ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ •

وألف مالك بن وهيب احد علماء المغرب المشهورين لعلي بن يوسف كتابا سماه " قراضة الذهب في ذكر ايام العرب في الجاهلية والاسلام " وضم الى ذلك ما يتعلق به من الاداب فجاء الكتاب فريدا في فنه "١" . كما ألف ابو عمرو حمزه بن علي الغرناطي كتابا في تاريخ الفتنة التي انقرضت بها دولة المرابطين . "٢"

واشتهر ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المولود في قرطبه عام ٤٩٤ هـ / ١١٠١ م بالثقافة الموسوعية . ويذكر انه ألف نحوا من خمسين مؤلفا من بينها كتابا في التاريخ الا انه لم يبق من كتبه الا كتاب " الصلة في تاريخ ائمة الاندلس " ، والذى يعتبر مؤشرا على ثقافته الموسوعية "٣" . وقد انتهى من تأليف كتابه المذكور في عام ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م ، وقد توفي في مدينة قرطبه عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م "٤" . وألف المؤرخ عبد الجبار بن عبد الله بن احمد بن اصبغ (٤٥٠ - ٥١٦ هـ / ١٠٥٨ - ١١٢٢ م) كتابا سماه " عيون الامامه ونواظر السياسه " . "٥"

---

١ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

٢ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٨ .

٣ - احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ .

٤ - فيليب حتي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧٣ - وهناك من يذكر ان له من المؤلفات نحو الخمسين منها : التاريخ الصغير في احوال الاندلس انظر حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ١١ - ١٢ ، ١٩٦٣ - ١٩٦٤) ، ص ٩ - ١٠ .

٥ - ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣٦١ .

كما تقدم علم الانساب في هذا العهد فتذكر لنا كتب التراجم اسماء نسابين ألفوا مؤلفات في هذا المجال منهم : عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الرشاطي الذي ألف كتابا سماه " اقتباس الانوار والتماس الازهار في انساب الصحابة ورواة الآثار " ، وهو كتاب غريب في فنه ، كثير الفوائد جامع كما وصفه ابن بشكوال . وتوفي هذا العالم في عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م ، وكان مولده عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م "١" ، وممن كان له ايضا اشتغال بعلم الانساب محمد بن سليمان بن مروان بن يحي القيسي المعروف بالبونني (ت ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) . "٢"

---

١ ـ المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ (ويذكر الحميدي : بغية الملتمس ، ص ٣٣٦) انه ولد عام ٤٦٦ هـ ، وتوفي عام ٥٤٢ هـ .

٢ ـ ابن الآبار : المعجم ، ص ١٢٥ .

— الفلسـفة :—

===============

ومن بين العلوم التي اتيح لها الازدهار في هذا المعهد العلوم الفلسفية التي اهتمت بها فئة خاصة من العلماء ، فاستهل هذا المعهد بظهور ابن باجه التجيبي المعروف بابن الصائغ المتوفى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٠م في مدينة فاس . "١"

ويعتبر ابن باجه من اكبر شراح فلسفة ارسطو "٢" وقد طارت شهرة هذا الفيلسوف الى ارجاء اوروبا فعرفوه باسم (Avenpace) "٣" .

وأخذ الامير المرابطي ابو بكر بن ابراهيم حاكم سرقسطة يشجع ابن باجه الذي انكب على دراسة الكتب الفلسفية المشرقية التي كانت ذائعة في المغرب منذ فترة طويلة فعرف ابن باجه كيف ينتفع بها ولذلك يعتبر اول من استطاع استغلال الفلسفة الشرقية . "٤"

ومن اشهر مؤلفات ابن باجه : كتاب في الاخلاق سماه " تدبير المتوحد " ، وقد حفظ لنا مختصرا بالعبرية "٥" ، وكتاب " النفس " ،

.

---

١ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢٩ — ٤٣١ .

٢ — عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٢٥١ .

٣ — حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٣٦ — ٤٣٧ .

٤ — ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٩ — ج . دي بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٤٢ — محي الدين عزوز — التطور المذهبي بالمغرب ، ص ١٦ — ١٧ .

٥ — فيليب حتى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩٠ ، ٧١٠ — ٧١١ .

وكتاب " شرح كتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس " ، وكتاب " قول على بعض كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس " ، " وقول على بعض المقالات الاخيرة من كتاب الحيوان لارسطوطاليس " ، وكتاب " التشوق الطبيعي وماهيته "١" .
وله رسالة تسمى الوداع ، وقد ترجمت الى العبرية في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادى ، وتسمى هذه الرسالة برسالة الوداع لان المؤلف كان على وشك سفر طويل ، فكتبها لصديق من اصدقائه ليتركله آراءه اذا قدر لهما الا يلتقيان ، ومن كتب ابن باجه التي لم يتمها كتاب في المنطق ، وهو مخطوط في مكتبة الاسكوريال "٢" .

ومن فلاسفة عهد علي بن يوسف ايضا مالك بن وهيب الذى كان وزيرا له "٣" والذى اخذ بحظ وافر من علم الفلسفة ، فدرس كتاب الثمرة في الاحكام لبطليوس ، وكتاب المجسطي في علم الهيئة "٤" . كما كانت له دراية في علم الفلك "٥" .

---

١ — لطفي عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٨ — ٤٩ .
٢ — ج . دى بور : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ، ٣٣٩ — لمزيد من التفاصيل عن ابن باجه انظر : عبد الرحمن بدوى : رسائل جديدة لابن باجه ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ١٥ ، ١٩٧٠م ، ص ٧ — ٢٤ .
٣ — عباس الجراري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٩٠ .
٤ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ — ٤٣٧ .
٥ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥٢٩ .

أما محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي المولود عام ٤٩٤ هـ / ١٠٠١ م فقد بدأ نشاطه العلمي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين وقد ألف عدة مؤلفات قيمة منها رسالة سماها " حي بن يقظان " فرضه منها بيان مبدأ النوع الانساني ٠ وله رسالة في النفس ، واخرى في الفلك ، وثالثة في الطب ، واستمر ابن طفيل في دراساته تلك حتى توفى عام ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ٠ "١"

ولم يغب اليهود عن هذا الحقل من الدراسات ، فقد حاول ابراهام بن داود الطليطلي (٥٠٣ ـ ٥٧٥ هـ / ١١١٠ ـ ١١٨٠ م) التوفيق بين كتب اليهود المقدسة وفلسفة ارسطو ، وألف عدة مؤلفات باللغة العربية الا أنها فقدت ولم يبق لنا منها الا الترجمات العبرية لقسم منها ومن اهمها كتاب " ايمونا رامة " أى العقيدة السامية ، وكتاب " سفرها قباله " أى كتاب المأثور ٠ "٢"

والف ديان ابو عمر يوسف بن صديق المتوفى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٩ م ، "٣" كتابا في المنطق ، وآخر في الفلسفة سماه " الكون الاصغر " باللغة العربية ٠

---

١ ـ محي الدين عزوز : المرجع السابق ، ص ٥٦ ـ ٦٠ ٠

٢ ـ بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٥٠٠ ٠

٣ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٤٩٨ ٠

الدراسات الطبيعيــــة :-

==================

- الطــــب :

==========

وخطا الطب خطوات واسعة في عهد علي بن يوسف ، فهو عهد تشـخيص الامراض على ضوء الفحوصات الطبية الدقيقة ، من جس للنبض ، واجراء تحاليـل طبية مخبرية • وهو عهد أجراء أعقد العمليات الجراحية ، فقد أجرى الاطباء — عمليات استخراج الحصوة من الكلية وعملية فتح القصبة • كما هو عهد الاكتشافات الطبية الباهرة ، ففي هذا العهد وصفت صؤابة الجرب • وقام أطباء هذا العهد باجراء بحوث في احساس العظام ، وهي من الموضوعات المعقدة حتى في العصـر الحاضر على الرغم من توفر كل الوسائل والامكانيات ، ويعتبر الخوض فيها من الامور المشرفه علميا •

ويكفي علماء هذا العهد فخرا ان مؤلفاتهم ما زالت تدرس حتى الوقت الحاضر في اعرق جامعات اوروبا ، وانها كانت في القرن الثامن الهجرى / الرابع عشـر الميلادى ، وحتى القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى من المواد الرئيسية في كليات الطب •

ومن اشهر اطباء هذا العهد ، بل العصور الوسطى على الاطلاق ، أبـو العلاء زهر بن ابي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠م)، الذى كان يعتمد على الطرق المخبرية ، وجس النبض في تشخيص امراض مرضاه •"١"

---

١ - ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٦٤ - ٦٥ - ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٧٤ - ٧٥ •

وهو اول من وصل دراسة الطب بالجراحة والصيدلة ، وتشتمل آثاره — الجراحية على اول فكرة عن عملية فتح القصبة ، وعلى بيان قاطع عن الكسر والانخلاع وقد اعتمد في معالجته على الطبيعة الى حد كبير ، فهو يرى أن الجسم لديه قوة كامنة كافية لشفاء بعض الامراض . "١"

ومن مؤلفات ابي العلاء زهر الطبيه : المدخل الى الطب ، وكتاب النكت الطبية ، ومجربات والتي امر بجمعها بعد وفاته امير المسلمين علي بن يوسف فجمعت بمراكش وسائل بلاد العدوة والاندلس ، وانتسخت في جمادى الآخر عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م "٢" . وهى عبارة عن ملاحظات طبية اسفرت عنها تجاربه المخبرية وسجلها في تقارير سماها المجربات ، وتوجد منها نسخة مخطوطة في مكتبة الاسكوريال تحت رقم ٨٤٤ . كما قام ابو العلاء زهر بتأليف كتاب " التذكرة " ، وهو عبارة عن مجموعة من الملاحظات سجلها لولده لتعريفه بالادواء الغالية في مراكش ، والادوية المناسبة لها . وله رسالة في امراض الكلى كتبها لامير المسلمين علي بن يوسف ، ولا توجد منها اليوم سوى ترجمتها اللاتينية المنشورة عام ١٤٩٧ م . وله ايضا كتاب اخر حول الخواص ، وهو موجود بمكتبة باريس ، ومن هذا الكتاب استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات ، وله كذلك " جامع اسرار الطب " ، وهو لحسن الحظ موجود في الخزانة العامة في الرباط ويقع في ١٨٥ ورقه . وقد ادت بعض بحوثه المخبرية الى الوصية باستعمال بطيخ فلسطين في علاج أمراض الكبد . "٣"

---

١ — حيد ربامات : مجالى الاسلام ، ص ١٤٩ .

٢ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

٣ — عبد العزيز بنعبد الله : الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب ، مجلة الداره ، ع ٣ ، ربيع ثاني ١٤٠٠ هـ / مارس ١٩٨٠ م ، ص ٥٥ — ٥٧ .

وعرف الاوروبيون هذا الطبيب الفذ معرفة جيدة وحرفوا كنيته (ابو العلاء) في العصور الوسطى فصار أبو الي (Aboal) ثم اضيف الى زهر فقيل ابو العيزر (Abuielizor) "١" .

وبعد وفاة ابى العلاء زهر تسلم الراية بعد ابيه ابو مروان عبد الملك بن زهر (٤٨٤ أو ٤٨٧ — ٥٥٧ هـ / ١٠٩١ أو ١٠٩٤ — ١١٦١ م) الذى قام بمتابعة خطى والده حتى اصبح من اشهر اطباء عصره . وقد قام بتأليف عدة مؤلفات تضمنت طرق وعلاج مبتكره ، كما استطاع ان يقدم لنا اوصافا لعديد من الامراض . كما وصف وصفا دقيقا الاورام الحيزومية . واهتم في بيان فضل التغذية الصناعية ، وشرح طريقتها بدقة سواء بطريقة الحلقوم أو بطريقة الشرج . "٢"

ويذكر الاستاذ بوشو احد اساتذة كلية الطب بباريس ((ان ابن زهر " ابو مروان عبد الملك " هو اول من اهتم بدرس العظام لمداواة الوثاء ، وهو عبارة عن وهن يصيب اللحم ولا يصل الى العظم ، وانه عرف التشريح معرفة دقيقة لانه ما تركه من وصف لداء مل الصدر والمعده يدل دلالة صريحة على معرفة قائمة على التجربه)) . كما تحدث الاستاذ كيناز استاذ الطب بكلية ليون الطبية عن ابن زهر قائلا : ((اما ما يتعلق بالداء المعروف بالجرب فان اطباء العرب كانوا اول من دل على مكانه ، وكان اول من وصفه وصفا دقيقا لا غبار عليه ابن زهر " ابو مروان عبد الملك " حكيم الاندلس وسماه الصواب)) "٣"

---

١ — ابو الفتوح التوانسي : من اعلام الطب العربي ، ص ١٤١ — ١٤٢ .

٢ — المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٢ — ١٤٤ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، حاشية .

٣ — عبد العزيز بنعبد الله : المقال السابق ، ص ٥٥ — ٥٨ — أبو الفتوح التوانسي : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

ومن أشهر مؤلفات أبو مروان عبد الملك بن زهر : " الاقتصاد في إصلاح الأجسام " الذي ألفه الى الامير المرابطي ابراهيم بن يوسف اعترافا بفضله وتخليداً لذكره "١" . وقد فرغ من تأليفه عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م "٢" ، ولخص فيه التجارب الطبية ، وتحدث عن الجذام ، والبهق ، كما شرح ابعاد العدوى انطلاقا من تجارب ميدانية . وقد افرد لهذه الامراض رسالة لم تصلنا ، وكان يعتمد في تجاربه على الضبط والتحليل ، والتدرج من الخاص الى العام مع استعراض نماذج من القضايا التي تلقي الاضواء على جوانب دقيقة . وتوجد نسخة من كتاب الاقتصاد مخطوطة بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم ٢٩٥٩ واخرى في مكتبة الاسكوريال . "٣"

أما الكتاب الاخر فهو " التيسير في المداواة والتدبير " ، وهو موسوعة طبية يظهر فيها تضلع ابو مروان عبد الملك بن زهر من الطب . وقد نهج في كتابه هذا اسلوباً جديداً في الحكمة القياسية مستخدماً التمحيص العقلي للوصول الى احسن النتائج فكان طبيب التمحيص العلمي ، يحضر الادوية بنفسه غير مستعمل الخمر في تركيبها ، وكان يسند الاعمال اليدوية الى اعوانه مثل الفصد ، والكلي ، وختم

---

١ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٠ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ — ٤٤٠ — ابو الفتوح التوانسي : المرجع السابق ، ص ١٤٢ — ١٤٤ .

٢ — احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٧٠ .

٣ — عبد العزيز بنعبد الله : المقال السابق ، ص ٥٥ — ٥٧ .

الشرايين في حين كان هو يشرف بنفسه على التحليلات الهادفة الى تقرير نظام الاكل عند المريض ، ووصف الادوية ، وتوصل بمنهجه هذا الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله ، فاهتم بالامراض الرئوية ، واجرى عملية القصبة المؤدية الى الرئة وتمكن من تشريحها في مرض الذبحه ، وقام بتجارب في امراض الجهاز الهضمي ، كما وتوجد نسخة من هذا الكتاب في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٢٩٦٠ "١" ، كما وتوجد نسخة اخرى في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ١٥٣٨ / ٢ .

وله ايضا كتاب الزينة ، وكتاب التذكرة الى ولده ابي بكر في امر الدواء المسهل وكيفية اخذه ، وله مقالة في علل الكلى ، ورسالة كتب بها الى بعض الاطباء في مدينة اشبيلية في علتي البرص والبهق . "٢"

ومن اطباء آل زهر ايضا ابو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (٥٠٤ — ٥٩٥هـ/ ١١١٠ — ١١٩٨م) الذى كان منصرفًا كل الانصراف الى الناحية العلمية والمداواة والعلاج ، والفحص ، ولم يشغل نفسه بالتأليف الا قليلا . وقد طارت سمعته العلمية في ارجاء المعمورة ، ويروى انه وضع رسالة في طب العيون ، وهي المؤلف الوحيد الذى ينسب اليه . وكانت له ابنة اخت تعتبر من اشهر الطبيبات في ذلك العصر في امراض النساء وفنون الولادة . "٣"

---

١ — نفس المقال السابق والصفحات — زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٨٩ .

٢ — ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ — ٦٧ .

٣ — ابو الفتوح التوانسي : المرجع السابق ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

ومن اشتهر من اطباء ذلك العصر ابو القاسم خلف بن عباس (ت ٥٠١هـ/ ١١٠٧م) الذي اشتغل بالجراحة ، وهو الذي يقول عنه العالم الفسيولوجي الشهير هالر : (وترانا مدينين لابي القاسم بكثير من الالات الجراحة) وقد وصف هذا الجراح المسلم عملية سحق الحصاه في المثانه التي عدت على غير حق من مخترعات عصرنا الحالي ، فأشار لعملية الشق الى عين المكان الذي يشير اليه جراحونا في الوقت الحاضر . "١"

وألف ابو الحسن سفيان الاندلسي (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) ، الذي كان طبيبا لأمير المسلمين علي بن يوسف كتابا في الطب يسمى " التجربتين " وهو عبارة عن محاضرات شيخه ابن باجه في الطب مضافا اليها ما توصل اليه هو من نتائج علمية نتيجة لابحاثه . كما ألف ابو الوليد بن رشد كتاب الكليات ثم دفعه الى ابن زهر ليلحق به دراسة عن الجزئيات لتكون جملة الكتابين كتابا في صناعة الطب "٢" . ويعتبر اشتراك عالمين في تصنيف كتاب واحد أو القيام بتجربة علمية مشتركة ظاهرة طيبة لروح التعاون العلمي عند علماء العصر المرابطي .

---

١ - حيد رياضّات : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .
٢ - عبد العزيز بنعبد الله : المقال السابق ، ص ٦٠ .

ومن اطباء هذا العهد ايضا محمد بن يحي بن الصائغ المعروف بابن باجـــه الذى ألف عدة مؤلفات في حقل الطب والصيدلة على درجة كبيرة من الاهمية منها : كلام على شيء من كتاب الادوية المفرده لجالينوس ، وكتاب عن النفس النزوعية وكيف هى ولما تنزع وبماذا تنزع ، وله اختصار الحاوى للرازى ، وكلام فـــي المزاج بما هو طبي "١" .

ومن اطباء هذا العهد ايضا ابو بكر يحي بن محمد بن عبد الرحمن بن بقـــي السلوى (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) ، وسعيد الغمارى (٤٩٤ ـ ٥٩٥ هـ / ١١٠٠ ـ ١١٩٨ م) ، وابو العباس احمد بن عبد الله بن موسى القيسـي الاشبيلي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) "٢" ، وعلي بن عبد الرحمن بـــن سعيد بن جودى السعدى (ت ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م) وغيرهم . "٣"

---

١ ـ ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢ ـ ٦٤ .

٢ ـ محمد المنونـــي : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ١٢٣ ـ ١٢٥ .

٣ ـ ابن الآبـــار : المعجـــم ، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ ابن سعيد : المصدر الســـابق ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .

— الصيدلـــة والكيميـــــاء :

لقد تقدم علم الصيدلة في عهد علي بن يوسف تقدماً كبيراً ، وبرز عدد — لا بأس به من العلماء الذين اهتموا بدراسة النباتات ، والتعرف على انواعهـــا ، واستخلاص بعض العقاقير منها . ومن اشهر من نبغ في الصيدلة : ابو عبد اللـــه محمد بن معمر المتوفى عام ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م ، من اهل مالقة ، والذى كان يمتاز بثقافة موسوعية ، ومن تآليفه : شرح كتاب النبات لابي حنيفة في ستيـــن مجلداً . "١"

وألف الادريسي الجغرافي المعروف رسالة في تحضير الادوية ، وصـــف فيها ثلاثمائة وستين نباتا ، وكان حريصا على ايراد اسماء النباتات في مختلـــف اللغات ، بل كان يميز بين التسميات البيزنطية واليونانية القديمة "٢" . ومـــن مؤلفاته ايضا كتاب الجامع لصفات اشتات النبات [illegible] وهو احد الكتب الـتي اعتمد عليها ابن البيطار في كتابه كتاب النبات . "٣"

أما ابو جعفر بن محمد القرطبي (ت ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م) فقام بجمـــع نباتات اسبانية ، وافريقية ، وسمى كلا منها باسمائها العربية ، واللاتينيـــة ،

---

١ — المقرى : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ .
٢ — كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩١ — اثر العـــرب والاسلام في النهضة الاوروبية ، ص ٢٤٤ .
٣ — محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ١٢٤ — اثر العرب والاسلام في النهضة الاوروبية ، ص ٢٥٠ .

والبربرية ووصف هذه النباتات وصفا دقيقا ، وساعدته معرفته الدقيقة تلك على تأليف كتاب الادوية المفرده . "١"

وقام ابو العلاء زهر (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) "٢" بكتابة مقالة شرح فيها رسالة يعقوب بن اسحاق الكندى حول تركيب الادوية ، اضافة الى ما كان يقوم به من تجارب على تركيب الادوية . "٣"

وكان ابو الحجاج يوسف بن فتوح القرشي المرى المتوفى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م على معرفة جيدة بالنبات ، وكان يجلبه ويتجر فيه . "٤"

هذا علاوة عن الكتب التي ألفت في كيفية العناية بالنباتات وزراعتها مثل كتاب ((زهرة البستان ونزهة الأذهان)) الذى رفعه مؤلفه الطنغرى الى امير غرناطه المرابطي ابي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين "٥" .

ولم تكن الكيمياء اقل تقدما من الصيدلية في هذا العهد ، فقد ظهر عدد لا بأس به من المشتغلين بهذا العلم اثبتوا جدارة وتفوقا فيه . ومن اشهر هؤلاء علي بن موسى بن علي الانصارى السالمي الجياني المعروف بابن النقرات والمولود في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م . وقد نسب لهذا الكيميائي كتاب

---

١ ـ فيليب حتى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٨٣ .
٢ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٥ .
٣ ـ عبد العزيز بنعبد الله : المقال السابق ، ص ٥٥ ـ ٥٧ .
٤ ـ محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .
٥ ـ عبد الله بن العباس الجرارى : تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم لاوروبا ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .

" شذور الذهب في الاكسير " ، وهو كتاب جليل علماً واسلوباً لم ينظم احد في الكيمياء مثل نظمه . ومن اشتغل بالكيمياء ايضا في هذا العصر ابن تاتلي من ابناء المرابطين ، وقد ذكر اسم هذا العالم في طبقات الاطباء عرضاً اثناء ترجمة موفق الدين عبد اللطيف البغدادى الذى اجتمع بالمذكور في بغداد ، وقد وصفه بالتمكن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجرى مجراها . "١"

وهكذا رأينا كيف كان الازدهار العلمي الكبير في مختلف المجالات العلمية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، وبذلك نكون قد قدمنا الدليل الدافع لدحض الرأى القائل بأن عصر المرابطين كان عصر تخلف وانحطاط للثقافة وتقهقر للأدب والعلم ، بل هو بحق كما قال المستشرق الروسي كراتشكوفسكي عصر نور وحضاره . "٢"

=====

---

١ — محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

٢ — محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ص ٦١ .

الفصل الرابع

==================

العمارة والفنون الاسلامية

لقد تعانقت ارض العدوة بطاقاتها الشابة الفتية المثلة في دولة المرابطين مع ارض الاندلس الغناء بخبراتها العريقة لتنتج لنا في ظل دولة المرابطين نهضة معمارية وفنية رائعة ذات سمات خاصة ، امتزجت فيها المؤثرات الاسلامية المغربية والاندلسية والمشرقية ، والأسبانية النصرانية .

وساعدت في تحقيق هذه النهضة المعمارية والفنية وفرة المواد الخام والرخاء الاقتصادي الذي كانت تتمتع به الرعية والدولة على حد سواء ، اضافة لتشجيع امير المسلمين علي بن يوسف لاهل الفن بصلاته السخية لهم "١" وساعد كل ذلك على اذكاء حركة البناء والفن في دولة المرابطين ، التي اصبحت مدنها وقصورها ومرافقها بعد فترة قصيرة تنافس المدن المشرقية ، واصبحت محل اعجاب القاصدين اليها .

وتحكمت في توجيه هذه النهضة الميمونة عدة عوامل تنبع من طبيعة الاسس التي قامت عليها دولة المرابطين . فالعامل الاول من هذه العوامل ينبع من الركيزة الاولى التي قامت عليها الدعوة المرابطية وهي العقيدة الاسلامية ، فقد فرض عليهم هذا العامل العناية الفائقة بالعمارة الدينية من مساجد وما يتصل بها من مرافق ، كما فرضت عليهم العقيدة الحد من الاسراف في زخرفة القصور والمباني الخاصة "٢" .

---

١ ـ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .
٢ ـ آرنست كونل : الفن الاسلامي ، ص ١٢١ .

اما العامل الثاني فعلى اتصال وثيق بالعامل الاول وهو الجهاد الذى كان عماد الدعوة المرابطية ، فقد كان المرابطون رجال سيف وحرب يعملون على رفع راية الاسلام عالية ، وفرضت عليهم طبيعتهم العسكرية تلك الاهتمام بالمباني العسكرية ، فشيدوا عشرات الحصون والاسوار ، والتي كان يغلب عليها طابع الخشونة والضخامة ، الا ان الايدى الاندلسية الرقيقة عملت جاهدة من أجل كسر حدة هذه الخشونة وحاولت ان تصبغها بصبغتها •

على ان الاهتمام الفائق بالعمارة الدينية والعسكرية لا يعني اهمال جوانب العمارة الاخرى ، فقد بنيت عشرات القناطر ، والحمامات ، والارحاء الخاصة بطحن الحبوب ، والخطاطير ، والقصور وغيرها من المرافق التي تحتاج لها المدن في ذلك العصر •

وبناءا على ما تقدم سنقسم حديثنا عن هذا الموضوع الى ثلاثة اقسام :—

الاول منها : يختص بالعمارة المدنية ، وتشمل عمارة المدن ، والمرافق العامه ، والحمامات ، والقصور •

والثاني : يختص بالعمارة الدينية وتشمل المساجد وما يتعلق بها من مرافق •

والثالث : يختص بالعمارة العسكرية من قلاع ، واسوار • ثم نختم هذا الفصل بالحديث عن الفنون الزخرفية •

ا ـ العمارة المدنيـــــة :ـ

لقد تحكمت العوامل العسكرية في موقع وشكل المدنية المرابطية التى كانت لا تختلف كثيرا في اسلوب بنائها عن المدنية المغربية الاسلامية او الاسلامية بشكل عام ، فكان المسجد والقصبة يمثلان مركز المدنية التي تتفرع منه المباني والاسواق . "١"

ولقد شهد عهد علي بن يوسف نهضة معمارية زاهره ، فبنيت القصور مـــن قبل الامراء والعامه على حد سواء "٢" ، وجلبت اليها المياه ، وانشـــئت بها الحمامات ، والخانات ، والمصانع . "٣"

واخذت هذه المدن تجتذب سكان الصحراء والارياف اليها ، فأصبحـــت تكتظ بالسكان وساعد ذلك على دفع عجلة ازدهارها عمرانيا واقتصاديا . "٤"

ومن المدن التي انشأها المرابطون وازدهرت في عهد علي بن يوسف العاصمة مراكش "٥" ، التي اختطت على يد ابيه يوســـف [illegible] عام [illegible]

---

١ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ .

٢ ـ الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨ ـ السيد عبد العزيز سالـــم : المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

٣ ـ الادريسي : نزهة المشتاق ، ص ٦٠ ـ ٦٥ ـ الزركشي : المصـــدر السابق ، ص ٨ ـ الحسن السائح : المرجع السابـــق ، ج ١ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ حسن ابراهيم حسن : تاريـــخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥٥٩ .

٤ ـ الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

٥ ـ

مراكش "١" ، التى اختطت على يد ابيه يوسف عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م "٢" ، بالقرب من المدينة الرومانية القديمة المندرسه "بوكاتوم هيو ميروم" "٣" الواقعة بين بلاد هيلانه وبلاد هزمره "٤" ، فحال ذلك دون تعقيدات التنافس بيــن

---

١ — لقد اختلف في معنى اسمها فقسم ذهب الى ان مراكش معناها امش مســرعا بلغة المصامده ، لان هذا المكان كان مكمنا للصوص فعندما كان يمر به الناس كانوا يقولون هذه الكلمة •
وهناك من يقول ان مراكش اسم لعبد اسود كان يسكن هذه المنطقة • ومنهم من يذكر ان الاسم لفظ بربري قديم قد يكون مشتقاً من اوركش يعني كوش التي تعني الاسود ، انظر المراكشي : المصدر السابق ، ص ١٥٦ـ١٥٧ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ — احمد مختــار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٢٠ ، حاشية رقم ٢ •

٢ — واختلف ايضا في تاريخ بناء مدينة مراكش ففريق يؤكد انها بنيت في عام ٤٦٢ هـ وعلى راسهم صاحب الحلل الموشية ، ص ١٦ ، وابن عذارى : (البيـان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٩) الذى يجعلها عام ٤٦١ هـ ، والمراكشي : (المعجب ، ص ١٥٧) يجعلها عام ٤٦٣ هـ • ويبدو ان عام ٤٦٢ هـ هو ارجح الاقوال لان البكري الذى توفي عام ٤٦٠ هـ لم يذكر مراكش في كتابــه دلالة انه توفى قبل بنائها • ويذهب ابن خلدون (تاريخ ابن خلــدون : ج ٦ ، ص ٣٧٨) ورزق الله الصدقي (تاريخ دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٩) انها بنيت عام ٤٥٤ هـ • ويجعلها ياقوت (معجم البلدان ، عام ٤٧٠ هـ ، هذا ويذكر السيد عبد العزيز سالم : (المغرب الكبيـر ، ج ٢ ، ص ٧٠٢ — ٧٠٣) ان صاحب الحلل يجعل تاريخها عام ٤٠٢ هـ ولكن عند الرجوع الى الحلل الموشية وجدناه عام ٤٦٢ هـ • ويذهب شــيخ الربوه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٣٦) ، انهــا بنيت عام ٤٩٠ هـ ، ويذكر ابن الاثير (الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤١٧) ان يوسف بن تاشفين هو الذى اختط مراكش دون تحديد تاريخ •

٣ — الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ — ١٦٧ •

٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٩ •

القبيلتين "١" • كما ان اختيار موقع مدينة مراكش كان موفقا لما تمتاز به تلك المنطقة من جمال وحسن مناخ ، وخصوبة تربة ، ومجاورتها لقمم الاطلس المكسوه بالثلوج • "٢"

ولعل اختيار هذا الموقع خضع لاعتبارات سياسية واقتصادية واستراتيجية ، فالمدينة تحتل موقعاً متوسطا ، فهي قريبة من صحراء لمتونه ، وقريبة من جبال المصامده ، وقريبة ايضا من مناطق الشمال المتحضره • كما ان اختيار هذا الموقع كان حلا وسطا بين القبائل المتنازعه التي كانت ترغب كل منها في ان تكون العاصمة في بلادها لتنسب اليها • "٣"

واتاح لها موقعها القريب من جبل درن مراقبة تحركات المصامده منافسي لمتونه اذا حدثتهم انفسهم بالثورة فعندما يكون من السهل القضاء على حركتهم في مهدها • "٤"

وكان هذا الاختيار موفقا ايضا لوقوعه على طريق القوافل التجارية المقبلة من الصحراء والذاهبة اليها مما اسهم في ازدهار المدينة اقتصاديا • "٥"

ومنحها موقعها القريب من المدينة الرومانية المندرسه "بوكاتوم هيو ميروم" فرصة طيبة للاستفادة من انقاضها في تعمير بيوتها ومرافقها المختلفة •

---

١ ـ عبد الحق حموش : ابن تاشفين ، ص ٤٣ •

٢ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، حاشية رقم ١ •

٣ ـ المراكشي : المصدر السابق ، ص ٤٤٤ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٩ •

٤ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٤ •

٥ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ •

وسكن يوسف بن تاشفين هذا الموقع في اول الامر بخيام من الشعر ، وبنى فيها مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لخزن امواله واسلحته ، ولم يبن على ذلك سورا "١" ولكن ابن خلدون "٢" يذكر انه ادار سورها على المسجد والقصبة . ثم مالبثت المدينة ان تطورت بعض الشيء في عهد يوسف فبنيت بها بعض المساكن "٣" ، الا انها بقيت مدينة بسيطة يغلب عليها الطابع البدوى ، وتفتقر الى المرافق العامه ، والمباني الضخمه . ثم تغيرت الصورة عندما تولى علي بن يوسف الحكم عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م ، فقد انتقلت المدينة من دور البساطة الى دور التقدم والازدهار في مختلف المجالات العمرانية والاقتصادية "٤" ، فتزايد عدد سكانها ، واتسع عمرانها ، وامتد على سبعة اميال ، واخذ الامراء والعامه يتنافسون في بناء القصور الفخمة "٥" ، ونظمت شوارعها وازقتها وساحاتها التي كانت تمتاز بالسعة والرحابة . "٦"

---

١ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٦ .

٢ — تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٧٨ .

٣ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ — يذكر ان اول بيت بني في مراكش بيت تورزجين بن الحسن وكان من الطوب ثم بني قصر الحجر (انظر ابن عذارى : المصدر السابق ج ٤ ، ص ١٩ — ٢٠) .

٤ — المقرى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١١٠ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ — ٤٦٠ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

٥ — الزركشي : المصدر السابق ، ص ٨ — باليا س : الفن المرابطي والموحدى ، ص ٣٠ — ٣١ . — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥٩٩ .

٦ — ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

ولم يدخر علي بن يوسف وسعاً في دفع عجلة تطوير عاصمته ، فأنفق على منشآتها ومرافقها سبعين ألف دينار "١" ، وحرص على توفير المياه لها عن طريق الخطاطير التي قام بحفرها المهندس عبيد الله بن يونس ، وهي عبارة عن آبار متقاربة تتصل مع بعضها ، فوصلت المياه الى مختلف احياء المدينة ، واكتنفت المدينة الخضرة والحدائق بفضل هذه الشبكة الواسعة من القنوات الجوفية . وقد اعجب الامير علي بن يوسف بهذا الابتكار واغدق على مهندسها العطايا والصلات . "٢"

واقيمت قنطرة على نهر تانسيفت باشراف خبراء استقدموا من الاندلس خصيصا لهذه الغاية "٣" ، وقد بلغ طول هذه القنطرة اربعين مترا واقيمت على واحد وعشرين قوسًا مبنية من الآجر والجير "٤" . كما بنيت ايضا بالمدينة عشرات الحمامات ومخازن الحبوب ، والبيمارستانات . "٥"

وجذبت العاصمة الجديدة مراكش رؤوس الاموال اليها من مختلف الجهات ، فوفد عليها المستثمرون والتجار والصناع من مختلف الاصقاع ، فازدهرت التجارة والصناعة بها ، وزخرت اسواقها بالسلع [illegible] "٤"

---

١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥١ .

٢ — الزركشي : الصدر السابق ، ص ٨ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ — احمد مختار العبادي : الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، مج ١١ ، ع ١ ، ابريل — مايو — يونيو ١٩٨٠ م ، ص ١٤٨ — ١٥٠ .

٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥٣ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٤٨ .

٤ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

٥ — الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٥ — ١٦٧ .

والصناعة فيها ، وزخرت اسواقها بالسلع المختلفة . "١"

ويبدو ان الدولة حرصا منها في المحافظة على النظام ، ومعاقبة كل من تسول له نفسه افساد الامن والاعتداء على الاخرين قامت ببناء بعض السجون "٢".

لقد غدت مراكش بفضل جهود امير المسلمين علي بن يوسف من اجمل المدن المغربية واكبرها لكثرة مبانيها وبساتينها ، وازدهار صناعاتها ، فأصبحت محط انظار الاندلسيين والمغاربه .

واظهرت الحفريات التي جرت بالقرب من جامع الكتبيه بمراكش بقايا لجناح عائلي في قصر شرع علي بن يوسف في بنائه عام ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م . كذلك امكن التعرف على اساس لصحنين صغيرين ، احدهما يشتمل على ممرين متقاطعين ، ويحد ان اربع رقاع مربعه ، وفي الجانب الشمالي من هذا الصحن توجد بركة صغيرة مطلية باللون الاحمر تتفرع منها انابيب صغيرة من الطين تحمل الماء الى الرقاع لتروى ما قد يكون بها من زرع . واما الصحن الاخر فعثر فيه على قواعد اعمدة مربعه ."٣"

---

١ ـ المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٥ ـ ١٦٨ ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥٩٩ .

٢ ـ الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

٣ ـ بالباس : المرجع السابق ، ص ٣٠ ـ ٣١ ـ ومن الجدير بالذكر ان الموحدين بعد دخولهم مراكش عام ٥٤١ هـ اهتموا بها ايضا اهتماما لا بأس به ، وقاموا بانشاء بعض المنشآت المعمارية خاصة المساجد ويبدو انها استمرت مزدهرة فترة من الوقت وهذا ما اكده ليون الافريقي حين وصفها بأنها اعظم مدن العالم في =

ومن المدن التي اهتم بها المرابطون اهتماما فائقا مدينة فاس التي تقدمت تقدما كبيرا في هذا العهد ، فازدحمت بالسكان وراجت تجارتها ، وعلت مبانيها ، وكثرت صناعاتها ز، وحظيت المساجد فيها برعاية خاصة ، وتنافس اهل الخير في بنائها . "١"

ويعود الاهتمام بهذه الحاضرة الى فترة مبكرة من عهد يوسف بن تاشفين ، الذى اعتنى بها عناية فائقة ، فيذكر انه استقدم اليها جملة من صناع الارحاء من الاندلس ، فبنوا جملة من الارحاء فيها "٢" . وقد استمرت المدينة في النمو والازدهار في عهد علي بن يوسف حتى غدت بمثابة العاصمة الثانية للمغرب . "٣"

واذا انتقلنا الى الاندلس وجدنا نهضة معمارية رائعة لا تقل فى مستواها عن النهضة التي شاهدناها في بلاد العدوة ان لم تكن تبذها ، فنظرة لعدد بيوت احدى المدن الاندلسية في هذا العهد يثبت ما ذهبنا "٤" ، فيقدر توريس بالباس عدد بيوت المرية في الفترة الواقعة ما بين اواخر القرن الخامس والنصف الاول من — القرن السادس الهجرى بنحو (٤٦٠٤) دارا يسكنها اكثر من ٢٧ ألف نسمة ، وهو اقل تقدير لسكان المدينة في ذلك الوقت ، لان هناك من يقدر عدد دورها

= عصره (انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ز، ق ٣ ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ، حاشية رقم ١ — الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ — ١٦٧) .

١ — الجزنائي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، ص ٦٧ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٥٩ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥١٨ هـ ٧٥٨ .

٢ — الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

٣ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥١٨ .

٤ — الفن المرابطي والموحدى ، ص ٤٥ — ٤٦ .

بـ ١٧٦٠٠ دارا للخاصة والعامة في العصر المرابطي والموحدي . "١"

وتغنى الشعراء ببعض قصور المرابطين في الاندلس ، فهذا الشاعر ابو بكر ابن بقي يمتدح منية الزبير بن عمر احد ولاة قرطبه في عهد علي بن يوسف ، وما قال فيها :ـ

سقى الله بستان الزبير وادام في ذراه مسيل النهر ماغنت الورق

هو الموضع الزاهي على كل موضع اما ظله ضاف اما ماؤه دافق

اهيم به في حالة القرب والنوى وحق له مني التذكر والعشق "٢"

كما اهتم ولاة الدولة المرابطية في الاندلس في عهد علي بن يوسف ببناء الحمامات والمرافق العامه "٣" ، والفنادق التى بلغ عددها في مدينة المرية وحدها في العصر المرابطي ٩٧٠ فندقا "٤" . وهذا وقد كشفت الحفريات في السنوات الماضيه في مدينة اشبيلية من مقر حكم المرابطين فيها . "٥"

---

١ ـ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

٢ ـ المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

٣ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ ـ المقرى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٦ .

٤ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٩ .

٥ ـ ارنست كونل : الفن الاسلامي ، ص ١٢٦ .

ب - العمـــارة الدينيــــة :

لقد اعتنى المرابطون بالمساجد عناية فائقة منذ اللحظات الاولى لقيـــام دولتهم ، وعندما بدأت قواتهم تتقدم نحو المغرب اخذو يشجعون على بناء المساجد في المدن المفتوحه ، ووصل الامر في بعض الاحيان الى معاقبة اهل المدينـــة التي لم تشجع على بناء المساجد فيها . وهذا ما حدث في مدينة فاس عندما دخلها المرابطون عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م فقد فرضوا على اهلها بناء المساجد في أحوازها وازقتها ، وشوارعها ، واى زقاق لم يوجد فيه مسجد عوقب أهله وامروا ببنـــاء مسجد فيه . "١"

وانفق علي بن يوسف بن تاشفين وقواده اموالا طائلة في بناء المســـاجد وترميمها . ولم تكن النساء المرابطيات ايضا اقلّ حماسا من الرجال في تشجيع حركـة بناء المساجد ، فرخصن اموالهن في سبيل بناء بيوت يذكر فيها اسم الله ، فتبرعت حرم امير المسلمين علي الحره بمبلغ من المال لتوسعة بعض المساجد وترميمها "٢" .

وتنافس اهل الخير في تقليد قادتهم في بناء المساجد فانتشرت هذه الروح الدينية في طول البلاد وعرضها . هذا والاهتمام بالمسجد يتناسب مع رسالة دولـــة المرابطين التي كانت تسعي لرفع لواء الاسلام عاليا ، ولذلك طغت العمارة الدينية على العمارة المدنية في عهد المرابطين حتى ان مؤرخي الفن دهشوا لقلة القصـــور

---

١ - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ .

٢ - ابن رشـــد : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٦٠ .

بالنسبة للمساجد ٠ "١"

وامتازت المساجد المرابطية بشكل عام بضخامتها ، وارتكاز سقوفها المسنمه الشكل على دعائم قاعدتها مستطيلة او مصلبة ، ثم بعقود حذوة الفرس — دون اوتار تربطها ٠ "٢"

ومن المساجد الرائعة التي قام بانشائها المرابطون في المغرب مسجد علي بن يوسف بن تاشفين في مدينة مراكش ، والذى انفق في بنائه ستون الف دينار مرابطية "٣" ٠ وقد كشفت الحفريات منذ عهد قريب في مدينة مراكش عن اساس لصومعة هذا المسجد الذى شرع في بنائه عام ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م ، وكانت الاجزاء السفلى من هذه الصومعة من الحجر تحدها اضلاع اربع كل واحد منها ١٠ م ، ومزودة من الداخل بدرجين متماثلين ٠ "٤"

وفى وسط مدينة مراكش تقوم قبة آية في الفن والروعة تسمى قبة البارود يين "٥" التي يحدد تاريخ انشائها ما بين عامي ٥١٤ هـ و ٥٢٥ هـ / ١١٢٠ و ١١٣٠ م٠ "٦"

---

١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٤٩ — ٤٥٢ ٠

٢ — ورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص ٣٣٨ ٠

٣ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ — ابراهيم حركات المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٤٢ ٠

٤ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ — بالباس : المرجع السابق ، ص ٢٤ ٠

٥ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ ٠

٦ — بالباس : المرجع السابق ، ص ٤٦ ٠

وهى عبارة عن مبني مستطيل الشكل مبني من الحجر تتوج جدرانه من الخارج شرافات مدرجة ، ويغطي الجزء الاوسط قبة صغيرة مبنية بالاجر ، وقواه من الخارج بحروق تقوم على قاعدة مربعة ضلعها ٣٨٠ م ، وتبرز بداخلها ثمانية عقود متقاطعة راسمة بتقاطعها حلقة مثمنة تعلوها قبة صغيرة مفصصة . "١"

ويذكر بالباس "٢" ان هذه القبة ربما انها بنيت من اجل ان تكون مدفنا لاحدى الشخصيات المهمة في الدولة المرابطية . ولعل بالباس بحكمه هذا كان متأثرا بالفن الاسلامي المشرقي في العصر العباسي والسلجوقي والعصور الاسلامية المتأخرة التي كانت تعج بمشرات القباب والمباني الضخمة التي اقيمت على مدافن بعض الشخصيات المهمة ، ولكن بالباس غفل عندما أصدر حكمه هذا عن الاساس الروحي الذى قامت عليه دولة المرابطين ، والذى يتنافي مع كل ضلالة وبدعة ، فهم يرفضون البناء على القبور ، حتى ان عليا بن يوسف بن تاشفين اوصى بأن يدفن في مقبرة عامة الناس من المسلمين . "٣"

ومن المساجد التي بناها المرابطون في المغرب ايضا مسجد تلمسان ، وهو المسجد الوحيد الذى بقي على شكله الاصلى بوجه عام من آثار الدولة المرابطية" ٤" وتشير الكتابة الموجودة فى محرابه الى الفراغ من انشائه عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥م ، والانشاء المقصود هنا هو الاضافات التي قام بها علي بن يوسف على المسجد الاصلي

---

١ ــ المرجع السابق نفسه ، ص ٤٦ ــ ٤٧ .
٢ ــ نفس المرجع السابق والصفحات .
٣ ــ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠١ .
٤ ــ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ .

الذى اقامه والده عام ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م . "١"

والمسجد بناء مستطيل طول ضلعه من الشمال الى الجنوب ٥٥ م ، ومن الغرب الى الشرق ٥٠ مترا "٢" . ويتألف من بيت للصلاة مستطيل الشكل يشتمل على ١٣ بلاطه عمودية على جدار القبله ، وتستند عقود الجامع على خمسة صفوف من الدعائم تمتد بحذاء جدار القبلة كل منها يشتمل على ١٢ دعامه ، وسقف المسجد خشبي مسطح يعلوه سطح منشوري الشكل مسنم ، ويتوسط بيت الصلاة قبة تقابلها اخرى امام المحراب ، وقبة المحراب هذه من أجمل القباب في المساجد الاسلامية ، وهى تعتمد على ١٢ عقدا متقاطعا . "٣"

ويعتبر مسجد الكتبيه في مراكش ، والذى بني عام ٥٣٤ - ٥٣٧ هـ / ١١٣٩ - ١١٤٢ م من المساجد التي اشتهرت في تلك الفترة واعتبر منبره من اجمل المنابر الاسلامية . "٤"

---

١ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ - ويذكر حسن محمود (قيام دولة المرابطين ، ص ٤٥٣) وابراهيم حركات : (المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣) انه بني عام ٥٢٠ هـ .

٢ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ أى ان المساحة الكلية ٢٧٥٠ $م^2$ بينما ذكر ابراهيم حركات (المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣) أن المساحة ٣٠٠ $م^2$.

٣ - نفس المرجعين السابقين والصفحات .

٤ - مورينو : المرجع السابق ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

وتوج علي بن يوسف اعماله العمرانية بتوسعة مسجد القرويين "١" ، والتي انفق فيها ٨٠ ألف دينار مرابطية "٢" ، وذلك باضافة ١٨٥٠م٢ للمسجد القديم فأصبحت مساحته بعد ذلك ٥٨٤٦ م٢ . وكان تاريخ الشروع في هذه الزيادة عام ٥٣١ هـ/ ١١٣٧م "٣" ، وقد انجزت في عام ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م. "٤"

---

١ - قامت بانشاء هذا المسجد فتاة تسمى فاطمة وتكنى بأم البنين ، وهي بنت الفقيه ابو عبد الله محمد الفهري القيرواني ، التي توفي زوجها واختها فورثت منهما مالا عظيما بنت به مسجد القرويين عام ٢٤٥ هـ/٨٥٩م . وكان تصميم المسجد مربعا الا ان تربيعه لم يكن منتظما تماما ، فكان عرضه اكبر من طوله ، وكانت له اربعة ابواب ، وبعد قرن من تأسيسه اخذ يضيق بالمصلين فقام الامير احمد بن ابي بكر الزناتي عام ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤م الذي كان تابعا للامويين في الاندلس ، باستشارة الخليفة عبد الرحمن الناصر في توسعته ، فرحب بالاقتراح ، وقدم له المساعدات من اجل ذلك ، فزاد فيه من الجهات الثلاث الغربية والشرقية والشمالية ، مع مراعاته للخطوط الكبرى للمسجد الاولى ، وقام بنصب الصومعه وسط الجناح الغربي للصحن وقد بلغت مساحته بعد هذه الزيادة اربعة الاف متر مربع ، واكتسب اربعة ابواب اخرى ، والمنارة لا تزال شاخصة الى الان ، وتعد اقدم منارة في المغرب الاسلامي ، وهي نموذج للصومعة المربعة ، ويبلغ ارتفاعها ٢٦٫٧٥ م ، وقد فرغ من بنائها في ربيع الثاني ٣٤٥ هـ/ يوليو ٩٥٦م . انظر ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ٥٤ - ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢ - عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، ج ١ ، ص ٤٦ - ٤٧ ، ٥٦ - ٥٧ ، ١٥٢ .

٢ - الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٦٨ - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ٧٩ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

٣ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ - ويذكر الجزنائي : (جني زهرة الأس ، ص ٦٧) ، ان الشروع في الزيادة كان عام ٥٢٩ هـ/ ١١٣٥م .

٤ - عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

وكانت هذه الزيادة ضرورية لاكتظاظ مدينة فاس بالسكان وازدحام المسجد خاصة يوم الجمعة والاعياد بالمصلين ، فكان الناس يصلون في الشوارع ، فاتفق رأى وجهاء المدينة على ندب احدهم لعرض الامر على امير المسلمين في مراكش ، واخباره بأن نفقات التوسعة ستغطى عن طريق محاسبة وكلاء الاحباس الذين كانوا يستغلونها لصالحهم ظلما وبهتانا ، فوافق امير المسلمين على ذلك وشجعهم عليه ، فتعاقب على توسعته ثلاثة من القضاه ، فزود المسجد بحجرات اضافية ، ومسجد للجنائز ، ومظلة للصحن الخارجي .

وكان ابو عبد الله محمد بن عيسى السبتي قاضي مدينة فاس ، قد قام ببعض الاصلاحات في المسجد في عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م ، كان من بينها بناء الباب الغربي للمسجد . "١" الا أن الزيادة المهمة هى التي قام بها قاضي فاس عبد الحق بن معيشه الغرناطي الذى خطط لمشروع توسعة ضخم ، ووفر نفقات هذه التوسعة بمحاسبة وكلاء الاوقاف ، حيث ابرزت المحاسبة ثمانين ألفا من الدنانير المرابطية ، ثم شرع في شراء البيوت المجاورة للمسجد والتي تدخل ضمن التوسعة ، وكان معظمها لليهود ، فاشتراها منهم بأثمانها دون بخس ، وتجمع له من بيع انقاضها مبلغ ضخم عوضه عن ثمن شرائها . "٢"

وكان مشروعه يقوم على العمل على توسعة الصحن وتخصيص مقدم القبلة لعدة مرافق ، والتخطيط لبناء مسجد للجنائز ، وبناء مقصورة للامام ، ومنبر ، وابواب جميلة للمسجد . "٣"

---

١ ــ الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٦٥ ــ ٦٦ .
٢ ــ ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ ــ ٦٩ .
٣ ــ عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٤ ــ ٧٥ .

وقام ابن معيشة بزيادة عشر بلاطات من صحنه الى القبله ، وعمل قبتين واحدة بأعلى المحراب والاخرى تحاذيها من وسط البلاطين المتصلين بها ، وعمل ذلك من الجص المقربص الفاخر . "١" .

وامر علي بن يوسف بعمل منبر فاخر للمسجد ، فتعهد الشيخ الاديب ابو يحيي العتاد امام اللغة والشعر بصنعه ، فصنعه من عود الصندل ، والابنوس ، والنارنج ، والعناب ، وعظم العاج ، فخرج اية في الفن والروعه ، بعد ان انفق عليه ثلاثة آلاف وثمانمائة دينار ، وسبعة اعشار دينار فضه ، وخصص لهذا المنبر من اجل المحافظة عليه غشاءان احدهما من الجلد والاخر من الكتان يزالان في كل يوم جمعه . "٢"

ويعد هذا المنبر اول تحفة في العالم الاسلامي كله ، وكان يصعد اليه الخطيب على تسع درجات بين ساريتين من عود ثمين ادكن ، وتم الفراغ من هذه التحفه الفنية في عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م "٣" ، في عهد الشيخ ابى مروان عبد الملك بن بيضاء القيسي لان القاضي بن معيشة عزل من منصبه في عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨م . "٤"

---

١ ـ ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٦ .
٢ ـ نفس المصدر السابق والصفحة ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ـ الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٦٨ .
٣ ـ عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .
٤ ـ ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ـ الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٦٨ .

وكذلك اكتسب المسجد مصلى للجنائز مثلما خطط له ابن معيشه ، وهو اقدم جامع من نوعه في كل بلاد المغرب ، وقد شيد على شكل مثلث متصل بالشارع العام عن طريق باب الخلفاء وباب المصلى ، وفي غرب هذا المثلث قبة مقربصة يحميها رواق سقف بالقرميد وتحت هذه القبة يوضع النعش . اما مقصورة الامام فمساحتها تتعدى الخمس امتار تعلوها قبة في اعلاها شماسات . "١"

وزود الصحن بمظلات من الكتان تنشر عليه يوم الجمعة في فصل الصيف لتحجب الشمس عن المصلين ، حيث جعل في اطنابها حبالا تجرى في بكرات موثوقة بالرفوف الدائرة على جوانب الصحن ترفع بها المظلات عند الحاجة اليها ، وترك في بعض المواضع من المظلات فرج يدخل منها الهواء ، وبقيت هذه المظلات حتى العهد الموحدى حيث مزقت لقلة العناية بها . "٢"

وفرشت ارضية المسجد كلها ، وحفرت فيها بالوعات تستوعب ماء الغسل عند الحاجة ، وبلغ مجموع سوارى المسجد بعد هذه الزيادة ما بين ٣٠٠ و ٢٧٢ ساريه متنوعة الشكل والمادة ، فبعضها كان من قطع الاجر وربعة القاعدة في معظم الاحوال وبعضها من قطع قديم ركبت من اسطوانات صخرية ، ومنها المفصص والمضلع ، وهناك

---

١ — عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٤ — ٧٥ — الشماسه : يقصد بها النافذة وهى كلمة مشتقة من كلمة الشمس (انظر عبد العال عبد المنعم الشامي جغرافية المدن عند العرب ، مجلة عالم الفكر ، مج ٩ ، ع ١ ، نيسان — مارس — حزيران ١٩٧٨ م ، ص ١٤٦ .)

٢ — عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٤ .

قسم من السوارى الرخامية جلبت من الاندلس . "١"

وغدت ابواب المسجد بعد الزيادة ١٧ أو ١٨ بابا "٢" ، وغشيت الابواب بالنحاس الاصفر ، وعمل امام كل باب قبة "٣" ، واول ما بني من هذه الابواب باب الفخارين عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣م الذى عرف فيما بعد باسم باب الشماعين وركب عليه باب عظيم "٤" ، وعمل بأعلاه قبتان احداهما من جص بداخله ، والثانية من خشب الارز بخارجه . "٥"

وهكذا اصبح مسجد القرويين يتسع لاثني عشر ألف مصلي في بعض الروايات ، ولاثنين وعشرين ألفا ومئة واحدى واربعين نسمة في روايات اخرى . "٦"

كما قام عمال واعيان المرابطين في الاندلس بتقليد اميرهم علي بن يوسف ابن تاشفين في ترميم وتوسيع وانشاء المساجد في هذه الرقعة . وقد اسفرت اعمال التنقيب في مدينة المرية عن الكشف عن لوحة تنص على ان هناك زيادة في منارة المسجد الجامع في المدينة على يد قاضي الجماعة بحضرة قرطبة وصاحب الصلاة في مسجد المرية ومما جاء في هذه اللوحة ان الذى امر بهذه الزيادة الفقيه ابو محمد عبد الحق بن

---

١ ـ المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .
٢ ـ المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٨٩ ـ ٩١ .
٣ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ـ الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٦٨ .
٤ ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٦٠ .
٥ ـ الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .
٦ ـ عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٧ .

عطية فزيد في طولها عشرة أذرع وكمل ذلك في سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م • "١"

وزاد أيضا ابو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافرى المتوفي عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م في سقف جامع قرطبه "٢" كما قام ببناء حمام فيه في عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م واقام حماما اخر في غرناطه • "٣"

======

---

١ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٤٩ •

٢ ـ المقرى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ •

٣ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ ـ المقـــرى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٦ •

ج - العمارة العسكرية :

لقد كان ترامي اطراف دولة المرابطين يحتم على حكامها البحث عن طريق يستطيعون بواسطتها تثبيت سيادتهم عليها خاصة في المغرب حيث يكثر المنافسون لهم من قبل قبائل المصامده وغيرها ممن يتحفزون للثورة عليهم ، فلم يجدوا افضل من بناء القلاع بالقرب من المناطق التي يتوجسون منها ، فأقاموا صفاً من الحصون حول جبال الاطلس لاخضاع المصامدة والسيطرة عليهم . "١"

ولم يغفلو كذلك عن تحصين مدنهم في المغرب لصد غارات الموحدين ، وفي الاندلس لرد عادية الاسبان النصارى الذين كانوا يخرجون بين الفينة والفينة الى الاراضي الاسلامية فيعيثون فيها ، فاضطروا الى بناء عشرات الاسوار حول المدن الاندلسية والمغربية على حد سواء .

وقد غلب الطابع المغربي على بناء الحصون والاسوار والقلاع "٢" ، التي امتازت بالضخامة والمبالغة في التحصين ، فكانت جدران القلاع سميكة تتخللها ابراج على هيئة نصف دائرة وتحيط بها الخنادق الواسعة . "٣"

وكانت مادة البناء المستعملة في تلك العمائر الحجر أو الطوب أو هما معا "٤"، وزودت تلك القلاع بكل شيء تحتاج اليه من ماء ، وغذاء ، وسلاح ورجال . "٥"

---

١ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٩٣ .
٢ - ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .
٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .
٤ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
٥ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٥ - ٧٦٦ .

ومن اهم القلاع التي اقامها المرابطون في المغرب قلعة آمرجو والتي يرجح انها بنيت في عهد علي بن يوسف ، وتعتبر هذه القلعة من ابرز النماذج التي تمثل العمارة الحربية في عصر المرابطين . وتقع هذه القلعة على مرتفع مطل على وادى ورغه المتفرع من وادى سبو جنوبي قلعة بني تاودا ، والقلعة على شكل متعدد الاضلاع المائل الى الاستطالة ، ودعم سورها الخارجي بأثنى عشر برجة نصف دائرية تقوم في زوايا السور ، وفي جانب السور الشمالي الشرقي من القلعة يقوم برجان يمتد بينهما سور امامي ، كما ان القلعة كانت مزودة بقصبة صغيرة على شكل مستطيل ، محصنة في اركانها بأبراج نصف دائرية ، ويخترق سورها بابان . اما سور القلعة ككل فيخترقه ثلاثة ابواب .

وفي هذه القلعة تفاعلت المؤثرات المحلية مع المؤثرات الاندلسية والاسبانية النصرانية "١" ، واهم المؤثرات الاسبانية النصرانية فيها الابراج المستديرة والسور الامامي ولعل اهم القنوات التي انتقلت عبرها المؤثرات الاسبانية النصرانية الى الحضارة المرابطية كانت عن طريق المستعربين وهم النصارى الذين كانوا يعيشون في الاندلس ، وكانوا يتنقلون بين الاقاليم الاسلامية والمسيحية ، فكانوا حلقة وصل بين الحضارة الاسلامية في الاندلس والممالك النصرانية الاسبانية الشمالية والدول الاوروبية . "٢"

---

١ — المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٦٣ — ٧٦٥ .

٢ — عباس الجراري : اثر الاندلس على اوروبا في مجال النغم والايقاع ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ ، ابريل — مايو — يونيو ١٩٨١ م ص ١٧ .

وعبرت المؤثرات الاوروبية والاسبانية الشمالية الى الدولة المرابطية ايضا عن طريق الحروب، حيث اقتبس كل طرف من الاخر بعض المميزات التي رآها جديرة بالاقتباس فأخذ المرابطون من النصارى بعض الادوات الحربية من تروس ودروع •

وكان الجند المرتزقة من الممالك النصرانية الأسبانية في جيش علي بن يوسف يشكلون حلقة وصل بين ثقافتين متباينتين ، فنقلوا الى المغرب والاندلس اضافة لفنون الحرب بعض المؤثرات في العمارة الحربية التي تجلت في استعمال المرابطين للقلعة التي على شكل متعدد الاضلاع • "١"

أما القناة الاخيرة التي عبرت عن طريقها المؤثرات الاجنبية الى الدولة ـ المرابطية ومن الدولة المرابطية الى تلك الدول فهي التجارة • فكانت السفن الأوروبية تصل الى موانيء الاندلس والمغرب للمتاجرة ، وكان التجار الاوروبيون خلال اقامتهم في الموانيء المرابطية يؤثرون ويتأثرون • "٢"

أما حصن تاسغيموت الذى أقيم عند الاطلس الكبير "٣" عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥م تحت أشراف مهندس اندلسي هاجر الى مراكش "٤" ، فهو حصن أشبه بالمحلة المسورة منه بالقلعة الحقيقية "٥" • وقد بني هذا الحصن ليكون نقطة مراقبة متقدمة لمدينة مراكش على بعد ٣ كم الى الجنوب الشرقي منها على هضبة وعره

---

١ ــ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ ــ ٤٦٥ •
٢ ــ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٨ ــ بالباس : المرجع السابق ، ص ٦٢ ــ ٦٣ •
٣ ــ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ •
٤ ــ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٨ (يسميه البيذق ميمون بن ياسين) •
٥ ــ بالباس : المرجع السابق ، ص ٣٦ •

تحيط بها اودية سحيقة شديدة الانحدار يصعب على المهاجمين ارتقاؤها ، وتحدق اسوار هذا الحصن بالهضبة ، وللحصن باب رئيسي واحد من الجهة الشمالية اسمه باب الموحدين ، وهناك باب صغير للطوارئ في نفس الجهة .

وزود هذا الحصن بكل المرافق الضرورية لمقاومة أى حصار طويل ، فهو من الداخل عبارة عن معسكر فسيح مزود بخزان ماء ضخم تصل اليه المياه من نبع في الهضبة "١" ، وشحن ايضا بحامية قوية قوامها سبعمائة رجل ، مائتي فارس وخمسمائة من المشاه . "٢"

وكانت مادة بناء هذا الحصن الذى شارك في بنائه اسارى النصارى من الحجر والطوب "٣" ، ولكن على الرغم من حصانته الا انه سقط بيد الموحدين في فترة مبكرة فقاموا بخلع ابوابه وركبوها على باب الفخارين في مدينة تينملل . "٤"

وبنى المرابطون ايضا حصن تاكرارت بمكناس (تاكرارت تقابل لفظ معسكر) ، وحصن تاكرارت تلمسان ، وقصبة النصراني عند جبل رزهون ، وحصنا قرب أود وغشت وكان يخندق حول هذه القلاع وتشحن بالاسلحة والذخائر . "٥"

ومن القلاع الهامة التي بنيت في الاندلس في عهد علي بن يوسف قلعة منتاجدو (Monteagado) التي تشرف على بساتين مرسية ، وتسمى

---

١ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٥ ـ ٧٦٦ .

٢ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ . ٣ ـ نفس المرجع السابق والصفحه .

٤ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٥ ـ ٧٦٦ .

٥ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

اليوم بالقصير ، واهميتها الكبرى تنحصر في انها تعطينا صورة عن مقر ريفي بما يحويه من حدائق ، ونافورات وبرك ، وزخارف متنوعة مكونة من تشبيكات سداسية وثمانية ، وزخارف كتابية عمادها الخط الكوفي والنسخي . "١"

أما الأسوار فقد اعتنى بها المرابطون عناية فائقة خاصة عندما اشتد ت ضربات الموحدين لهم في المغرب ، وضربات النصارى في الاندلس فقد كشفت هذه الغارات ضعف تحصينات المدن المغربية والاندلسية على حد سواء .

ونشطت عملية انشاء الاسوار وترميمها في المدن المغربية والاندلسية منذ عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م عندما اخترق الفونسو المحارب بجيوشه الاندلس وحاصر مدينة غرناطة وعاث في عدد من المدن الاندلسية لعدم مناعة اسوارها . وفي نفس الوقت كان الموحدون يشنون غاراتهم على المعاقل المرابطية في المغرب ، ووصلوا في بعض الاحيان الى العاصمة مراكش . عندها جاز ابو الوليد بن رشد الى امير المسلمين علي في مراكش واخبره بضرورة ترميم اسوار المدن الاندلسية ، وانشاء سور حول المدن التي تفتقر اليها ، كما افتى امير المسلمين مع مجموعة من علماء المغرب بضرورة تسوير العاصمة مراكش التي كانت بدون سور . "٢"

واستقدم أمير المسلمين علي بن يوسف عددا كبيرا من الصناع والمهندسين الاندلسيين الى المغرب للاشراف على بناء اسوار المدن المغربية "٣" ، وبدأ بسور

---

١ — مورينو : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ — ٣٣٧ .

٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، حاشية رقم ٣ .

٣ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

مراكش عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م "١" في الوقت الذي ورد فيه كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف الى الاندلس حاثا فيه على النظر في جميع اسوار المدن الاندلسية . وقد انجز بناء سور مراكش خلال ثمانية أشهر "٢" ، وفتح فيه سبعة عشر بابا "٣" ، اشهرها باب ايلان "٤" ، وأغمات ، ودكاله ، والدباغين ، والشريعة والمخزن "٥" ، وكانت كلفة هذا السور الضخم سبعين ألف دينار ذهبية . "٦"

كما أوعز أمير المسلمين علي بن يوسف الى قاضيه على مدينة فاس عبد الحق ابن معيشه بالاعتناء بأسوار المدينة ، فقام ببناء سور القوارجه ، وهو سور يتفرع من السور الأصلي للمدينة وينتهي عادة ببرج خارجي يقام في أصعب المواقع الدفاعية في المدينة . "٧"

وقام والي مدينة وهران من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف ببناء سور حول المدينة مستجيبا لنداء أمير المسلمين القاضي بضرورة العناية بالتحصين وتسوير المدن . "..."

---

١ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٣ — وهناك من يجعل تاريخ بنائه عام ٥٢٦ هـ انظر ابن القاضي : المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٥٤٦ — ابن أبي زرع : المصدر السابق : ص ١٣٩ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٧٨ .

٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — السلاوى : المصدر السابق ج ١ ، ص ١٠٧ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٩ ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٦ .

٣ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥٠٩ .

٤ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧١ .

٥ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٠٤

٦ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — السلاوى : الاستقصاء ج ١ ، ص ١٠٧ .

٧ — الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٤٢ — السيد عبد العزيز سالم : =

المـدن . "١"

أما في الاندلس فقد فرض المرابطون على السكان ضريبة خاصة تسمى ضريبة التعتيب من اجل ترميم الاسوار وبنائها "٢" ، فتولى اهل قرطبة ترميم اسوار مدينتهم على سالف عادتهم ، وحذا اهل اشبيليه حذوهم "٣" ، وتولى اهل المرية مساعدة رجل منهم يعرف بابن العجمي على بناء سور للمدينة وتحصينها بأقل قدر من التكلفة . "٤" كما بنيت اسوار حول لبلة "٥" ، وشريش وغيرها من المدن الاندلسية . "٦"

وكانت الأسوار المرابطية تعزز بالابراج المستطيلة القليلة البروز ، كما كانت تزود بأبواب يحد طرف كل منهما بابان متواجهان امعانا في التحصين ، واضافة لكل ذلك كانت تحاط الاسوار بخنادق . "٧"

= المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥١٨ .

١ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

٢ ـ بالباس : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

٣ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٤ .

٤ ـ نفس المصدر السابق والصفحة .

٥ ـ تقع في غرب الاندلس وهى مدينة قديمة : انظر الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٠٧ .

٦ ـ بالباس : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

٧ ـ نفس المرجع السابق والصفحة ، ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

وهكذا برزت مدرسة معمارية جديدة في بناء المساجد والعمائر الحربية في المغرب والاندلس نتيجة لامتزاج المؤثرات المحلية مع المؤثرات الاندلسية والنصرانية فظهر لاول مرة في المغرب ما يعرف بمسجد الجنائز وظهرت القباب المتقابلة على ابواب المساجد ، وبرزت صناعة المنابر المتميزة بالدقة والجمال الرائع ، والمصنوعة من نفيس الخشب الموشي بثمين الأحجار الكريمة والجواهر ، كذلك برزت الى حيز الوجود القباب المقربصة ، ولاول مرة استخدمت المظلات المتحركة لتظليل المصلين في صحن المسجد في ايام الصيف .

ورأينا كيف كانت العمارة العسكرية متميزة بالضخامة والمبالغة في التحصين ولم يعهد ان قامت دولة من الدول الاسلامية في المشرق أو المغرب بانشاء هذا العدد الضخم من القلاع لنفس الغرض الذى من أجله انشأها المرابطون .

أجل ان المنجزات المعمارية الضخمة التي قام بانجازها المرابطون خلال فترة حكمهم تستحق التقدير والاعجاب خاصة اذا علمنا ان احوال الدولة بدأت تضطرب منذ عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م عندما ظهر محمد بن تومرت ، كما اشتدت ضربات النصارى في الاندلس . وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات كانت الحركة العمرانية على اشدها ولم تتوقف لحظة واحدة ، فكما رأينا كانت بعض الاعمال المعمارية في مدينة فاس تسير على قدم وساق حتى عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م . حقا كان المرابطون بناة حضارة ودعاة تقدم ، فيد تحمل السلاح وتقارع الاعداء في الداخل والخارج ، والأخرى تحمل المعول لتعمر وتبني وتشيد المدن والمساجد والمرافق العامة .

====

د – الفنون الزخرفيـــــــة :

لقد كان لثراء الدولة وسخائها في الانفاق على الفنانين دور في ابراز اعمال – فنية رائعة تبرز ما كانت تتمتع به من غناء وازدهار ، الا اننا يجب الا ننكر ما كان لوحدة الاندلس والمغرب تحت سلطان المرابطين من دور في دفع عجلة الحركة الفنية تلك دفعات الى الامام ، فقد استطاعت الايدى الاندلسية الفنية ان تخفف من خشونة العمائر المرابطية في المغرب وتطبعها بطابعها ، مسخرة كل مالديها من خبرة ومهارة .

كما اتاحت سعة رقعة الدولة المرابطية ببيئاتها المتباينة فرصة طيبة للفنان لاستلهام موضوعات لرسوماته وزخارفه ، وساعدت هذه السعة أيضا على توفير المواد الخام من ثمين الاخشاب ، والعاج ، والجوهر ، وغيرها مما يحتاج اليها الفنان وتساعده على الاجادة والابداع .

وكان لمتاخمة الدولة المرابطية للممالك الاسبانية النصرانية دور في تسرب بعض التأثيرات الفنية النصرانية الى الفنون الزخرفية المرابطية ، وكان ايضا لصلات المرابطين بالمشرق عن طريق التجارة ، وعن طريق الرحلات والحج ، دور في تسرب بعض المؤثرات الشرقية اليها .

في هذا المجال الرحب كان الفنان يقوم بعمل زخارفه غير مبال بالوقت من أجل التجويد والدقه ، ولكنه فنان يعرف حدود عمله على ضوء معتقده الاسلامي فابتعد كل البعد عن كل ما هو محاك للطبيعة من انسان أو حيوان الا ما ندر ، ووجد في النباتات ، والعناصر الهندسية ، والخط العربي مجالا رحبا لابراز مواهبه وعبقريته الفنية ، كما كان الجص ، والنحاس ، والخشب والعاج مجالا مناسبا لاعماله . ولم يجد ضيرا في بعض الاحيان في تزويق اعماله بنقوش الذهب ،

واللا زورد ، كما يجب ان لا يفوتنا ان جميع الزخارف المرابطية كانت زخارف حائطية ، وكان معظمها في المساجد •

ولنتحدث بشيء من الايجاز عن بعض الاعمال التي ابدعها الفنانون في العصر المرابطي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، ولنتناول عنصرا عنصرا من عناصر الزخرفة •

— الزخـــارف النباتيـــة —

لقد ظهرت هذه الزخارف بأشكال زخرفية متنوعة فنشاهد في مسجد القرويين في البلاطات الوسطي ، وجوف المحراب من اعلاه مجموعة من المراوح النخيلية "١" • ونجدها في قبة جامع تلمسان عبارة عن جرائد مقسمة الى وريقات تتوالى فيها وريقة في هيئة حلقة تتلوها وريقتان منحنيتان انحناء خفيفا ، وهو طراز ليس له في المغرب نموذج سابق "٢" • على ان مقصورة محراب مسجد تلمسان تعتبر نموذجا لروعة الزخارف النباتية وتنوعها فنطالع توريقات نفيسة تحاكي في بعض الأحيان وريقات شوكة اليهود مع ايثار لتفريغ السيقان المنحنية التي تنبت منها الأوراق ذات الحقات وكيزان الصنوبر ، والوريدات المستقره في توازن للمجموعات وتبلغ روعة هذه الزخرفة عندما تتراكب على التوريقات المتكررة تكوين اخر من اوراق كبيرة ونقوش كتابية الى جانب زخارف

---

١ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٥٨ — ٧٦٠ •

٢ — بالبـــاس : المرجع السابق ، ص ٤٥ — ٤٦ •

من اوراق مخططة شبيهة بورقة شوكة اليهود في مجموعات . "١"

وفي قبة القرويين المحاذية للمحراب نشاهد الزهور المتعانقة في لوحات فنية أخاذه ، كما استخدمت النباتات التى تحاكي في اشكالها شجر النخيل لملىء الفراغات بين الحروف مما زاد في روعة الزخارف الكتابية ، كما نشاهد حقولا جذابه من الزهور ، والنباتات المتنوعة بأسلوب زخرفي جميل . "٢"

ـ الخط العربي :ـ

واذا انتقلنا الى العنصر الاسلامى الاصيل في الزخرفة الاسلامية ، وهو الخط وجدنا يد الفنان في العهد المرابطي قد سخرته لغاياتها الزخرفية افضل تسخير فأخرجت لنا لوحات فنية في منتهى الروعة لادراكها لمميزات هذا الخط ـ ومناسبته للزخرفة لما يتمتع به من انبساط وتقويس و وما يمكن ان يضاف اليه من عناصر زخرفية .

ومن الموضوعات التي تناولتها الزخرفة الكتابية في العمائر المرابطية . الايات القرآنية الدعائية . وقد استخدمت بعض الكلمات القرآنية على شكل لوحات فنيه ، فهناك لوحات تحمل الكلمات ، الحمد لله ، الشكر لله ، العزة لله ، الله اكبر وغيرها . "٣"

---

١ ـ مورنيو : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٥ .

٢ ـ عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

٣ ـ المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٧١ .

واستخدمت الزخرفة الكتابية ايضا لتخليد اسماء بعض من قاموا بأعمال معمارية عن طريق ذكر اسم وتاريخ هذا العمل . ومن امثلة ذلك ما نقش داخل قبة بـــاب الفخارين ما نصه ان هذا الباب والقبة قد كلف ببنائهما في شهر ذي الحجة عـــام ٥٢٨ هـ "١" . وفي قبة محراب مسجد تلمسان نطالع اسم امير المسلمين علـــي ابن يوسف وتاريخ بنائه للمسجد عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م . "٢"

ونقش على اقواس قبة مسجد الجنائز الملحق بجامع القرويين بعض أيات مـن سورة يس التي جرت العادة بالتبرك في تلاوتها على الاموات "٣" . وكان الفنـــان يعمد الى ملىء الفراغ الذي بين الحروف بأشكال نباتية لتزيد الزخرفة الكتابيـــة أبهة وجمال . "٤"

وكذلك استخدم الخط في زخرفة العملة المرابطية ، فكان يكتب على وجهها بخط جميل مكان وتاريخ سكها ، واسم امير المسلمين وولي عهده ، واسم اميـر المؤمنين العباسي عليها "٥" ، فكان الخط العربي الجميل يعطيها مظهرا رائعا .

---

١ ــ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٥٨ ــ ٧٦٠ .

٢ ــ المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ .

٣ ــ عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٤ ــ ٧٥ .

٤ ــ المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٦٩ ــ ٧١ .

٥ ــ عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٧٠ ــ وكان من اثر الاهتمـــام بالخط العربي ان برز خطاطون بارعون نذكر منهـــم : ابا حفص عمر بن عبد الله السلمي الاغماتي نزيل فاس ت ٥٣٠ هـ ، وعبد الله بن محمد بن عيسي الفاسي انظر محمد المنونـــي : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

وعلى الرغم من عدم شرعية البناء على القبور الا اننا نجد بعض الأضرحه قد ارتفع بناؤها ، وازدانت شواهدها بنقوش تمثل اشكال محاريب عقودها متجاوره — منكسرة تحملها عمد على مناكب ويدور بالعقود طرر مستطيلة الشكل تعلوها افاريز وتحف بهذه الافاريز والطرر نقوش كتابية ، ويغطي المحاريب المنقوشة كتابات جنائزية في ذكر المتوفي وتاريخ وفاته ، وبعض الآيات القرآنية . وكانت شواهد هذه القبور تصنع في بعض الاحيان من الرخام الابيض كما في مدينة المرية فيزيد ذلك من روعة اللوحة الفنية . "١"

واذا انتقلنا الى الزخارف الكتابية على الخشب وجدنا نماذج جذابة اشهرها منبر جامع الكتبية الذى يحدد تاريخه المستشرق سوفاجيه ما بين عامي ٥٣٤ و ٥٣٧ هـ / ١١٣٩ و ١١٤٢ م "٢" . على ان منبر جامع القرويين الذى صنع من ثمين الخشب والعاج يعتبر من اعظم الاعمال الخشبية على الاطلاق في المغرب الاسلامي ، حيث كان مدخله مطرزا بكتابات نسخية من الصدف بينما نقش على جانبيه كتابات بالخط الكوفي من العاج "٣" ، اما محراب المسجد فقد رقش بورق الذهب واللازورد ، واصناف الاصبغه . "٤"

---

١ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٣ — ١٦٤ .

٢ — مورينو : المرجع السابق ، ص ٣٤٩ — ٣٥٠ .

٣ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦١ ، حاشية رقم ٣ — عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ — ٧٦ .

٤ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ٦١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥٢ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٥٨ — ٧٦٠ .

ومن الموضوعات الزخرفية الجديدة في عهد علي بن يوسف الزخرفة الثعبانية عند منابت العقود ، ويظهر هذا بشكل جلي في ابواب مسجد الجنائز "١" . وظهرت ايضا لاول مرة صور الحيوانات في الزخرفة في عهد المرابطين في بعض المنسوجات التي صنعت في مدينة المرية ، والتي تميزت بالزخرفة القائمة على دوائر متماسه بداخلها صور لحيوانات . "٢"

كما كانت المنسوجات الحريرية المسماه الستور المكلله والمصنوعة من الحرير الخفيف تزدان بزخارف نباتية وازهار تشبه الاكاليل ، واخرى تزدان بترابيع صغير على شكل معينات . ودخلت الخيوط الذهبية في بعض المنسوجات المرابطية امعانا في التأنق في الزخرفة ، ومن اشهر هذه الانواع . الحلل الموشية ، والديباج وهو من المنسوجات الحريرية السميكة ، والسقلاطون وغيرها . "٣"

ومن العناصر الزخرفية في هذا العهد المقرنصات (   )
وهى عبارة عن تكوين هندسي على احجام تكون على جوانب عقود مختلطة شديدة التعقيد ويظهر هذا النموذج بشكل جلي في مسجد تلمسان في الجزء الاوسط المؤلف من اثني عشر ضلعا ، وفي الطاقات المقوسة بأركان قبته ايضا "٤" . وتظهر

---

١ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٥٨ ـ ٧٦٠ .
٢ ـ باليـــــاس : المرجع السابق ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .
٣ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ١٥٦ ـ ١٥٨ .
٤ ـ مورينـــــو : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

ايضا بشكل واضح في اربع قباب اقيمت عند توسعة جامع القرويين بفاس ومصلى الجنائز . "١"

ويذكر ارنست كونل "٢" انه في عصر الدولة المرابطية نشأت قبة المحراب فوق قبوات مضلعة من المقرنصات وفي رأسها مصباح ، وان اول نموذج ظهر للمقرنصات ظهر في مسجد تلمسان ، علما بأن المقرنصات اول ما استخدمت في الشرق في مصر في بعض مساجدها في المسجد الاقمر وغيره . "٣"

واستخدمت الشماسات والزجاج كعناصر زخرفية في المساجد خاصة الكبيرة منها مثل جامع القرويين "٤" . واستخدم الجص بشكل كبير في الزخرفة فزين جامع تلمسان ، ومسجد القرويين خاصة القباب بزخارف من الجص . "٥"

أجل لقد استطاع المرابطون اذكاء حركة عمرانية فنية كبيرة في دولتهم ، وان يأخذوا بيدها حتى اصبحت عمائرهم نماذج تحتذى ، فظهرت نماذج معمارية وزخرفية لم يعهدها المغرب والاندلس من قبل دولة المرابطين . وهذه النهضة التى قامت في عهد علي بن يوسف بن تاشفين في مجال العلم ، والفنون المعمارية والزخرفية اضافة الى ما قام به من اعمال جهاد ضد الممالك الاسبانية النصرانية لهي أوسمة شرف توضع على صدره وصدور رجال دولته ، وتدحض عنهم كل قول يفترى عليهم بأنهم قوم اجلاف لا صلة لهم بالحضارة .

---

١ ـ بالباس المرجع السابق ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

٢ ـ الفن الاسلامي ، ص ١٢٣ .

٣ ـ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

٤ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

٥ ـ ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ـ
بالباس : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

الخاتمة

================

يمثل عهد علي بن يوسف بن تاشفين قمة الازدهار الحضاري لدولة المرابطين وفي نفس الوقت شهد هذا العهد بداية الانحدار والسقوط لتلك الدولة . فقد كان عهده قمة للتطور الاقتصادي والعمراني ، والعلمي والعسكري ، ولكن بذور الضعف مالبثت ان دبت في رأس الدولة وجسمها فأقبل الراعي والرعية على الدنيا يطلبون متعها وزينتها وركنوا الى الراحة ففقدوا بداوتهم وصلابتهم شيئا فشيئا — وفسدت طبائعهم بعض الشئ فخبت عندهم روح الجهاد ولذا توالت هزائمهم في اواخر عهد علي بن يوسف على يد النصارى الاسبان واتباع المهدي بن تومرت مما زعزع ثقة الرعية فيهم وشجعها على الثورة عليهم . وقد اصاب ابن خلدون عين الحقيقة عندما ذكر في مقدمته "١" ((ان من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت اهل النعيم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شئ من منازع الملك ولا اسبابه انما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأنق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو اليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتنعمون فيما اتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم واعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة انفسهم وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن سائر الامور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الاجيال بعدهم يتعاقبها الى ان تنقرض العصبية

---

١ — ص ١٤٠ — ١٤١ .

فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشرافهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق فى النعيم كاسر من سورة العصبية التى بها التغلب واذا انقرضت العصبية قصر التبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهتم لامم سواهم فقد تبين ان الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء)) .

ان نظرية ابن خلدون هذه تنطبق تماما على دولة المرابطين اذ اننا نجد هذه الدولة في عهدها الاول صلبة قوية طوال فترة وجودها فى المغرب لتمسكهم بالعصبية وبعدهم عن حياة الترف والدعة ولكن عندما دخلوا الى الاندلس جذبتهم حياتها الناعمة اللاهية مما عجل في سقوط دولتهم خلال فترة قصيرة . وبذلك تكون دولة المرابطين قد سارت على سنة الممالك والدول التي قبلها (فترة شباب يزخر بالحيوية والنشاط الحربي والحضارى يتلوه ككاسل وفوضى يؤديان الى التضعضع فالسقوط) .

ومن خلال معالجتي لهذا العهد تبين لي في الباب الاول الذى افردته للاحوال الداخلية في دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين والذى تطرقت فيه الى الحديث عن ولاية علي بن يوسف بن تاشفين . والثورات والفتن في المغرب والاندلس من عام (٥٠٠ ـ ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ ـ ١١٤٢م) ان التحرك ضد الدولة المرابطية بدأ في فترة مبكرة تعود الى اواخر عهد يوسف بن تاشفين . وهذا ما اكدته احدى الوثائق الجديدة التي عثرت عليها والتي نصت على ان احمد بن زيفل قد ثار في حصن شقوره في عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م . ومن الجدير بالذكر ان خبر هذا الثائر لم يرد في اى مصدر او مرجع تاريخي من التي بين ايدينا وانما ورد بشكل عرضي في كتاب خاص بالمسائل الفقهية لابن رشد .

وأوضحت هذه الدراسة ان أمير المسلمين علي بن يوسف اتبع سياسة حكيمة مع الذين ثاروا ضد حكمه فلم يحاول القضاء عليهم بطريقة قمعية تعسفية بل

كان يتبع معهم اسلوب الصفح لاحتوائهم ، وكان يميل الى تحقيق رغباتهم بتوليتهم على ولايات مهمة ثم يقذف بهم الى الجبهات الساخنة مع النصارى الاسبان ليستغل طاقاتهم لصالح الاسلام والمسلمين •

وتوصلت في بحثي لثورة محمد بن تومرت الى ان دعوته قامت على الزيف والخداع ، فقد وصفه كثير من المؤرخين بأنه منتحل ومبتدع كما ألف شيخ الاسلام ابن تيمية كتابا خاصا في الرد على كتاب المرشده لابن تومرت •

وليس ادل على زيف عقيدته من ان اتباعه قد تخلوا عن عقيدته بعد فترة وجيزة من وفاته واسقطوا اسمه من الخطبة والسكه • كما اثبت البحث ان هذه الثورة ما هي الا مظهر من مظاهر الصراع القبلي في المغرب وان المهدية ما هي الا قناع تقنع به محمد بن تومرت ليحقق آمال قبيلته الام مصموده في التغلب على قبيلة لمتونه •

واتضح من خلال دراسة سيرة المهدى بن تومرت ان تومرت ليس اسما لوالد المهدى وانما هو لقب اطلقته عليه امه • كما تبين ان هذه الثورة كانت من الاسباب الاسباب المباشرة في سقوط دولة المرابطين ومن العوامل الهامة في سقوط كثير من المدن الاندلسية في يد النصارى لانشغال المرابطين في اخمادها • ولهذه الاعتبارات المتعددة لا يمكننا ان نسمي هذه الثورة بحركة تجديد كما وصفها بعض الباحثين المحدثين •

اما فيما يتعلق بلقاء المهدى بن تومرت بالامام الغزالي فقد رجحت عدم لقائهما مع ترجيحي لتأثره بكتاب احياء علوم الدين •

وفي الباب الثاني الذى خصصته للعلاقات السياسية للمرابطين مع العالم الاسلامي فقد وقفت في بحثه بالعثور على وثيقتين غاية في الاهمية اولا هما :

رسالة موجهة من أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الى الافضل بن بدر الجمالي يوصيه فيها باحدى الشخصيات المرابطية الكبيرة المتوجهة الى الحج عن طريق مصر، وهى الوثيقة اليتيمة عن العلاقات المرابطية الفاطمية الرسمية في عهد علي بن يوسف ، في حين اشار الباحثون المحدثون الى علاقات عدائية بين الدولتين .

أما الوثيقة الثانية فهى ايضا رسالة موجهة من علي بن يوسف الى الخليفة العباسي المستظهر ، وتعود اهمية هذه الوثيقة الى انها الوحيدة التي حفظت لنا من مراسلات علي بن يوسف للخلافة العباسية ، والتي يمكن اعتبارها نموذجا لبقية المراسلات في حين اعتمد الباحثون المحدثون في دراساتهم على الردود العباسية .

ومن أهم النتائج التي توصلت اليها في الباب الثالث الذي تضمن الحديث عن جهاد علي بن يوسف بن تاشفين ضد الممالك النصرانية أن الجيوش المرابطية بانتصاراتها الرائعة على الممالك النصرانية الاسبانية خاصة في اقليش ، وأفراغه ، وفحص البكار ، وقرب الزلاقة قد احبطت محاولات الممالك النصرانية الاسبانية الرامية الى التهام الاندلس الاسلامي في فترة مبكرة وأخرت سقوطه عدة قرون اخرى كذلك احبط الاسطول المرابطي في هذا العهد محاولات الجمهوريات الايطالية السيطرة على مياه البحر الابيض المتوسط باستيلائه على الجزائر الشرقية .

وتبين من خلال هذا الباب ان الحرب التي كانت تدور رحاها بين جيوش علي ابن يوسف والجيوش النصرانية الأسبانية ما هى الا حرب صليبية خالصة . وليس ادل على ذلك من كثرة نداءات بابوات اوروبا لرعاياهم للانضمام الى الممالك الاسبانية الشمالية لمقارعة الجيوش المرابطية وطرد المسلمين من الاندلس . وقد اتضحت صليبية هذه الحرب بشكل واضح في حصار سرقسطه عندما شارك فيه الرهبان والقساوسه والمتطوعة من اوروبا ، وكان من بينهم من شارك في حصار بيت المقدس .

أما عن الاسباب المباشرة لرجحان كفة النصارى على المرابطين في أواخر عهد علي بن يوسف فقد عزوتها الى كثرة من سقط من مشاهير قادة علي بن يوسف في ساحة الجهاد وعجز الدولة عن تعويض هذه الخسائر لانشغالها في مواجهة المهدى بن تومرت مما دفع علي بن يوسف الى تعيين قادة للجيوش المرابطية في الاندلس يفتقرون الى الخبرة العسكرية الكافية ، وكان لذلك اسوأ الاثر على حركة الجهاد هناك • في حين كان النصارى يعوضون خسائرهم البشرية عن طريق السيل المتدفق من المتطوعة عليهم من أوروبا •

ومما استخلصته من الباب الرابع الذى افرد لاهم مظاهر التطور الحضارى في دولة المرابطين ان علي بن يوسف هو أول من استخدم الروم في الجيش في المغرب الاقصي ، وانه حذا حذو والده في عدم مراعاة حق الابن الاكبر عند انتخاب ولي عهد له ، وكذلك استمر على سياسة والده في حكر ولاية الولايات وقيادة الجيوش على ابنائه واقاربه • وهذه المحاباة يضع لها الطرطوشي وزنا كبيرا في سقوط الدول فقد قال : ((وقالت الحكماء اسرع الخصال في هدم السلطان واعظمها في افساده وتفريق الجمع عنه اظهاره المحاباة لقوم دون قوم ، والميل الى قبيلة دون قبيلة فمتى اعلن بحب قبيلة فقد برىء منه قبائل وقديما قيل المحاباة مفسدة)) "١" • وتبين ايضا ان علي بن يوسف اتخذ لقبا آخر غير ناصر الدين واميرالمسلمين وهو لقب ولي الله وهذا ما وجد منقوشا على بعض عملته •

وحاولت هذه الدراسة ان تقدم صورة عن النظام القضائي في هذا العهد ، واتضح ان علي بن يوسف قد ادخل تعديلات هامة على هذا النظام اذ اننا لاول مرة نسمع انه ترك للرعية حرية اختيار قضاتها بعد ان كان يتم الاختيار كان يباركه امير المسلمين ، ولذلك كان القضاة يتمتعون بسلطات واسعة لم يتمتعوا بمثلها في اى عصر من العصور •

---

١ — سراج الملوك ، ص ٩٤ •

ومن النتائج التي توصلت اليها في هذا الباب ايضا ان عهد علي بن يوسف عهد ازدهرت فيه الزراعة والتجارة والصناعة ازدهارا عظيما كما ان هذا العهد شهد نهضة فكرية وعمرانية رائعة . وقد تركت هذه النهضة الحضارية بصماتها على حياة المجتمع المرابطي بشكل واضح فأثرت على مأكلهم ومشربهم وسلوكهم ، وحظيت المرأة بمكانة مرموقة وشاركت في مختلف انشطة الحياة ، كما تمتع اليهود والنصارى بكامل حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية حتى ان بعض اليهود وصل الى رتبة وزير عند احد ولاة غرناطة في عهد علي بن يوسف ، ولم تفرض عليهم اي قيود تمنعهم من ممارسة عباداتهم وطقوسهم الدينية . وكذلك منحوا حق الانضمام للجيش وتولي بعض الوظائف الادارية . وهذا كله يدحض مقولة كارل بروكلمان القائلة بأن دولة المرابطين اضطهدت اليهود والنصارى . كما اشرت الى ان الضرائب الاضافية التي فرضت في اواخر عهد علي بن يوسف عندما احدقت الاخطار بالدولة لم تكن ضربا من التعسف والظلم كما ذهب معظم الباحثين المحدثين بل كانت اجراءا يقوم على دليل شرعي .

أما فيما يتعلق بالحركة الفكرية في هذا العهد فقد اكدت على ازدهارها في مختلف المجالات (في العلوم الشرعية ، والادبية ، والانسانية ، والطبية) ، فهو عهد ابن رشد ، وابن العربي ، والقاضي عياض ، وابي علي الصدفي ، عهد بلغت فيه العلوم الطبية ذروتها ، فقد توصل اطباء هذا العهد الى طريقة لسحق الحصاة من الكلية ، وقاموا بدراسة احساس العظام وهو من الموضوعات الطبية المعقدة حتى في العصر الحاضر ويعد الخوض فيها في عصر المرابطين من الامور المشرفة علميا ، وكذلك كتب اطباء هذا العهد رسائل متخصصة في كثير من الامراض كانت احداها في امراض الكبد كتبت لأمير المسلمين علي بن يوسف ، كما اعتمد اطباء هذا العهد على التحاليل المخبرية ومن خلال ذلك توصلوا الى وصف صوأبة الجرب فكان لهم السبق في هذا الاكتشاف .

وقد خلصت هذه الدراسة الى ان اسباب احراق كتاب احياء علوم الدين تعود الى ان الكتاب حوى تعريضا بالفقهاء الذين اقبلوا على الدنيا ، ولان الغزالى افرد الباب السادس من كتابه " احياء علوم الدين " لعلماء السوء ، وفضلا عن ذلك فالكتاب جمع بين احكام الورع وآداب المتصوفه وهو بذلك يرجح كفة المتصوفه على الفقهاء . كما ردت على بعض الباحثين الذين ذهبوا الى ان الاحراق تم في عهد يوسف بن تاشفين ، واكدت خطأ هذا الرأى .

ولم تكن النهضة المعمارية في هذا العهد اقل تقدما من سابقاتها ، اذ شهد هذا العهد نهضة معمارية رائعة تجلت من خلال عشرات المساجد والاسوار والقلاع والمرافق العامه التي انفق أمير المسلمين علي بن يوسف على بنائها وترميمها آلاف الدنانير . وقد كان لتشجيع أمير المسلمين علي وحاشيته للحركة المعمارية اثر كبير في ظهور مدرسة معمارية مرابطية لها سماتها المحددة في مجالي العمارة والزخرفة فلأول مرة في تاريخ المغرب يظهر في هذا العهد ما يعرف بمسجد الجنائز ، وتستخدم المظلات المتحركة لتظليل المصلين في ايام الصيف ، كذلك برزت الى حيز الوجود في المغرب القباب المقرنصة ، والقباب المتقابلة على بوابات المساجد ، كما ظهرت صناعة المنابر المتميزة بالدقة المتناهية . ومما هو جدير بالذكر انه لم يعهد ان قامت دولة من الدول الاسلامية في المشرق أو المغرب بانشاء هذا العدد الضخم من القلاع لنفس الغرض الذى من أجله انشأها المرابطون .

وفي مجال الزخرفة ظهرت في عهد علي بن يوسف موضوعات جديدة كان من أهمها الزخرفة الثعبانية ، كما ظهرت لأول مرة في عهد هذه الدولة صور لحيوانات لغرض الزخرفة على بعض المنسوجات .

ومن النتائج العامة التي قدمتها هذه الدراسة التأكيد على أن شخصية علي بن يوسف بن تاشفين شخصية فريدة في التاريخ الاسلامي في تلك الحقبة لما امتاز به من علم ودين وعدل وحسن خلق ، وان عهده من العهود النادرة في التاريخ الاسلامي الذى تمتع فيه الفقهاء بمثل هذه السلطة الواسعة ، فقد كان يأخذ بمشورتهم في كل صغيرة وكبيرة حتى في بناء الأسوار وترميمها ، وعزل الولاة وايقاع العقوبات . كما أن هذه الدراسة تعزو بداية سقوط دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بشكل عام الى ثلاثة عوامل رئيسية هي : الثورات والفتن الداخلية وخاصة حركة المهدى بن تومرت ، وكثرة غارات النصارى على المدن — الأندلسية ، وافتتان المرابطين بحياة الترف واللهو ، ونتيجة لهذه العوامل مجتمعة لم تلبث دولة المرابطين بعد وفاة علي بن يوسف بن تاشفين عام ٥٣٧ هـ / سوى اربع سنين .

على اى حال تعتبر هذه الدراسة عن عهد علي بن يوسف بن تاشفين دليلا دامغا على تقدم وازدهار دولة المرابطين في مختلف المجالات ، وبالتالى قد حض عنهم كل فرية تفترى عليهم من قبل المستشرقين ومن حذا حذوهم من أنهم قوم اجلاف لا علم لهم بالحضارة .

=======

الملاحـــــــق

وثائق لم تنشـــــر عن عصـــر المرابطيـــــــــن

ملحق رقم (١)

================

عقد لأثبات ثورة ابن زيفل

========================

بسم الله الرحمن الرحيم : يشهد من تسمى في هذا الكتاب من الشهداء انهم يعرفون سعيد بن احمد بن زيفل بعينه واسمه ويعلمونه ايام حياته قد ثار بحصن شقوره ، ورأس فيه واستولى عليه وعلى جميع جهاته اعواما كثيرة يجبي فوائد ذلك البلد ويضرب الضرائب على الرعايا ويضم الى نفسه جميع ما كان في تلك الجهات ، لبيت مال المسلمين الى ان اظهر ذلك المال ، ونما وكسب منه بجيان وغيرها اصولا ورباعا واموالا ولا يعلمون له قبل قيامه في الحصن المذكور مالا ولا حالا يفي بما اكتسبه ولا ببعضه . شهد بذلك كله من علمه حسب نصه ، واوقع شهادته بذلك في هذا الكتاب اذ سئلها في المحرم سنة اثنتين وتسعين واربع مائة . "١"

===

---

١ ــ مسائل أبي الوليد بن رشد ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

ملحــــــق رقــــم (٢)

==============

رســـالة علي بن يوسف الى الافضــــل بن بدر الجمالــي "١"

==============================

وكتب ابو القاسم بن الجد الى الافضل صاحب مصر كتاب كتب الله لحضـــرة الامير السيد المعظم ابي القاسم الافضل زكي ذخائر الاعمال وغمر ارجاء ساحتها بوفود الامال ونصر على نفاستها غرر المعالي ومحاسن الاقوال والافعال من حضرة المغــرب مقر سلطاننا ، ومحل شيطاننا ، ومركز بلادنا ، ومحتفل اجنادنا اثر قفولنــا من الغزوة الصافية ، وقد حسنت لنا اثار ورفعت لقدومنا ابصار ، واجتمعت بعون الله بلاد واقطار ، وتأتت لنا في اعداء الله امال واوطار ، وما صدرنا حــتى رويت سيوفنا من دمائهم ، واستباحت منيح ادراعهم ، واناخت جيوشنا بمدينـــة برجلونه ، اعز بلادهم دارا واجلها مقدارا فاضرمناها نارا ، وهبت على ريــح اهلها اعصارا ، واوسعتهم قتلا واسارا ، ولما كان بيننا وبين حضرته الكريمـــة وصل الله جلالها وبسط ظلالها نيرا مشرقا مغربا مورقا وجب ان تهدى اليها مــتى امكننا رسول ، وتأتي لنا في مطالعتها سؤل جملا من اخبارنا ولمعًا من آثارنــا كما انا نتشوف لما يطلع علينا من مسار ابنائها ، وبشائر ظهورها ، واعتلائها ، ويتأدى كتابنا غدا الى حضرته العزيزة عمر الله بالخيرات جنابها ومد في ساحات المســرات اطنابها من يد فلان معظم شأنها وموهل احسانها ، واحد كبراء اسرتنا ، واعيانها

---

١ ــ انظر نص هذه الوثيقة في ريحانة الالباب وريحان الشباب ، ورقة ٣٦ أ .

وهو ممن برقت له في الخير بوارق ، وسبقت منه سوابق في الغزو وتابع طويلا بمرط غباره وحب "١" ، واوضح في مضماره ثم راى ان ينتقل من حسن الى حسن وان يجمع بين الغزو والحج في قرن ، ويؤدى ما يلزمه اداءه عن فرض واجب متعين فمض لوجهته قاصدا بيت الله الحرام لتأدية حجة الاسلام وزيارة قبر نبينا محمد عليه السلام مواطن تنزيل كتاب الله تعالى ، وموضع ميلاد نبيه المصطفى ومطافه بين المروة والصفا ، ومهاجر طيبة حيث طاب المقد وصفا ، ولابد له في وجهة من قضاء فروض الحضرة الممجدة وشكر آلائها والانتهاء الى ما ينفذ اليه من جهل مذاهبها وارائها جريا على عادته الكريمة مع كل من ألم من اصحابنا برحب فنائها ولم يغب عن حضرته الكريمة ما يحرزه من الاجر الموفور والثواب المدخور لحسن عون الحجاج المترامين من اقاصي الفجاج شعثا غبرا بين شعب اكوارهم يستقبلون بوجوههم حرور ليلهم وسموم نهارهم ويصرجون ظهور المسالك ، ومتون المهالك الى تلك المشاعر المقدسة والمناسك .

---

١ ـ هكذا في المخطوط ورقة ٣٦ أ .

ملحـــق رقـــم (٣)

================

رسالة علي بن يوسف الى الخليفة العباسي المستظهر "١"

================================

كتب ابو القاسم بن الجد الى المستظهر بالله العباسي عن علي بن يوسف خص الله حضرة الامام المستظهر بالله ابي العباس امير المؤمنين بأفكار الحسنات وانوار المساعي الصالحات ، وحشد اليها وفود الخيرات ، وطرق دونها عيون الحادثات كتب ولي الدولة العباسية المقتدى بسيرتها الفاضلة المرضية وهو يحمد الله جلت اسماؤه حمدا موصول الاسباب محدود الاطناب ونسأله الصلاة على محمد رسوله المنتخب اللباب من اكرم الانساب ، وان يختص حضرة امير المؤمنين سليل الخلائف بصفايا العوارف والموالف اللطائف ، ويجمع على الاقدار بحقها والاعتراف بفضلها كلمة المخالف والمحالف وعقيدة المتجانف "٢" والموالف عن أوفى عهد واقوى عقد في التمسك بعلائق طاعتها ، والتقلد لقلائد امامتها بعد ان وصل اليه كتابها العزيز من مراسمها العالية ، ومواهبها الزاكية عهود الزموها رسوما وحدودا ، واقامها في عضد امره جنودا ، ونشر منها الوية الفخر وبنودا على انه ما زال يحمل مشايعتها ومبايعتها معتصما وبعلامة امامتها وخلافتها معلما والاحكام لسنتها العادلة

---

١ - انظر نص هذه الوثيقة في ريحانة الالباب وريحان الشباب ورقة ٣٥ ب ، ١٣٦أ .

٢ - يقال رجل اجنف اذا كان في خلقه ميل ويقال تجانف عن كذا اذا مال انظر : معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ، ص ٤٨٦ مادة (جنف) .

متقلدا ملتزما ، وفي مجاهدة اعداء الدين وحماية ارجاء المسلمين مجتهدا معتزما
يشيد بالدعاء لها على منابر بلاده ويعظم امرها وفخم قدرها وذكرها في اوقات
انفراده ، واحتشاده ، ويجعل تقوى الله تعالى نصب اعتقاده وعرض اعتماده ،
ويتخذ من كتابه المبين وسنة رسوله الامين دليل هدايته ، وارشاده ويستفرغ في
قطع المظالم ومنع المحارم وسع قدرته واجتهاده وعلى هذه البصيرة والوتيرة درج
من درج من آبائه ، واجداده ، والاحوال بحمد الله بجنابته مستقيمة ،
والاعمال في جميع جهاته سليمه ، والاحكام بمراعاته على مركز الحق ومقر العدل
مقيمه ، والاجناد موفورة في سبيل الجهاد معموره واحزاب الكفر فيما جاور اقطاره
موطره ، وثغور المسلمين محوطه مضبوطه ، وامور الدين مشدودة مربوطه
وايدى الجور والخوف في جميع عمله مقبوضه محطوطه ، وبسط العدل والامن
ممدوده مبسوطه ، وولي الدولة المجدة وصل الله علوها وكبت عدوها ، سيرى
ان انتظام اموره ودوام ظهوره مما يعتقده ويتقلده من القيام بدعوتها ، والاعتصام
بعصمتها ، والانتظام في سلك طاعتها ، والله يكتبه في الرعيل الاول من جملة
اولها وحملة آلائها المستظلين بظل رايتها ولوائها ولا يعدمه التشرف بما يرد عليه
من عهودها السامية وانحائها بعزته وسلام الله الموصول على حضرة الامام ومحل
الكرامة ورحمة الله وبركاته .

======

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ المخطوطـــــات :

================

البزيـوى ، أبي عبيد الله محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله .

١ــ ـ تاريخ دول الاسلام بالمغرب الاقصى (فرغ من تأليفه ١٣٢٨) ، الخزانة الملكية بالرباط رقم ٤١٣ .

الحموى ، ابن ابي الدم .

٢ــ ـ التاريخ المظفرى ، ميكروفلم مصور من معهد احياء المخطوطـــات العربية التابع لجامعة الدول العربية رقم ١/٩٦٦ التاريخ المظفرى .

ابن خيره المواعيني الاشبيلي ، محمد بن ابراهيم (ت٥٦٤ هـ/١١٦٨م)

٣ــ ـ ريحان الالباب وريعان الشباب في مراتب الاداب ، الخزانـــة الملكية بالرباط رقم ٢٦٤٧ .

الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

٤ــ ـ الجزء الرابع من تاريخ دول الاسلام ، ميكروفلم مصور من معهـــد احياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية رقم ٥٩٦ .

ابن زهر ، ابي العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان (ت٥٢٥ هـ/ ١١٣١م)

٥ــ ـ التيسير في المداواة والتدبير ، مخطوط الخزانة الملكية بالربـــاط رقم ٢/١٥٣٨ .

السرقسطي ، ابي الطاهر محمد بن يوسف التميمي (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣ م) :

٦ــ ـ المقامات اللزومية ، ميكروفلم مصور من معهد احياء المخطوطـــات العربية التابع لجامعة الدول العربية رقم ٧٩٤ ادب .

ابن شاكر الكتبي ، محمد بن احمد (ت٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).

٧ــ ـ عيون التواريخ الجزء الثالث عشر ميكروفلم مصور من معهد احيـــاء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية رقم ١٤٩٧ تاريـــخ

الطزوزيـن ، عبد العزيز بن عبد الواحد :

٨ــ ـ نظم السلوك في تاريخ الانبياء والخلفاء والملوك ، الخزانة الملكيـــة بالرباط رقم ٤٠٩ .

٢ ـ المصادر المطبوعة :

==================

٩ ـ القرآن الكريم .

ابن الآبار (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) .

١٠ ـ ـ الحلة السيراء ، ج ٢ تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٣ م .

١١ ـ ـ المعجم في اصحاب القاضي الامام ابي علي الصدفي ، مدريد ١٨٨٥ م .

ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .

١٢ ـ ـ الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٦ م .

الادريسي (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) ـ

١٣ ـ ـ نزهة المشتاق ، ليدن ١٨٦٤ م .

الازهري (ت ٣٧٠ هـ / ١٩٨٠ م) .

١٤ ـ ـ تهذيب اللغه ، ج ٨ ، تحقيق عبد العظيم محمود ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د ٠ ت .

الاصفهاني ، العماد الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) :

١٥ ـ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ، ق ٤ ، ج ٢ ، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ مصر ـ ١٩٦٤م .

ابن ابي اصيبعه (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) :

١٦ ـ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ، المطبعة الوهبية ، ١٨٨٢ م .

ابن بسام (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) :

١٧ ـ ـ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة . حقق منه احسان عباس ، ق ١ ، ج ٢ ، بيروت ١٩٧٥ م .

ق٢ ، ج ١ ، ج ٢ ، بيروت ١٩٧٨ م .

ق ٣ ، ج ١ ، " ١٩٧٩م .

ق٤ ، ج ١ ، " ١٩٧٩ م .

ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) :

١٨ ـ ـ الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم ، القاهرة ١٩٥٥م .

ابن بلقين (ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) :

١٩ ـ ـ التبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥ م .

البكرى (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :

٢٠ ـ ـ جغرافية الاندلس واوروبا ، منتخبه من كتاب المسالك والممالك تحقيق عبد الرحمن الحجي ، بيروت ١٩٦٨م .

البغدادى (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) :

٢١ ـ ـ تاريخ مدينة بغداد ، تحقيق وطبع اوفست كونرو غرافير ، بيروت ، د . ت .

البيذق (ت القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) :

٢٢ ـ ـ المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، ١٩٧١ م .

٢٣ ـ ـ اخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، الرباط ، ١٩٧١ م .

التطيلي (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) :

٢٤ ـ ـ ديوان الاعمى التطيلي ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٣ م .

ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :

٢٥ ـ ـ النجوم الزاهره في ملوك مصر والقاهره ، ج ٥ ، المؤسسة

المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م •

ابن تومرت (ت ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م) :

٢٦ — — كتاب محمد بن تومرت مهدى الموحدين ، الجزائر ١٩٥٩ م •

ابن تيميه (٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) :

٢٧ — — مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيميه ، الرياض ، ط ١ ، ١٣٨١ هـ •

الجزنائي (ت القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) :

٢٨ — — جني زهرة الآسي في بناء مدينة فاس ، الرباط ١٩٦٧ م •

ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٨٣ م) :

٢٩ — — الفصل في الملل والاهواء والنحل ، طبعة في مجلدين الاول يحوى جزئين ، والثانى ثلاثة اجزاء — يطلب من مكتبة المثني بغداد •

الحميرى (ت ٩٠٠ هـ / ١٥٠٧ م) :

٣٠ — — الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ م •

ابن حيان (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) :

٣١ — — المقتبس من انباء اهل الاندلس ، تحقيق محمود علي مكي ، بيروت ١٩٧٣ م •

ابن خاقان (ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) :

٣٢ — — قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، تونس ١٩٦٦ م (مصوره عن طبعة باريس) •

ابن خفاجه (ت ٥٣٣ هـ / ١١٣٧ م) :

٣٣ — — ديوان ابن خفاجه ، دار صادر بيروت ١٩٦١ م •

ابن الخطيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :

٣٤ — — معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق محمد كمال

شبانه ـ مطبعة فضاله ـ المحمديه (المغرب)١٩٧٦م٠

٣٥ ـ ـ الاحاطه في اخبار غرناطه ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهره (١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ م) ٠

٣٦ ـ ـ تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (وهو القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام) ، تحقيق احمد مختار العبادى ، ومحمد ابراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ١٩٦٤ م ٠

ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :

٣٧ ـ ـ مقدمة ابن خلدون ، المكتبة التجارية الكبرى د ٠ ت ٠

٣٨ ـ ـ تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، بيروت ١٩٥٩ م ٠

ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

٣٩ ـ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ،
ج ١ ـ ٣ ، دار الثقافه بيروت ١٩٦٨ م ٠
ج ٤ ـ ٧ ، دار صادر بيروت ١٩٧١ م ٠

ابن دحيه (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) :

٤٠ ـ ـ المطرب من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى وآخرون ، المطبعة الاميرية ١٩٥٥ م ٠

ابن ابي دينـــــار :

٤١ ـ ـ المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، تحقيق محمد شـــمام ، تونس ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م ٠

ابن رشـــد (ت ما بين عامي ٥٢٠ و ٥٣٠ هـ / ١١٢٦ و ١١٣٥م) :

٤٢ ـ ـ مسائل ابي الوليد بن رشد ، تحقيق ودراسة قام بها محمد ابن الحبيب التجكاني لنيل درجة الماجيستير في الفقــه الاسلامي من جامعة القرويين (دار الحديث الحسنيه ، الرباط ، وهي مطبوعة على آلة كاتبه ١٩٧٧ م)

ابن ابي زرع كان حيا قبل ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م :

٤٣ ـ ـ الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، ١٩٧٣ م .

الزركشي (ت حوالي ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م) :

٤٤ ـ ـ تاريخ الدولتين الموحديه والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، تونس ، ط ٢ ١٩٦٦ م .

ابن زكريا (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) :

٤٥ ـ ـ معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م .

السرقسطي (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) :

٤٦ ـ ـ المسلسل في غريب اللغة تحقيق محمد عبد الجواد ، القاهره ١٩٥٧ م .

ابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) :

٤٧ ـ ـ المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهره ، ط ٢ ، ١٩٦٤ م .

السلاوى (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٠ م) :

٤٨ ـ ـ الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج ٢ ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م .

السيوطي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :

٤٩ ـ ـ تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٥ م .

الامام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) :

٥٠ ـ ـ الرسالة ، تحقيق احمد محمد شاكر ١٩٣٩ م .

ابو شامه (ت ٦٦٥ / ١٢٥٨ م) :

٥١ ـ ـ مجموعة الرسائل ، مطبعة كردستان العلمية ـ مصر ١٣٢٨ هـ .

شيخ الربوه ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصارى الصوفي الدمشقي •

٥٢ — — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، طبع في مدينة بطربورغ في مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ١٨٦٥ م •

الضبي (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) :

٥٣ — — بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، مدريد ١٨٨٤ م •

الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) :

٥٤ — — سراج الملوك ، طبعة انطون غندور — القاهرة ١٨٩٢م •

ابن عذارى (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م) :

٥٥ — — البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب •

ج ٢ ، ج ٣ ، تحقيق كولان وبروفنسال ١٩٥١م •

ج ٤ تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧٧ م •

ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) :

٥٦ — — احكام القرآن ، تحقيق محمد علي البجاوى ، القاهرة ، ١٩٧٢ م •

٥٧ — — العواصم من القواصم ، تحقيق محب الدين الخطيب ، بيروت ١٩٧٩ م •

ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) :

٥٨ — — شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، بيروت طبعة دار الآفاق الجديده د • ت •

ابن عياض (ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م) :

٥٩ — — التعريف بالقاضي عياض ، تحقيق محمد بن شريفه ، منشورات وزارة الاوقاف والشعون الاسلامية والثقافية في المملكة المغربية ، مطبعة فضاله — المغرب •

الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) :

٦٠ — احياء علوم الدين ، بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر ، د . ت .

٦١ — فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ١٩٦٤م .

أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

٦٢ — تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠ م .

٦٣ — تاريخ الملك المؤيد اسماعيل ابي الفدا .

ابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦م) :

٦٤ — الديباج المذهب ، تحقيق محمد الاحمدى ابو النور ، القاهره ١٩٧٤ م .

ابن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م) :

٦٥ — جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ، ج ١ الرباط ١٩٧٣ م ، ج ٢ ، الرباط ١٩٧٤م .

القرماني ، ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي :

٦٦ — اخبار الدول واثار الاول في التاريخ ، طبعة عالم الكتب ، بيروت ، د . ت .

القزويني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) :

٦٧ — آثار البلاد واخبار العباد ، بيروت — دار صادر ١٩٦٠م .

القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :

٦٨ — صبح الاعشى في صناعة الانشا ، نسخة مصور عن الطبعه الاميريه ، المؤسسة المصرية العامه للتأليف والترجمة والطباعه والنشر ، القاهرة .

٦٩ — مآثر الانافه في معالم الخلافه ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، الكويت ١٩٦٤ م .

ابن قنفـــذ (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :

٧٠ — — الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م .

ابن كثيـر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) :

٧١ — — البداية والنهاية ، بيروت ، ط ٢ . ١٩٧٧ م .

ابن الكردبوس (من علماء القرن السادس الهجرى) :

٧٢ — — تاريخ الاندلس ، تحقيق احمد مختار العبادى ، نشر في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد في المجلد الثالث عشـر ١٩٦٥ — ١٩٦٦ م .

المراكشـي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) :

٧٣ — — المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣م .

المقـرى (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) :

٧٤ — — نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرهـا لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩ م .

المقريـزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :

٧٥ — — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، مطبعـة الساحل الجنوبي — الشياح — لبنان ١٩٥٩م .

مؤلف مجهول اندلسي (من اهل القرن الثامن الهجرى) :

٧٦ — — الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيـق سهيل زكار وعبد القادر زمامه ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .

النباهـي (ت ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م) :

النباهـــي (ت ٧١٣هـ / ١٣١٣م) :

٧٧ ـ ـ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،
المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت .

ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) :

٧٨ ـ ـ معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي
(١٩٥٦ ـ ١٩٥٧) ، وطبعة دار صادر ،
١٩٧٧م .

===

٣ ـ المراجـــع الحديثـــه :

====================

ابراهيم حركات :

٧٩ ـ ـ المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٦٥م .

احسان عباس :

٨٠ ـ ـ تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) بيروت ، ط ٥ ، ١٩٧٨م .

احمد امين :

٨١ ـ ـ ظهر الاسلام ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، القاهرة ١٩٤٥ ـ ١٩٦١م .

احمد اليـاس :

٨٢ ـ ـ الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب ، رسالـة ماجستير مقدمة لجامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ، لم تطبـع .

احمد السباعي :

٨٣ ـ ـ تاريخ مكه ، دار مكه للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٤ ، ١٩٧٩م .

احمد السعيد سليمان :

٨٤ ـ ـ تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمـه ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

احمد على الملا :

٨٥ ـ ـ اثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبيـة ، دار الفكر ، د . ت .

احمد مختار العبادي :

٨٦ ـ ـ في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية .

ادورد زامباور :

٨٧ ـ ـ معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة زكي محمد حسن بك ، وحسن احمد محمود ، القاهرة ١٩٥١ م .

آرثر كوستلر :

٨٨ ـ ـ امبراطورية الخزر وميراثها ، ترجمة حمدى متولـي ، دمشق ، ١٩٧٨م .

ارنست كونل :

٨٩ ـ ـ الفن الاسلامي ، ترجمة أحمد موسى ، بيروت ، ١٩٦٦م .

اسماعيل بن محمد الانصارى :

٩٠ ـ ـ حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .

اميل فيلكس غوتيـه :

٩١ ـ ـ ماضي شمال افريقيا ، ترجمة هاشم الحسيني ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٧٠م .

اميليو غرسيه غومس :

٩٢ ـ ـ الشعر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٩م .

٩٣ ـ ـ شعراء الاندلس والمتنبي ، ترجمة الطاهر احمد مكي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٤م .

آنخل جنثالث بالنثيــا :

٩٤ ــ ــ تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ،
القاهرة ، ١٩٥٥ م .

بادال داڤدســن :

٩٥ ــ ــ افريقيا تحت اضواء جديدة ، ترجمة جمال محمــد
احمد ، بيروت ١٩٦١م.

ج . دى . بور :

٩٦ ــ ــ تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادى
ابو ريده ، القاهره ، ١٩٣٨م.

جودت الركابــي :

٩٧ ــ ــ فى الادب الاندلسي ، القاهره ، ط ٤ ،
١٩٧٥م.

الحبيب الجنحانــي :

٩٨ ــ ــ المغرب الاسلامي ، الدار التونسيه للنشــر ،
١٩٧٧م.

حسن ابراهيم حسن :

٩٩ ــ ــ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،
القاهره ، ط ١ ، ١٩٦٧م.

حسن احمد محمود :

١٠٠ ــ ــ قيام دولة المرابطين ، القاهره ، ١٩٥٧م.

الحسن الســائح :

١٠١ ــ ــ الحضارة المغربية عبر التاريخ ، الدار البيضــاء ،
ط ١ ، ١٩٧٥م.

حسين مؤنس :

١٠٢ـ – فجر الاندلس ، القاهره ، ط١ ، ١٩٥٩م.

حيد رباماسات :

١٠٣ـ – مجالي الاسلام ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهره ، ١٩٥٦م.

خليل ابراهيم صالح البشير :

١٠٤ـ – علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالاندلس – والدول الاسلامية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي – جامعة القاهره ، ١٩٧٩م. (لم تطبع).

خودا بخش :

١٠٥ـ – الحضارة الاسلامية ، ترجمة علي حسني الخربوطلي ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٠م.

دانييل ماك كوك :

١٠٦ـ – الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسه وغانه ترجمة محمد الحمداوى ، الدار البيضاء ، ١٣٩٥ هـ.

رزق الله منقريوس الصدفي :

١٠٧ـ – تاريخ دول الاسلام ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٠٧م.

رضا عبد الجليل الطيار :

١٠٨ـ – الدراسات اللغوية في الاندلس منذ مطلع القرن السادس الهجرى حتى منتصف القرن السابع

الهجرى ، دار الرشيد للنشر ـ العراق ، ١٩٨٠م.

رولاند اوليفـــر :

١٠٩ ـ ـ موجز تاريخ افريقية ، ترجمة دولت احمد صادق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

رينهارت دوزى :

١١٠ ـ ـ ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام ، ترجمـة كامل كيلاني ، القاهرة ، ١٩٣٣م.

زكي النقـــاش :

١١١ ـ ـ العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العـرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، بيروت ، ١٩٥٧م.

زيغـــرد هونكــه :

١١٢ ـ ـ شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٠م.

ستيفن رنسيمان :

١١٣ ـ ـ تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٧م.

سعد زغلول عبد الحميد :

١١٤ ـ ـ محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والاندلس بيروت ، ١٩٧٣م.

سعيد عاشـــور :

١١٥ ـ ـ بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ، ١٩٧٧م.

سيد اميرعلي :

١١٦ — — تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، ترجمة رياض رأفت ، مطبعة التأليف والنشر ، ١٩٣٨م.

السيد عبد العزيز ســالم :

١١٧ — — قرطبه حاضرة الخلافة في الاندلس ، بيروت ، ١٩٧١م.

١١٨ — — تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلــس ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٩م.

١١٩ — — المغرب الكبيــــر ، الاسكندرية ، ١٩٦٦م.

١٢٠ — — تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، دار المعارف مصـــر ١٩٦٢م.

شاخت وبوزرث :

١٢١ — — تراث الاسلام ، ترجمة حسين مؤنس واحسان صدقــي العمد (نشر ضمن سلسلة عالم المعرفة ذو القعده / ذو الحجه ١٣٩٨ هـ).

شـــكيب ارسلان :

١٢٢ — — الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلســيه ، بيروت ، ١٣٥٨ هـ .

شوقي ضيـــــف :

١٢٣ — — الفن ومذاهبه في النثر العربي ، القاهره ، ط٨ ، ١٩٧٧م.

الطاهر احمد مكي :

١٢٤ — — دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٨٠م.

ظافر القاسمي :

١٢٥ — — نظام الحكم في الشريعة والتاريخ ، بيروت ط ١ ، ١٩٧٤م.

عبد الله بن العباس الجراري :

١٢٦ — — تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم لاوروبا ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٦١م.

١٢٧ — — الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٧٩م.

١٢٨ — — وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ ، الدار البيضاء ، ١٣٩٥هـ.

عبد الله علام :

١٢٩ — — الدعوة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ابن علي ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

عبد الله كنـون :—

١٣٠ — — عبد الله بن ياسين ، بيروت ، ١٩٧١م.

عبد الحميد العبادى :

١٣١ — — المجمل في تاريخ الاندلس ، القاهـرة ، ط ٢ ، ١٩٦٤م.

عبد الحق حموش :

١٣٢ — — ابن تاشفين ، نشر دار الكتاب — الدار البيضاء ، د. ت.

عبد رب النبي محمد :

١٣٣ — — مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال افريقيا والاندلس رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة والنظم الاسلامية — كلية الشريعة والدراسات الاسلامية — جامعة الملك عبد العزيز — مكة المكرمة ، ١٩٧٩م ، (لم تطبع) .

عبد الرحمن الحجي :

١٣٤ — — جوانب من الحضارة الاسلامية ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٧٩م.

١٣٥ — — اندلسيات ، دار الارشاد للطباعة والنشر ، ١٩٦٩م.

١٣٦ — — التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطه ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٦م.

عبد الرحمن فهمي :

١٣٧ — — موسوعة النقود العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

عبد العزيز الاهواني :

١٣٨ — — الزجل في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٧م.

عبد العليم عبد العظيم :

١٣٩ — — الاحاديث الواردة في المهدى في ميزان الجرح والتعديل ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الكتاب والسنه بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز مكة المكرمة ، ١٩٧٨م. (لم تطبع).

عبد المنعم ماجد :

١٤٠ — — العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، بيروت ، ١٩٦٦م.

عبد الكريم التواتـــي :

١٤١ — مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٦٧م.

عبد الهادى التازى :

١٤٢ — جامع القرويين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٢م.

عبده بـدوى :

١٤٣ — مع حركة الاسلام في افريقيه ، القاهـــره ١٩٧٠م.

فالترهنتـــس :

١٤٨ — المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلهـا في النظام المترى ، ترجمة كامل العسلي ، عمان ، ١٩٧٠م.

ابو الفتوح التوانســـي :

١٤٩ — من اعلام الطب العربي ، الدار القوميـــة للطباعة والنشر .

فلـــيب حتي :

١٥٠ — تاريخ العرب مطول ، مطابع الغندور ، ط ٤ ، ١٩٦٥م.

كارل بروكلمان :

١٥١ — تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٥٤م.

لطفي عبد البديـــع :

١٥٢ — الاسلام في اسبانيا ، القاهره ، ط ١ ، ١٩٥٨م.

ليفي بروفنسال :

١٥٣ — — حضارة العرب في الاندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، بيروت ، دار مكتبة الحياة .

ليوبولد وتوريس بالباس :

١٥٤ — — الفن المرابطي والموحدي ، ترجمة سيد غازي ، القاهرة ، ١٩٧١م .

لين بول . . .

١٥٥ — — قصة العرب في الاندلس ، ترجمة علي الجارم ، دار المعارف ، ١٩٦٠م .

مانويل جوميث مورينو :

١٥٦ — — الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، د ت .

محسن حامد العبادي :

١٥٧ — — ابن سعيد الاندلسي حياته وتراثه الفكري والادبي القاهرة ، ١٩٧٤ م .

مصطفى الشكعه :

١٥٨ — — الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٥م .

محمد خليل هراس :

١٥٩ — — شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ، الناشر المكتبه السلفية بالمدينة المنورة ، ط ٣ ،

محمد كامل حسين :

١٦٠ — — طائفة الاسماعيلية — تاريخها — نظمها — عقائدها

القاهره ، ط ١ ، ١٩٥٩ م .

محمد عبد الله عنان :

١٦١ ـ ـ دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٠م .

١٦٢ ـ ـ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ـ العصر الثالث ، القسم الاول ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٤م .

١٦٣ ـ ـ دول الاسلام في الاندلس ، القاهره ، ط ٣ ، ١٩٦٩م .

١٦٤ ـ ـ مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، القاهره ، ١٩٥٢م .

١٦٥ ـ ـ نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، القاهره ، ط ٣ ، ١٩٦٦م .

١٦٦ ـ ـ الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦١م .

محمد مجيد السعيد :

١٦٧ ـ ـ الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ، دار الرشيد ، ١٩٨٠م .

محمد المنوني :

١٦٨ ـ ـ العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ، الرباط ، ١٩٧٧م .

محمد ولد داداه :

١٦٩ ـ ـ مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الاول الى انتصاف القرن السابع ـ دراسة في التاريخ السياسي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٧م .

١٧٠ ـ محمود اسماعيل :

١٧٠ ـ ـ دراسات مغربيه جديده ، فاس ، ١٩٧٧م٠

الميرالاى اسماعيل سرهنك :

١٧١ ـ ـ حقائق الاخبار عن دول البحار ، بولاق ، ط ١ ، ١٣١٢ هـ ٠

هشام سليم عبد الرحمن ابو رميله :

١٧٢ ـ ـ نظم الحكم في الاندلس في عصر الخلافه ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاداب ـ قسم التاريخ ـ جامعة القاهرة ١٩٧٥م٠ (لم تطبع)

يوسف اشباخ :

١٧٣ ـ ـ تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهره ، ١٩٥٨م٠

١٧٤ ـ ـ اثر العرب والاسلام في النهضة الاوروبية ، اعدت هذه الدراسة باشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الامم المتحده للتربيه والعلوم والثقافه (يونسكو) ، الهيئة المصرية العامه للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م٠

١٧٥ ـ ـ بحوث في التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق اسكندر ، القاهره ١٩٦١م٠

١٧٦ ـ ـ مهرجان الغزالي في دمشق (ابو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده) مجموعة بحوث تناولت حياة الغزالي وفكره ، صدرت على شكل كتاب ، دمشق ، ١٩٦١م٠

١٧٧ — Abdurrahman Ali El-Hajji, Andulusian diplomatic relations with western Europe during the Umayyad period (A.H.138-366/A.D. 755-976) Dar Al-Irshad, Beitut 1970.

======

٤ ـ الدوريـــات :

================

احمد مختار العبادى :

١٧٨ ـ ـ دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبـار المراكشية واهميته في تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان ، العدد الخامس ، ١٩٦٠م.

١٧٩ ـ ـ الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، العدد الاول ـ ابريل ـ مايو ـ يونيو ـ ١٩٨٠م.

اسماعيل الشطي :

١٨٠ ـ ـ حقيقة قضية المهدى ، مجلة المجتمع الكويتيه ، العدد ٤٦٢ ١١ ديسمبر ، ١٩٧٩ م.

امبرو سيوهويسي ميرانده :

١٨١ ـ ـ وقعة اقليش ومصرع الاميرضـون شانجه ، مجلـة تطوان العدد الثاني.

١٨٢ ـ ـ علي بن يوسف واعماله في الاندلس ، مجلة تطوان العدد الثالث والرابع ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ م.

امين توفيق الطيبي :

١٨٣ ـ ـ النقود العربية غزت اوروبا القرون الوسطى ، مجلة العربي العدد ٤٧٦ محرم ١٤٠٢ هـ / نوفمبر ١٩٨١م.

الحبيب الجنحانـي :

١٨٤ ـ ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة بني مدرار

مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس .

حسن ابراهيم حسن :

١٨٥ ـ ـ اثر العامل الديني في قيام دولة المرابطين بالمغرب ، مجلة الاقلام ، الجزء السابع السنه الرابعه ، اذار ١٩٦٨م .

حسين مؤنس :

١٨٦ ـ ـ الثغر الأعلى الاندلسي في عصر المرابطين ، مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة ، المجلد الحادى عشر الجزء الثاني ١٩٤٩م.

١٩٠ ـ ـ السيد الكمبيطور ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث العدد الاول مايو ١٩٥٠م.

١٩١ ـ ـ نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الاول العدد الثالث ١٩٥٥م.

١٩٢ ـ ـ سبع وثائق جديده عن دولة المرابطين وايامهم في الاندلس ، صحيفة المعهد ـ المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الثاني العدد الاول والثاني ، ١٩٥٤م.

١٩٣ ـ ـ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد التاسع والعاشر ١٩٦١ ـ ١٩٦٢م. والمجلد الحادى عشر والثاني عشر ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م.

خليل السامرائي :

١٩٤ — الجزائر الشرقية في ايام الطوائف ، مجلة التربيه والعلم ، كلية التربية ، جامعة الموصل ١٩٧٩ ،م.

الطيرايسي احمد اعراب :

١٩٥ — الاصوات النضالية والانهزامية في الشعر الاندلسي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر — ابريل — مايو — يونيو ، ١٩٨١م.

عباس حلمي :

١٩٦ — المدارس الاسلامية ودور العلم وعمارتها الاثرية وتاريخها وتخطيط عمائرها ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية — مكة المكرمة ، العدد الثالث ١٣٩٧ / ١٣٩٨ هـ .

عباس الجراري :

١٩٧ — اثر الاندلس على اوربا في مجال النغم والايقاع ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر ابريل — مايو — يونيو ١٩٨١م.

عبد البصير حسين :

١٩٨ — رأى في القاب الموشحه ونشأة فن التوشيح ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية — مكة المكرمة — السنة الاولى العدد الاول ١٣٩٣/ ١٣٩٤ هـ .

عبد الرحمن بدوى :

١٩٩ — رسائل جديدة لابن باجه ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الخامس عشر ١٩٧٠م.

عبد الله كنـــون :

٢٠٠ ـ ـ رسالة الكاتب ابن ابي الخصال التي نال فيها من كرامة المرابطين ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الخامس والثلاثون الجزء الرابع ربيع الاخر ١٣٨٠ هـ .

عبد الحليم عويس :

٢٠١ ـ ـ رحلة الى بلاد الملثمين ، مجلة الفيصل العدد ٣٦ مايو ـ ابريل ١٩٨٠م.

عبد العال عبد المنعم الشامي :

٢٠٢ ـ ـ جغرافية المدن عند العرب ، مجلة عالم الفكر ، المجلد التاسع العدد الاول ١٩٧٨م.

عبد العزيز بن عبد الله :

٢٠٣ ـ ـ الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب ، مجلة الداره العدد الثالث ، مارس ١٩٨٠م

عبد العلي الودغيري :

٢٠٤ ـ ـ المعجم العربي في الاندلس ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر ابريل ـ مايو ـ يونيو ١٩٨١م.

محمد ادريس العلمي :

٢٠٥ ـ ـ الحركة الدينية في عهد المرابطين ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثالث ديسمبر ، ١٩٦٢م .

محمد باقر الحسيني :

٢٠٦ ـ ـ الكنى والالقاب على نقود المرابطين والموحدين

في شمال افريقيا والاندلس ، مجلة سومر ،
المجلد الثلاثون ١٩٧٤م٠

محمد مفتاح :

٢٠٧ — مفهوم الجهاد والاتحاد في الادب الاندلسي ،
مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر ، ابريل
مايو — يونيو ١٩٨١م٠

محمود علي مكي :

٢٠٨ — وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ،
صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ،
المجلد السابع والثامن ١٩٥٩ — ١٩٦٠م٠

The Encyclopaedia of Islam .

===

" محتويـــــات الرســــــــاله "

محتويـــــات الرســـــــاله

==============
===========
=======
====

" انتهى بحمد الله وتوفيقه "

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	٣	وكفاءة	وكفاه
٢	٩	وما أنت	وما إنت
٢	٢٠	طه آيه ٩٨	طه آية ٩٩
٣	١٨	المؤرخون	المؤرخين
٥	١٧	ولم تعتني	ولم تفتني
٧	٧	في لصد	لصد
٧	٢٢	وجهود الدولة في	وجهود الدولة في دفع
٨	٢١	وتقريب	والتقريب
١١	٢	الموحدية	الموحدين
١١	٢٠	صورة من	صورة عن
١٢	١٣	لمن يريد	لمن يريد
١٤	١٢	شيد الدماع	رشيد الدماع
١٤	١٣	طبع ثانياً	وطبع ثانياً
١٨	٣	في الملوب	في المجلد
١٨	١٥	أبي جعفر	أبو جعفر
١٩	٦	بلنسبة	بلنسية
١٩	٧	ديوان ريحان	ريحان
٢١	١٠	وصحى	وضحى
٢٢	١	الطرب	المطرب
٢٢	٩	حلي المغرب	حلى المغرب
٢٢	١٠	" ١٠ "	يحذف
٢٢	١١	" ٢ "	" ١٠ "
٢٥	٤	شرقي	مشرقي
٢٦	١	الاوار	الادوار
٣٢	٦	مذهبي جذوره	مذهبي تمتد جذوره
٣٢	١٦	وقنذالك	وقت ذاك
٣٣	٢١	عقائدنا	عقائدها
٣٥	٨	أبالله	بالله
٣٧	٤	ص	ص ٢٨٩
٣٨	٨	لطرد	لطرد
٣٨	١٤	فالتزموا	فالتزموا
٣٨	٢٣	محرفين	Northmen
٣٩	١٨	بني عباد	بني عباد
٤١	١٦	النصارة	النصارى
٤٢	١	حماهدوهم	هنا عندهم
٤٢	4	جميع	جمع
٤٥	٣	لد أن	إلا أن
٤٦	١٢	نبت	نشبت
٤٦	١٧	خليفي	خليفتي
٤٨	١٤	الدسيه	الدسيسة
٥٠	٢٢	حضيه	حصينة
٥٣	٩	عندرأى	عندها رأى
٥٦	١٢	للثناء	الثناء
٥٧	٢	ابوحامد	أبا حامد
٦٢	٣	أخواته	إخوانه
٦٣	٥	عريضاً	عريضاً
٦٤	١٢	قور	قورنت
٦٤	١٧	استرطى	اشترطى
٦٥	١٩	موقعهم	موقفهم
٦٦	٥	أمر	أمراً
٦٩	٥	رفيعاً	رفيقاً
٧١	٤	نفس الوقت	نفس الوقت على أن
٧١	١١	انبه	ابنه
٧٥	١٤	استمرار	استمرار
٧٨	١٠	المرتضى	المرضي
٧٨	١٥	لفظ لاتيني	لفظ لاتيني Ponta
٧٩	٢	الشعب	الشعب
٧٩	٣	في تفاصيل	بتفاصيل
٧٩	٢٦	تلعون	تلحون
٨٠	٢	حكام	حطام
٨٢	٤	انفصار	انحصار
٨٤	٥	الأذليه	الأرذلية
٨٤	٦	لأذل	لأرذل
٨٦	٨	أبوعمر	أبي عمر
٨٦	١١	بمناوءة	بمناوأة
٨٧	٢٠	الظنانة	الظنام
٨٧	٢٠	يقدم	يقدح
٨٩	٦	وبائعهم	وبائعيهم
٩١	٢	اليم	إليهم
٩١	٧	قضي	قض
٩١	٢٠	استيثار	استئثار
٩٥	٤	عنان فارة	عنان نيارو فارة
٩٧	١٦	من اعقاد	من اعتقاد
٩٩	١٣	الاستقصاء ج	[illegible]
١٠٤	١٢	المكاره	المكره
١٠٥	٩	بجانه	بجاية
١٠٦	١	بجانه	بجاية
١٠٧	١٧	النحل	النخل
١٠٨	١٤	بجانه	بجاية
١١[illegible]	١٠	نحلي	نخلة
١١[illegible]	١٥	عندما	عندها
١١[illegible]	١٠	أخضرا	أخضر
١٢٠	٧	حصيره	خطيره
١٢١	١٢	مردكي	مزدكي
١٢٢	١٤	وزرادات	وزرادشت
١٢٢	١٧	والشوزقه	والشوذعه
١٢٣	٢٠	تاسفيوت	تاسفيوت
١٢٧	٥	حنده	جنده
١٢٧	١٢	نعرضهم	نعرفهم
١٣٢	١٧	صفات قلما	صفات قلما
١٣٣	٤	الألباب	بالألباب
١٣٣	١٠	فأعلم	فأملى
١٣٦	١	القبائل	أذهان القبائل وتلقين
١٣٨	١	ويبدوا	ويبدو
١٣٩	٢	لضع	لضيع
١٣٩	١١	اجتماتهم	اجتماعاتهم
١٤٢	٧	الحمافل	الجحافل
١٤٣	١٦	ويبدوا	ويبدو
١٤٨	٥	ليطلعوا	ليضطلعوا
١٥٦	٩	كثرت	كثرة
١٦٢	٤	خلفه	خلف
١٦٤	١٦	ستوطهم	ستوطنهم
١٧٢	٥	شديداً	شديد
١٧٥	١٧	المغربيه	المغيريه
١٧٦	١٢	لبوادهم	لبوادرهم
١٧٨	١١	أبو العباس	أبي العباس
١٧٨	١٨	لبنوزريب	بني زيري
١٧٩	٩	تحلى	تجلى
١٨١	١٢	تتوانى	تتوانى
١٨٢	٢٠	ولده	ولدهم
١٨٣	٢٣	ص	ص ٨٦ دنانير
١٨٦	٨	الخليج	الخليج
١٨٧	١٥	وكان البحث	وكان البحث
١٨٨	٦	عقيلاً	عقيلاً
١٨٨	٧	منه	المنبه
١٨٩	٩	ليبدوا	ليبدو
١٩٠	٣	ضمير ولعدادهم	ولعدادهم
١٩٦	٧	تتوانى	تتوانى
١٩٦	١٤	بأس	ليس
١٩٧	٧	مختلف	مختلفاً
١٩٧	٨	فهو	فهموا
١٩٧	١٣	جهودهم	جهودها
١٩٧	١٣	وفأمن	وأمن
٢٠٣	٧	السنار	الشنار
٢٠٢	٧	النوالي الرأس	النوالي الكون قوله
٢٠٧	١٥	ونزع	ونزع
٢٠٨	١١	المتواجدين	المتواجدون
٢٠٨	٤	جيش	جيش
٢١٠	٤	الحضيره	الحظيره
٢١٠	١٢	يسلموا	يستميتوا
٢١٢	٦	احسادة	احشادة
٢١٣	٧	اقليس	اقليش
٢١٣	١٧	مناسباً	مناسب
٢١٥	٢	المشوبه	المشركين
٢٢٠	١٥	وابنيه	وابناه
٢٢١	٥	بعد	وبعد
٢٢١	٦	أصاحب	صاحب
٢٢٤	٢٠	وانضم اليه كرلبة	وانضم اليه والي
٢٢٤	١	وتعبث	وتعيث
٢٢٨	١٠	نيات	بنات
٢٢٩	٢	مغاورها	مغاورها
٢٣٠	٤	قشره	قاعده
٢٣٠	٥	وصدمه	واصدمه
٢٣٠	٥	تضعضع	تضعضع
٢٣٠	١٤	ليديه	ليدا
٢٣١	٤	الطويل أن	الطويل في أن
٢٣٨	١١	أكبر قد	أكبر قدر
٢٣٩	١٢	وبنيه	وبلنسية
٢٤٥	٨	قاصمه	قاصمة
٢٤٨	١٠	دراجات	درجات
٢٤٩	٢	في الشروط	بالشروط
٢٥٠	٦	فواحج	فواجع
٢٥٢	٦	عدد	عدداً
٢٥٦	١٧	المرابطين اللجوم	المرابطين طريقة الهجوم
٢٥٩	١٩	نخيب	تخيب
٢٦٠	٩	المسيره	المسيرة
٢٦٢	١٧	الاغونيه	الارغونيون
٢٦٥	١٦	مسبر	مشبر
٢٦٦	٨	العينيم	العنيم
٢٦٧	١٧	صارسه	صارسيه
٢٦٨	١٠	ابو محمد عبد محمد	ابو محمد
٢٦٨	١٥	مالله	فالله